

حداد القلوب

شيخ الإسلام

الإمام عبد الله بن علوي بن محمد الحداد
العلوي الحسيني الحضرمي الشافعي

١٠٤٤ / ١١٣٢هـ

تأليف
د. مصطفى حسن البدوي



دار الأصول
الجمهورية اليمنية - تريم - حضرموت

دار النور
مصر

حداد القلوب

الإمام عبدالله بن علوي حداد

تأليف

مُصْطَفَى حَسَن البدوي



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أفاض على قلوب من أحب من عباده الأنوار، والصلاة والسـلام على قاسـم الأسرار، وعلى ـه الأطهار وأصحابه الأبرار.

أمـا بعـد: فقد رُوي عن بعض العارفين أنه قـال: «إن الغرض من الوَلِيّ هو الدلالة على الله، والجمع عليه، ـتزهيد فيما سـواه». ولقد شـهد للإمام الحدّاد العلماء والصالحون في عصره أنه قام بذلك خير قيام، وأُطْلِق عنيه في حياته لقب: قطب الدعوة والإرشاد؛ فإن الله تعالى قد منّ عليه بعبقرية فذة في التدريس، والتأليف، ـتبسيط الأمور المعقدة والغامضة وتوضيحها، وإيصال علوم المعاملة إلى المسلمين بكل فئاتهم وطبقاتهم.

ولقد كان - بلا شـك من مجددي الدين للقرن الثاني عشر[1]، ثم امتد تأثيره شرقًا وغربًا، فلا يزال سـاريًا ـالأمـة إلى اليـوم، وطبقت شـهرته الآفاق، وانتفع بعلومه وبركاتـه وأسراره الآلاف المؤلفة من طلبة العلم ـسالكين والواصلين والمحبين والمتبركين.

ولعلوم الإمام وبركاته في زماننا هذا انتشار يفوق انتشارها الأول؛ لتعطش الناس في هذا الزمان الأجدب إلى مثن هذا المنهل الفياض، وكذلك بفضل وسائل الإعلام الحديثة التي أوصلت هذه العلوم إلى أطراف الأرض.

والطريقة العلوية، طريقة الإمام الحداد وأسـلافه (رضي الله عنهم أجمعين) لا تزال غضّة طرية، شـجرة ـيبة تؤتي أكلها كل حين من العلماء، والفقهاء، والأولياء، والعارفين.

وكثيرًا ما أكّد الإمام الحداد وغيره من أكابر السادة أن طريقتهم ما هي إلا الكتاب والسنة، وذلك لالتزامهم ـكامـل بنهج أسـلافهم أكابر أهل البيت، وعدم قبول كل ما يخالف هـذا النهج، حتى وإن كانت المخالفة في ـصورة فقط وليست في الجوهر.

وقد قيل إن الإمام الحداد قد أثّر على الأمة هذا التأثير البالغ بكلامه، وقلمه، وقدوته، وأوراده، وتلاميذه، وذريته.

فأما بكلامه: فذلك بدروسـه ووعظه وإرشـاده بمقـره في تريم، وأثناء سـفرياته في أنحاء حضرموت، ثم ـيمن والحجاز حين سفره إلى الحج.

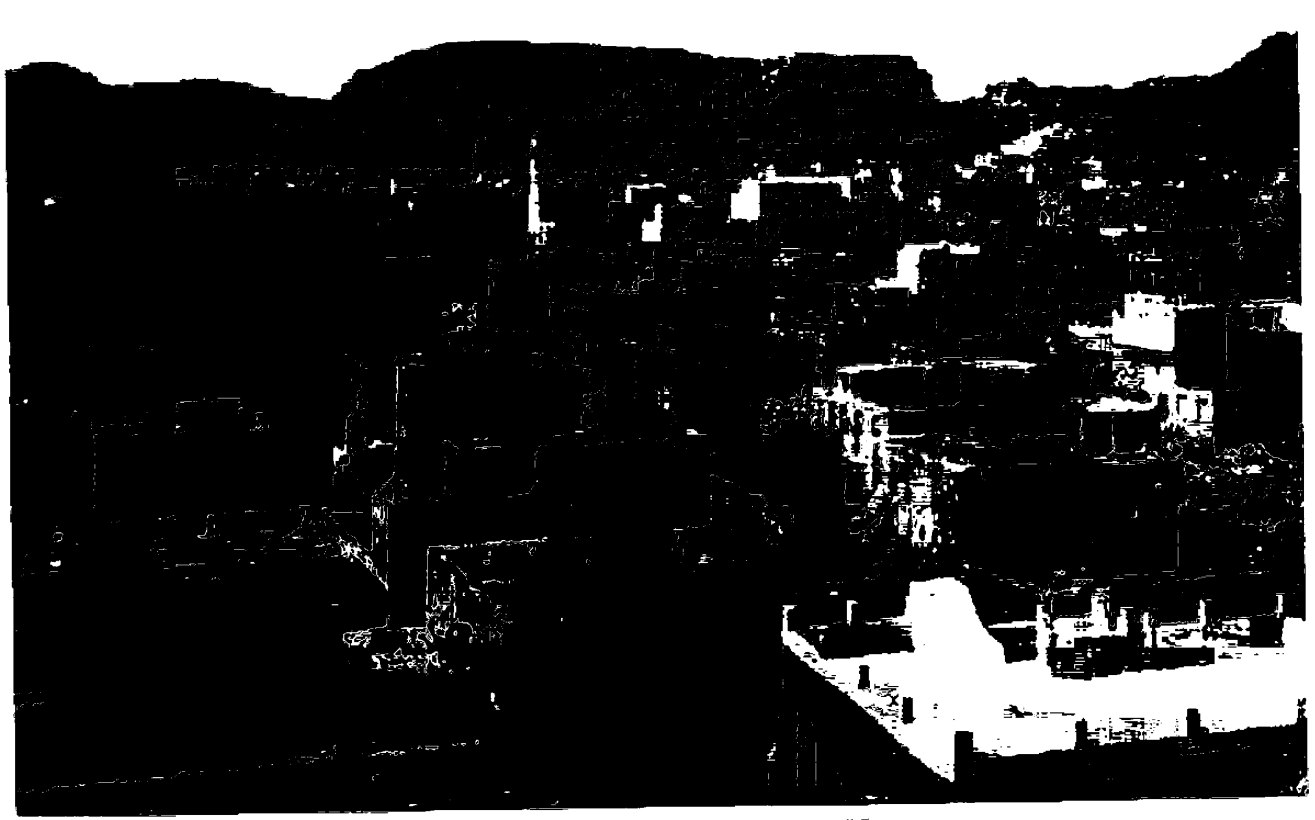
وأما بقلمه: فمن خلال مؤلفاته العظيمة الفائدة، ومكاتباته.

---

[1] قال رسول الله (ﷺ): «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**». سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، (٤٢٩١).

وأمـا بتلاميـذه: فقد ذكر منهم مؤلف «بهجة الزمان وسـلوة الأحزان»[1] الإمـام العلامة العارف بالله، محمـد بن زين بن سـمّيط العلوي الحسـيني ما يقـرب من المئة والخمسـين من العلمـاء العاملين، الدعاة الصالحـين الذيـن نشروا الدعوة في أرجاء المعمـورة، وهم الذين تمكن المؤلف مـن جمع شيء من أحوالهم وأفعالهم عند تأليفه للكتاب، وذلك بعد حوالي عشرة أعوام من وفاة الإمام. وكم تُوفِّي للإمام من صاحبٍ نجيبٍ أثناء حياته، فقد تتلمذ على يده من كانوا أسنَّ منه، ومن كانوا من طبقته.

وأمـا ذريتـه: فقد سـار أولاده وأحفـاده على نهجـه، وسرى سِرُّه فيهم، فـكان - ولا يـزال - منهم الأئمة الأعلام، والدعاة العلماء.



مدينة تريم، قاعدة السادة العلويين في حضرموت

قال الإمام الحداد في مقدمة مكاتباته: والعلماء ورثة الأنبياء، في أفعالهم وأقوالهم هدى للمؤمنين، ورضا لرب العالمين، وتشييد لقواعد الدين، ونشر لمعالم اليقين. فبهم يحفظ الله على الأمة أمر دينها، ويقوي دعائم يقينها. يخلف الأول منهم الآخر، ويتبع السلف منهم الخلف. خص الله بهم هذه الأمة المكرمة؛ لأنه ليس بعـد نبيها نبي، ولا بعد رسـولها رسـول، وقد كانت الأمم السـالفة يبعث فيهم النبي على إثـر النبي، مجددًا لما

(١) "بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيان والأصحاب والأقران"، للإمام محمد بن زين بن سميط باعلوي، ط (القاهرة)، بدون تاريخ، وهو خاتمة كتاب «غاية القصد والمراد».

يندرس من دينهم، فأعطى الله هذه الأمة الكريمة عليه بكرامة نبيها (ﷺ) أن يبعث لها ويخرج فيها من يجدد لها ما اندرس من أمر دينها كلما خلق وكاد أن تنطمس معالمه وتذهب طراوته وجدته. بذلك بشر الصادق (عليه السلام)، ووعد وصرح بما ذكرناه، في قوله: «**إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة**» الحديث.

ثم أشار إلى أن العالم الموصوف بالوراثة النبوية ليس كل من اتصف بالعلم، وإنما هو: العالم الرباني، الراسخة قدمه في معرفة علوم الكتاب والسنة، الظاهرة منها والباطنة، الرحيم بعباد الله، الشفيق عليهم، الزاهد في الدنيا، المحَقَّق بالخشية لله، العامل بما عَلِم ابتغاء وجه الله.

ولو أراد أحد أن يكتب عن الإمام الحداد كتابًا جامعًا لاحتاج إلى عشرات المجلدات؛ فمن شيوخه من قال - كما قال الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس، الذي توفي والإمام الحداد في الثامنة والعشرين من عمره - : السيد عبد الله الحداد أمةٌ وحدُهُ.

ومن أقرانه من وصفه بأنه: إمام أهل زمانه، الداعي إلى الله في سره وإعلانه، المناضل عن الدين الحنيفي بقلمه ولسانه، كالإمام محمد بن أبي بكر الشلي[1] في كتابه «الْمَشْرَع الرَوي».

ومنهم من أشار مرارًا إلى أن الإمام الحداد فريد عصره، لا يدانيه أحد، مثل: السيد العلامة العارف بالله أحمد بن عمر الهُنْدُوان.

أما من أخذ عنه، فقد قال عنه الإمام أحمد بن زين الحبشي أنه: بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الإسلام والإيمان والإحسان، وهو المجدد في هذه العلوم لأهل هذا الزمان.

أما عن علوم الإسلام، فسوف يأتي الكلام عنها في الفصل العشرين.

وأما عن علوم الإيمان: فيشير إلى كونه مجتهدًا فيها ما ورد عنه من كلام عن عقيدة الأشعري يدل على اتساع درايته بأمور العقيدة، وكونه غير مقلد فيها، وهذه أمور لا تستغرب من أهل الشهود.

وأما عن علوم الإحسان، وهي الطريق إلى الله، وتزكية القلوب حتى ترقى إلى مقامات الشهود، فيدل على علوّ قدره فيها لقبُ «حداد القلوب» الذي أطلق عليه؛ ذلك لأنه كما يُؤتَى للحداد بقطَع الحديد يعلوها صدأ، وتشوب باطنها الشوائب، فيصهرها ويُعمِل فيها آلاتِه، فيطرد من باطنها الشوائب، ويجلو ظاهرها من الصدأ حتى تصير بين يديه نصالاً لامعة حادة، فكذلك «حداد القلوب» يأتيه الرجل على ظاهره المعاصي والإعراض وسوء الأدب مع الله، وفي باطنه الشهوات والغفلات والعُجْب، وسائر أمراض القلوب، فيلاطفه

[1] الحبيب محمد بن أبي بكر الشلي العلوي، الحسيني: كان عالمًا عاملًا متضلعًا في العلوم. صنّف كتبًا كثيرة منها «المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي» وهو كتاب جامع لتراجم أعلام السادة بني علوي في جزأين. وله شرح على «مختصر الإيضاح» لابن حجر في مجلدين كبيرين. وشرح على «رسالة السنوسي» في المنطق، و«الجواهر والدرر، تاريخ القرن الحادي عشر»، وغيرها.

ويجتذبه بحلمه وحسن أخلاقه، ثم يشرع في تعليمه وتوجيهه، ويصبر على سياسته وترويض نفسه الأمّارة بالسوء، حتى ينقله من المعصية إلى الطاعة، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن الغفلة إلى الذكر، ثم لا يزال به تهذيبًا وتزكية حتى يصير قلبه لامعًا مستنيرًا.

ولقد اتبع الإمام الحداد في ذلك منهجًا أسماه: طريقة أهل اليمين، وهي التي رآها تناسب الزمان وأهله، وهي التي لا تزال سارية في الأمة قائمة برجالها.

ولقد اتبع كُلُّ من جاء بعد الإمام الحداد هذا المنهج الذي أرساه، وأشار إلى ذلك أحد أكابر المتأخرين، وهو الإمام العارف بالله الحبيب عليّ بن محمد الحبشي[1]، في القصيدة العظيمة التي قالها حين زيارته للإمام الحداد في ربيع الآخر ١٣٢٩ هجرية، فقال (رضي الله عنه):

بالفتح والإمداد والإرشاد ثبتت قواعد شيخنا الحدادِ
مستجمع السر الذي اتصفت به أسلافه وخليفة الأجدادِ

إلى أن قال:[2]

فجميعُ مَن سَلَكَ الطريقة بعده مستصبحون بنوره الوَقّادِ

ولذلك؛ فإن طريقة الإمام الحداد في الدعوة العامة والخاصة هي الطريقة التي عليها أكثر المشايخ المعتمدين اليوم، والتي اتفق القاصي والداني على أنها الصالحة لهذا العصر، ولا تصلح له غيرُها، ومن هنا كان للتعريف بالإمام الحداد وطريقته الأهمية الكبرى.

وقد نقل الإمام الحبيب أحمد بن زين الحبشي عن الإمام الحداد (رضي الله عنهما)، أنه قال: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[3] وهو الصراط المشار إليه باسم الإشارة الذي للقريب المشاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[4] وهو المشروح في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، والمبين بقول النبي (ﷺ) وفعله وتقريره، المشاهد من أحواله في سيرته

(١) الحبيب العارف بالله الإمام علي بن محمد الحبشي العلوي الحسيني: ولد بمدينة قسم سنة ١٢٥٩هـ تربى على والده مفتي الشافعية بمكة المكرمة، الحبيب محمد بن حسين الحبشي، وعلى كبار علماء وقته، وأقام بمدينة سيؤون داعيًا إلى الله حتى وفاته بها سنة ١٣٣٣هـ وقد أسس بها رباطًا للعلم، وبنى مسجد الرياض. وله وصايا ومكاتبات وديوانَيْ شعر، أحدهما بالفصحى والآخر بالعامية. وله «المولد النبوي الشريف» المعروف «بسِمْط الدُّرر».

(٢) ديوان الجوهر المكنون والسر المصون للحبيب علي بن حسين الحبشي، ص ٨٣.

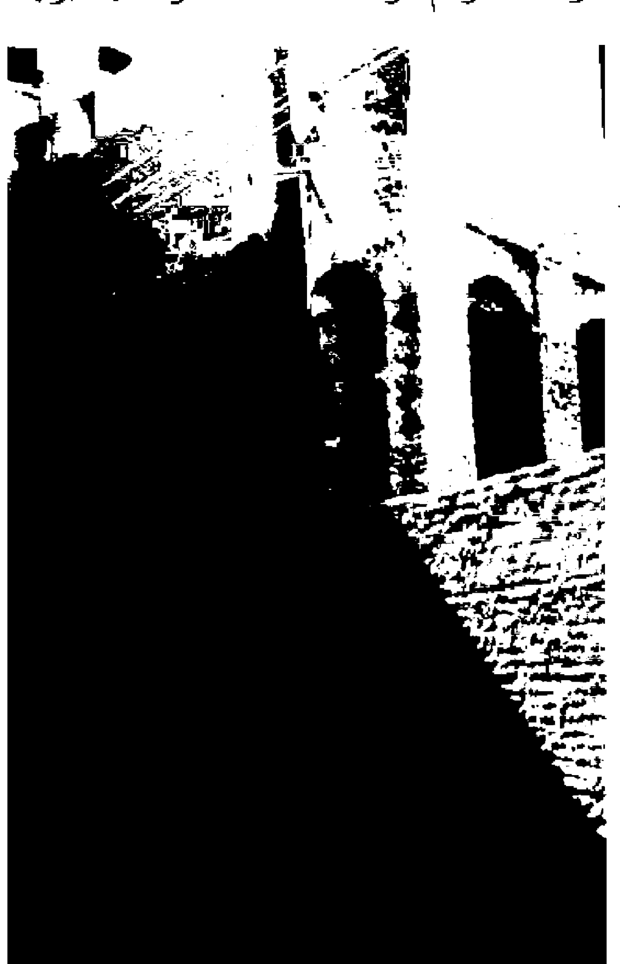
(٣) سورة الشورى:٥٢، ٥٣.

(٤) سورة الأنعام:١٥٣.

وأخلاقه، كما عليه أكبر الصحابة وأهل بيته، ثم صالحو السلف والتابعون لهم، فتابعوهم كذلك. وقد نقل ـث الإمامان أبو طالب المكي في «قوته»، وأبو القاسم القشيري في «رسالته»، ومن نحا نحوهم، ثم فصّل ذلك، وهذّبه، وحرّره، وبوّبه، وقرّره، ونقّحه، حجة الإسلام الغزالي.

وهو طريق السادة بني علوي الحضرميين الحسينيين، تلقوه كذا طبقة عن طبقة وأبًا عن أب، وتوارثوه من لدن الحسين وزين العابدين والباقر والصادق وغيرهم من أكابر السلف هكذا وإلى الآن.

وبهذا يعلم أن طريق السادة بني علوي ليست إلا الكتاب والسنة، وهم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون، فمن متوسط في ذلك وكامل وأكمل، فهم على المهيع الواسع الموصل إلى الله تعالى، من سار عليه وصل، إلا أن سلوكه متفاوت، فمن سالك في مسلكه الأوسط، وهو عزيز جدًا، ومن منتهج جانبًا منه، ومن سائر على طرف سوى، ومن سائر بسير السائرين عليه. فعلم أن طريقة السادة بني علوي هي صراط الله المستقيم، وهم الذين أنعم الله عليهم بطاعته، وطاعة رسوله، ومعية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا. وما خالف طريقة آل باعلوي حيث يضادها فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله؛ لأن مدار طريقتهم على عقيدة السلف الصالح، وتصحيح التقوى، والزهد في الدنيا، ولزوم التواضع، ومعانقة العبادة، ومواصلة الأوراد، واستشعار الخوف، وكمال اليقين، وحسن الأخلاق، وإصلاح النيّات، وتطهير القلوب والطويّات، ومجانبة العيوب الخفيّات والجليّات.


شارع من شوارع تريم الغناء

قال الحبيب أحمد بن زين الحبشي (رضي الله عنه): وهذا شيء سمعته من سيدنا وشيخنا الإمام السيد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي الحسيني السني، أو مما يقاربه لفظًا ويشبهه، بمسجد الأوابين، عشية الثلاثاء العاشر من شهر ذي القعدة المحرم، سنة ١١٠٩ هـ.

لقد كان للعلويين مجاهدات عظيمة ورياضات شاقة، وهي مبينة في تراجمهم، وكانت طريقتهم منذ الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي (رضي الله عنه) طريقة تحكيم، أي طريقة يلقي فيها المريد القياد لشيخه بالكلية، فيصرفه في جميع أموره، وهذه طريقة صعبة، وفائدتها أنها تختصر الطريق لسالكه، وتصل به إلى المقامات العليا والأسرار السنية في أسرع وقت، ولكنها تقتضي من السالك الإخلاص التام، والتوجه الكامل، والتسليم

لشيخه إلى درجة يعجز عنها الكثير من الناس. فلما كان زمان الإمام الحداد (رضي الله عنه) ورأى ما آل إليه الناس من الغفلة والإعراض عن الله والانشغال بالدنيا، ورأى بنور الله ما يلي ذلك في القرون القادمة من قلة الهمة والإخلاص، وضعف الإقبال على الله، رأى (رضي الله عنه) أن يجري تعديلات على هذه الطريقة ليجعلها ملائمة للزمان وأهله، حتى لا ينقطع ما هنالك من اتصال بين الناس ومنابع النور والهداية، فأخرج لهم طريقة سهلة سماها «طريقة أهل اليمين».

يقول الإمام الحداد (رضي الله عنه): إن طريق أهل الله تبدأ بأن يفرغ الطالب قلبه من الدنيا، ولا يشتغل بها إلا بقدر الحاجة، ثم يشغل أوقاته كلها بالذكر والطاعة، ويحفظها من المعاصي والتوسع في المباحات، ويقبل على أمور الآخرة بالكلية، فإن فعل ذلك، صار على الطريق.

ولما سئل: فإذا جاءكم أحد لا يعرف طريقة السابقين ولا طريقة أصحاب اليمين، فماذا يفعل؟ قال: يعمل على ما نحن عليه، فما يرانا نفعله يفعله، كما ترى من إقامة الصلوات، وقراءة القرآن، وترتيب الأذكار، وطلب العلوم النافعة، مع الدوام على ذلك.

وهذا هو المنهج الذي سار عليه العلويون إلى يومنا هذا.

وأهم مصادر الكتاب ترجمة الإمام الحداد المسماة «غاية القصد والمراد» للإمام محمد بن زين بن سميط[١]، وكتاب «تثبيت الفؤاد» للشيخ عبد الكريم الشجار الإحسائي[٢]، ومؤلفات الإمام، وديوان شعره، ومكاتباته[٣].

كما نقلنا بعض تراجم الأعلام من شرح عينية الإمام الحداد للحبيب أحمد بن زين الحبشي (رضي الله عنه)[٤] وذلك مع بعض تلخيص وتقديم وتأخير، و نقلنا بعضها من «بهجة الزمان» للسيد محمد بن زين بن سميط، والبعض الآخر من «فيض الأسرار» للشيخ عبد الله باسودان[٥].

يقول السيد الإمام محمد بن زين بن سميط باعلوي في مقدمة «غاية القصد والمراد»: ومما اتفق لي أني كنت أقرأ على سيدنا وشيخنا عبد الله بن علوي الحداد في كتاب «بهجة المحافل» للإمام العامري، وتوفي (رضي الله عنه) وأنا في آخر الكتاب المذكور، وكان آخر شيء قرأته عليه منه ولم أقرأ شيئًا بعده هذين البيتين لجلال الدين الخطيب الدمشقي[٦]:

(١) السيد محمد بن زين بن سميط «غاية القصد والمراد في مناقب الإمام الحداد» ط القاهرة، ١٩٩٠م.

(٢) «تثبيت الفؤاد بذكر كلام الإمام عبد الله بن علوي بن محمد الحداد»، جمع الشيخ أحمد بن عبد الكريم الشجار الأحسائي، وتهذيب الإمام أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد. ط القاهرة، ١٩٨١م، ثم سنغافورة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣) انظر الفصل التاسع عشر، وفيه تفصيل ذلك.

(٤) «شرح العينية»، السيد أحمد بن زين الحبشي، سنغافورة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٥) الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، «فيض الأسرار، شرح سلسلة الحبيب عمر البار» (مخطوط).

(٦) ومناسبة هذه الأبيات كما ذكرها البرهان الحلبي أنه التقى بالإمام جلال الدين الخطيب بسوق الكتب بالقاهرة، فسأله: أين كانوا؟ فأجابه أنهم كانوا يزورون آثار النبي (ﷺ) بالرباط المطل على النيل، فسأله: هل نظم أحد في ذلك شيئًا؟ فقال: لا! فقال: أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين، ثم أنشد الأبيات، ولكنه قال: مرابعه بدلاً من منازله.

يا عـين إن بعد الحبيـب وداره ونـأت منـازله وشـط مـزاره
فلـك الهناء لقد ظفـرت بطائل إن لـم تريـه فهـذه آثـاره[1]

ورجـوت أن يكـون ذلك من جملة الآثار المأمور بتتبعها، وأن في ذلك إشـارة إلى ذلك، وأرجو أن يكـون في ذلك متعة المتمتع.

ويكـون فيـه للربـوع وأهلها أنـس ونفـع الطالـب المتنقّـع

فـإن للنفوس ميلاً إلى المناقـب والكرامات أكثر من ميلها إلى المواعـظ والمخوفات، وكثيرًا ما يحصل مع ســتماع المناقب والانتعاش بها إثارة الهمم للطالبين القرب من رب العالمين، كما هو مشـاهد عند جريان ذكر أهل الصلاح. وبالجملة لو لم يكن عند ذكر الصالحين إلا نزول الرحمة، وأن في ذكرهم غفران الذنوب، كفى. قال حجة الإسلام الغزالي، نفع الله به عند ذكر هذا الكلام: ولا معنى لنزول الرحمة التي تكون عند ذكر أهل الصلاح إلا رقة تكون في القلب يستوجب بها صاحبها نزول الرحمة.

وقال الشـيخ محمد بن أبي بكر بن الأشكل اليمني: قال بعض شـيوخنا الأكابر المحققين: إن العارف إذا مـات فنقل عنه تلميذه مسألة في توحيد الله تعالى وأفادها، فإن ذلك العارف يجني ثمرتها عند الله، ويجازي نه بهـا الميت، فإنها من سـعيه، فذلك عنـد الله بطريق الوجوب الإلهي الذي أوجبه على نفسـه. ثم قال ابن لأشـكل: فمن حق الشـيوخ على المريدين حفظ علومهم وفوائدهم، وإبلاغها إلى من بعدهم لتُستفاد منهم، ويكثر بأجور من استفاد بها أجرهم، ويعرف بها ما لهم عند الله، ويحيا بها ذكرهم، فكم مات بعدم الذكر من كبير، وكم فات بالنسيان من العلوم من كثير، وكم ستر الإهمال من شهير. وفي ذلك قلت:

تموت الخبايـا في الزوايا وما لها مـن النـاس بـين النـاس ذاكـر
تفـوت كرامات الرجال شـواردا إن لـم تقيدهـا علينـا الدفاتـر

وقـال بعضهـم: من كتب تاريـخ ولي لله كان معه يوم القيامة، ومن طالع اسـمه في التاريخ حبًا له فكأنما زاره، ومـن زار وليًـا لله غُفـرت له ذنوبـه ما لم يـؤذه أو يؤذ مسـلمًا في طريقه، ومن أرّخ واقعـة يحتاج إليها المسـلمون أو يجد بها مسـلم راحة، كمعرفة سنة أو غيره، فكأنما أزال حجرًا عن طريقهم، ومن أزال حجرًا عن طريقهم احتسابًا غفر الله له.. والله أعلم.

قلت: والأصل المقدم على ذلك إشارة جازمة في جمع ذلك حصلت من سيدنا ومولانا وشيخنا ومن عليه بعد الله ورسوله اعتمادنا، الأستاذ الأكبر العارف بالله شهاب الدين أحمد بن زين الحبشي علوي، وذلك بعد وفاة سـيدنا الإمام عبد الله بنحو سـنة أو أكثر، فحصل الامتثال لإشارته، وحصلت المعونة ببركته، وأخذت من تلـك المـدة إلى هذه السـنة، وهي العاشرة والحادية عـشرة من بعد إشـارته، وأنا في تتبع ذلـك، وتطلبه

ومناسبة هذه الأبيات كما ذكرها البرهان الحلبي أنه التقى بالإمام جلال الدين الخطيب بسوق الكتب بالقاهرة، فسأله أين كانوا؟ فأجابه أنهم كانوا يزورون آثار النبي(ﷺ) بالرباط المطل على النيل، فسأله: هل نظم أحد في ذلك شيئا؟ فقال: لا! فقال: أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين، ثم أنشده الأبيات، ولكنه قال: مرابعه بدلا من منازله.

والفحص عنه، ونقله عن سيدي أحمد المذكور، وغيره من السادة الفضلاء، وغيرهم من الثقات، والمحبين، والمتعلقين، والمنتسبين، من أكثر البلدان، من حضرموت وغيرها.

وكنت أبحث وأسأل كل من لقيته ممن عرف سيدي: هل وقع لك شيء من الوقائع أو سمعت شيئًا من كلامه؟ مع ما رأيته منقولاً عنه من خط سيدي وشيخي أحمد بن زين، أو سمعته منه، أو عنه، أو أي شيء من مؤلفاته، وهو الشيء الكثير، كما ستراه مثبوتًا في سائر الكتاب؛ وكذلك من خط ابنه السيد العارف بالله علوي بن عبد الله أو من نطقه، وكذلك ابنيه السيدين الجليلين بدر الدين الحسن والحسين، وكذلك سائر أولاده الكرام، ومن خط السيد الفاضل عبد الرحمن بن علي بن الحسين ابن الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي، ومن خط الفقيه الصالح عبدون بن محمد بن قطنة، وكذلك من سماع سيدنا وشيخنا عمر بن الحامد بن علوي باعلوي؛ وعن السيد العارف عمر بن عبد الرحمن؛ ومما نقله فقيره المنور عبد الله بن محمد شراحيل الأشرم، وكذلك فقيره الصالح المجذوب عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل الشباميان؛ ومما نقلته عن السيد الجليل عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف، وهو شيء كثير كما ستراه معزوًّا وغير معزوّ؛ وكذلك عن السيد الولي محمد بن شيخ الجفري علوي، وعن السيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه في كتابه «المشرع الروي»؛ وكذلك عن غير هؤلاء جماعة لا تحصى، منهم من يُعزى إليه النقل، ومنهم من يُبهم لمصلحة رأيتها في الإبهام، وإنما عيّنت هؤلاء لأن النقل عنهم كثير فذكرتهم في الخطبة.

وما لي في هذا المؤلّف سوى النقل فقط، إلا اليسير مما سمعته أو رأيته منه - نفع الله به.

إلى أن قال الحبيب محمد بن زين: وما لي سوى التشرف بخدمة هذا الإمام العظيم، والامتثال لإشارة ذلك السيد الكريم، وبالحقيقة إنما هو له، وإنما لي نسبة الاسم فقط، وكفى به عزًّا وشرفًا وفخرًا. وقد تكررت عليّ منه الإشارات في الجمع في أوقات متعاقبات، وترادفت مع ذلك منامات صالحات ومبشرات مباركات إن شاء الله مع سيدي عبد الله حال الجمع تؤذن بالإذن منه (رضي الله عنه). مع أنه في حياته كان شديد الكراهة لنسبة الكرامات إليه، كثير الإنكار لوقوعها منه، وربما زجر من جمعها، كما ذكره فقيره المنور عبد الله بن محمد شراحيل السابق ذكره، أنه لما جمع في نبذته التي سماها «المواهب والإمداد في مناقب سيدنا عبد الله الحداد» شيئًا من كراماته عرضها عليه، فزجره، وأمره بغسلها بعد عرضها على سيدنا أحمد بن زين وبعض السادة.

وقال سيدنا أحمد في كتابه «النفحات السرية والنفثات الأمرية، شرح القصيدة العينية» لسيدنا عبد الله بن علوي الحداد: وليعلم أنه يخطر بالبال أن أترجم لسيدنا وبركتنا الناظم، نفع الله به، فلم يثبت الخاطر أصلاً؛ لأن الأعذار كثيرة قائمة، منها أني أظن منه كراهة ذلك وكراهة التطويل، ومنها أني أعلم من أحواله، ومعاملاته مع الله تعالى، وإخلاصه، وقوة يقينه، وكشفه، وثباته ورسوخ قدمه فيه، وعلومه الباطنة والظاهرة، وإقامته لظاهر الشريعة، وتحقيق باطنه بها، وعلو معارفه بالله، وغير ذلك مما تعسّر عليّ كتابته، بل ربما يتعذر ويبقى مما أعرفه أكثر من ذلك بكثير، وهذا كله على قدري، وعلى

ـر ما أعطاني الله من الفهم في حقائق الدين، وهو من غير حول مني ولا قوة، والله أعلم مني بحالي، ـم على قدر شيخنا فلا أعرف شيئًا، وبالجملة فسير أهل هذه المنظومة العينية مجتمعة فيه (رضي الله عنه).
ـهى من مقدمة غايه القصد والمراد).



مسجد النويدرة الذي بناه الإمام الحداد في تريم

ولقد كان للإمام الحداد (رضي الله عنه) مواهب أخرى شتى، منها ما أعطاه المولى (عز وجل) من العلم والحكمة وحسن ـصرف في الأمور الدنيوية، حتى في مجالات تكون عادة بمنأى عن أمثاله من العلماء والدعاة، مثال ذلك ـمور العسكرية، فنجده في مكاتباته يسدي النصائح العسكرية لأحد السلاطين، ومثال ذلك علمه في ـلات لم يتسع هذا الكتاب إلا لقليل منها، ويشير إلى ذلك ما ذكره السيد العلامة محمد الشاطري (رحمه الله)، ـ ترجمته للإمام في كتابه «أدوار التاريخ الحضرمي»[1]، حيث تحدث عن مشاركته في الأمور السياسية، ـجتماعية، ثم الاقتصادية، الزراعية منها والتجارية.

قال (جزاه الله خيرًا): والحداد شارك مضطرًا في المجال السياسي من أجل وطنه وشعبه، رغمًا عن أنه مكفوف البصر، وليس في أيام شبابه فحسب، بل وفي كهولته وشيخوخته، فكان يكتب توجيهات لبعض ـلاطين الكثيريين كعمر بن علي بن عبد الله، ومحمد بن بدر، ولبعض معاونيهم. وكان يشير عليهم في نواحٍ ـتماعية فيحترمون إشارته. ومن ذلك ما قرره السلطان من جمع الزكوات وتوزيعها، فأشار عليهم بترك

[1] أدوار التاريخ الحضرمي»، للعلامة السيد محمد أحمد الشاطري، رحمه الله تعالى، دار المهاجر، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ، ص ٣٢٤-٣٢٥.

ذلـك، ولم يـزل بهم حتى ألغوه، وكان له مبررات في ذلك، من أهمها عدم اسـتعدادهم لوضع ذلك في موضعه الـشرعي، وجعلهـا أهم مورد لحكومة إسـلامية في ميزانيتها، ثـم توزيعها بكميات كبـيرة، ومبالغ ضخمة تصرف في مجالات اقتصادية للمستحقين تحت إشراف حكومة رشيدة، إلى آخر ما هنالك.

وكان قـد خصـص ابنه محمد للقيام بوسـاطات بالنيابة عنه بين القبائل وغيرهـم للإصلاح بينهم، وأعده للدبلوماسـية القبليـة المحلية. ولما نشبت بين آل العمـودي، وفيهم من يكاتبونه ويتصلون به للاسـتفتاء والاستشـارة، نزاع مسـلح، تدخَّل بينهم الحداد، وأرسـل ابنه المذكور للتوفيق بينهم، فنجح. وقد زوّج ابنه محمدًا من قبيلة آل كثير، كما صاهر أحد بنيه الآخرين آل قصير التميميين، وكل هذا من أجل توثيق عُرى المودة والإخاء بينه وبين القبائل المسلّحة.

وقد أسّـس له في دائرة مدينة تريم ضاحية الحاوي الشـهيرة المسـتقلة استقلالاً ذاتيًا به وبأولاده وخدمه وأتباعه...

وكمـا أن الحـداد عَلَـمٌ من أعـلام الأدب والعلم والثقافة والنسك، فهو أيضًا من أعلام الاقتصاد في وطنـه وبالأخص في الناحيتـين الزراعيـة والتجارية.



المسجد الجامع بتريم وقد أنشيء سنة ٥٨١ هـ وجدد عدة مرات منذ ذلك الحين

فأمـا في الناحيـة الزراعية: فله إرشـادات خاصـة، وعناية بالمزارعـين سـواء بالنسـبة للتوقيت أو بالنسـبة للطريقة المنتجـة، فـكان يحثهـم على الإكثـار مـن زراعـة الحبوب، وبالأخـص الـبرّ، وإذا تخلفـوا عنها يتوقفون عن الزراعة فقد شـجّعهم على أن يزرعوا ولو في نجم الثريّا، وقد أثبتت التجارب صدق ما يقول، فاستمروا على ذلك إلى اليوم.

وكان يأمرهم بأن يزرعوا ثلاث مرات، أي ثلاثة صروع في العام في القطعة الواحدة، شريطة أن يكثروا من السماد الطبيعي، فنفّذوا تعليماته، ولعله يقصد من ذلك نقطتين فيهما ازدواج، وهما: الإكثار والإنتاج من الزرع، وتنقية المساكن من الأوساخ.

ولدى الحداد أطيان ورثها من أبيه ومن أمه التي تملك أسرتها أطيانًا أكثر، ولكنه مع هذا يعد من متوسطي الحال، في مقدار الأطيان. وعنده دواجن في مزرعته، وفي مسكنه، وكان يباشر بنفسه إطعامها يوميًا، ويضاف إلى العمل الزراعي أعمالاً تجارية، يقوم بها بنوه تحت إرشاده. (انتهى من أدوار التاريخ الحضرمي).

وأذكر أنه من أكثر من ربع قرن، عند بداية تعلقنا بالإمام الحداد وعلومه وطريقته، لم تكن مؤلفاته متوافرة بالأسواق كما هي اليوم، وكنا نحصل بصعوبة على نسخ من الطبعات القديمة المطبوعة بمصر، إلا ما كان من مكتبة الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد (رحمه الله تعالى وجزاه عنا خيرًا). ولم يكن كتاب "غاية القصد والمراد" متوافرًا، ولم نكن حتى نعلم بوجوده. وأذكر أنه منذ ما يزيد على عشرين سنة كنت أزور السيد العلامة سالم الشاطري ببيته، فقلت له: إن الإمام الحداد لا يُعرف عن حياته الكثير. فالتفت إليّ مؤكدًا: كلا، إن الكثير معروف عن الإمام الحداد. فبدأت أسأل عن المصادر، فأهداني الحبيب أحمد مشهور حداد نسخته الخاصة المصورة من مخطوطة «غاية القصد والمراد»، ثم بعد فترة وأيضًا من مكتبته الخاصة أهداني مجموع مؤلفات الإمام في مجلدين، ثم بعد فترة أخرى نسخة مطبوعة من «تثبيت الفؤاد».

ومرّت الشهور والأعوام إلى أن وجدت نسخة مطبوعة من «غاية القصد والمراد»، وتمكنت من تصويرها، وكذلك مكاتبات الإمام. ثم استعرت نسخة السيد عدنان بن علي، حفيد الحبيب أحمد، من «بهجة الزمان» وتصويرها، ثم النسخة المصورة من مخطوطة «المواهب والمنن». وكانت النية في تحصيل هذه المؤلفات المهمة هي أولاً إشباع رغبة التعرف والتعلق بهذا الإمام العظيم، وثانيًا جمع المادة لتأليف ترجمة له باللغة الإنكليزية؛ حيث أن مؤلفاته مترجمة إلى هذه اللغة كانت قد بدأت تنتشر في الغرب، ونشأت من ذلك الحاجة إلى تعريف القارىء الأجنبي بشخصية الإمام وسيرته. وتم والحمد لله تأليف الكتاب باللغة الإنكليزية وبالأسلوب المناسب للقارئ الغربي، وهو أسلوب مغاير تمامًا لما تعوّده القارئ العربي، ولكن لأسباب شتى لم تتيسر طباعته حتى سنة ١٤٢٦هـ. وقد علم المرحوم السيد سقاف بن علي الكاف[1] بإعدادي لهذا الكتاب، فألحّ عليّ بكتابة ترجمة للإمام باللغة العربية، مشيرًا إلى أن المرحلة الصعبة، والتي تحتاج إلى مجهود كبير، ألا وهي مرحلة تجميع المادة وترتيبها وتبويبها، قد تمت، وصار تحويلها إلى مؤلف متناسق سهلاً قريبًا. وفي تلك الأيام، قبل انتشار استعمال الحاسب الآلي، وظهور موسوعات الحديث، كان تخريج الأحاديث يحتاج إلى مراجع كثيرة ومجهود، فساعدنا السيد سقاف وولده السيد محمد في ذلك – جزاهما الله خيرًا. ولقينا والحمد لله من الحبيب أحمد (رضي الله عنه) التشجيع، والتوجيه، والتوضيح، وكذلك لقينا العون والمؤازرة من السيد عبد القادر الجيلاني خرد – جزاه الله خيرا، وأدّى ذلك إلى أن تولت دار الحاوي نشر الكتاب سنة ١٤١٤هـ تحت

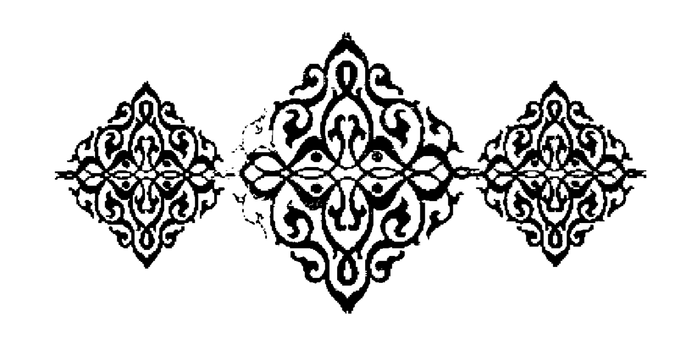
---

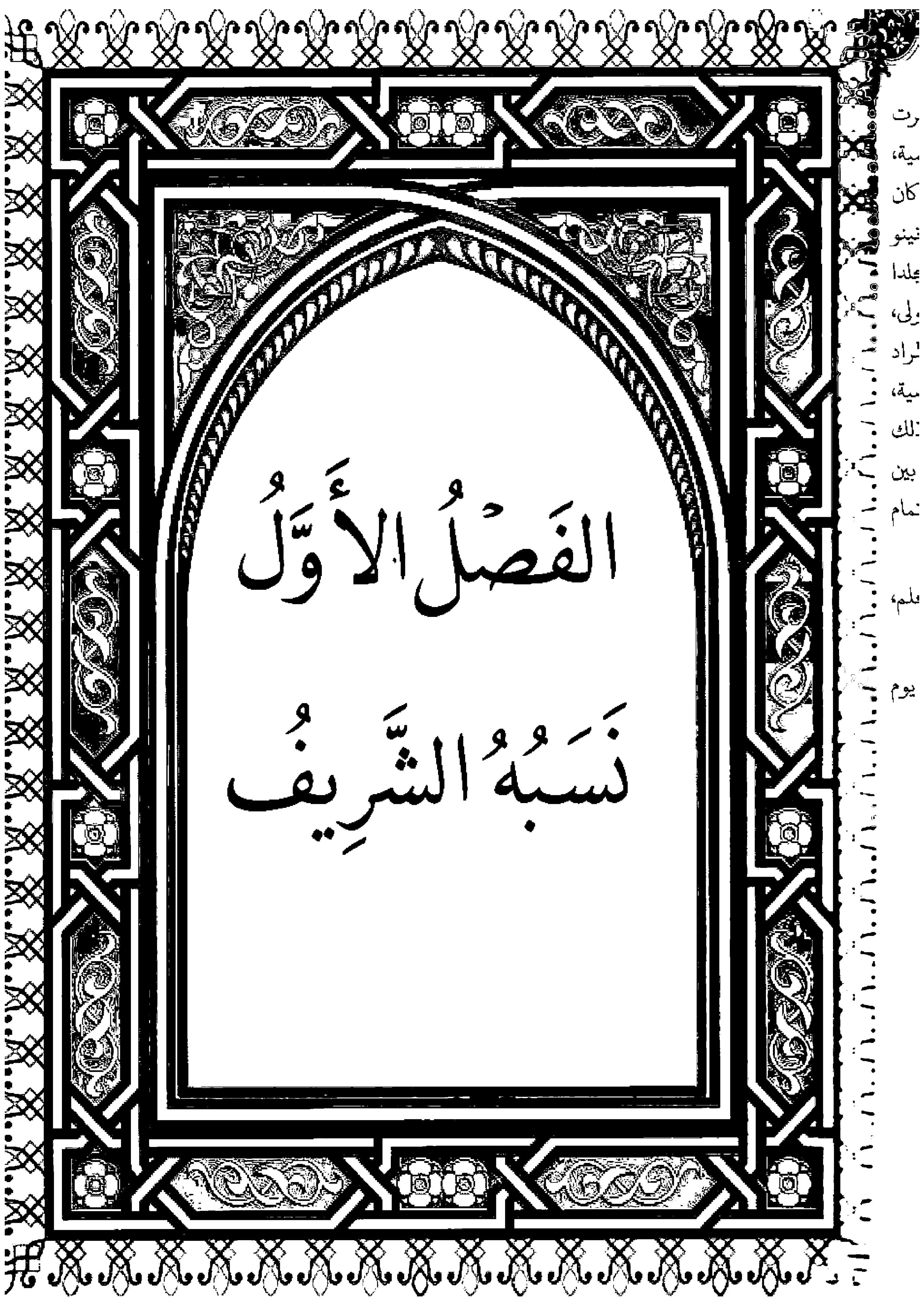
(1) السيد سقاف بن علي الكاف العلوي الحسيني: من علماء السادة العلويين المعاصرين، عاش آخر سنين حياته بالمدينة المنورة، وله مؤلفات، منها: «حقيقة الفرقة الناجية»، و«دراسة في نسب السادة بني علوي»، و«حضرموت عبر أربعة عشر قرنًا»، و«الثمار الجنية». توفي رحمه الله بجدة، ودفن بالمعلاة بمكة المكرمة.

عنوان: «الإمام الحداد، مجدد القرن الثاني عشر الهجري، سيرته ومنهجه». ومر على ذلك سنوات، وتوفرت مصادر أخرى، وبدأ يلحّ عليّ الخاطر أن أضيف إلي الكتاب أشياء كثيرة صارت في نظري بالغة الأهمية، وكذلك توفرت صورا ملونة لم تكن موجودة من قبل، بعضها من السيد الفاضل علوي بلفقيه، وفيها ماكان قد تم تصويره بمسجد الإمام وبيته بالحاوي قبل التجديد، والبعض الآخر من الأخ المخلص اسماعيل بنينو الكَنَدي، الذي كان خير الصاحب والدليل طوال رحلتي الحضرمية سنة ١٤١٩هـ. ولما بلغ حجم الزيادات مجلدا كاملا، طُبع الكتاب سنة ١٤٢٢ هـ. في مجلدين، الأول منهما يحتوي على نص الكتاب كما كان في الطبعة الأولى، والثاني يحتوي على الزيادات والصور. ثم إذا بالخاطر يلح عليّ ثانية لإضافة زيادات أخرى شتى، وكان المراد أن يكون الكتاب مرجعا جامعا لجميع ما يمكن استخراجه من المصادر كلها من معلومات عن شخصية، وأخلاق، وأحوال الإمام الحداد، بالإضافة إلى آراءه ومنهجه في التعليم والدعوة إلى الله. فكانت نتيجة ذلك أن زدت كثيرا، وحذفت الثلاثة فصول الأولى بنية ضمها لرسالة قصيرة مستقلة عن الإرتباط الوثيق بين أهل البيت النبوي والتصوف، وقدّمت وأخرّت، وتم إدماج الجزءين، فلما تفضل المولى عز وجل وأنعم بإتمام الكتاب على هيئتة النهائية، سميته: «حداد القلوب: الإمام عبد الله بن علوي الحداد».

أسأله تعالى أن يتقبل مني هذا العمل على ما فيه، ويغفر لي ما أعلم وما لا أعلم، إنه بنا وبنياتنا أعلم، وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ومنه التوفيق، وإليه المصير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، معلم الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، والحمد أولاً وأخيرًا لله رب العالمين.





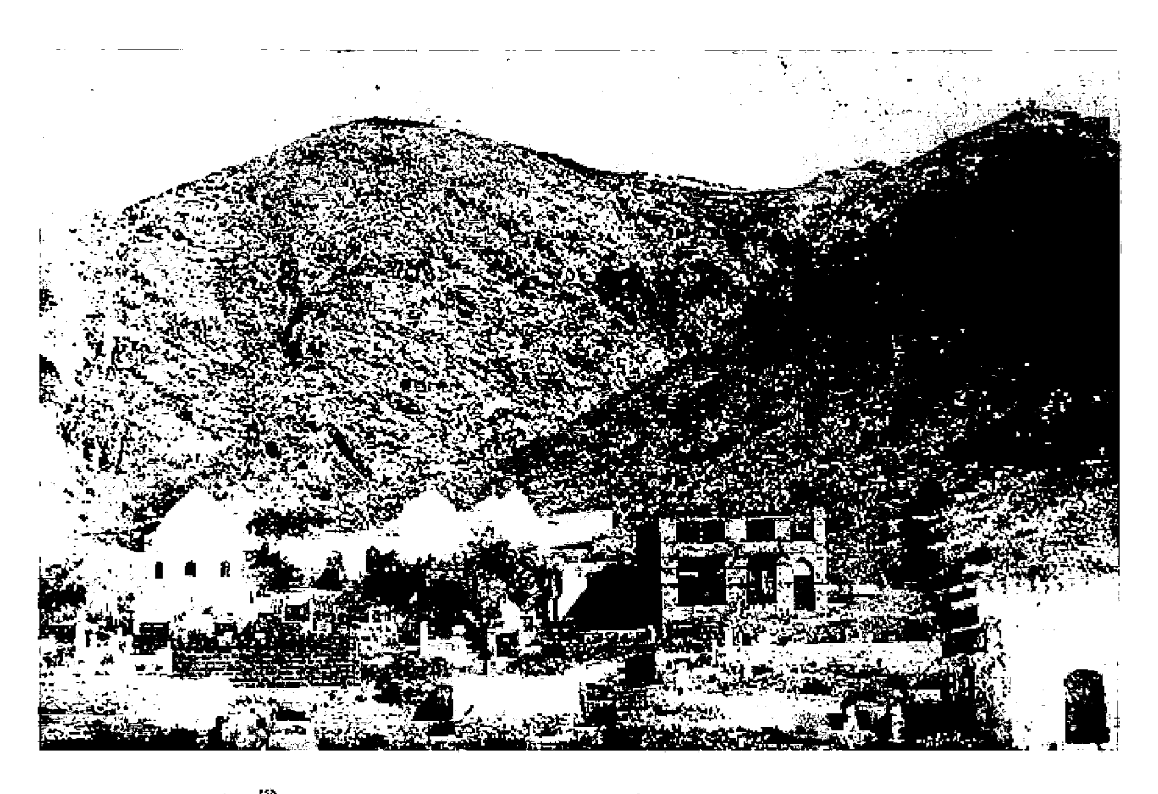
الفَصْلُ الأَوَّلُ

نَسَبُهُ الشَّرِيفُ

المواجهة الشريفة بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، الحلقة النحاسية التي تدل على مكان النبي (ﷺ).



مسجد رسول الله (ﷺ) بالمدينة المنورة. وهو (ﷺ) أصل أهل البيت والمخبر بفضائلهم ومقامهم عند ربهم



مقبرة المعلاة بمكة قديما، والقبة الكبيرة قبة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) أم السيدة فاطمة الزهراء و أهل البيت كلهم



قبة السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة

١ - الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، زوج البتول: استشهد بالكوفة سنة ٣٠ هـ.



المنبر القائم حاليًا بمنزل الإمام علي بالكوفة بالعراق



باب منزل السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بالحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة

٢- الإمام الحسين (رضي الله عنه): استشهد بكربلاء سنة ٥٤هـ



مسجد الإمام الحسين (رضي الله عنه) بكربلاء بالعراق

٣ - الإمام علي زين العابدين (رضي الله عنه) توفي بالمدينة المنورة سنة ٩٤ هـ.

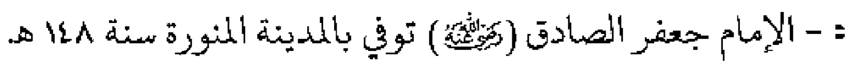


البقيع قديما، وتظهر قبة أهل البيت في طرف الصورة على يمين الناظر، وفيها السيدة فاطمة الزهراء، وعم النبي (ﷺ) سيدنا العباس، وسيدنا الإمام الحسن بن علي، والإمام علي زين العابدين، وولده الإمام محمد الباقر، وولده الإمام جعفر الصادق. (ﷺ) أجمعين.

٤ - الإمام محمد الباقر (رضي الله عنه) توفي بالمدينة المنورة سنة ١١٧ هـ.



قبة أهل البيت بالبقيع حاليا


- الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) توفي بالمدينة المنورة سنة ١٤٨ هـ.



حارة بني غنم بالمدينة المنورة ويظهر منزل الإمام جعفر الصادق على يسار الناظر

- الإمام علي العريضي (رضي الله عنه) توفي بالعريض سنة ٢١٠ هـ.



مسجد وقبر الإمام علي العُريضي بضاحية العريض بالمدينة المنورة قبل هدمه

٧ - الإمام محمد النقيب (رضي الله عنه) توفي بالعراق حوالي سنة ٢٣٠ هـ.

٨ - الإمام عيسى النقيب (رضي الله عنه) توفي بالعراق حوالي سنة ٢٧٠ هـ.

٩ - الإمام أحمد المهاجر (رضي الله عنه) توفي بالحُسَيّسة بحضرموت سنة ٣٤٥هـ.

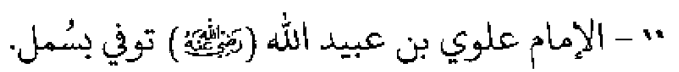


ضريح الإمام احمد بن عيسى المهاجر بالحُسيِّسة

١٠ - الإمام عبيد الله بن أحمد (رضي الله عنه) توفي بسمل سنة ٣٨٣ هـ.



قبر الإمام عبيد الله بن احمد بسمل



١١ - الإمام علوي بن عبيد الله (رضي الله عنه) توفي بسُمل.



قبر الإمام علوي بن عبيد الله بسمل

١٢ - الإمام محمد بن علوي (رضي الله عنه) توفي ببيت جُبير عن ٥٦ سنة.



قبر الإمام محمد بن علوي ببيت جُبير

١٣ - الإمام علوي بن محمد (رضي الله عنه) توفي ببيت جبير سنة ٥١٢ هـ.



قبر الإمام علوي بن محمد ببيت جُبير

١٤ - الإمام علي بن علوي خالع قسم (رضي الله عنه) توفي بتريم سنة ٥٢٩ هـ.



قبر الإمام علي بن علوي خالع قسم بمقبرة بشار بتريم

١٥ - محمد بن علي صاحب مرباط (رضي الله عنه) توفي بمرباط بظفار سنة ٥٥٦ هـ.



الإمام محمد بن علي صاحب مرباط (رضي الله عنه)

١٦ - علوي بن محمد عم الفقيه المقدم (رضي الله عنه) توفي بتريم سنة ٦١٣ هـ.

١٧ - عبد الرحمن بن علوي (رضي الله عنه).

١٨ - أحمد الفقيه بن عبد الرحمن (رضي الله عنه) توفي سنة ٧٢٠ هـ.

١٩ - السيد عبد الله بن أحمد.

٢٠ - السيد محمد بن عبد الله.

٢١ - السيد أحمد بن محمد.

٢٢ - السيد أبو بكر بن أحمد الملقب بالطويل.

٢٣ - السيد أحمد الحداد بن أبي بكر، وهو أول من لقب بالحداد.

٢٤ - السيد علوي بن أحمد الحداد، توفي سنة ٩١٥ هـ.

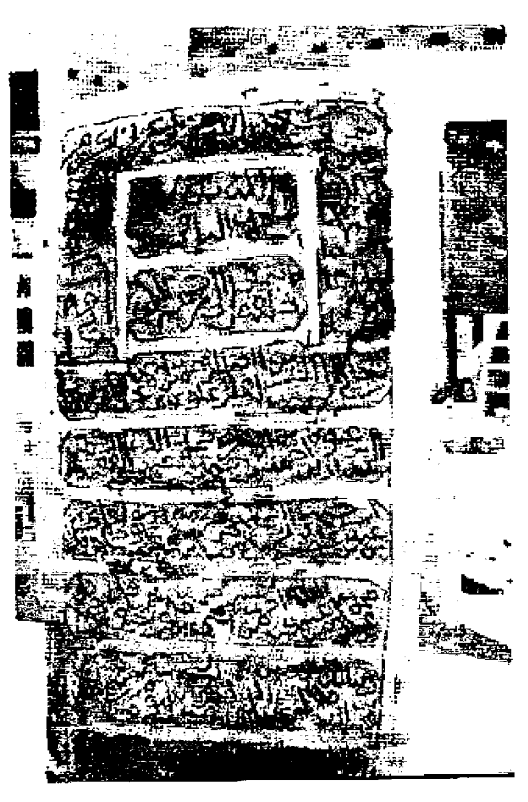
٢٥ - السيد محمد بن علوي.

٢٦ - السيد عبد الله بن محمد، توفي ٩٧٧ هـ.

٢٧ - السيد أحمد بن عبد الله، توفي بالهند.

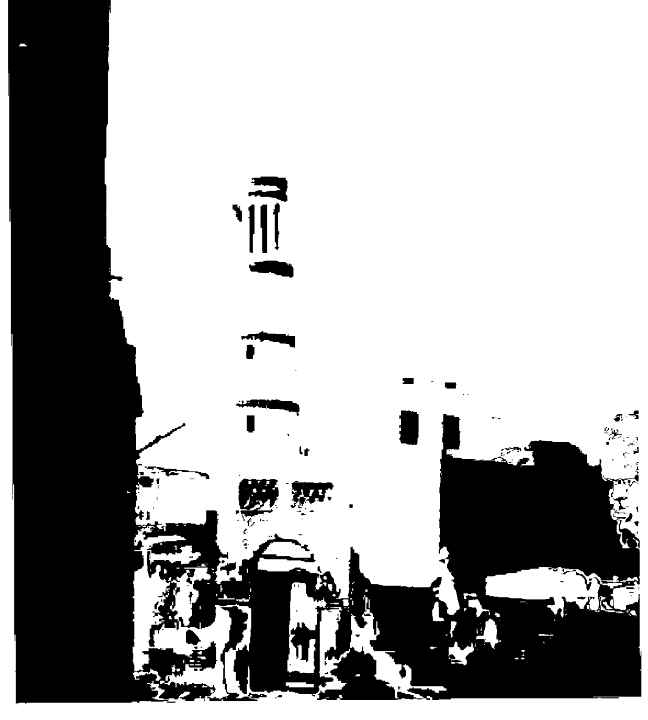
٢٨ - السيد محمد بن أحمد، توفي بالهند.

٢٩ - السيد علوي بن محمد، توفي بتريم سنة ١٠٧٢هـ.



قبر السيد علوي بن محمد بمقبرة زنبل بيتريم

٣٠ - الإمام عبد الله بن علوي الحداد، توفي بتريم سنة ١١٣٢هـ.



منزل ومسجد الإمام عبد الله بن علوي الحداد بالحاوي قبل التجديد



لامام علي زين العابدين (رضي الله عنه):

ُدرك الإمـام عـلي زيـنَ العابدين جده الإمام علي بـن أبي طالب (كرم الله وجهه)، ثـم تربّى على الإمامين حسـن والحسين، وكان الوحيد من أولاد الإمام الحسين الذي نجا من مأساة كربلاء.



مسجد وقبة الإمام الحسين بالقاهرة

ُنشأ حلقة للدرس في المسجد النبوي، وأخذ منه أكابر التابعين، من أمثال: سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير.

كان يخطب الناس كل جمعة ويعظ فيهم، ويزهدهم من الدنيا، ويرغبهم في الآخرة.

وإذا هاج الريح يخر مغشـيًا عليه. ولما حج قال: لبيك! فخر مغشـيًا عليه. واسـتطال عليه رجل فتغافل عنه. فقال له الرجل: إياك أعني! فقال له زين العابدين: وعنك أغضي. وخرج من المسجد، فلقيه رجل فسبّه، ـغ في سـبّه، فبادرت إليه العبيد والموالي فكفهم عنه، وقال: مهـلاً على الرجل! ثم أقبل عليه، فقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيي الرجل، فألقى عليه خميصته التي عليه، وأمر بعطاء فوق ألف درهم، فقال الرجل: أشهد أنك من أولاد الرسول.

ولما عرّفه الفرزدق لهشام بالقصيدة في القصة المعروفة، أعطاه اثني عشر ألف درهم، فقال: إنما امتدحته لا للعطاء. فقال الإمام زين العابدين: إنّا أهل بيت إذا وهبنا شيئًا لا نستعيده.



البقيع قديمًا، وقبة أهل البيت تظهر في طرف الصورة على يسار الناظر، وفيها السيدة فاطمة الزهراء، وعم النبي (ﷺ) سيدنا العباس، وسيدنا الإمام الحسن بن علي، والإمام علي زين العابدين، وولده الإمام محمد الباقر وولده الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنهم).

ومكث مع جده علي (رضي الله عنه) سنتين، ثم مع أبيه إحدى عشرة سنة (رضوان الله عليهم أجمعين).

ولما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت. وكان يحمل جراب الطعام على ظهره بالليل فيتصدق به على فقراء المدينة، ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب.

قال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك.

وكان إذا أقرض قرضًا لا يستعيده، وإذا أعار ثوبًا لا يرجعه، وإذا وعد وعدًا لا يأكل ولا يشرب حتى يفي به.

وإذا سعى في حاجة فتوقفت قضاها من ماله. وكان يحج ويغزو ولا يضرب راحلته.

ومناقبه وفضائله لا تكاد تحصى، ولكنها مشهورة مذكورة، فلنقتصر على ما ذكر.

الإمام محمد الباقر (رضي الله عنه):

كنيته أبو جعفر، وسمي بالباقر من بَقَر الأرض، أي شقّها، وذلك لأنه بقر العلم، فأظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما جعله سيد علماء وقته بلا منازع.

ولد بالمدينة المنورة يوم الجمعة الثاني من صفر سنة ٥٧هـ، وأمه السيدة فاطمة بنت الإمام الحسن، وهو لذلك أول مولود اجتمع بنسبه الإمامان الحسن والحسين.

صحب والده الإمام عليًا زين العابدين نيفًا وثلاثين سنة، فأخذ عنه أخذًا كاملاً، وورث عنه علوم النبوة، وعاش بعده تسع عشرة سنة.

أدرك الإمام الباقر الكثير من الصحابة، فهو من التابعين، وروى الحديث عن عدد منهم، وقد أُحصِيت رواياته في صحيحي البخاري ومسلم وسائر الكتب التسعة، فوجدت قد بلغت مائتين وأربعين حديثًا. قال الإمام ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو جعفر، الباقر: أمه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. روى عن أبيه، وجديه الحسن والحسين، وجد أبيه علي بن أبي طالب مرسل، وعم أبيه محمد بن الحنفية، وابن عم جده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة، وأبي سعيد الخدري، وجابر، وأنس، وإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن أبي رافع، وحرملة مولى أسامة، وعطاء بن يسار، ويزيد بن هرمز، وأبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب، وغيرهم. روى عنه ابنه جعفر، وإسحاق السبيعي، والأعرج، والزهري، وعمرو بن دينار، وأبو جهضم موسى بن سالم، والقاسم بن الفضل، والأوزاعي، وابن جريج، والأعمش، وشيبة بن نصاح، وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، وعبد الله بن عطاء، وبسام الصيرفي، وحرب بن سريج، وحجاج بن أرطاة، ومحمد بن سوقة، ومكحول بن راشد، ومعمر بن يحيى بن سام، وآخرون.

وكان كثير التردد على جابر بن عبد الله الأنصاري (ﷺ) فقد كان يتردد عليه مع أبيه الإمام عليّ زين العابدين، ففي صحيح البخاري أن أبا جعفر حدّث أنه كان عند جابر بن عبد الله هو وأبوه، وعنده قوم، فسألوه عن الغسل، فقال: يكفيك صاع، إلى آخر الحديث. وروى ولده، جعفر بن محمد، عنه، قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فسأل عن القوم حتى انتهى إليّ، فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين، فأهوى بيده إلى رأسي، فنزع زري الأعلى، ثم نزع زري الأسفل، ثم وضع كفه بين ثديي، وأنا يومئذ غلام شاب، فقال: مرحبًا بك، يا ابن أخي، سل عما شئت، فسألته، وهو أعمى، وحضر وقت الصلاة، فقام في نساجة ملتحفًا بها، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها، ورداؤه إلى جنبه، على المشجب، فصلى بنا، فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله (ﷺ)، فقال: بيده فعقد تسعا، فقال: إن رسول الله (ﷺ) مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة، ...الحديث. فها هو الباقر يسأل الصحابي الجليل قبل الصلاة وبعدها عن أمور في السنة النبوية الشريفة، ويتعلم منه. وقد أكثر من الرواية عن سيدنا جابر فروى عنه ما يقرب من أربعين حديثًا.

وقد وصفه ولده الإمام جعفر الصادق قائلاً: كان أبي كثير الذكر. لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقًا بحنكه يقول: لا إله إلا الله! ولقد كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر.

ولما وصل عمر بن عبد العزيز إلى المدينة المنورة ليتولى إمارتها، اتجه من فوره إلى المسجد النبوي الشريف، وسلّم على الإمام الباقر قائلاً: كنت أعلم أنك في مثل هذا المكان في مثل هذا الوقت، وكان أجدر بي أن آتي إلى دارك لولا حرصي وشوقي للقائك والاستماع إلى حديثك.

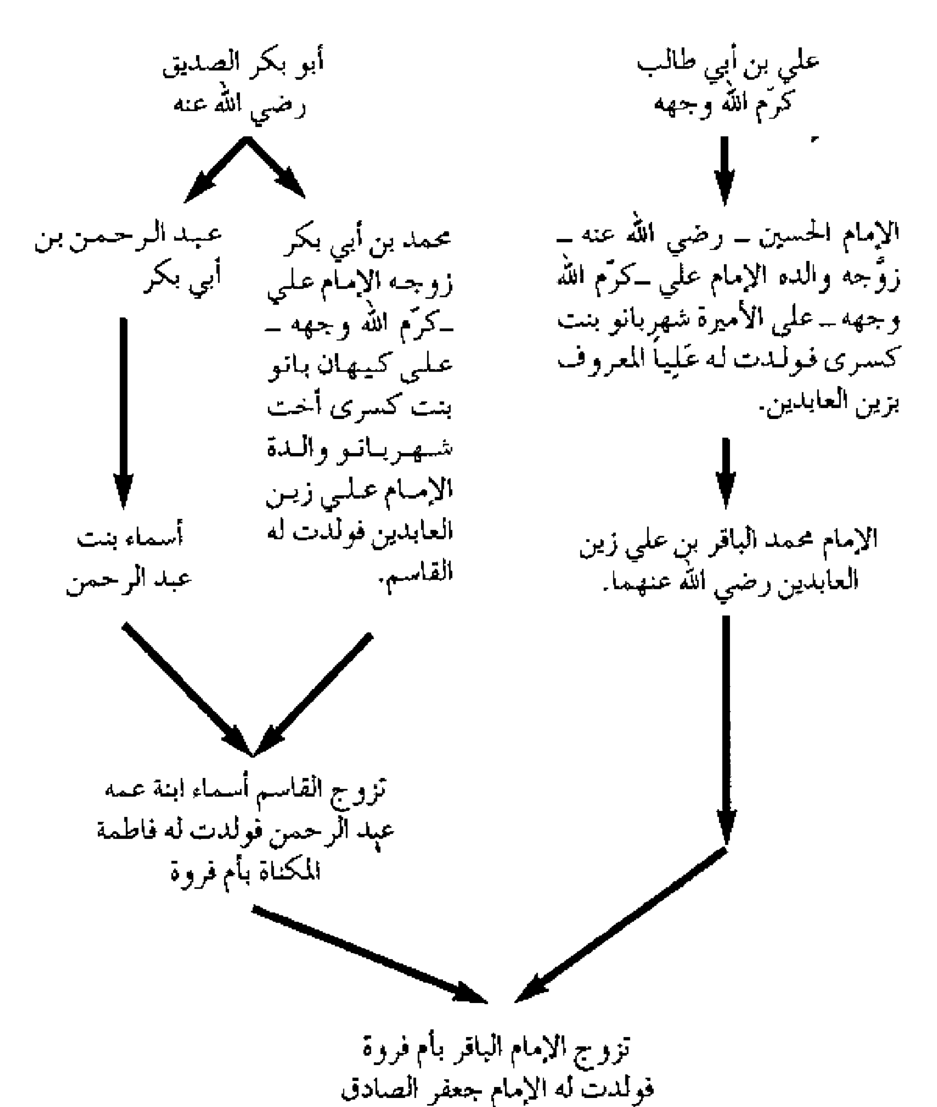


صورة أخرى قديمة لقبة أهل البيت ببقيع الغرقد بالمدينة المنورة، والقبة الصغيرة امامها قبة بنات النبي (ﷺ) الثلاث السيدة زينب والسيدة رقية والسيدة أم كلثوم (رضي الله عنهن)، ثم بعدها قبتان صغيرتان، الأولى لأمهات المؤمنين، والثانية لعقيل بن ابي طالب وابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

وكان للإمام الباقر (رضي الله عنه) حلقة تدريس بالمسجد يدرس فيها علوم القرآن، والفقه، والنحو، والأدب، والجغرافيا، والتاريخ، والكيمياء، والفلك، واللغات. وقد أخذ عنه التابعون، ورؤساء فقهاء المسلمين، وجادله الدهرية والخوارج، فرد عليهم.

ولما بدأ عمر بن عبد العزيز توسعته للمسجد النبوي، أمر أن يكون ترتيب مراحل العمل بحيث لا تتعطل حلقة الإمام الباقر.

ومع انتشار مرض الجدري في المدينة المنورة، وذلك في عام ٦٠هـ قررت زوجته السيدة "أم فروة" الابتعاد عن المدينة إلى بلدة اسمها الطنفسة، لم تعد معروفة الآن. ثم ما لبثت أن شعرت أنها أصيبت بالمرض، فأمرت بإبعاد أولادها إلى قرية أخرى. وعلم الإمام بالأمر، فكف عن الدرس، وزار جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، متوسلاً به إلى الله أن يشفي زوجته، ثم سافر إلى الطنفسة، فانزعجت أم فروة لوصوله، وخافت أن يصيبه المرض، فطمأنها قائلاً: إنها سوف تشفى منه بأمر الله تعالى، ولن يصاب هو به. وبالفعل دبت في أم فروة العافية، وذهب عنها المرض، ولم يترك أثرًا.



نسب الإمام محمد الباقر الشريف

ومن كلامه (رضي الله عنه): ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخل من الكبر أو كثر.

ومنه: أن الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر لله (عز وجل).

ومنه: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج.

ومنه: بئس الأخ يرعاك غنيًّا ويقطعك فقيرًا!

ومنه: اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك.

وكان يحب الشيخين أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) ويتولاهما.

توفي بالمدينة حوالي سنة ١١٤هـ، وقبره بالبقيع عند أبيه في قبة العباس، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه.



الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه):

ولد الإمــام جعفــر بن محمد بالمدينة المنورة ســنة ٨٠هـ، وقيل: ٨٣هـ، وذلك يــوم الاثنين لثلاث عشر ليال بقــين مــن ربيع الأول، وكان عند ولادته ضعيفًــا، فخيف عليه من ذلك، وكان أزرق العينين، فقال جده زين العابدين: إن عينيه كعيني والدته، يعني الأميرة الفارسية شهربانو.

تربى الإمام جعفر الصادق على جده اثني عشرة سنة، ثم على والده الإمام محمد الباقر، وكان يحضر حلقته بالمسجد النبوي الشريف وعمره دون العشر سنوات.

وكان نبــوغ الإمــام في العلوم كلها مبكرًا، ولما بدأ التدريس بالمســجد، أخذ عنه العلوم الشرعية من تفســير وحديث، وفقه، ونحو، وأدب، وشعر، وتاريخ، وأنساب العرب، وغيرها، الكثير من كبار الأئمة (رضي الله عنهم) كيحيي بن سعيد، وابن جريج، والإمام مالك، والسفيانين: الثوري وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب.

صورة جوية للحرم النبوي الشريف وتظهر حارة بني غنم المذكورة في السيرة النبوية بين القبة الصغيرة البيضاء قبلي الحرم والنزل المقابل لها ذو السقف المستوي وهو منزل أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) الذي نزل فيه الرسول (ﷺ) حين وصوله المدينة المنورة، والمنزل الذي بعده مباشرة هو منزل الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه).

وقد نقل عنه من العلوم والمعارف، والحكم واللطائف، والسيرة الحميدة، والهدي الصالح، ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان.

قال عمر بن المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد، علمت أنه من سلالة النبيين.

وقال عنه الإمام أبو حنيفة: ما رأيت أحدًا أفقه من جعفر بن محمد.

وقال فيه الإمام مالك: اختلفت إليه زمانًا، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلٍّ، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث إلا على طهارة.

وذكره ابن حبان، صاحب الثقات، فقال: كان من سادات أهل البيت، فقهًا، وعلمًا، وفضلاً.

ولذلك كان يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي.

إلا أنه، بالإضافة إلى ذلك، كان يدرس الكيمياء، والفيزياء، والطب، والفلك، والجغرافيا، وكان على علم بالديانات والملل الأخرى.

وفي شهر مايو سنة ١٩٦٨م، نظم مركز الدراسات العليا المتخصصة في تاريخ الأديان في جامعة ستراسبورج الفرنسية دورة ضمت نخبة من كبار المستشرقين من دول شتى ليقدموا أبحاثهم عن الإمام جعفر الصادق، ثم ترجمت المباحث إلى اللغة العربية، ونشرت في دمشق تحت عنوان: الإمام جعفر الصادق في نظر علماء الغرب. وفي هذا الكتاب يقول الباحثون: إن الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) كان على دراية تامة بلغات كثيرة منها الفارسية، والعبرية، والسريانية، وكذلك النبطية، والصقلبية، والحبشية، وغيرها.

كذلك تكلم مؤلفو الكتاب عن علمه بالطب، فذكروا ما نقل عن حديثه إلى أحد أشهر أطباء العصر العباسي، وهو يوحنا بن ماسويه النصراني المتوفى سنة ٢٣٤هـ قيل: إن الإمام (رضي الله عنه) قال للطبيب: الطبائع أربع: الدم وهو عبد، وربما قتل العبد سيده، والريح، وهو عدو، إذا سددت له بابًا أتاك من آخر، والبلغم وهو ملك يداري، والمرة، وهي الأرض إذا رجفت رجفت بمن عليها. فقال ماسويه: أعد عليّ؛ فوالله ما يحسن جالينوس أن يصف هذا الوصف.

كما قال في تفصيل تركيب الجسم الإنساني: إن الله تعالى خلق الإنسان على اثني عشر وصلاً، وعلى مئتين وستة وأربعين عظمًا، وعلى ثلاث مئة وستين عرقًا، فالعروق هي التي تسقي الجسد كله، والعظام تمسكها واللحم يمسك العظام، والعصب يمسك اللحم. وجعل في يديه اثنين وثمانين عظمًا، في كل يد واحد وأربعون عظمًا، منها في كفه خمسة وثلاثون عظمًا، وفي ساعده اثنان، وفي عضده واحد، وفي كتفه ثلاثة، وكذلك الأخرى.

وفي رجله ثلاثة وأربعون عظمًا، منها في ساقه خمسة وثلاثون عظمًا، وفي ساقه اثنان، وفي ركبته ثلاثة، وفي فخذه واحد، وفي وركه اثنان، وكذلك في الأخرى.

وفي صلبه ثماني عشرة فقارة، وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع، وفي عنقه ثمانية، وفي رأسه ستة وثلاثون عظمًا، وفي فيه ثمانية وعشرون واثنان وثلاثون.

وتكلم الإمام جعفر الصادق عن تكوين الجسم، فقال: إن العناصر الموجودة في الأرض، وعددها مائة واثنان موجودة في جسم الإنسان بدرجات متفاوتة، وبعضها قليل لدرجة يتعذر معها تقدير مقداره في الجسم.

ولم يسم الإمام هذه العناصر، ولكنه قال: إن منها أربعة توجد بوفرة، ويتكون منها غالبية الجسم، وثمانية موجودة بدرجة أقل، وثمانية أخرى أقل توفرًا[1].

ويقول الكتاب: إن أحد تلامذة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ويسمى محمد بن فتى عاد من مصر حاملاً هدية إلى الإمام الباقر، وهي كرة أرضية مصغرة مصنوعة من دقيق الخشب، مركبة على قاعدة مستديرة، في سمائها مجموعة من النجوم، كما وصفها بطليموس في القرن الثاني الميلادي، وعلى الكرة نفسها تصوير للأبراج والشمس والقمر والكواكب السيّارة وهي تدور حول الأرض.

وكان الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) آنذاك، سنة ٩١هـ في الحادية عشرة من عمره، إلا أنه لفت نظر الحاضرين إلى استحالة وجود حركتين للشمس، إحداها من الأبراج الاثنى عشر سنويًّا، والأخرى حول الأرض يوميًّا. وبالتالي إلى خطأ رأي بطليموس، وأن الصواب: أن الأرض هي التي تدور حول نفسها وحول الشمس.

وتحدث الإمام عن الضوء فقال: إنه ينعكس من الأجسام إلى العين، وهو ما يناقض نظريات عصره وما تلاه من عصور ولم يثبت علميًّا إلا قريبًا.

وكان يقول: إن سرعة الضوء كلمح البصر.

وكذلك تحدث عن الزمان والمكان شارحًا نسبيتهما بأسلوب لم يتحدث عنه العلم المادي إلا في أواخر القرن العشرين، فقال: إن الزمان غير موجود بذاته، ولكنه واقعه من إحساسنا وشعورنا، فهو الحد الفاصل بين حركتين، وكذلك المكان وجوده تبعي لا حقيقي، فهو متوقف على وجود الأشياء.

وتحدث الإمام عن النجوم فقال: إن لبعضها نورًا يتضاءل أمامه نور الشمس، وذلك في زمن كان الكون كله في نظر الناس هو ما يرى بالعين المجردة من شمس وكواكب ونجوم، كانوا يظنون أنها ثابتة.

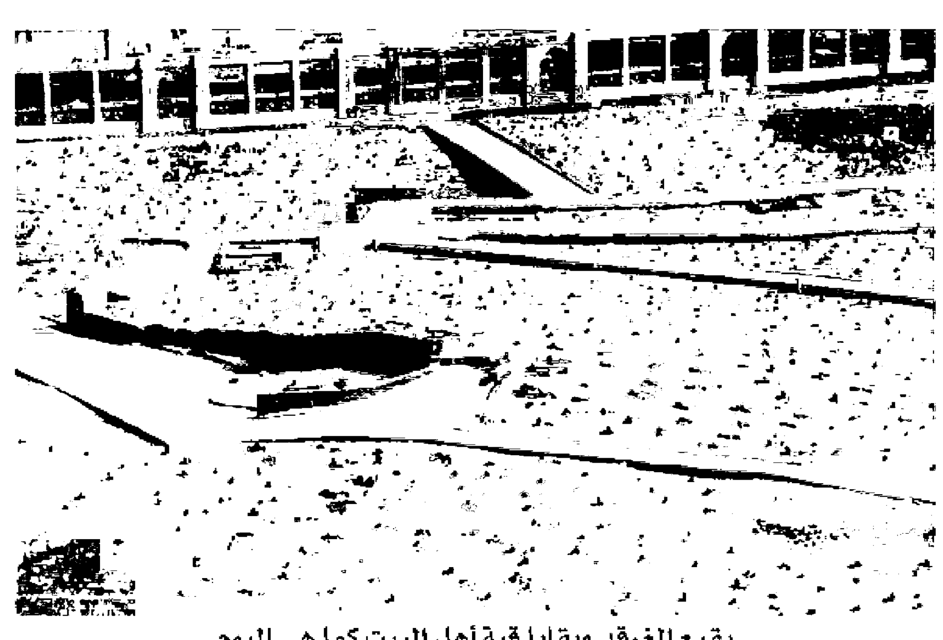
وقد أورد الباحثون في هذا الكتاب العجيب لمحات من علوم الإمام جعفر الصادق يقف العقل عنده خاشعًا، فإن هذا العلم لا يمكن أن يكون إلا علم مشاهدة، فقد كشف الله لهذا الإمام وأمثاله أسرار أكوانه وأراهم منها كنوزًا إلا أن ذلك لم يكن ليستحوذ على جل اهتمامهم، أن لا مقصود لهم إلا الله والدار الآخرة.

---

(١) يقول العلم الحديث: إن الجسم يتكون أساسًا من الأوكسجين والكربون والهيدروجين والنيتروجين، ثم يوجد له بدرجة أقل المغنيسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والفسفور والكلور والكبريت والحديد. وأما العناصر الثمانية الأخيرة الموجودة بمقدار ضئيل فهي الموليبدنوم والسليتوم والفلور والكوبالت والمنغنيز والكالسيوم والنحاس والرصاص.

وكان عن صحبه ممن برعوا في العلوم المادية: جابر بن حيان، وقد جمع إفادات الإمام له في نحو ألف ورقة، ـه مؤلفات في الكيمياء والطب وعلوم أخرى شتى.

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم الفزاري المتوفى سنة ١٦١هـ، فقد صحب الإمامين الصادق والكاظم، وهو أول ـ عمل الاصطرلاب[1] وألف فيه.



بقيع الغرقد وبقايا قبة أهل البيت كما هي اليوم

وكان الإمام يعمل بيديه، فقد رؤي يسقي زرعه، ويكتل ثمره، وكان يرسل من يتجر عنه في مصر وغيرها، ـم خرج إلى الكوفة عدة مرات، وكذلك إلى دمشق.

ومن كلامه (ﷺ): لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ـ داء أدوى من الكذب.

ومن كلامه: أوحى الله تعالى إلى الدنيا: أن اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك.

ومنه: الفقهاء أمناء الرسل، ما لم يأتوا أبواب السلاطين.

ومنه: إذا بلغك عن أخيك ما تكره، فاطلب له من عذر واحد إلى سبعين عذرًا، فإن لم تجد فقل: لعل عذرًا لا أعرفه.

ومنه: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تصغيره، وستره، وتعجيله، وذلك أنك إذا صغرته، عظم، وإذا سترته، ـمته، وإذا عجلته، هنأته.

وروي أن أحد أطفاله الصغار مات بين يديه من غصة اعترته، فبكى، ثم قال: لئن أخذت لقد أبقيت، ـن بتليت لقد عافيت. ثم حمله إلى النساء فصرخن حين رأينه، فأقسم عليهن ألا يصرخن، ثم أخرجه

---

[1] الاصطرلاب: جهاز لقياس ارتفاعات الأجرام السماوية وتحديد الاتجاهات.

إلى الدفن وهو يقول: سبحان من يقبض أولادنا ولا نزداد له إلا حبًّا! ثم واراه التراب، وقال: إنا قوم نسأل الله ما نحب فيمن نحب فيعطينا، فإذا أنزل ما نكره فيمن نحب رضينا.

وجاء في بحار الأنوار، وهو من أهم مصادر الشيعة الإمامية، أن رجلاً يُسمّى عنوان البصري كان يتردد على إمام دار الهجرة، الإمام مالك بن أنس، فأحب أن يأخذ عن الإمام جعفر الصادق، فلما ورد عليه قال له: "إني رجل مطلوب (أي مراقب من السلطات العباسية)، ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك، واختلف إليه كما كنت تختلف إليه. يقول عنوان البصري: فاغتممت. فدخلت مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة، وصليت فيها ركعتين، وقلت: "أسألك يا الله، يا الله أن تعطّف عليّ قلب جعفر، وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم". ولما عيل صبري، وضاق صدري، قصدت جعفرًا، فلما حضرت بابه استأذنت عليه. فخرج خادم له، فقال: حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف. فقال: هو قائم في مصلاه. فجلست بحذاء بابه. فما لبثت إلا يسيرًا إذ خرج خادم، فقال: ادخل على بركة الله. فدخلت وسلّمت عليه، فرد السلام، وقال: اجلس، غفر الله لك. فجلست، فأطرق مليًّا، ثم رفع رأسه، وقال: أبو من؟ قلت: أبو عبد الله. قال: ثبّت الله كنيتك، ووفقك يا أبا عبد الله. ما مسألتك؟ فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيرًا. ثم رفع رأسه، وقال: ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يُعطّف قلبك عليّ ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته. فقال: يا أبا عبد الله، ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله (تبارك وتعالى) أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يُفهمك.

نقف هنا من الرواية لنلفت النظر إلى عدة نقاط: الأولى أن الإمام نصح طالب العلم أن يعود إلى طلبه العلم عند الإمام مالك، ولم يكن ليفعل ذلك إن كان مالك لا يكفيه، أو إن كان يرى - كما يرى الإمامية - أنه لا يصح طلب العلم إلا عند الإمام المعصوم وليس عند الأئمة المجتهدين كالإمام مالك. الثانية أن طالب العلم جاء يطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، والصراط المستقيم يشمل أعماقًا، فهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، ثم من الصديقين، وهذا عمق آخر أقل من الأول، ثم الشهداء، ثم الصالحين. وأخيرًا أقلهم عمقًا الذين مع هؤلاء وهم عامة المؤمنين. فأي من هذه الأعماق كان الطالب يريد؟ إن إحالة الإمام الصادق الطالب على الإمام مالك تشعر أنه فهم منه أنه يريد علم الفقه، وفي هذه الحالة فعلم الإمام مالك يكفيه. ثم لما ألح الطالب، بدأت إجابات الإمام تتحول إلى العلم الذي يُنال بتزكية القلوب، فقال: يا أبا عبد الله، ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله (تبارك وتعالى) أن يهديه... وما كان لمثل الإمام أن يغفل عن قول جده (ﷺ) إنما العلم بالتعلم...[1] فإنه قد أحاله فيما قبل إلى علم الإمام مالك

(١) إنما العلم بالتعلم، حديث نبوي عن أبي الدرداء (ﷺ) أورده البيهقي في شعب الإيمان، ١٠٢٥٤؛ مسند الشاميين للطبراني ٢١٠٣؛ المعجم الأوسط ٢٦٦٣؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٥: ١٧٤.

ـتي هـو بالتعلـم، ولكنه هنا بدأ يحدثه عن تنوير القلـب بالتحقق بحقيقة العبودية، وهذا العلم اختص به ـهـ البيت النبوي الكرام، فلا يحوّله فيه إلى غيره.

تقول الرواية: قلت (أي عنوان البصري): يا شريف، فقال: قل يا أبا عبد الله. قلت: يا أبا عبد الله، ما حقيقة ـعبودية؟ قال: ثلاثة أشـياء: ألا يرى العبد لنفسـه فيما خوّله الله ملكًا؛ لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون ـ مال الله، يضعونه حيث أمرهم الله به؛ ولا يدبر العبد تدبيرًا؛ وجملة اشـتغاله فيما أمره الله تعالى به ونهاه ـنـه. فـإذا لم ير العبد لنفسـه فيما خوّله الله تعالى ملـكًا، هان عليه الإنفاق فيما أمـره الله تعالى أن ينفق فيه؛ ـذ فوض العبد تدبير نفسه على مدبّره، هانت عليه مصائب الدنيا؛ وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه، ـ يتفـرغ منهمـا إلى المراء والمباهاة مـع الناس. فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانـت عليه الدنيا، وإبليس، ـ خسق؛ ولا يطلـب الدنيا تكاثرًا وتفاخرًا، ولا يطلب ما عند الناس عـزًا وعلوًا، ولا يدع أيامه باطلاً؛ فهذا ـ درجة التقى. قال الله (تبارك وتعالى): تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، ـ عـاقبـة للمتقين. قلت: يا أبا عبد الله أوصني: قال: أوصيك بتسـعة أشـياء، فإنهـا وصيتي لمريدي الطريق إلى ـه تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله: ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في ـعـه. فاحفظها، وإياك والتهاون بها. قال عنوان: ففرّغت قلبي له، فقال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ـ لا تشتهيه، فإنه يـورث الحماقة والبله؛ ولا يأكـل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً، وسمّ الله، واذكر حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): "ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه، فإذا كان ولابد، فثلث لطعامه، وثلث ـربـه، وثلث لنفسـه". وأمـا اللواتي في الحلم، فمن قال لك: إن قلت واحدة سـمعت عـشرًا، فقل له: إن قلت عشرًا لم تسـمع واحدة؛ ومن شـتمك فقل له: إن كنت صادقًا فيما تقول فأسـأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذبًا ـ تقول فأسـأل الله أن يغفر لك؛ ومن وعدك بالخناء، فعده بالنصيحة والرعاء؛ وأما اللواتي في العلم، فاسـأل ـعمـاء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتًا وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك شيئًا، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد ـه سـبيلاً، واهرب من الفتيا هربك من الأسـد، ولا تجعل رقبتك للناس جسـرًا. قم عني يا أبا عبد الله، فقد ـحت لك، ولا تفسد عليّ وردي، فإني امرؤٌ ضنين بنفسي، والسلام على من اتبع الهدى[1].

ـتى من هذه الرواية كيف أن الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) علّم الطالب ما سمّاه: وصيته لمريدي الطريق إلى ـه تعالى، وهي إرشـادات صوفية لتزكية القلب وتهيئته لاسـتقبال الأنوار، وهذا العلم، علم تزكية القلوب، ختـص بـه الإمـام علي بـن أبي طالب (كرم الله وجهـه)، وأورثـه لأولاده، وظل خصوصية لأهـل البيت إلى ـوم هذا، ولذلك ترى الغالبية العظمى من أولياء الله الصالحين ومشـائخ التصوف من السـادة الحسـنيين ـ حسـينيين، أما علوم الظاهر فهي لهم ولغيرهم.

تـوفي الإمـام الصادق بالمدينـة ليلة الاثنين الموافـق النصف من رجب سـنة ١٤٨هـ، وقـبر بالبقيع في قبة ـعـس، في قبر أبيه وجده وعمه الحسن بن علي.

---

[1] ـحـ الأنوار للمجلسي، ١: ٢٢٤.

الإمام علي العريضي (رضي الله عنه):

هو السيد الإمام علي بن الإمام جعفر الصادق، أصغر أوبناء أبيه، وأطولهم عمرًا، ومن أجلهم فضلاً، ذو السر المصون، والعلم المكنون. سُمّي علي العُرَيْضي، نسبة إلى محل يسمى العُريض، على أربعة أميال من المدينة المشرفة انتقل إليه وأقام به إلى أن توفي سنة ٢١٠هـ.

كانت ولادته بالمدينة المشرفة، ونشأ بها، ثم انتقل إلى العريض حيث عاش إلى آخر حياته. وقد اندرس قبره بالعريض حتى أظهره السيد الجليل زين بن عبد الله باحسن باعلوي، وهو الآن معروف.


المسجد والمدرسة التي كانت بجوار ضريح الإمام علي العُرَيْضي قبل إزالته

كان عابدًا وفيًّا، جوادًا سخيًّا، عالمًا كبيرًا. وكان يؤثر الخمول، ويتوقى أسباب الشهرة والفضول. مات أبوه وهو طفل. أخذ عن أبيه، وصحبه، وأخذ عن أخيه موسى الكاظم بن جعفر، وعن الحسن بن زيد ابن علي، وعن حفيد أخيه إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر الصادق، والإمام البزي صاحب القراءة، وطال عمره حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وسمع الناس منه طبقة عن طبقة.

ترجمه السيد أحمد بن عنبة في: عمدة الطالب في نسب أبي طالب، والإمام أبو الحسن العمري، والإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في تاريخه، وقال الذهبي في الميزان علي ابن جعفر الصادق، روى عن أبيه وأخيه موسى، والثوري، وروى عنه الجهضمي، وأحمد البزي، والأوسي، وجماعة. وأثنى عليه اليافعي في تاريخه، وذكره القاضي عياض في كتابه الشفا، وأسند عنه، وروى حديثًا طويلاً في شمائل النبي، وخرج له الإمام أحمد في مسنده. وروى له الترمذي في كتابه، قال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا علي بن جعفر بن محمد (أي علي العريضي)، أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب أن رسول الله أخذ بيد حسن وحسين فقال: "**من أحبني، وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**"[١].

ويقول الحبيب العلامة علوي بن طاهر الحداد مستدلا على أن الإمام علي العريضي كان على مذهب أهل السنة والجماعة انه قد بايع أربعة من العلويين بالخلافة على التوالي: حسين بن علي شهيد فخ، ثم أخيه محمد بن جعفر، ثم القاسم بن إبراهيم، ثم محمد بن محمد بن زيد بن علي؛ بايعهم وأئمة الإمامية الكاظم والرضا حيين. ولو كان إماميا لما بايع غيرهم على الإمامة.

وأثنى عليه اليافعي في تاريخه، وذكره القاضي عياض في كتابه الشفا، وأسند عنه، وروى حديثًا طويلاً في شمائل النبي(ﷺ)، وخرج له الإمام أحمد في مسنده.

وكان - نفع الله به - يؤثر الخمول، ويتوقى أسباب الشهرة والفضول.

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، (٣٧٣٣).

٧ - الإمام محمد بن علي (رضي الله عنه):

كنت ولادة الإمام محمدَ بن علي العريضي بالمدينة الشريفة، و بها نشأ، وصحب أباه، وتأدب به، ولم يزل حت كنف أبيه، إلى أن انتقل والده، ولم تطب له الإقامة في المدينة، فارتحل إلى العراق وسكن البصرة.

وكان الغالب عليه الزهد في الدنيا ورئاستها، وكان ورعًا سخيًّا، باذلاً نفسه.

كن إمامًا متفقًا على إمامته، وجلالته، وعلمه، وعمله، وورعه، فقد كان ناسكًا، عابدًا، سخيًّا، ملازمًا للسيرة ـــيدة، ومؤثرًا للخمول، تاركًا للشهرة. ذكره مؤلف كتاب بحر الأنساب، وابن عنبة، والعمري، وغيرهم.

توفي حوالي سنة ٢٣٠هـ، وخلف سبعة من الذكور وسبعًا من البنات.

٨ - الإمام عيسى النقيب (رضي الله عنه):

إمـام الكامـل، مجمع الفضائل، أبو الحسـين، عيسى بن محمد بن علي العريـضي. ولد بالعراق وصحب والده ـب به. تفقه في الدين وكان فصيحًا، بليغًا، مقبولاً عند الخاص والعام، متفننًا في العلوم، ذا سخاوة ومروءة، ـ نقيبًا للأشراف بالعراق. قال السيد ابن عنبة في كتابه عمدة الطالب: كان عيسى بن محمد نقيب الأشراف، ـقـدم عليهـم. يقال له: الرومي؛ لحمرة لونـه، ويقال له: الأزرق؛ لزرقة في عينيـه، وكان كثير الزواج، ولهذا ـرت أولاده، وكان له ثلاثون ابنًا وخمس بنات. توفي بـالبصرة حوالي عام ٢٧٠هـ.

٩ - الإمام المهاجر أحمد بن عيسى (رضي الله عنه):

ـــيد الإمام، ذو العقل الكبير والقلب المستنير، محيي السـنة بعد الاندراس، المهاجر إلى الله، أحمد بن ـــى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق.

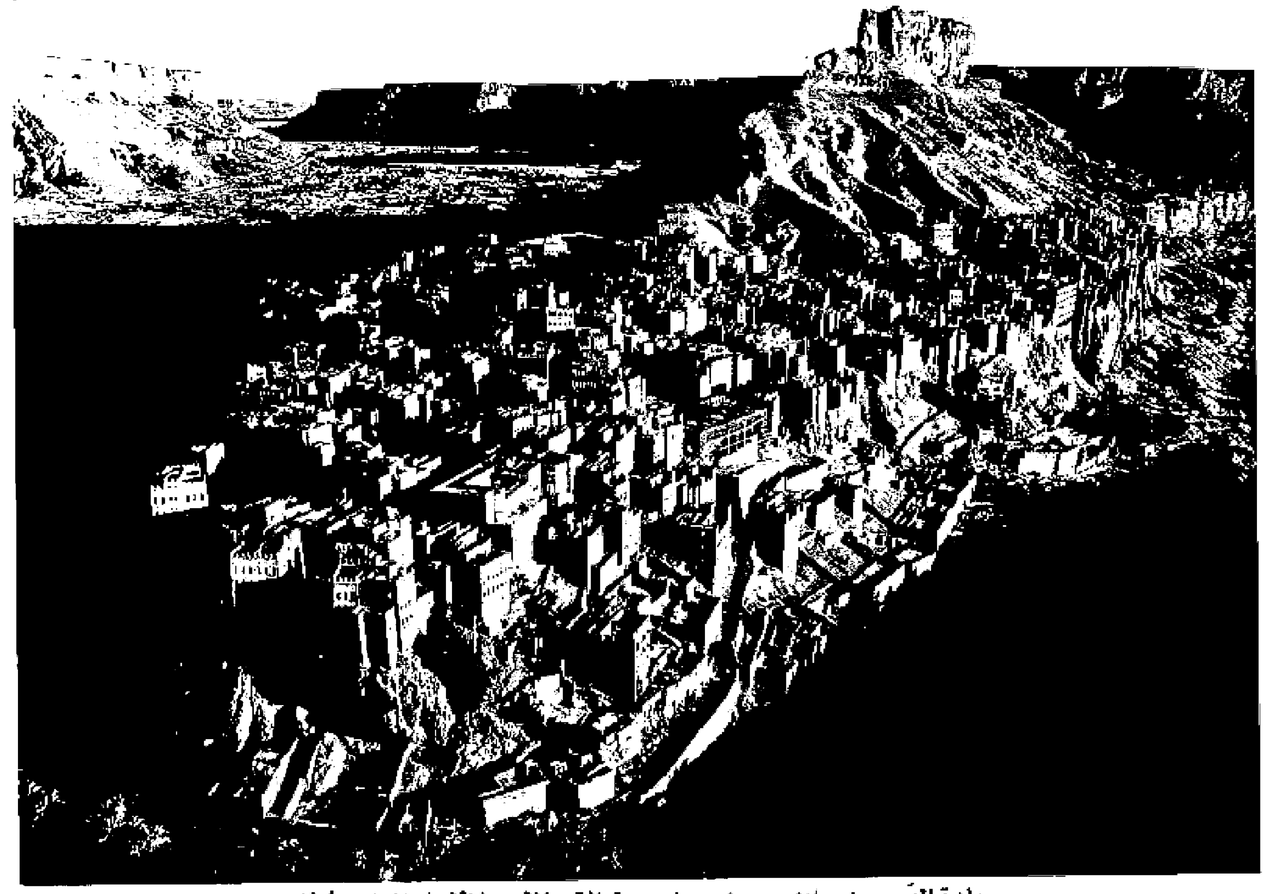
كان ممن رقي في المحاسن والفضائل، وعلا في المجد والأخلاق والشمائل، وارتفع في مقام السخاء والكرم ـنزه عن الرذائل. أصله من العراق، من مدينة البصرة.

يقـول الحبيـب العلامة علوي بن طاهر الحداد ان الإمام أحمـد كان نقيبا للأشراف بعد أبيه، وروى عن حفـظ الكبار، وذكره الحفـاظ الكبار كالحافظ الجعابي، والحافظ ابن عقـدة، ومن رووا عنهم كالحافظ ابن ـحـر صاحب المستدرك (في ثلاثين مجـلد) على تاريخ بغداد للحافظ الخطيب، وبذلك صح لنا أن سـيدنا ـمـد هـو المراد في ترجمة الحافظ ابـن جرير في تاريخ بغداد... ثم ذكر انه تتبع الشـيوخ الذين روى عنهم في ـف مسـنده وجدهم بلغوا ١٧٧ شـيخا، وقدّر انهم يبلغوا بمن في النصف الضائع ٣٠٠ شـيخا. وذكر كذلك ـ في مسـانيد أحفاده كعلوي بن عبيد الله ومن بعده، ومسند ابن عمه من آل موسى الكاظم وهو أبو الحسن ـ ـقر روايـات عنـه، وعـن ابنيه، وعن بصري وجديـد، وعبيد الله، وعلـوي بن عبيـد الله، وعبد الله بن ـجي. وعن الحدّثات من أهل البيت، كابنتي المهاجر، وامهاته، وعماته.

وقد أوردنا كلام الحبيب علوي للتنبيه على أن سلالة الإمام المهاجر إنما هي سلالة علم شرعي وحديث، وأنهم كانوا أئمة من أهل التمكين.

كمل الإمام أحمد في الطاعة والعبادة، وتنورت بصيرته، وأشرق عليه نور الولاية، وظهر فيه سر الخصوصية، مع كبر غريزة عقله، وطيب أصله، ظهرت له حقيقة عواقب الأمور، وانكشفت له حقائق الدنيا والآخرة، وما فيهما وما بينهما من منافع وشرور، وشهدت عين بصيرته ما يحصل في العراق من الفتن والمحن والإحن، فهاجر منها امتثالاً لقول ربه تعالى ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ واتباعًا لجده رسول الله (ﷺ) في أمره بالهجرة من أماكن الفتن في الدين ومظانها، وكانت هجرته سنة ٣١٧هـ.

وكان له في العراق الجاه الواسع، والعيش الرغيد النافع، ولكنه كان له بعقله المستنير، وعلمه، نظر عظيم في سموم الشهوات، وفيما به تحصل السعادة العظمى والدرجات، ولذة النظر إلى وجه الله المليك الأعلى، فزهد فيما سوى ذلك، فهاجر بنفسه، ودينه، وأهله، ومن قبل مشورته من عشيرته وأصحابه، عن وطنه، واحتمل المشقة والتعب في رضا ربه، زهدًا في حظوظ الدنيا، وفرارًا إلى حضرة المولى، وطلبًا للسعادة العليا، ولمشقة الغربة، علت للهجرة الرتبة، فعنه: الغربة موت شهادة. فرحل بمن معه من البصرة إلى المدينة المشرفة، ثم إلى مكة المنيفة، ثم تنقل في قرى اليمن، من بلد إلى بلد، إلى أن استوطن حضرموت، ثم استقر أولاده وذريته بتريم.



بلدة الهَجرين بوادي دوعن بحضرموت التي نزل بها الإمام المهاجر أولا

وكان في كل أحواله وأموره يطلب من الله الخيرة، ويكرر الاستخارة، وكل ذلك بأمر من الحق له، وإذن وبشارة، أعني إيداع السلالة النبوية والعصبة العلوية في البلد المحروسة ببركة الرسول المصطفى.

وقد رآه بعض الأخيار منامًا يقول لأهل تريم: إن لنا عندكم وديعة، من أغضبها أغضبنا، ومن أرضاها رضانا.

ولكنهم أشراف سنيون، علماء عاملون، ذائقون صالحون.

وقبل هجرته، لما استولى أخوه الإمام محمد بن عيسى على العراق، أتى إليه ووعظه موعظة عظيمة، فترك الملك ورغب في الدار الآخرة، اقتداء بسلفه (رضي الله عنهم أجمعين).



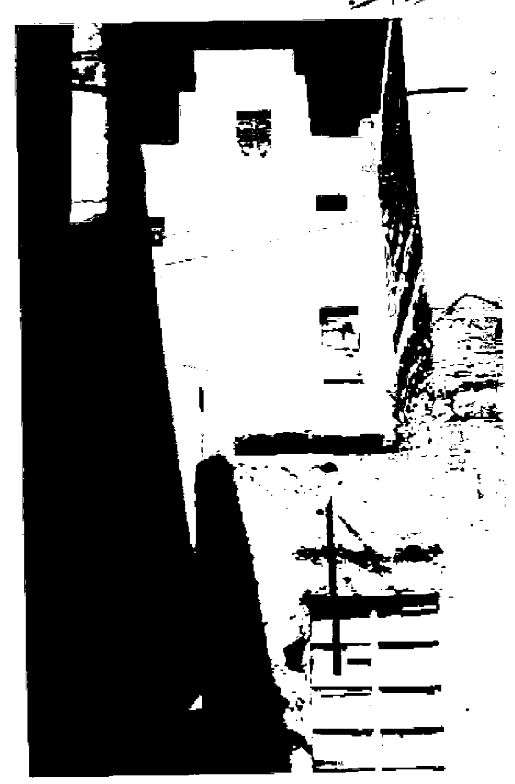
شارع من شوارع الهجرين

وخلف الإمام أحمد بن عيسى ابنه محمدًا على أموالهم بالبصرة، وتوفي بها وله بها عقب.

ومن أسباب ارتحاله إلى حضرموت غلبة أهل البدع، ودخول الأذى على الأشراف العلويين، وشدة الامتحان لهم، وظهور طائفة الزنج الملاعين، وفتكهم بالمسلمين، واستيلاؤهم على البصرة وما قاربها من البلاد.

وهاجر السيد أحمد بن عيسى المذكور سنة ٣١٧هـ - كما سبق - وممن هاجر معه من الموالي والأخدام محمد، وهو من عرب البصرة. ومن مواليه مختار، وشويه، ولهؤلاء الثلاثة عقب بحضرموت.

وقد ارتحل معه جد السادة بني الأهدل، والأهدل معناه: الأقرب والأدنى. يقال: هدل الغصن. إذا دنا وقرب. وقال الفاكهي: سمي بالأهدل؛ لأنه على الإله دل.



منزل الإمام المهاجر بالهجرين لا يزال قائما





منزل الإمام المهاجر من الداخل

وفي سـنة ٣١٨هـ، حـج الإمام أحمـد بن عيسى ومن معه من بـني عمه ومواليه، ثاني سـنة من خروجه. ثم وصل حضرموت، ودخل وادي دوعن من حضرموت فنزل ببلدة صغيرة تسمى الجبيل، فلم تطب له الإقامة بها لكون أكثر أهلها من الخوارج الإباضية، فانتقل منها إلى الهَجْرين وأقام بها، واشـترى بألف وخمسـمائة دينار نخلاً، ثم وهبها عتيقه شـويه، وسـار منها فسـكن بلدة أخرى، فلم تطب له، فرحل عنها إلى الحسيسـة، قرية على نصف مرحلة من تريم، فاستوطنها.

وكان الغالـب على أهـل حضرمـوت مذهـب الخوارج الإباضية، فلما اسـتقر السـيد أحمد هنـاك. قصدته الأخيـار، وأعملـت إليـه المطي، وقام بنصرة السـنة، وتاب على يديـه خلق كثير، ورجع إلى السـنة جم غفير، فسلمت الذرية والأتباع مما شان أهل العراق من البدع وقبيح المعتقد، فصارت هذه الذرية أوتادًا لتلك البلد.

وتوفي السيد أحمد بن عيسى سنة ٣٤٥هـ، هناك بشعب الحسيسة الشرقي، المعروف بـشعب مَخدم.

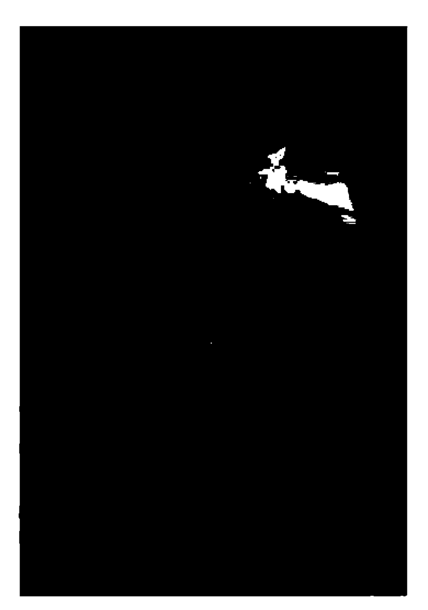
وظلت الحسيسة قرية عامرة إلى أن أخربها عقيل بن عيسى الصبراتى سنه ٨٣٩هـ.



قبر الإمام المهاجر بالحسيسة



قبر الإمام المهاجر مرتفع في بطن الجبل بالحسيسة، أما المقام الذي بأسفل الجبل فمقام الحبيب أحمد بن محمد الحبشي



قبر الإمام المهاجر

١٠ - الإمام عبيد الله بن أحمد بن عيسى (رضي الله عنه):

الإمام البارع، والبدر الساطع، ذو التواضع الحقيقي، والسمت النبوي، السيد عبيد الله بن أحمد بن عيسى.

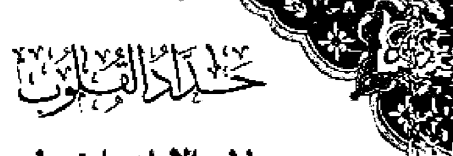
كان إمامًا جوادًا، وحبرًا راسخًا، ذا كرم وسخاوة، ومروءة وتقى، وكمال خلق، وبر ووفاء، سما حاله في الخيرات والمحاسن. وكان من شدة تواضعه، وكمال معرفته لنفسه، لا يتسمى بعبد الله بل يصغر اسمه عبيد الله إجلالاً لربه، واحتقارًا لنفسه، ولا يرضى بغير التصغير. وكان ممن خصه الله بكمال المحاسن، ومنحه طيب الذرية وصلاحها، وانتشار بركاته في جميع الآفاق وجهاتها، ما لم يجتمع لغيره، ولم يعرف لمثله، نسبت منه الأصل والفرع.

تأدب الإمام عبيد الله بأبيه الإمام أحمد وتخرج عليه، وأخذ عن غيره من علماء عصره في مكة المشرفة كالشيخ أبي طالب المكي، كتابه «قوت القلوب»، سنة ٣٧٥هـ، وقيل ٣٧٧هـ، ذكر ذلك في كتاب الياقوت الثمين، وذكر جملة من أخباره ومناقبه، وبجله وأثنى عليه، وعده من كبار العلماء وعظماء المشايخ. وقال: كان السيد عبيد الله المذكور إذا وضع بين يديه مريض ونفث عليه أو مسح جسده، برئ.

قال: وكان إذا جذ - أي: قطع - تمره وجعله في الجرين، (أي: الزير)، تصدق بجميع ما كان في البيت من الأول، وإن كثر، ويقول: هذا شكر نعمة، ودفع نقمة.

وكان صاحب غلة كثيرة. وهو الذي خلف أباه زهدًا وعلمًا وعبادة. وارتحل بعد والده إلى سمل، واشترى بها موالاً.

توفي سنة ٣٨٣هـ ورثاه جماعة من الأدباء، وللمتأخرين فيه مدائح كثيرة، ودفن بعرض بور.



١١ - الإمام علوي بن عبيد الله (رضي الله عنه):

السيد الأواب، ذو الخلق المصطفوي، والسر العلوي، والإرث المحمدي، الإمام علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى.

ولد هذا الإمام بحضرموت ونشأ بها، وحفظ القرآن، وجد واجتهد، وتأدب بأبيه عبيد الله بن أحمد وسلك طريقته، واشتغل بطلب العلوم فبرع في كثير منها، لا سيما التفسير والحديث والعربية، وكان كثير المجاهدة والرياضة، كثير القيام والصيام، ذا ورع تام، كثير التصدق والإحسان، مع إخفاء ذلك. فكان ممن رسخ في العلم والدين قدمه، وعلا في مراتب الفضائل مقامه، وسما في أحوال العارفين حاله، وكان من أهل العناية بعموم المسلمين، والرأفة والرحمة بالفقراء والمساكين، وكان جوادًا سخيًّا، متواضعًا، سُنِّيا شافعيًّا.

وهو أول من سمي علوي، وأولاده ذرية بعضها من بعض، فجميع آل باعلوي منسوبين إليه. أما آل جديد وآل بصرى، أخويه، فقد انقرضوا، وبقي بنو علوي، وهم المعروفون الآن في جميع النواحي والاقطار، ونسبهم أشهر من الشمس وقت الزوال. أما أخوه بصري فقد ولد بالبصرة، وعرف هو وذريته بالعلوم الشرعية، مع تمام الزهد في الرئاسة وأمور الدنيا. وأما الإمام جديد، فقد سُمّي جديدا لأنه ولد بحضرموت، وتأدب على أبيه وأخويه، وسمع بحضرموت واليمن الحرمين والعراق والإحساء وظفار.

وقد سافر الإمام علوي فسمع بحضرموت واليمن ومكة والمدينة، فلما عاد إلى الوطن قصده الناس للأخذ عنه.

وحج بيت الله الحرام، وزار جده سيد الأنام، ومعه أخوه جديد وجماعة من بني عمه وأقاربه، وحاشيته وحشمه، وقيل أن جملة من حج معه من أهل بلده نحو ثمانين رجلاً، غير من صاحبه من طلبة العلم والمشايخ المعتقدين، والفقراء، وغيرهم من سائر البلدان، فكان ينفق على جميعهم مدة سفره إلى أن رجعوا غير من صحبهم في الطريق، نفقة طيبة، وأخذ جمالاً كثيرة للمنقطعين والعاجزين عن المسير، واستأجر خداما لمباشرة الخدمة على كل هؤلاء، وأفاض بالبر على أهل الحرمين.

وكانت الرياسة العلمية لبني بصري، ثم انقرضوا في أثناء القرن السادس، وانتقلت الرياسة لبني جديد ثم انقرضوا على راس المائة السادسة، فانتقلت الرياسة لبني علوي.

ولما حصل إنكار من الاباضية لنسب السادة بني المهاجر، وطلب منهم تصحيح نسبهم، سافر الإمام شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن محمد بن جديد إلى العراق، وأثبت نسبهم، وأشهد على ذلك نحو مائة عدل ممن يريد الحج من أهل العراق، ثم أثبت ذلك بمكة، وأشهد عليه جميع من حج في ذلك العام من حضرموت، فثبت النسب وانقشعت السحب.



بيت الإمام علوي بن عبيد الله بسمل

وقد توفي الإمام وأخويه بسُمَل، ولم يكن له إلا ابن واحد وهو الإمام محمد. وقيل توفي الإمام جديد بيت جبير.

١٢ - الإمام محمد بن علوي (رضي الله عنه):

الإمام العالم الهمام، محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى، ولد ونشأ ببيت جبير، وصحب أباه ... ومن في زمنه من الأئمة السادة العلويين، والبصريين، وبني جديد. كان كامل الورع والزهد والعبادة، ... المقال والأعمال والأحوال، حسن الأخلاق، لطيف الشمائل، ذا رأفة ورحمة للمسلمين، وشفقة ولطف ... والضعفاء والمساكين.



قبر محمد بن علوي بالصومعة ببلدة بيت جبير

... بليغًا أديبًا فصيحًا ذكيًّا، له الباع الطويل في أجناس العلوم. توفي ببيت جبير عن ست وخمسين سنة.

١٣ - الإمام علوي بن محمد بن علوي (رضي الله عنه):

الإمام نور الأنام، الصَّوَّام القوَّام، ذو الهمم العلية، والنفس الزكية الأبية، السيد الجليل، علوي بن محمد ... علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى.

... رضي الله عنه ببيت جبير، ونشأ بأحسن سيرة، فقد تأدب بأبيه، وسلك مسلكه، وصحب جماعة ... الأكابر، ولم تعرف له صبوة، فكان من الأئمة الكاملين، والعلماء العاملين، والزهاد العابدين. وكان ... سخيًّا، متواضعًا تقيًّا.



قبر الإمام علوي بن محمد ببيت جبير

مات ببيت جبير، ودفن بها، وذلك سنة ٥١٢هـ.

١٤- الإمام علي بن علوي بن محمد بن علوي (ﷺ) المعروف بخالع قسم:

السيد الإمام، الشيخ الكبير والعلم الشهير، مجمع الفضائل والمحاسن، والأنوار والأسرار، علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن أحمد.

كان (رضي الله عنه) ممن خصه الله بسرّه، ونوّر بصيرته، وأشهده جمال كمال حظيرة قدسه، وأظهر كراماته، وأشهر مناقبه وآياته، فريد الدهر، وعين أعيان العصر.

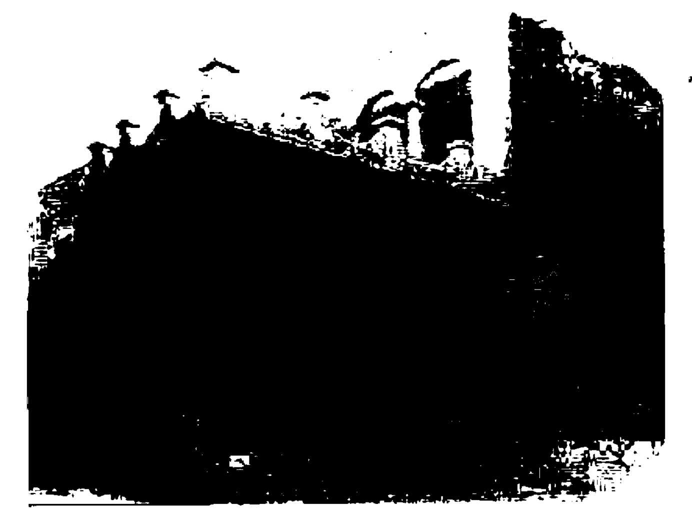
ذكره الأئمة في طبقاتهم، وعلماء التواريخ، وذكروا له المنقبة العظيمة المشار إليها بقول الإمام الحداد في العينية:

ورد الرسول عليه مثل سلامه　　　يا شيخ فاعجب للفخار الأجمع

وذلك أنه (رضي الله عنه) كان إذا قال في الصلاة أو غيرها، وهو في بلدة تريم أو غيرها: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته! يكررها حتى يسمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له: «وعليك السلام يا شيخ» ذكر ذلك الجندي، والشرجي، وابن حسان، وغيرهم من العلماء مثل العلامة الشيخ الخطيب في كتابه الجوهر الشفاف.

وهذه الخصوصية مقام عال، لا يختص به إلا أفراد الأولياء وأكابر الأصفياء ولا يحظى به وبناله إلا من قد ترقى في أعلى مراقي القرب، ومن تحقق به، فقد جمعت له فضائل الشرف وأعلى معالي المجد.

قال الشيخ أبو العباس المرسي لأصحابه: أفيكم من إذا سلم على رسول الله في صلاته سمع رده السلام عليه بأذنه؟ فيقولون: لا! فيقول: ابكوا على قلوب محجوبة عن الله تعالى وعن رسوله.



قبر محمد بن علوي بالصومعة ببلدة بيت جبير

ـم علي بن علوي المذكور، فقد سمع رد الرسول في الصلاة وغيرها، وسمع خطاب النبي (ﷺ) بقوله: «يا شيخ». فالنداء من معدن الوحي والنبوة بالمشيخة منقبة أخرى.

وكانت للسيد علي بن علوي اليد الطولى في المكاشفات والمشاهدات، وكان حسن الأخلاق، كثير الإكرام والإنفاق متواضعًا.

وـ (رضي الله عنه) ببيت جبير، ذات البركة والخير ونشأ بها، وأخذ عن والده، وكان يتردد إلى تريم، ثم سكنها هو وإخوانه وبنو عمه سنة ٥٢١هـ، ودفن بمقبرة زنبل، وسمي «خالع قسم»؛ لأنه اشترى أرضًا بعشرين ألف دينار سماها قسم، باسم أرض بالبصرة كانت لأهله وغرسها[1] نخلًا وبنى دارًا فيها، ينزلها أيام الرطب، فبنى جماعة بيوتًا عند داره، حتى صارت قرية، وهي قرية قسم المشهورة.

وقد تحدث الإمام الحداد يومًا عن أحوال أسلافه منذ حلّوا بحضرموت فقال: من نظر إلى مواطن حيث يكون السادة، الشيخ أحمد بن عيسى وبنوه، حيث يكونون في الأطراف تحت الجبال، يستدل بهذا أنهم لم يكن همهم بطلب دولة ورياسة، ويكون قصدهم إعلاء الحق والأمر بالمعروف، فإن الشيخ أحمد بن عيسى يذكر في الكتب أنه حل في الهجرين، لا رتفاعها وكونها حصينة، واشترى فيها مالاً كثيرًا، ثم لما رأوا الماء فيها عزيزًا يؤتى به إليها من هابط، تركها، وأعطى المال بعض أخدامه، ودخلوا حضرموت في الأطراف منها، كما في قبر الشيخ أحمد في الحسيسة، وابنه عبد الله في العرض ببور، وابنه علوي بن عبد الله في سمل، يعرف أنهم لم يحلوا في هذه الأماكن إلا لأجل شيء يطلبونه، وكانوا أهل علم وتقوى ويحبون أن يتمكنوا من عزلة الخلق. وأيضًا خرجوا من البصرة بمال كثير له قدر، وكلما حلوا بمكان، لم يطب المقام، لكون هذا طبع جهة هذه، فبقوا في الأطراف، إن حصل لهم ما أرادوا يبقوا عليه، وإلا فلا ينالهم في مكانهم أذى ملوك السلاطين. ولم ينزل ببيت جبير ويسكن تريم إلا آل أحمد بن عيسى؟ أي: أولاد أولاد أولاده. وقال (رضي الله عنه):

---

[1] (غرسها) بلغة أهل حضرموت: غرسها. ومن هنا جاءت تسميته بـ(خالع قسم)؛ أي: غارس أرض قسم.

تريم بلاد آل باعلوي ومسقط رؤوسهم، وإنما تفرقوا إلى أماكن أخرى حلوا فيها عن قريب بعد ذلك وكانوا تَدَيّروها وحلّوها سنة ٥٢١هـ من وقت خالع قسم، وهو أول من نزلها، وكانت هي بلدتهم لقضاء حوائجهم وكانوا حالين ببيت جبير، وسمل، وعرض بور، فبنوا في تريم مسجدهم المعروف بمسجد آل باعلوي، وقطعوا من محله شجر سلم، وحملوا له الطين من بيت جبير طلبًا للحل، وذلك قبل أن ينزلوها، وكان لهم فيها أيضًا حافات معروفة (الحافة: الحي). فحافة آل جديد حوالي مسجد الحبوظي، وحافة آل بصري حوالي مسجد بروم، أو بالعكس، وحافة آل باعلوي الحوطة، وفيها مسجدهم المذكور، وأما الرُّضَيمة فإنها قديمة، حتى حكي أنهم وجدوا في جبلها صناديق وفيها قبور آل قحطان.



مسجد باعلوي بتريم

١٥ – الإمام محمد بن علي صاحب مرباط (رضي الله عنه):

هو السيد الشيخ، الإمام العلامة، ذو القدم الراسخ، البحر الواسع، محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيد الله.

كان متفننًا في جميع أجناس العلوم، وحيد عصره علمًا وعملاً وحالاً، وفريد دهره زهدًا وورعًا، وعبادة وصلاحًا من رآه وشاهده، أدهش عقله جمال محاسنه، وحير لبه جلال كمال حاله، يلوح على باهي محياه بهجة شوارق أنوار الجمال، وسواطع بهاء الحسن والكمال.

كانت الملوك تهابه، وذوو السطوة والجبرية تخافه، وكان له الجاه العظيم، والقبول عند الخاص والعام.

انتشرت علومه بجهات اليمن، وحضرموت، وظفار انتشارًا عظيمًا، وفاضت بركاته على الجميع فيضًا عميمًا



بيت الإمام محمد بن علي بمرباط

منسوب إلى مرباط، وهي ظفار القديمة التي على الساحل، قبل وجود ظفار الجديدة التي أحدثها أحمد بن محمد الحبوظي، المضافة إليه. انتقل الشيخ محمد بن علي من حضرموت إلى مرباط، ظفار القديمة، واشتهر بها شهرة عظيمة، وبها توفي سنة ٥٥٦هـ، وقبره بها مشهور بإفاضة البركات واستجابة الدعوات.

وهو (رضي الله عنه) مجمع الموجودين الآن من السادة إلى باعلوي في جميع البلدان، وعقبه من ابنيه علي أبي الفقيه محمد، وعلوي المشهور بعم الفقيه، وهم الأشياخ، ومشايخ أهل الشريعة، وهداة الطريقة للحقيقة، وهم أهل كل القوم، الذين رووا حديث السيادة، مسلسلاً بالسلالة، عن صاحب الرسالة.



قباب الإمام محمد بن علي صاحب مرباط بظفار

الإمام علوي بن محمد (رضي الله عنه) (عم الفقيه):

علوي بن محمد، الغالب عليه وعلى ذريته العلم والصلاح. كان إمامًا سخيًّا جوادًا، عاملاً مستقيمًا، متبعًا، من أكمل المشايخ العارفين، والأئمة الهادين، المتصفين بكمال العبودية لله رب العالمين.

ولد بمدينة تريم، ونشأ بها وصحب أباه في زمن صباه، وحل عليه نظره الشريف.

وأخذ أيضًا عن الشيخ سالم بافضل، والسيد الجليل سالم بن بصري، والشيخ علي بن إبراهيم الخطيب، وغيرهم.

وصحبه جم غفير، وتخرج به جمع كثير، منهم أولاده أحمد، وعبد الله وعبد الرحمن وعبد الملك، ومنهم ابن أخيه الفقيه محمد بن علي.

وكان علوي بن محمد المذكور كريمًا يتصدق من ماله بما يكون مستجادًا.

وكان ذا ثروة ونخل، أكثرها ببيت جبير، وكان جزيل العطايا، حسن الأخلاق، أثنى عليه كثير من الأئمة العارفين. وكان محبوبًا عند الأنام، معتقدًا عند الخاص والعام، حتى أضمر له سلطان وقته السوء، فرقًا من توجه الناس إليه، أن يأمرهم بالخروج عليه، فسقاه السم مرارًا، ولم يعمل فيه شيئًا.

كان له كرامات كثيرة، وكان انتقاله يوم الاثنين، لأربع خلون من ذي القعدة، سنة ٦١٣ هـ، ودفن بمقبرة زنبل.

وذكر الخطيب في الجوهر الشفاف، في الحكاية الثالثة، عن سيدنا الفقيه الأستاذ محمد بن علي: أن عمه علوي بن محمد المذكور رد عليه السلام من قبره.

١٧ - الإمام عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط (رضي الله عنه):

كان الشيخ عبد الرحمن بن علوي بن محمد إمامًا جليلاً، حفظ الوسيط للإمام الغزالي، وأخذ عن الأستاذ الفقيه محمد بن علي، وأخذ عن عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد، والفقيه علي بن أحمد بامروان، والقاضي أحمد باعيسى، وغيرهم.

وكان يقرأ في الفقه والتفسير وغيرهما، وكان كثير العبادة والصدقة، مقصودًا للضيافة والقرى.

١٨ - الفقيه أحمد (رضي الله عنه):

أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط، المشهور بالفقيه أحمد.

كان أحد مشايخ الإسلام، وعلامة العلماء الأعلام، إمامًا كبيرًا، وعَلَمًا راسخًا.

اعتنى بكتب الإمام الغزالي، فحفظ الوسيط، والوجيز، وبكتب الشيخ أبي إسحاق، وتَفوّقَهُ[1] عن الأستاذ الفقيه محمد بن علي وقرأ عليه في التصوف، وأخذ عن خاله الشيخ علي بن محمد الخطيب وغيرهم.

١٩ - السيد أحمد بن محمد الحبشي (رضي الله عنه).

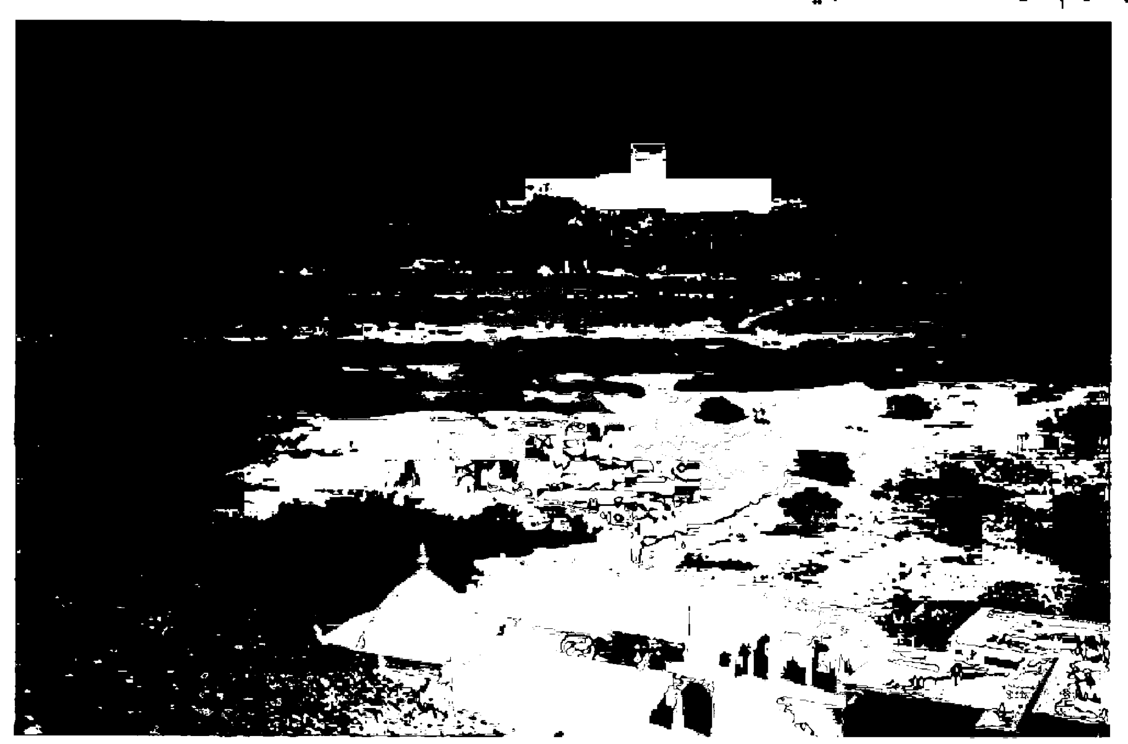
الشيخ الكبير، والعلم الشهير، أحمد بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي بن علي بن الفقيه أحمد بن محمد أسد الله بن حسن بن علي بن الفقيه المقدم.

ذكره السيد العلامة محمد بن أبي بكر شليه في كتابه «المشرع الروي في مناقب آل باعلوي»، فلننقل شيئًا مما ذكره، رحمه الله تعالى: ولد بتريم، وحفظ القرآن العظيم، ثم شرح الله صدره لطلب العلوم، وحُببت إليه الطاعات، فصحب أكابر أهل زمانه، وأخذ عن علماء عصره وأوانه، جاور (رضي الله عنه) بالحرمين عدة سنين وكانت له مجاهدات وشدة رياضات، وربما ترك الأكل أيامًا عديدة. وكان كثير الصيام، كثير القيام، سالكًا

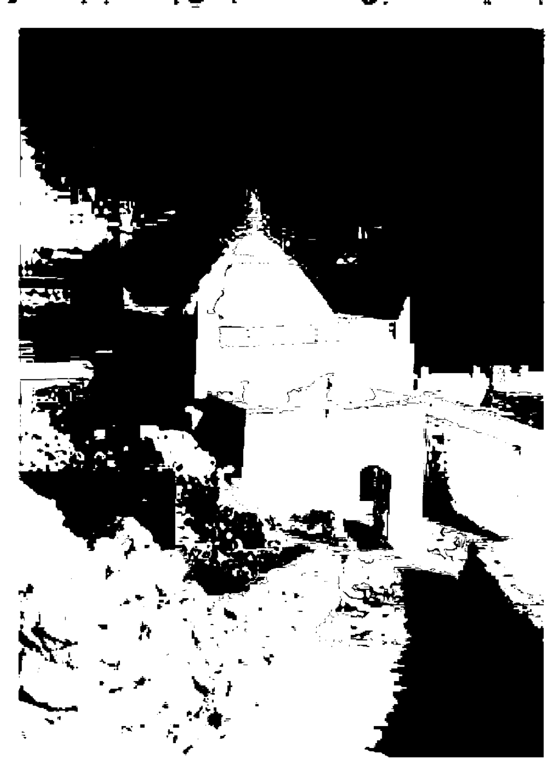
(١) تَفَوَّقَ القرآن: قرأه شيئًا بعد شيء. ومنه حديث أبي موسى الأشعري في قراءته: أما أنا فأتفوَّقُهُ تَفَوُّقَ اللَّقُوح. أي: أقرؤُهُ شيئًا بعد شيء في آناء الليل والنهار.

ـــنك أهلـه الأكابر، ملازمًا للسـنن النبويـة والآداب الشرعية، ما يعلم بفضيلة إلا عمل بها، ولا يسـمع كراهـة إلا اجتنبهـا. وكان (رضي الله عنه) مـن خلفاء الله على عبـاده، وأمنائه على فيوضات إمـداده، وكان عظيم كرم، قوي الورع، يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم، لا يحاذر لجاهل ولا لظالم.

ستوطن الحسيسة آخر عمره عند قبر المهاجر الإمام السيد أحمد بن عيسى، فكان ملجأ الوافدين، وملاذ ـــ قرين، ولم يزل بها إلى أن توفي بها سنة ١٠٣٨هـ.



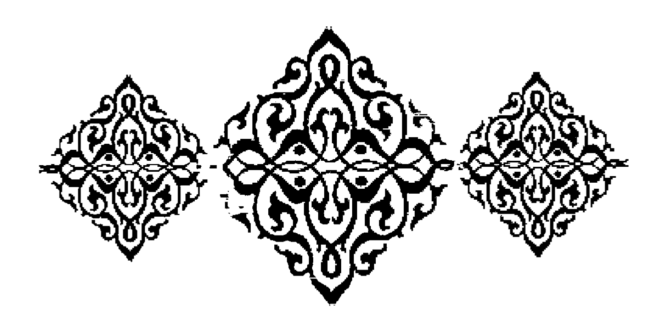
مقام السيد أحمد بن محمد الحبشي بالشعب بالحسيسة



مقام السيد أحمد بن محمد الحبشي، والدرج النازل من مقام الإمام المهاجر

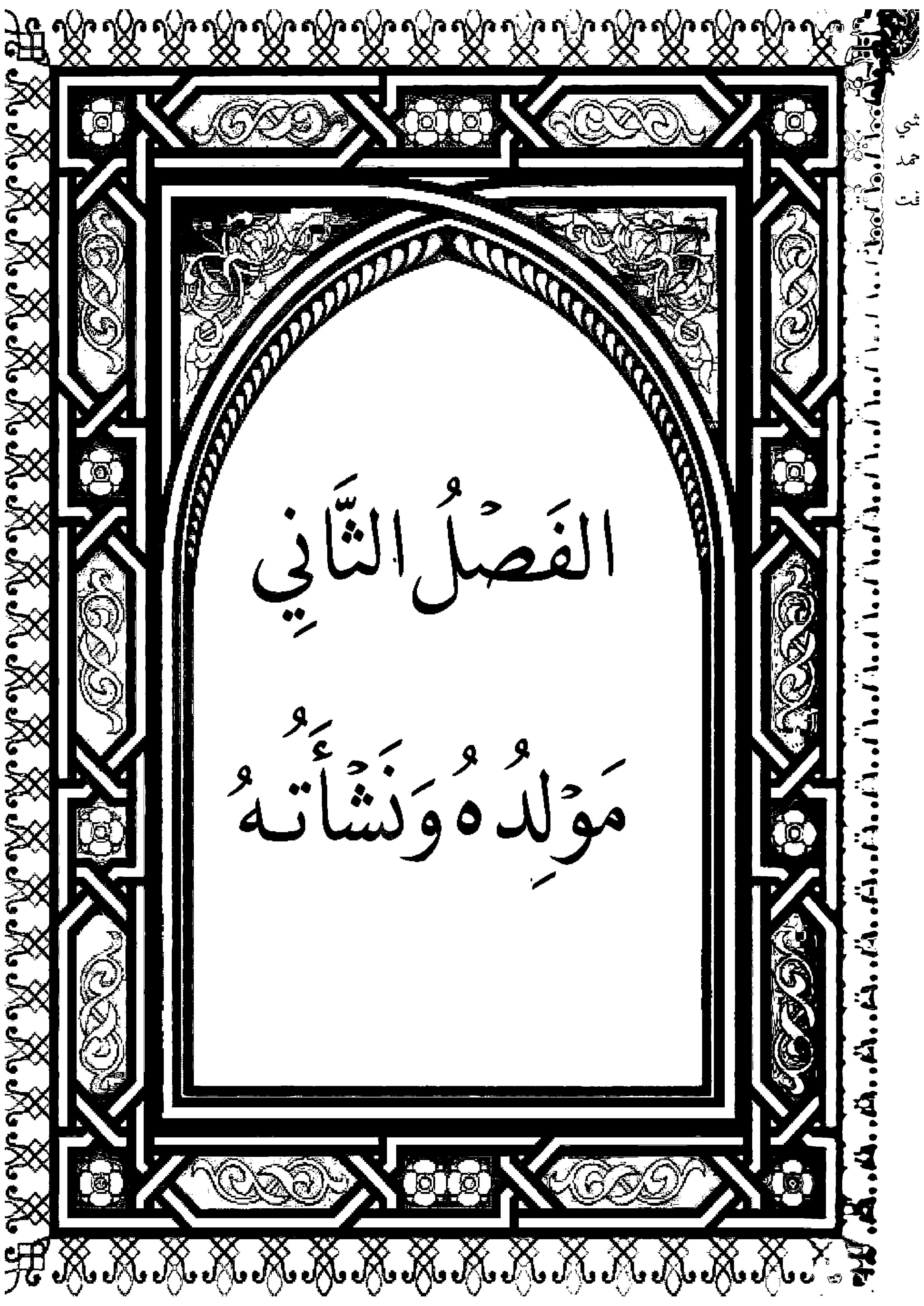
وممن أخذ عنه: والد الإمام الحداد السيد علوي بن محمد الحداد. وقد روى الحبيب أحمد بن زين الحبشي عن والده السيد زين بن علوي الحبشي عن السيد علوي بن محمد الحداد قال: جئت عند جدك أحمد الحبشي قبل أن أتزوج أم ولدي عبد الله، فسألته الدعاء، فقال: أولادك أولادنا، فيهم البركة! فما عرفت إشارته إلا بعد وجود ولدي عبد الله، لما ظهرت عليه النجابة، ومخايل الولاية. أو كما قال بمعناه.

والسيد أحمد بن محمد المترجم جد والدة الإمام الحداد، وهي سلمى بنت عيدروس بن أحمد الحبشي.



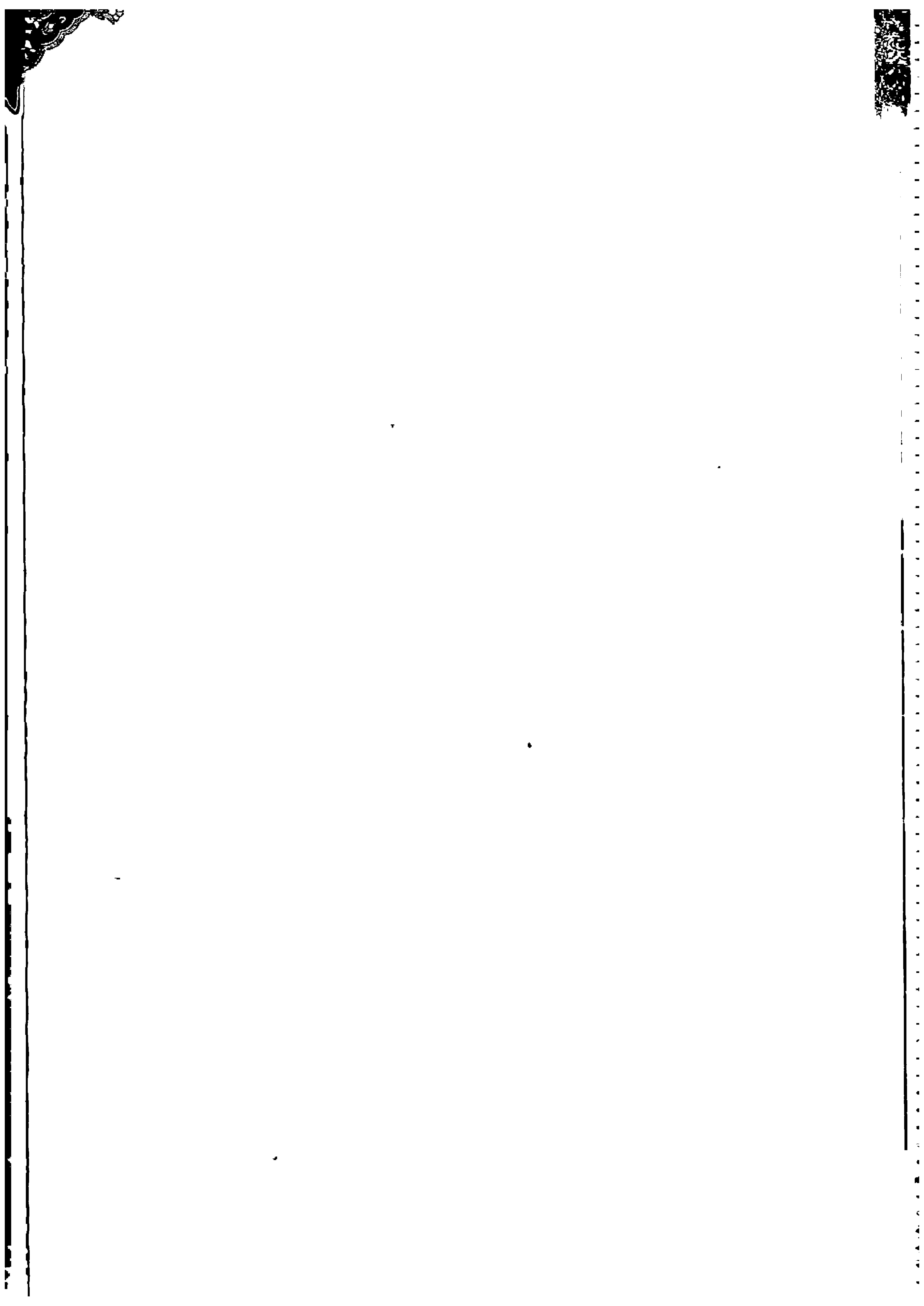


قبر والد الإمام الحداد وبجانبه قبر السيد محمد بن علوي أحد إخوة الإمام

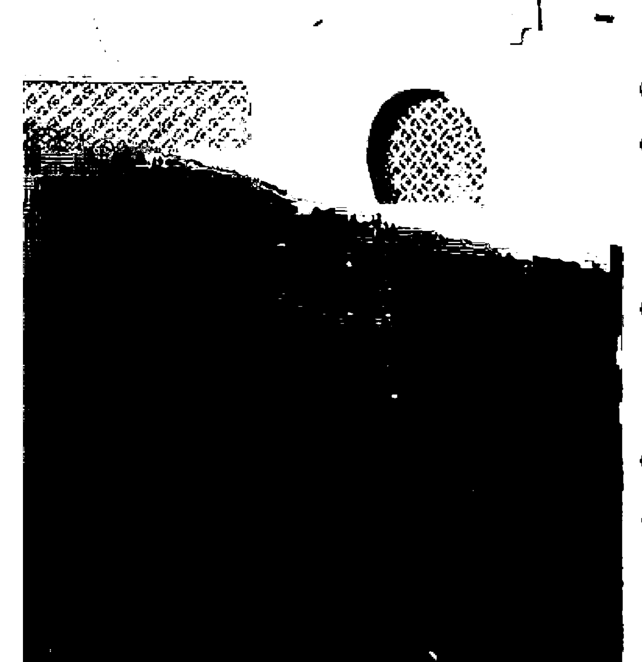


الفَصْلُ الثَّانِي

مَوْلِدُهُ وَنَشْأَتُهُ



كان والد الإمام عبد الله الحداد، وهو السيد علوي بن محمد الحداد، رجلاً صالحًا تقيًّا من أهل الله، نشأ في بيت من البيوت العلوية بتريم، وقد أخذ عن جملة من أكابر السادة، منهم: الإمام العارف بالله أحمد بن محمد الحبشي صاحب الشعب (رضي الله عنه). وكان الإمام الحداد يقول: والدي كان طاهرًا مطهرًا.



البيت الذي ولد فيه الإمام بالسبير بعد تجديده سنة ١٤٠٧هـ

وكانت والدة السيد علوي، الشريفة سلمى، من أهل الولاية والمعرفة، وقد روى عنها الإمام عبد الله مناقب وكرامات.

وكذلك كان والد الشريفة سلمى، وهو السيد عمر بن أحمد المنفّر باعلوي، من العلماء الكُمَّل العارفين.

قال الإمام الحداد: أحفظ لجدي عمر بن أحمد نحوًا من أربعين أو قال: خمسين كرامة. وكان هذا السيد إمام مسجد باعلوي، توفي سنة ١٠٢٠هـ

زار السيد علوي بن محمد الحداد في يوم من الأيام الإمام العارف بالله السيد أحمد بن محمد الحبشي، وذلك قبل أن يتزوج، وسأله الدعاء، فقال السيد أحمد: أولادك أولادنا فيهم البركة. ثم إن السيد علوي تزوج حفيدة السيد الحبشي، ابنة ولده، العارف بالله السيد عيدروس بن أحمد الحبشي، وكان اسمها سلمى كاسم والدته، وكانت من الصالحات، فولدت له البنين والبنات، ومنهم صاحب الترجمة الإمام عبد الله الحداد. قال السيد علوي: ما عرفت إشارته، أي إشارة السيد أحمد الحبشي، إلا بعد وجود ولدي عبد الله، لِمَا رأيت عليه من مخايل الولاية وظهور النجابة.

وكان السيد عيدروس بن أحمد الحبشي، والد السيدة سلمى، عالمًا، فاضلاً، زاهدًا، عابدًا، توفي سنة ١٠٣٧هـ

كان الإمام (رضي الله عنه) يقول: إني ليلة مولدي بت طول ليلي أصيح وأضج بالبكاء، ولم يدر أهلي ما الذي بدا بي، فلما صحوا وفتشوا عن سبب ذلك، وجدوا في الثوب الذي أنا ملفوف فيه عقربًا عظيمة، ووجدوا جميع بدني أحمر من لسعها.

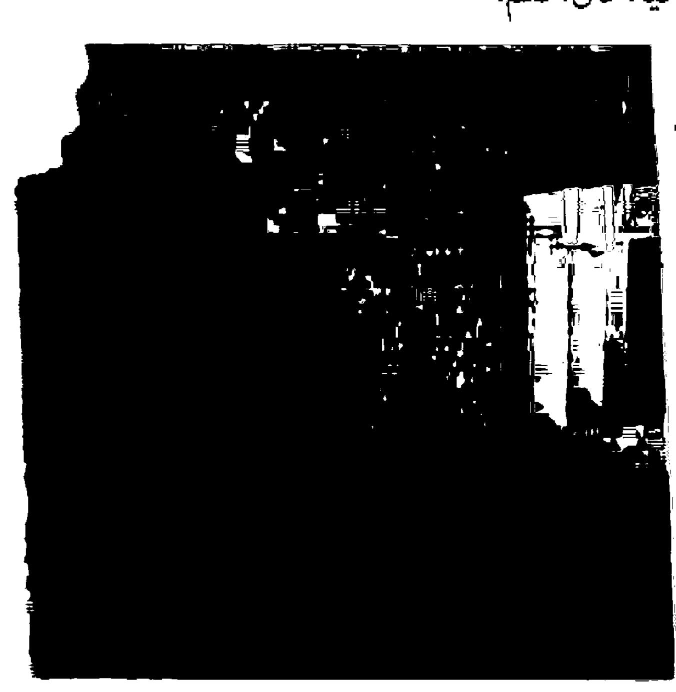
وذكر بعض السامعين عنه: أنها نحوًا من عشرين ضربة. وفي ذلك إشارة إلى نشوئه على المحنة التي عنها يكون التمكين الذي هو غاية قصد الكاملين.

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1] وذلك بعد أن امتحنه بفعل إخوته به، وغير ذلك.

وكذلك أيوب وهب له أهله ومثلهم معهم بعد أن امتحنه، وكذا سليمان رد إليه ملكه ومكنه بعد أن امتحنه وأكثر أنبياء الله وأولياء الله لم يمكّنوا إلا بعد الامتحان، كما هو مذكور في السير وآيات القرآن.

قال الله تعالى ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[2] وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[3]، وغير ذلك كثير.

وروى الشيخ الشجار على لسان الإمام قال: وقال (رضي الله عنه): حفظنا تاريخ ولادتنا من الوالدة، قالت: ولدت ليلة الاثنين، خامس صفر سنة ١٠٤٤هـ وقالت: جاءت امرأة من الجيران كانت حاضرة الولادة، وأنها لفتني في بعض ثياب الوالد، قالت: فبقيت تلك الليلة إلى الصبح ما طعت تستقل من الصياح، فقلت لبعض النساء: شوفوا الولد ما به، ما له لا يسكت؟ ففتشت الثوب، وإذا بعقرب عظيمة ملتفة بالثوب مما يلي البدن بينه وبين الثوب، والبدن مُتَخَبِّز محمر من لسعها. وقلت لسيدنا عندما تكلم بذلك، وذكر قصة العقرب في هذا إشارة إلى ما يقاسون من محن الدنيا؟ قال: نعم.


الغرفة التي ولد فيها الإمام

وقال (رضي الله عنه): ووقع في تلك السنة يعني سنة ولادته أمور كثيرة، فيها خرج السلطان عبد الله، وفعل ما فعل، ومات فيها الشيخ الحسين ابن أبي بكر بن سالم، ووفاة السيد يوسف بن عابد الفاسي، تلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم.

وأصيب الإمام الحداد بمرض الجدري وعمره أربع سنوات، وأدى ذلك إلى فقدانه البصر.

(١) يوسف:٥٦.

(٢) العنكبوت:٢.

(٣) البقرة: ٢١٤.

وقد أنشد الحبيب علي بن محمد الحبشي يومًا هذه الأبيات للإمام عبد الله الحداد:

عسى مَـنْ بلانـا بالبعـاد يجود وعـلّ لييـلات اللقـاء تعـود

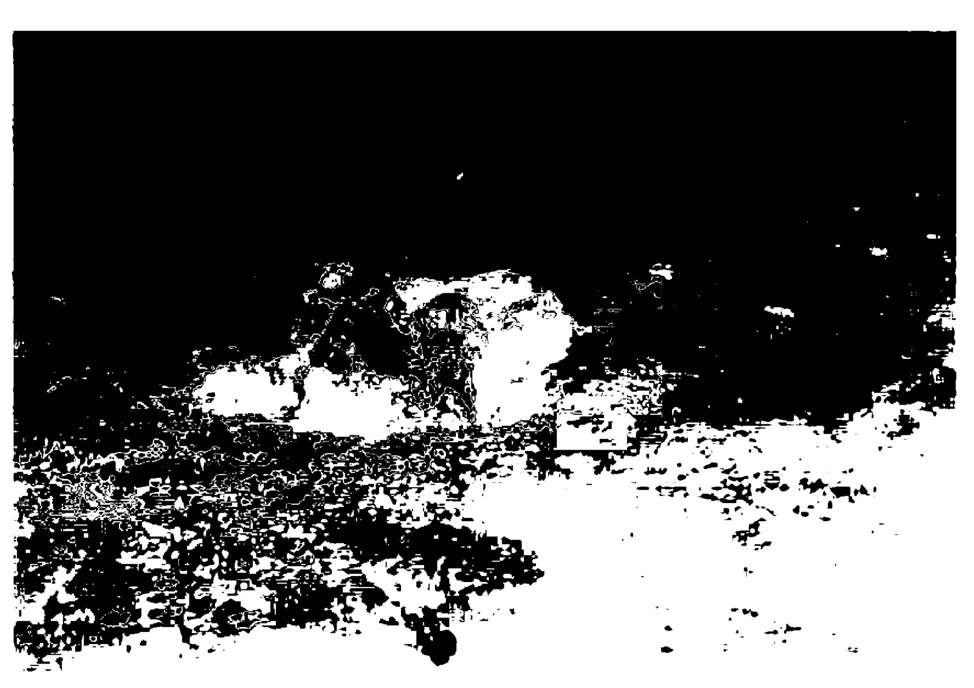
وتسـعد بعد البعد بالوصل غادة مـوردة هيفـاء القـوام خـرود

ثم قال مخاطبًا ابنته الصالحة خديجة: هذا من كلام أبوك عبد الله الحداد، هل تعرفينه؟

قالت: لا، ولكني أسمع به.

قال: عَميَ وهو ابن أربع سنين من القطيب (أي الجدري)، وكان السبب في ذلك أنه دخل عليه بعض مجذيب، ولطخه بالعطر (أي الطيب)، حتى نقست عيناه. وأمه، الحبابة سلمى بنت عيدروس بن أحمد بن محمد الحبشي، أخو جدنا حسين بن أحمد بن محمد. ولزم الخير وعاده صغير... إلى آخر ما قال[1].

وقد سمع المؤلف من الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط (حفظه الله) مشافهة، أن الذي ضمّخه بالعطر مجذوب من أخواله من آل الغصن[2]، وهو نفسه الذي بشره فيما بعد بذهابه إلى الحج، وبما يحدث له من كرامة ربانية حينئذ.



علامة متروكة من الأرضية الأصلية للغرفة قبل تغطيتها بالأسمنت تحدد موضع ميلاد الإمام (ﷺ)

ويروي أيضًا أن والدته الشريفة سلمى حملته إلى ضريح العيدروس الأكبر، شاكية له أن ابنها صار كفيفًا ولا يصلح لشيء، فإما يشفى وإما يتوفاه الله، فأجابها الشيخ من برزخه بأن هذا الولد سوف يكون له شأن عظيم.

فها نحن نرى غلامًا فقد بصره وعمره أربع سنوات، فماذا كان تأثير ذلك عليه؟

هل سخط واغتاظ لما أصابه؟

---

[1] ذكره في «تاج الأعراس على مناقب الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس»، تأليف الحبيب علي بن حسين العطاس، مخطوط، الجزء الأول ص ٢٨٠.

[2] آل الغصن هم عقب أبي بكر الغُصن بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل بن حسن بن محمد أسد بن حسن بن علي بن الفقيه. (المعجم اللطيف للسيد محمد بن أحمد الشاطري، ص ١٤٦) يلتقي بنسب آل الحبشي أخوال الإمام الحداد في محمد أسد الله بن حسن بن علي بن الفقيه المقدم.

أجَعَلَه ذلك عاجزًا، يعتمد على الآخرين في كل شؤونه؟

أَظهَرتْ عليه آثار ما يسميه علماء العصر الحديث بعقدة النقص؟

كلا! بل نراه اجتهد في حفظ القرآن الكريم إلى أن أتمه، ونراه يخرج من درس القرآن، فيذهب مع أحد أصدقائه إلى مسجد من مساجد تريم، فيصليان مائة أو مائتي ركعة. وما ذلك إلا شكرًا لله، فإنه لم يُنْسِ فقدانُ بصره سائرَ النِّعم التي أنعم الله بها عليه، فكان دائم الشكر والثناء على ربه، راضيًا بما أقامه الله فيه يعمل ليله ونهاره لينال رضاه.

ولم يمنعه انشغاله بربه من اللعب مع الصبيان في بعض الأحيان، كما هي طبيعة من كان في هذه السن

قال: وكان (رضي الله عنه) جالسًا في السبير، وذلك يوم الأحد الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٢٨هـ، فذكر أيام صغره، وكان إذا ذكر أحوال الصبا يطنب في الكلام، ويتعجب من تلك الحال، فإذا أطال فيه الكلام سكت، يقول: الكلام شجون، وينشد هذا البيت:

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني　　　شجونًا فزدني من حديثك يا سعد

قال: كنت قائمًا عند جرب مسجد مقالد، أنا والصنو حامد، تحت عِلْب (أي شجرة سدر) هناك، فحذفت العلب بحجارة، فوقعت في رأسه، فأدمته. وقد عندنا في الجهة مثل، يقولون: دوا الحجارة أن تدق له حجرة فأبطيت عليه، فحذف بحجارة، فأصابتني، فشرد، فلحقوه، فسبحان الله ما أحلى الصبا، وما والاه من الشباب!

وكنت في أيام الصبا لا أتعامل معاملة من لا يشوف، لا في مشي ولا في لعب، حتى إذا سرت ما أسير مع أحد، ويوم نلعب كنت أجلس عند صاحب المد حتى لا أغلب.

وقد سمع الإمام في أحد مجالسه صوت صبي يتنحنح، سنُّهُ نحو اثنتي عشرة سنة، فقال: من هذا الصغير؟ فأُخْبِرَ به وبأبيه، وكان حاضرًا، فقال له: لِمَ تركتَهُ جالسًا هنا، ولم تتركْهُ يروح ويلعب مع الصبيان؟ فقال: نريده يستغنم الحضور في مجلسكم. فقال: أنت استغنم عنه واتركه يلعب الآن، وإلا رجع يطلب اللّعب في غير وقته، وحيث لا ينبغي له ذلك.

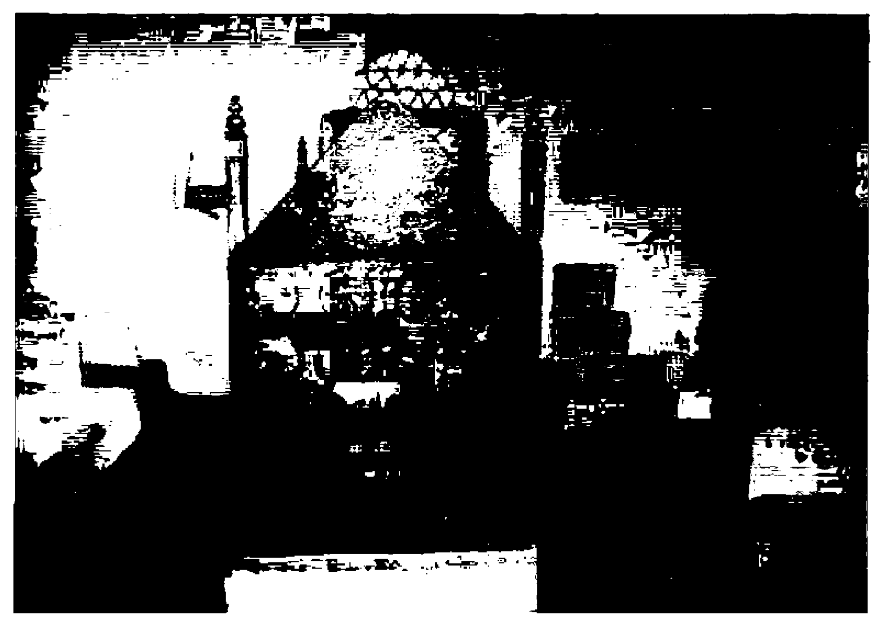
وقد رآه الولي المكاشف الشيخ عبد القادر بن الشيخ الأكمل محمد بن أحمد باشراحيل وهو صغير يلعب مع الصبيان، فقال: سيكون لهذا شأن عظيم.



مسجد باعلوي الشهير بتريم حيث كان الإمام يصلي مائتي ركعة كل يوم
ويطلب من مولاه مقام الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ﷺ)

ـقد توفي الشـيخ عبد القادر وعُمْر الإمام الحداد فوق العشرين، ودفن بشـبام، ووضعه في اللحد السـيد ـ بن علوي الحبشي، والد الإمام أحمد بن زين، فابتسم في وجهه.

ـقد نشأ الإمام الحداد في حجر والده الكريم بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم على المعلم المنور أحمد بن محمد ـحـج لتريمي. قال (رضي الله عنه): قرأنا عليه من أثناء سورة يوسف إلى آخر القرآن، وكان هذا المعلم قد دخل الهند، وأقام ـ زمانًا، ولقي جماعة من أهل الفضل والعلم، وله مشاركة في كثير من العلوم حتى علم السيميا والطب.



ضريح العيدروس الأكبر (ﷺ) بمقبرة زنبل بتريم وحوله قبور آخرين من آل العيدروس

وقال (رضي الله عنه): كنت إذا رجعت من المعلامة ضحى، أمضي إلى بعض المساجد، فأتنفل فيه كل يوم نحو مائة ركعة تطوعًا. وفي رواية أو واقعة أخرى: كنت في الصغر أصلي مائتي ركعة كل يوم في مسجد بني علوي، وأطلب من مقام الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس.

وفي رواية أخرى: كنا بذلك نطلب مقام (أو قال: حال) الشيخ عبد الله بن علوي باعلوي، وكذلك السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه، يفعل ذلك ويطلب مقام جده، السيد عبد الله بن محمد صاحب الشبيكة؟

وكان (رضي الله عنه) يقول: كنت من حين الصغر وأنا في الجد والعبادة وأنواع المجاهدة، وكانت جدتي الصالحة سلمى بنت السيد الولي عمر بن أحمد المنفر باعلوي تقول لي: ترفق بنفسك! إذا رأت ما أنا فيه من الجهد شفقة منها علي. وكذلك كان والداه يشفقان عليه من إتعاب نفسه بأنواع المجاهدة، فيقول الإمام: إني قد أترك كثيرًا من المجاهدات في أيام بدايتي رعايةً لوالديّ، لما أرى منهما من كثرة الشفقة عليّ.

ويقول: مكثت مدة في ابتداء أمري على القوت الخشن، واللّباس الخشن.

وقد تأدب الإمام على أبيه، واجتهد في طلب العلم، فقرأ على العديد من العلماء، وأخذ من كل علم كفايته.

وعن بداياته في طلب العلم يقول: بعد أن ختمت القرآن، قال لي والدي: اقرأ في الفقه، وعندنا نسخة صحيحة مليحة من «الإرشاد»[1] تحَفَّظْ فيها، وكان معي طرف من عبادة، ولكنها على قدرها وكانت سِنِيّ في ذاك دون خمس عشرة سنة. وكنت أجالس السيد سهل الكبش، وكان كثيرًا ما أسمعه يذم الفقه وأهله وينكر على ناسٍ من الفقهاء ويذمهم، حتى الشيخ ابن حجر، فقلت لوالدي: ما أريد القراءة في الفقه فإن رجلاً من السادة يذم الفقه وأهله. فقال: الإنسان ما يستغني عن الفقه، ولا عذر له منه. فقلت: أريد القراءة في «البداية».[2] قال: مليح، وعندنا أيضًا منها نسخة مليحة. وعزمت على حفظها، فحَفَّظَني الوالد حينئذٍ من أولها إلى قوله: وها أنا مشير عليك. وكان الفقيه باجبير يُقَرِئُ في النويدرة، يقرأ عليه كثير من السادة وغيرهم، فرُحْتُ إلى عنده، وحضرت مجلسه، وتقدمت للاستئذان في القراءة، ومرادي أن أستأذنه في القراءة في مرة أخرى، فأتيته في اليوم الثاني، وقلت: أريد أن أتحفّظ في البداية، وأقرأ عليك فيها. فقال: حفظ البداية عَسِرٌ، وعندنا ناس يقرؤُون فيها، فاستمع عليهم حين يقرؤُون، وتَحَفَّظْ في الإرشاد. فوافَقَتْ إشارتُه إشارةَ الوالد، فقلت: الإرشاد حفظه عَسِرٌ، فكيف أتحفَّظُه؟ فقال: تخَلَّ مَن يُحَفِّظُك ويستمع عليك فيه. فأجبته لذلك، لموافقة إشارته إشارة الوالد. لقنني تلك الساعة من أول الإرشاد قوله: الحمد لله الذي لا تحصى مواهبه، ولا تنفدُ عجائبه، ولا تحصى له منن، ولا تختص بزمن دون زمن...» فخرجت من عنده وقد حفظت ذلك. فما زلت أستمع على الذين يقرؤُون في البداية، وأتحفظ عنده من الإرشاد، إلى أن وصلت إلى محرمات الإحرام، ثم إن السيد أبا بكر بلفقيه عزم إلى الهند، وزيَّنَ للفقيه باجبير المسير معه، وأنه قائم

(١) «الإرشاد» كتاب في فقه الإمام الشافعي للشيخ اسماعيل ابن المقري.

(٢) «بداية الهداية» كتاب للإمام أبي حامد الغزالي.

ـكل ما يحتاج إليه، فسافر معه.

نقد نشأ الإمام الحداد نشأة النجباء من السادة، واجتمع له من عوامل الفلاح الوراثة السارية في أهل بيت، والبيئة المناسبة التي تُمَكِّن هذه الوراثة من إتيان ثمارها.

وكان (رضي الله عنه) أوان البداية يدور كل ليلة على مساجد تريم، وينام قليلاً أو لا ينام أصلاً، للتعبد بها، وتتبع ـثر أسلافه. وكان يقول: قد استقصينا جميع مساجد تريم مرارًا كثيرة حتى مسجد سُوَيْد تسورناه لأجل صلاة فيه، ومسجد سويد هذا مطين ولا يكاد يعرف أنه مسجد.

وكان يقول: كنت آتي ـسجد الشيخ عبد الله ـعيدروس الكائن بحوطة ـيه نجدي مسجد السقاف ـتعبد بالليل.

وكان للإمام عبد الله ـدقاء طفولة، كانوا على ـكته، وما كان ليرتضيهم ـه أصحابًا وأخِلاّءَ إلا ـ كانوا كذلك. وفي الخبر: ـرء على دين خليله فلينظر ـدكم من يخالل»[1].

ـعجبًا لصبية أعرضوا ـن ـلعب واللهو والعبث، ـشتغلوا بحفظ القرآن، ـجاهدة النفس، وطلب ـلم! عجبًا لصبية علموا ـ لم يخلقوا إلا لله، ـحبوه، ولم يطلبوا غيره، ـيلتفتوا لسواه!



مدينة تريم وترى قباب بشار

[1] سنن الترمذي، كتاب الزهد، (٢٣٧٨)؛ سنن أبي داود، باب من يؤمر أن يجالس، (٤٨٣٣).

وكان من هؤلاء الأصدقاء الإمام عبد الله بن أحمد بلفقيه. قال (رضي الله عنه): كان بيننا وبين السيد العارف عبد الله بن أحمد بلفقيه الأسقع باعلوي اختلاط وملازمة ومعاشرة في حين الصغر وإقبال الشباب، وكـ نخرج إلى الأودية المباركة مثل عيديد ودمون على الانفراد، وربما دخلنا بعض المساجد نهارًا فنتنفل به كثيرًا. قال: وكنا نتدارس أنا وإياه القرآن، فيقرأ هو في المصحف قدر ربع جزء ويعيده بالغيب، ثم أقرأ بعد كذلك، أقمنا على ذلك مدة، وكنت أنا وإياه نقرأ في مختصر الفقيه الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بلحـ فضل على السيد الوجيه الصالح عبد الرحمن بن عبد الله باهارون.

وكان منهم السيد الإمام أحمد بن عمر الهندوان الذي يقول عنه الإمام عبد الله الحداد: كان بيننا وبين السيد الجليل أحمد الهندوان الخلطة، والملازمة، والمجالسة، والمؤانسة الدائمة، في حال اشتغالنا على السيد الفقيه عبد الرحمن باهارون، وعلى السيد سهل باحسن جمل الليل، والفقيه عبد الله الخطيب، وفي كثير من الأوقات بزاوية الهجيرة المشهورة وبغيرها، على المطالعة، والمذاكرة، وجميل المعاشرة.

وقال السيد الإمام أحمد بن عمر الهندوان مرة: كنا في ابتداء الأمر وإقبال الشباب كثيري الاجتماع نحن وسيدنا الأستاذ عبد الله (رضي الله عنه). ربما اجتمعنا على حضرات الذكر الجهري، فيحصل على سيدنا عبد الله من الوجد ما يفنيه عن إحساسه، وربما لم يفق من وجده ذلك حتى نحمله ونطرحه على قبر سيدنا الإمام القطب الفقيه المقدم (رضي الله عنه).

ويقول الإمام عبد الله: كان بيننا وبين السيد الجليل الصالح علي بن عمر بن الحسين بن الشيخ علي، أخوة وممازجة، واختلاط كلي، ومصاهرة. وكنا كثيرًا ما نطالع الكتب النافعة، ونسردها ليلاً ونهارًا. وربما كان يقرأ ونحن نسير في الطريق، وربما دخل علينا الليل ونحن في المطالعة.

وقال (رضي الله عنه): كان بيننا وبين السيد الجليل، الصوفي المتفنن، علي بن عبد الله بن أحمد العيدروس، إخاء وامتزاج، واختلاط، واتحاد، أيام إقامته بتريم، وبقي ذلك، ولم يزل في مزيد، جعل الله ذلك له وفيه. ولم يزل بيننا وبينه المكاتبة والمراسلة، ولطيف المواصلة. وكان عقد الأخوّة بيننا وبينه عند قبر سيدنا الفقيه المقدم لأني كنت أزوره وإياه بعد العشاء من ليلة الجمعة، ثم نرجع إلى زاوية الهُجَيرة، ونطالع الكتب النافعة ليلاً طويلاً، وقد نأتي في غير ليلة الجمعة لذلك، ونجتمع كثيرًا في بيت لهم ببلدة تريم نهارًا، وبمصلى جده الشيخ عبد الله العيدروس بمكانه في السبير من أعمال وادي دَمّون، على الكتب الفقهية، و"الأربعين الأصل"، للإمام الغزالي، وكتب مناقب السادة آل أبي علوي كالفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية، للسيد الجامع عبد القادر بن شيخ العيدروس، وكذا نطالع في دواوينهم المنظومة، رضي الله عنهم أجمعين.

وكانوا على بصيرة من حال الإمام، وتفوّقه عليهم، فكانوا كثيرًا لما يجتمعون قبل مجيء الإمام، يقول لهم السيد علي بن عبد الله العيدروس: يا هؤلاء، إن رضيتم أو سخطتم، أخذ السابقة علينا وفاز بها السيد عبد الله الحداد

قـل الشيخ الشجار: وأخبرني بعض الثقات المنورين المنتسبين إلى سيدنا، قال: كنت إذا جئت عند السيد عـ الله بن أحمد المذكور يذكر لنا ذلك، ويقول: إنا نشـأنا معًا، ولكن السـيد عبد الله سبقنا! أو نحو ذلك، يقول: إنه فتح له من حين صغره، كنا نراه إذا قرأ سـورة يس يتأثر جدًّا، ويبكي بكـاءً شـديدًا، ولا يكاد يختم قراءة هذه السورة الشريفة، فيقع لنا أن فتحه فيها.

ـم يزل الإمام منذ نشـأ وحتى قبضه الله إليه ملازمًا وملزمًا غيره قراءتها، لسـبب ولغير سبب، ويرتبها عـ كل فريضـة بقـراءة غيره، وإذا حصل أمر مهم، لا سـيما القحـط، فإنه يقرؤها ومن حضر، بعد درسـه، ـعين مرة متوالية، فما يمضي الأربعون في الأكثر إلا وقد حصل المطلوب.

ـه دعاء خاص بسورة يس يرتبه بعد قراءته لها.

ـقـل الإمام الحداد (رضي الله عنه): كان للسـيد الجليل الصوفي أحمد بن هاشـم بن الشـيخ أحمد الحبشي اجتماع ـ و ختـلاط كلي، وصحبة صافية. وكنـا إذ ذاك نطالع في الكتب الغزالية وغيرهـا، وفي الدواوين المنظومة ـ ذوق والشوق، مثل الشيخ السودي[1]. وكان السيد أحمد يقول: نشأنا معًا ولكنه سبقنا.

ـكـن السـيد أحمد يقول: كنا متحدين في البداية إلى الغاية، وكذلك كنا في اجتماعنا على السـيد العارف ـ بـن عبد الرحمن العطاس. وكان شـيخنا عمر يقول: أنت والسـيد عبد الله الحـداد تتفقان في البداية، ـترقان في النهاية.

ـقـل السيد أحمد: إنا حال اشتغالنا على السيد عمر العطاس (رضي الله عنه) ونفعنا به، فتح على سيدي عبد الله، فلما ـ ذلك، تقاصرت عندي نفسي، فشكوت على سيدي وشيخي عمر - نفع الله به - من ذلك، فقال لي: اجتمع ـ شملها، اتصل حبله بحبلها، ظهر صفاء يقينها، انطوت الأحشاء على جنينها، سطع نور المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في ـب: فعند ذلك فُتح لي.

ـؤلاء الذيـن صحبهـم الإمام في بداياته، مـا فيهم من أحـد إلا وله نصيب من الولايـة الكبرى. وكانت ـتـهم لله وفي الله، وكانت صحبة صفاء، خالية من الأكدار ودسائس النفوس.

ـكتـب الـتي ذكـروا أنهم كانـوا يطالعون فيها تـدل على أحوالهم مـع الله. فبالإضافـة إلى الفقه والكتب ـية، كانـوا يطالعون في «لطائف المنن» للشـيخ ابن عطاء الله[2]. قال الإمـام (رضي الله عنه): كنا في ابتداء الأمر ـ في شيء من كتب الشاذلية، وكنا نطالع نحن والشيخ المنور أبو بكر ابن الشيخ محمد بن أحمد باجبير،

---

[1] ـيخ محمد بن علي السودي: كان من العلماء الراسخين، والأئمة المتبحرين، القائمين بالتدريس والإفتاء. له ديوان شعر مشهور. توفي بتعز سنة ٩٣٢ هجرية.

[2] ـيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري: من أكابر العلماء العاملين، ومشايخ الأزهر المعتبرين. أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسي، وله من ـفات الشهيرة «الحِكَم»، و«التنوير في إسقاط التدبير»، و«لطائف المنن»، و«مفتاح الفلاح». توفي بالقاهرة سنة ٧٠٧ هجرية.

بمسجد الشيخ العارف عبد الله بن شيخ العيدروس، الكائن عند قبته بتربة آل علوي بتريم، المسمى بمسجد النور، كتاب «لطائف المنن»، للشيخ أحمد بن عطاء الله الشاذلي.



مسجد النور المجاور لمقبرة بشار

قال السيد محمد بن شيخ الجفري: كنت مرة جالسًا مع سيدي في بيته بتريم، يوم الجمعة، فسأل عـ سيدي الأكمل أحمد بن زين الحبشي، وكان إذ ذاك بتريم، وكان من عاداته أن يقصد بيت سيدي عبد الله ويجلس فيه مدة إقامته بتريم، فقيل له: إنه خرج من البيت، ولم ندر أين هو. فما لبثنا أن جاء، فسـ سيدي: من أين جئت؟

فقال: من عند سيدي أحمد بن عمر الهندوان. قال: ماذا لقيته يصنع؟ قال: ينظر في كتاب «تأسيس القواعد»، للشيخ زروق الشاذلي، وهو مغتبط به جدًّا.

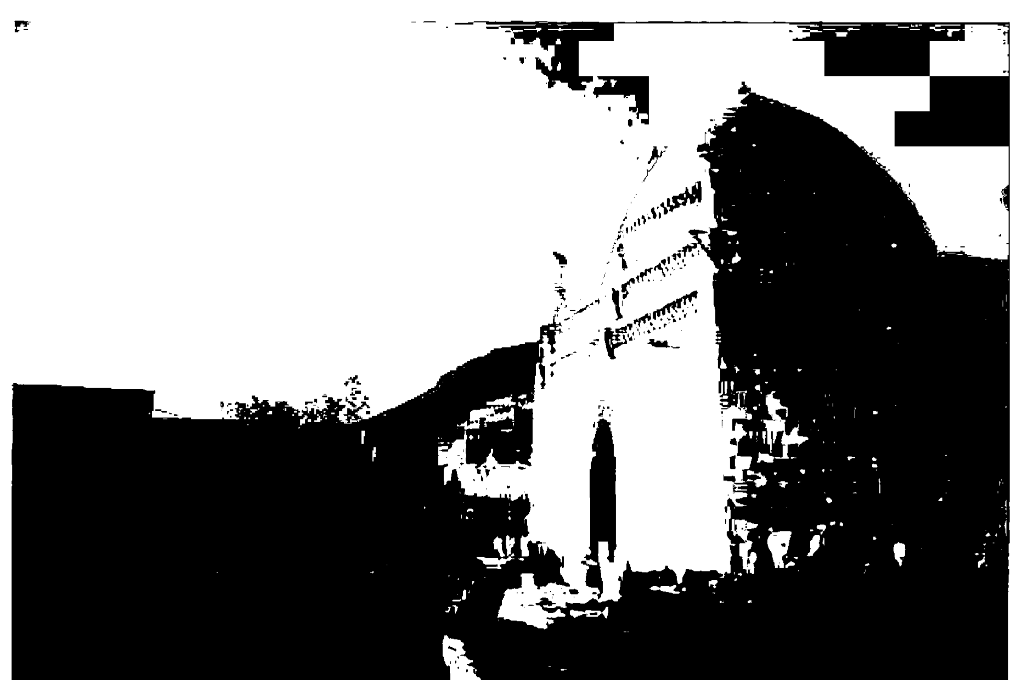
فقال سيدي: هذا من العجيب، إنا قد طالعنا في هذا الكتاب من صغرنا وفتح لنا فيه، وكذا غيره من كتب الشاذلية، خصوصًا: "لطائف المنن" لابن عطاء، ولو داومنا على مطالعة كتب الشاذلية، خرجت منا شؤو

ـكن الله تداركنا بالإمام الغزالي وكتبه، وبرجل من سادتنا آل أبي علوي من أهل البرزخ لينتفع بنا الخلق.

وكان الإمام مولعًا بكلامَ الشيخ ابن الفارض، وكُتُب مناقب السادة آل أبي علوي.

وقد كان (رضي الله عنه) في بدايته مولعًا بكلام الشيخ ابن الفارض، وكان ربما ترنّم بشيء من كلامه بالليل، خصوصًا التائية، ولم يزل ـ عيه وينشد بين يديه، ـعبر عليه الطرب، إلى أن ـ وهو على ذلك.

ويقول الإمام: كنا في ـتماء نسير في البلاد ـء الصالحين، وزيارة ـموت منهم، وكنا نزور ـعد بن مُحَدَّم المقبور فيه ـن الإمامان أحمد ـ عيسى وأحمد بن محمد حبشي، وربما كانت الزيارة على الأقدام، ونحن أيضاً صيام. وكان الإمام يصطحب الشيخ صالح بن الشيخ عمـ باجبير في هذه الزيارات، وكان إذا زار الشعب المنور، قد يبيت به، وإذا أحس بهم ناموا، قام إلى بئر ـحد الشيخ أحمد الحبشي، جده لأمه، يملأ المياضِي.



قبة عبد الله بن شيخ العيدروس وخلفها مسجد النور

قـ الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي: أخبرني السيد الجليل عيسى بن محمد الحبشي، قال: كنا في البداية حـ نحن وسيدي عبد الله بن علوي الحداد على حضرات الذكر، فربما رأيته محتبيًا في الهواء، ولا يراه الناس إلا ـ. وقد كنا ليلة نسير بمجفّ تريم، فإذا عمود من نور نزل من السماء، وأنا انظر، فسقط على سيدي عبد الله ـ من معه.

وكان الإمام عبد الله كثير الخروج إلى الأودية والشعاب المحيطة بتريم، ويقول: أود أن أنفرد لله، لأجل لذة الأنس به.

وكانت العناية الربانية الكاملة التي أحاطته وأعدته لنيل أعلى المراتب ظاهرة لبصائر العارفين، فكانوا دائمي ـعيـ والتقديم له، والثناء عليه.

وروى مترجمُهُ السيد محمد بن زين بن سميط، أنه سمع أحد العارفين المحققين يقول: إنه، نفع الله به، نشأ على ـ الأصلية، والكمال في بشريته، وطبيعته، وخصوصيته، واستقام على ذلك، ولم يعرض له ما يناقض ذلك، بفضل ـ رحمته وجوده وعطفه، وإعانته وتوفيقه، وتأييده وتسديده، وهدايته وعنايته.

قال الإمام: أول زيارة زرناها إلى عينات زرنا الشيخ أبا بكر بن سالم قبل زيارة النبي هود والشيخ سعيد وسِنِّي إذ ذاك نحو خمس عشرة سنة، عام ١٠٥٩ هجرية، وبعد ذلك بسنتين، أي في سنة ١٠٦١ هجرية دخلنا الهُجَيرة في رمضان. وقال (رضي الله عنه): كنا نزور الشيخ أبا بكر بن سالم، وكانت أول زيارة لنا عند موت السيد الفاضل عمر بن الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم.

وكان يحب العزلة، حتى إنه كان بعد صلاة الجمعة في المسجد الجامع يهرع إلى الخروج من المسجد، يتوجه إلى مسجد الهجيرة، ويغلق عليه باب الخلوة، وربما أتاه من يدق الباب فلم يجبه.

وفي نفس هذه السنة، تزوج أولى زوجاته، فكانت إقامته في زاوية المسجد، وكان يزور زوجته في منزل أهلها.

قال الإمام: وأول ما تأهلنا على امرأة عربية عند الهجيرة خفية، وما علم الوالد إلا بعد، في آخر السنة، وكان ذلك في أولها، وهي سنة ١٠٦١ هجرية، وكان مرادهم البركة.



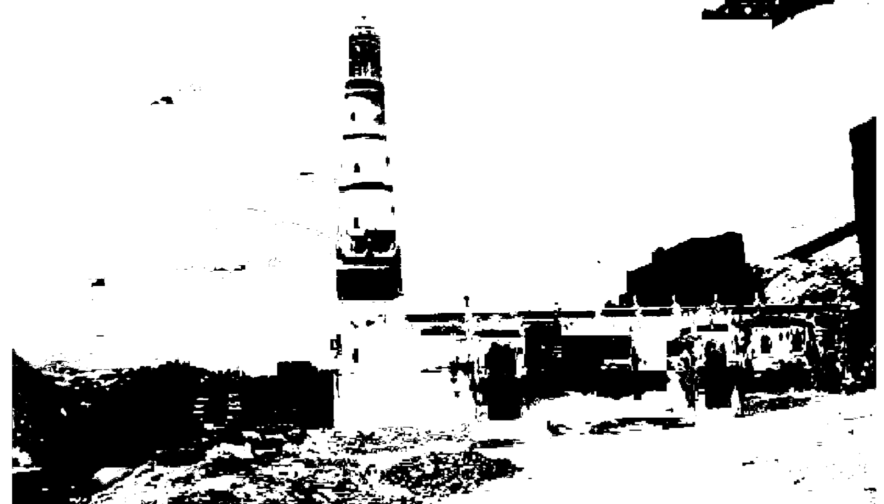
مسجد ابن عطاء الله بسفح المقطم بالقاهرة



عينات: قبة الشيخ أبي بكر بن سالم وقباب ذريته

وبعد لزومه مسجد الهجيرة بفترة
ـيرة بدأ الناس يتوافدون عليه
ـحبون القراءة عليه.

يقول الإمام: ما كان لنا رغبة في
ـدريس إلا أن رجلاً من آل بافضل
ـ: أريد أن أتبارك عليكم ما تيسر
رياض الصالحين»، ثم جاء السيد
ـن الجفري وقال: أريد أن أقرأ
ـ تيسر في «العوارف»[1]، فتراسلت
ـرءة، فلما رأينا الناس متراسلين
ـ قراءة رتّبْنا أوقاتها.



مسجد الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات

هكذا نشأ الإمام شغوفًا بالعلم والعلماء، مولعًا
ـلام أهل التحقيق، دائب المجاهدة، حتى اجتمع له
ـعلوم والمعارف ما لم يجتمع لغيره من أهل زمانه.

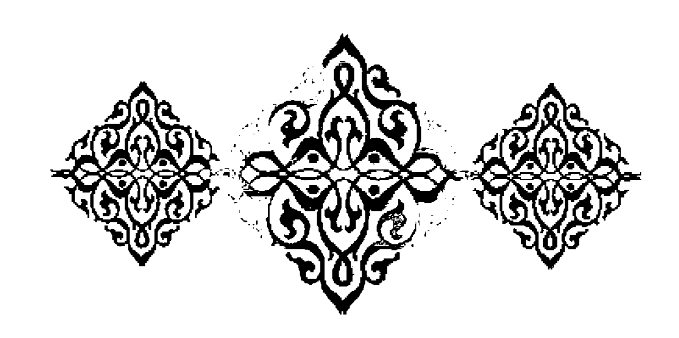
ـ عاد الفقيه باجبير من الهند بعد عدة سنوات،
ـ لإمام قد تمكن من العلوم، وصار بحرًا لا ساحل
ـما كان هذا الفقيه رجلاً صالحًا، لم يستنكف أن
ـ من تلميذه القديم مجلس المتعلم، فطلب أن
ـ عميه «حزب البر»، ثم صار يقرأ عليه في «الإحياء».

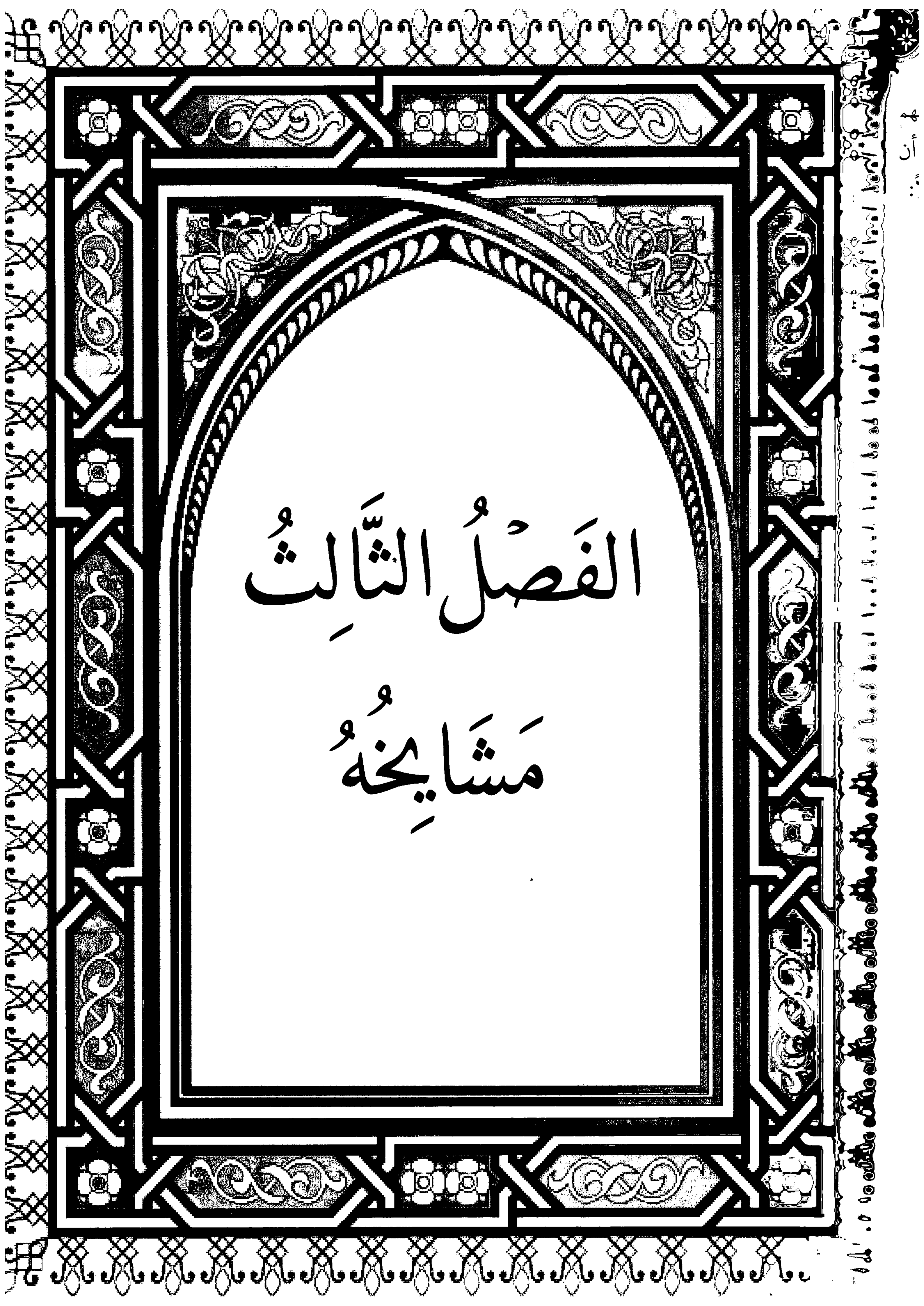
قبر الشيخ أبي بكر بن سالم وحوله قبور أولاده

ـب «عوارف المعارف» للشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي، وهو عالم صوفي، فقيه شافعي، قرشي تيمي، بكري النسب. عاش ببغداد وتوفي بها سنة ٦٣٢ هجرية.
ـبه «عوارف المعارف» من أشهر الكتب المعتمدة في آداب الصوفية.

ولم يكن هذا حال الفقيه باجبير وحده، فللإمام عدة مشايخ أخذ عنهم، ثم صاروا من تلاميذه، منهم الشيخ الفقيه عبد الله بن أبي بكر الخطيب، وكان الإمام أخذ عنه في الفقه، ثم صار يقول: «أنا أشهد أن سيدي عبد الله الحداد في مقام الجنيد سيد الطائفة»؛ وإلى مثل ذلك أشار الإمام في إحدى قصائده قائلاً:

أيـــن أربـــاب المـثـانـي ... والـعـلـوم الـلَّدُنـيـةْ
أيـــن أصـحـاب المـعـاني ... والـنـفـوس الـعُـلـويـةْ
أنـــا أدعـــو مـــن دعاني ... هــكـذا حـكـم الـقـضـيـةْ
في خـصـوصٍ لا عـمـومٍ ... عَـلَّـةً مـن بـعـد نَـهْـلَـةْ[1]





الفَصْلُ الثَّالِثُ

مَشَايِخُهُ

قـ الإمام الحداد (رضي الله عنه): إن اليد في هذا الشأن لنا من أربعة من أهل البرزخ: من الفقيه المقدم، والشيخ ـ ـرحمن السقاف، والشيخ عمر المحضار، والشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس. وأما الآن، فاليد لنا ـ ـنبي (ﷺ) بلا واسطة.

ـؤلاء مشايخ الإمام الحداد من أهل البرزخ، ذكرهم بالترتيب الزمني، وكلهم من آل باعلوي، وكان جل ـ ـده عليهم، فإن الذين ذكرهم من غير أهل البرزخ كالإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس، والسيد محمد ـ علوي السقاف لم يكونوا له شيوخ تحكيم، ولكنهم أفاضوا عليه من أنوارهم وبركاتهم، وكان له منهم ـ ـسانيد.

ـكان يقول: إنا لا نفعل شيئًا إلا بإشارة من الحق تعالى، أو من النبي (ﷺ)، أو من سيدنا الفقيه المقدم ـ بن علي باعلوي.

ـثم سُمع يقول: إن أذن لنا النبي (ﷺ) فعلنا كذا وكذا.

ـقال: إني لم أظهر للناس هذا الظهور، ولم أقم في مقامي هذا، حتى جاءني الشيخ العيدروس، عبد الله بن ـ ـكر، وأمرني بذلك، فقلت: وفوق كل ذي علم عليم! فجاءني النبي (ﷺ) وأمرني بذلك، فامتثلت أمره، ـ ـت في هذا المقام، وما أشتهي إلا السياحة في القفار.

ـقال: إن الشيخ عبد الله العيدروس أشار لنا أن نجعل ختم مسجدنا، مسجد الأوابين الكائن بنويدرة ـ ـية ثلاث وعشرين من رمضان.

ـقال: رأيت ذات يوم كأني جئت إلى مسجد آل أبي علوي، وكأني بالشيخ عبد الله العيدروس وأخيه ـ ـخ علي جالسين بين الأسطوانتين اللتين هما عن يسار المحراب، من عمارة الشيخ عمر المحضار، فصرت ـ ـهما، فبقي كل منهما يريد صاحبه يحكّمني، حتى أقبل علي العيدروس، ثم ألقى إليّ شيئًا في فمي غبت به ـ حسي، ثم إني بعد ذلك لم أتوجه إلى شيء إلا ونلته.

ـقد رأى السيد عمر بن حسن بن الشيخ علي باعلوي كأن عينين جاريتين من قبر الشيخ عبد الله، ـ ـن هاتان العينان؟ فقيل: للسيد عبد الله الحداد من السيد عبد الله العيدروس.

ـروى السيد العارف علي بن عبد الله العيدروس أن الإمام زار التربة مرة وحده، فلما جاء إلى ضريح ـ ـروس، رآه جالسًا خارج القبر وداخل التابوت، فصافحه وأعطاه وديعة. قال الإمام (رضي الله عنه): بايعت ـ ـعيدروس، أخرج لي يده من التابوت.

ـجاء في «تذكير الناس» من كلام الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس أنه قرئ عليه في تثبيت الفؤاد ـ ـخ عبد الله العيدروس أعطى الحبيب عبد الله الحداد وديعة، وذلك بعد أن صافحه في واقعة، فقال

الشجار: لعل الوديعة مقام القطبية والدعوة إلى الله وتجديد الدين، فقال الحبيب أحمد: كلا، ولكنها الإمـ
الخاصة بأهل البيت التي لا تكون إلا فيهم، ولا تصح لغيرهم. والظاهر أنها بعد الحبيب عبد الله مخبية
يحملها أحد.



مسجد الشيخ عبد الله العيدروس (رضي الله عنه)

وقد أخبر الإمام الحداد غير مرة أن الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه) من خواص مشايخه في البرزخ، وتربطه به صلة خاصة. فقال (رضي الله عنه): أخذنا عن الشيخ عبد القادر بواسطة وبغير واسطة، ولنا به اتصال من حيث رحم أهل البيت وغير ذلك. وقال: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني البارحة أتى إلى مكاننا هذا، وصلى ركعتين في هذا المكان. وأشار إلى مكان في مجلسه الذي في بيته بالحاوي.

ولما غاب عنه الشيخ عبد القادر مدة، أنشأ القصيدة التي مطلعها:

ياهاجري كم ذا تكون مهاجري ... أوما علمت بأن هجرك ضائري

إلى أن قال:

يا شيخ محيي الدين يا أستاذنا ... وملاذنا أدرك بغوث حاضر

إن الكروب وكل خطب هائل ... قد يممت سوح الفقير القاصر

إلى آخر الأبيات...

قال عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل: وسمعته يقول لبعض السادة: رأيت في المنام كأن الشيـ
عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه) أتاني بكتاب من عند ربي (عز وجل)، وكان شديد الفتح أي: يصعب على الشيـ
فتحه، فاستأذنني الشيخ عبد القادر في أن يقرأه علي، ففرحت بذلك، فقرأ عليّ فيه أحوالي، وقال لي: أمر
ربي بذلك يا سيد عبد الله، شمّر غاية التشمير، إنك سوف تنال مقاميَ عن قريب! ثم قال سيدي: أرجو
أن يصدق الله كلام الشيخ عبد القادر، وهو غاية المطلوب.


مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد

وكان ذلك أوان بدايته. ولقد نال من الكمال أعلى
... ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

وقد قال مرة: إن الله تعالى، وله الحمد، قد أعطاني
... أعطاه الشيخ عبد القادر الجيلاني.

ويروي عن بعض الصالحين قال: رأى بعض الناس
رجلاً من الموتى، قد مات قبل سيدي بثماني سنين،
يقول ذلك الرجل: إن مقام سيدي عبد الله الحداد
... سيدي عبد القادر الجيلاني؛ لأنه كف بصره
... صغير، لذلك أعطي المقام الكبير.

وقال رجل آخر: خرجت لزيارة سيدي عبد الله،
... أنه عن كلام بلغني عنه، وهو أنه يقول: إني
... حال الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو مقامه.
... وصلت إليه، لم أتجاسر أن أسأله عن ذلك، فأتممت
... نحو ثمانية أشهر، وأنا أهمّ أن أسأله بكرة وعشيًّا،
... أقدر من هيبته وجلالته، ثم إني تجاسرت يومًا وسألته،
... وما حاجتك إلى هذا؟ هلا سألت شيئًا غير هذا؟ أطلب منا أن تُسخّر لك الأسود (أو قال: السباع)
... في البرية، ولا تسأل عن هذا! ولم يخبرني عما سألت.

... عن مشائخ البرزخ. أما الأحياء، فقد قال الإمام في إحدى مكاتباته: الذين أخذنا عنهم نحو مائة
... سبعين.

... قال: ولكنا نذكر شيئًا يسيرًا على سبيل الإجمال: فاعلم أنّا أخذنا العلم الظاهر عن جماعة من أهله،
... اشتغلنا اشتغالاً معتبرًا في أوقات صالحة لذلك، ثم أخذنا علوم الطريقة عن جماعة من أهلها، من ظاهر
... . وكانوا من البقايا في ذلك الزمان، وقد صاروا إلى الله والدار الآخرة.

... أجلهم – أعني أهل الطريق – : السيد الصوفي الملامتي عقيل بن عبد الرحمن بن عقيل السقاف.
... عميه، وأخذنا عنه، ولبسنا منه الخرقة، وذكر لي عند الإلباس أنه لم يلبس أحدًا غيري.

---

[1] ... الحديد: ٢١.

ولقينا السيد القدوة أبا بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين، والسيد الصوفي عبد الرحمن بن شيخ عيديد، وو... السيد المجذوب شيخ بن عبد الرحمن، والسيد المجذوب العارف بالله عمر بن أحمد الهادي بن شهاب الدين، والسيد المجذوب الملامتي سهل بن محمد باحسن الحديلي باعلوي، والسيد الفاضل المحقق الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس صاحب حريضة. اجتمعنا به مرارًا، أخذنا عنه أخذًا تامًا طريقة الذكر، والمصافحة، وإلباس الخرقة الشريفة.

وأخذنا عن السيد المشهور، العارف المذكور، محمد بن علوي باعلوي، نزيل مكة المشرفة، وذلك بالمكاتبة والمراسلة ولم نجتمع به ظاهرًا، وقد لبسنا منه بالمكاتبة أيضًا. رحم الله الجميع، ونفعنا بهم، وأعاد علينا من بركاتهم وأسرارهم وعلى كافة المسلمين.

وقال الإمام: لبسنا الخرقة من السيد عقيل بن عبد الرحمن بن عقيل السقاف، فإنه صاحب قدم في الطريقة. وحصلت لنا كرامتان، واحدة: أني كنت جالسًا عنده، وفي عزمي أن أطلب منه اللباس، وأنا لابس كوفية، فأخذها مني ولبسها، ثم ألبسني إياها، وقال: ألبسناكم ولم نلبس أحدًا غيركم. وكنت إذا جئت أيام البداية إلى بيت السيد عقيل، يخرج إليّ وهو ينشد هذا البيت للفقيه الذائق عمر بامخرمة[1]:

ومن رعته العناية في المجي ... والذهاب فلا يبالي...

وقال الإمام: جئت إلى عند السيد الجليل أبي بكر بن السيد عبد الرحمن بن شهاب الدين، وهو مريض أعوده، فصنع لنا قهوة بنية، فلما أديرت أبى أن يشرب قبلنا، وقال: قال (ﷺ): «**سؤر المؤمن شفاء**» فحفظت هذا الحديث منه، وما كنت سمعته قبل ذلك. وقال (رضي الله عنه): بيننا وبين السيد أبي بكر بن سالم، والسيد الشيخ عبد الله ابن شيخ العيدروس، والسيد الشيخ عبد الله بن أحمد العيدروس في الأخذ واحد، وهو السيد الجليل عبد الرحمن بن شيخ عيديد، أخذنا عنه، وهو أخذ عن الثلاثة المذكورين: أخذ عن الشيخ أبي بكر، وهو ابن سبع سنين، وقرأ على السيد عبد الله بن شيخ.

ولما قرأ على أحد أشياخه هؤلاء في كتاب «تاج العروس» للشيخ ابن عطاء الشاذلي، قال لشيخه مستفهمًا: ما معنى تاج العروس؟ فأجابه: أنت تاج العروس.

وكان السيد عبد الرحمن يأخذه من بين من معه من الصغار، بعد خروجهم من درس القرآن، ويجلسه عنده دونهم، ويطلّعه على سريره، ويقول له: مرحبًا بشيخ الجماعة - أو سيد الجماعة.

وكتب الإمام: طلب مني الأخ في الله، السيد الصوفي عبد الله بن أحمد بروم باعلوي الحسيني، أن أكتب له سلسلة إلباسنا، وسند نسبتنا في الخرقة الشريفة العلوية النبوية الإلهية.

---

(١) عمر بن عبد الله بن علي با مخرمة الشيباني الحميري، من كبار الفقهاء، وأهل الأحوال من الصوفية. ولد بالهجرين في رمضان سنة ٨٨٤هـ، وارتحل في سن البلوغ إلى أبيه قاضي عدن. أخذ عن الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس، والشيخ محمد بن علي باجرفيل الدوعني، وآخرين. تصوف على يد الشيخ عبد الرحمن بن عمر باهرمز. له مؤلفات وديوان شعر. توفي بسيؤن سنة ٩٥٢هـ.

وكنت قد ألبسته بطلب منه متقدم، فقد جددت له الإلباس الآن ثانيًا، وأجبته إلى ما طلب مني من ذكر السلسلة، وسند الخرقة لمعرفتي بصدق رغبته، وحسن نيته.

فأقول: ولله الحمد من قبل ومن بعد، وبه الاستعانة: اعلم أسعدك الله، وأهّلك لكمال معرفته وحبه، وقربه، وجعلك من المختصين برحمته وفضله، ونظمك في خالص ديوان خاصته وأهله، بأني قد لبست الخرقة الشريفة من يد جماعة من السادة العارفين، المشهورين والمستورين، وأكثر أسانيدهم ومعظمها يرجع إلى سيدي قطب الأقطاب العيدروس: عبد الله بن أبي بكر، ولنا معه بحمد الله يد باطنة، في واقعة عظمة، ووقائع متعددة، ولنا يد أيضًا من الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني، صلة باطنة، وصلة ظاهرة، ومن غيرهما، نفع الله بهما.

ونذكر الآن من جملة طرائقنا وأسانيدنا في الخرقة، من حيث الإمام محمد بن علوي باعلوي، نزيل مكة المشرفة، وهو الذي أجازني فيها إجازة مطلقة، بإذن من رسول الله (ﷺ)، ولم أجتمع به ظاهرًا، وإنما هي الأوراق والرسائل فيما بيني وبينه، نفع الله به.

قال السيد أحمد بن زين الحبشي: ألبسني سيدي وشيخي عبد الله، وقال: ألبسني السيد محمد بن علوي خرقه مراسلة، أرسل بها إليّ من مكة المشرفة، وأذن لي في إلباسها إذنًا مطلقًا، وهي القُبع المشهور عند آل أبي علوي[1]، وذكر لي في كتابه: إنا خشينا اندراس السند للخرقة الشريفة.

السيد محمد بن علوي السقاف (رضي الله عنه):

السيد الإمام الكبير، محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف.

ولد (رضي الله عنه) ببندر الشحر سنة ١٠٠٢هـ وبه نشأ، وصحب به أولاً السيد العارف بالله ناصر بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتربّى به، وأخذ عن السيد الجليل عمر باعمر، ثم رحل إلى تريم، فأخذ بها عن جماعة من العلماء العارفين، ومنهم السيد عقيل بن عبد الرحمن بن عقيل السقاف، الذي أمره بالخلوة في زاوية مسجد الشيخ علي بن أبي بكر أربعين يومًا، ففعل وفُتح عليه. ثم رحل إلى عينات، فأخذ بها عن السيد الإمام الحسين بن أبي بكر بن سالم وإخوانه، وعن شيخ العيدروس، ومحمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس، وحكمه.

---

(1) قال في تاج الأعراس القبع: بضم القاف والباء هو قلنسوة مستطيلة إلى أعلى، هيئة الشكل الصنوبري معكوسًا، يجُعل داخلها شيئًا من لباس الشيخ الذي قد باشر جسده، المعبر عنه بخرقة الصوفية، كالكوفية وغيرها، ثم تُحشى تلك القلنسوة بشيء من القطن، ويجعلون الطبقة الظاهرة من القماش الأطلس أخضر اللون، وقد تُجعل في تلك القلنسوة عدة خرق لجملة من أشياخ ذلك الشيخ، حرصًا على سند الإلباس. (تاج الأعراس على مناقب الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس»، تأليف الحبيب علي بن حسين العطاس، مخطوط، الجزء الأول ص ٣٠٤).

وأمـره أحد أشـياخه بالرحلة إلى السـيد الولي عبـد الله بن علي صاحب الوهط، فلازم صحبته، وألبـ الخرقة الصوفية، وأمره بالحج سـنة ١٠١٩هـ فحجّ حجة الإسـلام، وزار جده (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ـ عاد إليه، فزوجه ابنته أم هانئ.

قال الإمام الحداد (رضي الله عنه): يقال: إن السـيد محمد بن علوي، لما جاء طالبًا إلى السـيد عبد الله بـن علي صاحب الوهـط، قال له السـيد عبد الله: متى ولدت؟ قال: سنة ١٠٠٢هـ قال: لو عادك أدركـت مـن القـرن العـاشر لحظـة، لحصـل لك مطلوبـك وأنـت قائم في لحظـة! لكنه تركه عنده مـدة طويلة، يـروح عليـه إذا نام، ويمـلأ الحوض، وفي ثيـاب خلقـة، ونحـو ذلـك، حتى حصلت له الرياضة، ثم بعد ذلك كان من أمره ما كان.

مكة المكرمة منذ أكثر من مائة سنة

وانتقل شيخه السيد عبد الله بن علي سنة ١٠٣٩هـ، ثم حجّ السيد محمد بن علوي، وزار طيبة (على مشر أفضل الصلاة والسلام)، ورجع إلى الوهط، ثم إلى الشحر، ثم إلى الحجاز، ثم توطن الحرمين الشريفين، وتو بمكـة المشرفـة بعد صلاة الجمعة، لأربعة عشر يومًا خلت من شـهر ربيع الثاني سـنة ١٠٧١هـ، ودفن بمقبر المعلاة، بقرب مشـهد أم المؤمنين خديجة، زوج النبي (صلى الله عليه وعلى آله أجمعين). وكان عارفًا بالله، تمضي عليه سـاعة إلا وهو مشـتغل بطاعة الله، ولا تذكر الدنيا في حضرته، وكان له في الكرم والزهد الق الكبير العالي، وكان من الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله تعالى.

وكان مجـاب الدعوة، يكاشـف بالخواطر، وكان لا يترك الجمعة والجماعة، أخـذ عنه الطريقة ولبس الخرقـة خلائـق يتعسر أو يتعذر إحصاؤهم. منهم السـيد الجليـل الإمام العلامة محمد بن أبي بكر شـ باعلـوي، صاحـب كتاب «المشرع الروي في مناقب السـادة آل باعلوي»، كما ذكـره في كتابه المذكور، وذ أخذه عنه. قال في ترجمته لمناقب الإمام الحداد: حكى غير واحد أنه أرسل له بالخرقة في السنة التي مات فيـ قيل: ووصلت يوم انتقال السيد محمد بن علوي. قال بعضهم: أشار بذلك إلى أنه خليفته.

وقـال الحبيـب أحمد بن زين: وقال لي شـيخنا الناظم نفع الله به: وقعت لي مسـائل أظنه قال: ثلاث فـ يجبني عليها أحد بتريم، فرأيت الشـيخ حسـن باشـعيب، يعني تلميذ الشـيخ أبي بكـر بن سالم، في مسجـ آل باعلـوي، خارجًـا من مقالده، فوقفته لأسـأله عنها، وهو كالمتضجر، فأجابني عـن الأولى والثانية، ثم قـ.

ثالثة: إنما يجيبك فيها السقاف. فوقع في خاطري أن المراد بالسقاف السيد محمد بن علوي السقاف كور، فكتبت بها إليه، فأجابني فيها. (انتهى)

في تثبيت الفؤاد: إن من مسائله الباطنة ثلاث، وإنه سأل عنها كثيرًا من أهل الباطن، وكانوا كثيرًا فريـن في قرى حضرموت، فلم يشفوا له غليلاً، حتى رأى الحكم باقشير[1]، فسأله عنها، فأجابه عن جوابًا شافيًا. وقال: أما الثالثة فلا يجيبك عنها إلا السقاف، فخطر بباله، إذ ذاك، أن المراد من هو أهل المريدين في هذا الوقت من آل السقاف، فسأل عمن هو كذلك اليوم من آل السقاف، فذكر له السيد بن علوي فكتب إليه يسأله عن المسألة، ويطلب منه الإلباس، فكتب إلى سيدنا يعتذر ويقول: لا ني ذلك حتى يأمرني النبي (ﷺ)، ثم بعدما أرسل الاعتذار بأيام حصلت له الهمة على الزيارة، فسار إلى فلما وقف في المواجهة تلقاء النبي (ﷺ) غشيه حال عظيم، وغيبة، وجعل العرق يصب من جسده، ثيابه كلها، وما بقي عليه إلا سروال، حتى رأسه مكشوف، ثم سُري عنه فلبس ثيابه، ثم قال للسيد بن هاشم الحبشي، وكان حاضرًا ذلك: هات كتابًا وقرطاسًا تكتب للسيد عبد الله كتابًا غير ذلك.

كر في هذا الكتاب: إنك كتبت تطلب إلباس الخرقة، وإنا اعتذرنا عن ذلك، إلى أن يأذن لنا النبي (ﷺ) نبي (ﷺ) قد أمرنا بذلك، وها هي واصلة إليك. وأرسلها، وأظنه قال: معها جواب المسألة. فاتفق وصولها يوم وفاة السيد محمد المذكور، وفيه إشارة إلى أنه خليفته، كما قال سيدنا في مرثاته للسيد محمد:

بقيــة قــوم قــد مضــوا وخلفتهم ... وهم خلفوني في الحمى عندما ساروا

الكلام، حفظت بعضه عن سيدنا نفع الله به، وبعضه عن السيد أحمد بن هاشم بنفسه.

كراماته بعد وفاته: أن السيد أحمد بن عمر الهندوان التقى به يقظة بالمدينة المنورة. قال السيد أحمد: معت بالسيد محمد بن علوي بعد موته في بعض أزقة المدينة، فأشار عليّ بمسير الهند.

عمر بن عبد الرحمن العطاس (رضي الله عنه):

شيوخ الطريقة المحققين، أهل الإيمان الكامل واليقين، يرجع نسبه إلى الشيخ عبد الرحمن السقاف.

طريقة والخرقة عن السيد الإمام الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتلقين الذكر عن السيد كوة السمرقندي، الذي ترجع سلسلته إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه)[2].

كفيفًا، وله كرامات كثيرة يحفظها أصحابه.

في الأصل وهو خطأ؛ لأن الحكم باقشير من رجال القرن التاسع، وإنما المقصود: حسن باشعيب.

عمر بن عيسى باركوة الحسني المغربي المقبور بغرفة باعباد، له أربعمائة طريق إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، دار على مشايخ المغرب حتى قال له بن شيخه في المشرق، فسار حتى وصل إلى الشيخ أبي بكر بن سالم. وكان يجهر بالذكر إذا مشى، فمن ذكر الله معه فهو رفيقه يأخذ عنه ويلقنه، كت عنه تركه. أخذ عنه الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس والشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن ذكر التوحيد الذي يؤتى به بعد الصلوات.



قبة الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس بحريضة

وكان الإمام الحداد يصفه فيقول: وأما السيد عمر بن عبد الرحمن، فكان قلب وحق، لا نفس ولا هو، يكاد يندرج ليل بشريته في نهار خصوصيته. وصبره على العامة، ومخالطته لهم مع السلامة منهم، وعدم شهود النفس، والفناء عن رؤيتها، ورؤية ما عليها دون ما لها، أدل دليل على الكمال.

وكان يقول: إن السيد العارف بالله عمر بن عبد الرحمن العطاس كان آية في التواضع وطرح النفس، و طلبت من الله تعالى تواضعه فأعطانيه، وكل ما جاء في تنزله مع الناس، واحتماله منهم، وإحسانه إليهم، الرفق واللطف، وخفض الجناح، ولين الجانب لهم، ومداراة أهل الجفاء منهم، ورؤية ما عليه من الحقوق دون ما له، أدل دليل على التواضع.

كانت ولادته (رضي الله عنه) باللِّسْك، وهي بلدة قرب عينات، وانتقل إلى حُرَيْضَة بعد بلوغه، وانتقل إليها و بعد ممانعة، بإشارة من الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم، وتوفي والده بعد وصوله إليها بثمانية أيام.

كف بصره وهو صغير، فجاءت أمه إلى بعض الصالحين فقال لها: لا تخافي عليه، فإنه سيكون له شـ عظيم، ومظهر كبير، وسوف تكثر ذريته ويركبون الخيل مثل آل فلان.

وكان السيد عمر يأتي إلى تريم ليلاً من اللسك فيصلي في كل مسجد ركعتين.

وقد بلغ السيد عمر أعلى مراتب الولاية، وجاب البلاد طولاً وعرضًا في الدعوة إلى الله تعالى، ولكنه كان يستر حاله، فلا يطلع عليه إلا من كتب له الله الجد والاجتهاد، وسلوك طريق تزكية النفس.

قال الفقيه الشيخ عبد الله بن عمر باعُباد: كنت أتردد إلى سيدي الشيخ الحبيب عمر العطاس مع سيدي الشيخ علي بن عبد الله باراس، فأول ما شاهدته، ورأيت طلعته المباركة، غبت عن إحساسي، ورأيته ...رة البيضاء، ووجهه يتلألأ نورًا، وله (رضي الله عنه) في جنبه الأيسر شيء، مثل فص الخاتم. قال: وآليت على نفسي ألا أفارقه ما دمت حيًا. وأخذنا أيامًا مقيمين عنده، ثم إنه أذن لنا في السفر إلى الوطن، وقال لي يا ولدي، المكان والمشرب والطريق واحد، من فرق بيني وبين الشيخ علي لا يفلح. فيم تقرأ من الكتب؟ فقلت في كتاب «الإرشاد» للشيخ اسماعيل المقري، فقال للشيخ علي: أقره في كتاب «المنهاج» للإمام النووي، ...قر جميع أصحابك فيه فإنه مبارك، والفتح - إن شاء الله - حاصل في قراءته؛ لأنه قمين بذلك، وكيف لا؟ مصنفه قطب، وقد دعا لقاريه؟ فمن تلك الساعة أقرأني الشيخ عليّ فيه، وحصل لي الفتح ببركة إشارته.

وكان السيد عمر كثيرًا ما يقول: قدمي هذا على قدم الشيخ عبد القادر الجيلاني.

قال حفيده الحبيب أحمد بن الحسين بن عمر: كنت أسمع أن بعض أولاد الشيخ المعلم أحمد بن عبد ...طيف باجابر كان يقرأ عليه في مناقب الشيخ عبد القادر، فهاله ما فيها وبهر عقله، فقال: يا سيدي، هل ...اليوم يمكن أن يكون في مقام هذا الإمام؟ فقال: أنا مثله ومثله. وكرر هذه الكلمة نحو عشرين مرة، ...ذلك مع ورود حال عليه، وإلا فهو (رضي الله عنه) لا يكاد يُظهر شيئًا من أحواله.

ثم قال: فاتفق أن سرت إلى دوعن، واجتمعت بالشيخ العارف بالله تعالى علي بن عبد الله باراس، وذكرت ...ك، فقال: يا أحمد، هذا وقع من سيدنا عمر مع ورود حال عليه. اسمع كلامًا وقع منه في حال صحو: ...ت أني أتيت في بعض الأوقات من وادي عمد ومعي بعض المتعلقين به والمحبين له، وكان وصولنا قبل ...المغرب، فلم نبلغ طرف البلد إلا وهو قائم على سطح داره منتظر لنا، ثم نادى: بادروا للصلاة، فأسرعنا ...وصلينا معه المغرب والعشاء، ثم جلسنا معه، فأُتي بشيء من القشر والسكر، وقال للرجل الذي جاء ...: طبخ هذا، كلما فرغت من قهوة أُطبخ أخرى، وقايس كل قهوة نحو عثت (وهو مكيال يستعمله أهل ...ة، وهم يحبون القهوة المصنوعة من القشر لا البن)، وأنضِج الطبخ. ثم شرع يذاكر في مناقب الشيخ ...عبد القادر الجيلاني (نفع الله بهما) حتى مضى معظم الليل، وكاد يطلع الفجر، وأنا أكبس بدنه، حتى ...ت إلى قدمه الشريفة، فقال: يا علي، ما بقي اليوم على هذاك القدم إلا هذا القدم الذي بيدك.

...قال السيد عمر يومًا: إن السيد عبد الله من أهل القرن السادس، وإنما أخّره الله رحمة لأهل هذا الزمان.

...أُخبر الإمام بهذا الكلام، قال: لست من أهل القرن السادس، ولكني من أهل القرن الثاني، ولولا ...لقلت من أهل القرن الأول.

وأوصى السيد عمر أولاده باتباع الإمام الحداد، والانقياد له، والأخذ عنه، والأخذ بمشورته فيما أشار به

قال السيد الحسين بن عمر: إني لم أزر تريم إلا بعد وفاة والدي، فقصدت سيدي عبد الله، وطلبت منه اللباس، فألبسني وشرط علي أن ألبسه. وقال: كما شرط علينا والدك أن نلبسه، وفعلت. وأشار علي بـ أزور أحدًا من أهل تريم الأحياء، إلا أن يكون قد زار والدي، فامتثلت.

وبشر السيد الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم السيد عمر العطاس بولده الحسين، فقال: سيأتيك و بعدي اسمه باسمي - زاد بعضهم: وحاله كحالي - وعلامته أنه لا يموت إلا وقد تحته من الولد مثلي. فكـ كما قال (رضي الله عنهم).

وكان الإمام الحداد يثني على السيد الحسين كثيرًا، ويشير إليه، ويأمر بزيارته.

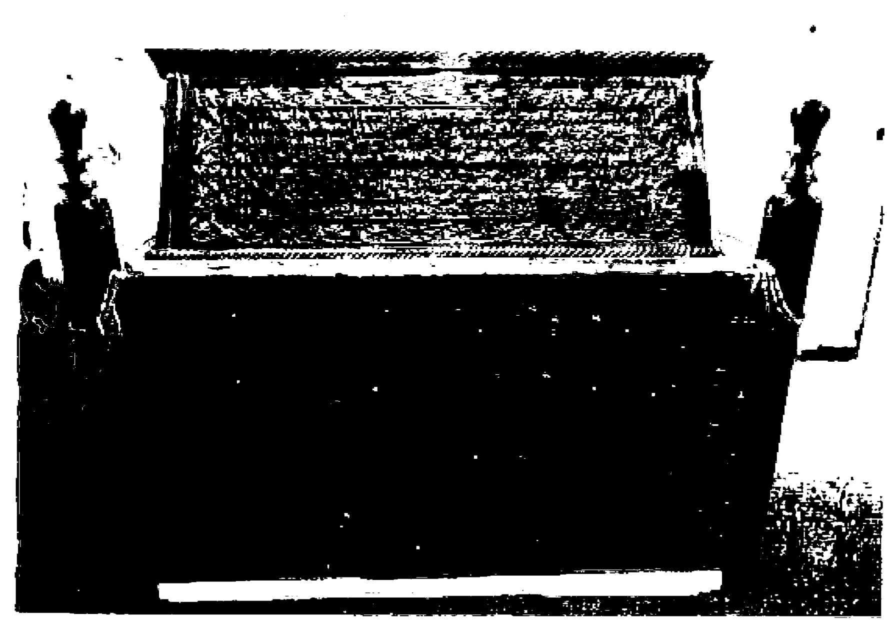
قال بعض السادة: شكوت إلى سيدنا عبد الله الحداد قلة ترددي عليه إلى تريم، فقال لي: يكفيك السيـ حسين بن عمر، لو لم يكن لك منه إلا النظر أو أن تصلي وراءه لكفاك ذلك.

وقد سُمع الإمام الحداد (رضي الله عنه) يومًا يقول: ما تقولون لو أن سيلاً عظيمًا هائلاً يجري وأراد بعض النا أن يسد جريه بغرفات من طين، أيستطيع ذلك؟ ثم قال: هذا مثال من يدعو الخلق إلى الله في هذا الزمـ فبلغ ذلك السيد حسين - ولد السيد عمر العطاس - فقال: الله أكبر! بلغ السيد عبد الله مقام والدي! كنـ عنده يومًا، فقيل له: إن السيد عبد الله الحداد يقول: عجبت للسيد عمر العطاس مع انقياد أهل الجـ له، فكيف لا يجمعهم على الطاعة، لسهولة ذلك عليه؟ فضحك والدي وقال: دعوا السيد الحداد وما يريـ سوف يصل إلى مقامي هذا.

وعاش الإمام الحداد بعد ذلك ستين سنة.

أما الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس فقد عاش ما يقرب من الثمانين عامًا.

روى الشيخ عبد الله باسودان في «فيض الأسرار»، عن السيد الإمام العارف بالله عيسى بن محمد الحبشي: أنه قصد السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس للزيارة، هو وبعض محبيه، قرب وفاته، فجاء إلى حريضة، فقيل له: إنه ببلدة كذا،



ضريح الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس وآخرين من آل العطاس

تتبعه من بلدة إلى بلدة، حتى وجده بأحد البيوت، فاستأذن عليه، فقال له صاحب البيت: يقول لكم حبيب انتظروا حتى يأتيكم النبأ. ثم جاء السيد أحمد بن هاشم الحبشي، فاستأذن، فقيل له: اجلس مع جماعة، والإذن يأتيكم. ثم وصل الإمام عبد الله الحداد ومعه جماعة من التلامذة فاستؤذن له، فقيل: يجلس عندكم حتى يأتيك الخبر.

وبعد قليل، خرج السيد عمر، فجلس وتحدث مع الجماعة، بغير قهوة ولا فراش (أي بدون الضيافة المعتادة في مثل هذه المواقف)، ثم قال: الفاتحة، وهذا آخر اتفاق (أي اجتماع) بيننا وبينكم في الدنيا، وميعادكم - إن شاء الله - مستقر رحمة الله. أنت يا عبد الله الحداد، سر ولا تمسي إلا بهيتن (إحدى ... ان بوادي دوعن)، وأعطاه شيئًا من اللباس. وأنت يا أحمد بن هاشم، سر ولا تمسي إلا بالهجرين، وأعطاه شيئًا من اللباس. وأنت يا عيسى، نعزم نحن وأنت الليلة إلى حريضة الآن.

وقُربت للسيد عمر دابته فركبها، وركب السيد عيسى دابته، وساروا، ولم يكلمهم السيد عمر بكلمة ... رحمة حتى وصلوا إلى بلدة تلقاهم فيها بعض أعيانها، وأقاموا تلك الليلة مولدًا للنبي (ﷺ) ثم ساروا، فلما ... وا خنفر بلد السيد عيسى، قال: اطلعوا بلدكم، والميعاد اليوم الفلاني، انتظرونا في محل كذا. قال ... سيد عيسى: انتظرناه في ذلك اليوم وذلك المحل، فأقبل راكبًا، متأثرًا، واثنان يمسكانه بشقيه، فصافحناه، ... معه ما شاء الله، فالتفت إلينا وقال: يا عيسى، ارجع إلى بلدك، وائتِ ليلة الخميس إلى نفحون. فجئت ... الليلة، فوجدت أولاده وأصحابه والمنتسبين إليه قد اجتمعوا لديه من كل مكان، وكان يسأل عن بعض ...، هل جاء من حريضة؟ وكان قد أوصى أنه يغسله، فوصل نصف الليل، ففرح به، ولم يلبث بعد وصوله قليلاً حتى خرجت روحه الزكية.

... حضرت السيد عمر الوفاة أمر من عنده أن يذكروا الله جهرة، وسمع له عند ذلك دوي كدوي النحل ... فرق الدنيا، ولما كان في النزع أمر أن يوضأ، وقد قبض على لسانه، فوضأه أحد تلامذته، ولم يخلل لحيته، ... إليه بتخليلها.

توفي (رضي الله عنه) في ربيع الآخر من سنة ١٠٧٢هـ، وكان مرضه سبعة أيام، ببلدة نفحون، ثم نقل بعد وفاته إلى حريضة حيث دفن.



مشائخه من البرزخ

الفقيه المقدم (رضي الله عنه):

هـو العارف بالله، وبأحكام الله، وبأيام الله، المتوسـع في أنواع المعـارف وفنون المعرفة، الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط، ابن علي خالع قسم، المولود بتريم سنة ٥٧٤ هـ.

فإذا قلنا هو العارف بالله، فالعارف عبد آمن بالله على بصيرة ويقين، وصدق الله في معاملته، ونهى نفسه عن الهوى، وتحلى بالصبر والتقوى. ودام وقوفه بباب المولى، ولم يسـاكن قلبه السـوى، فحظي من ربه بجزيل العطاء، وعرفه كشفًا ويقينًا بالصفات والأسماء، وصار من قلبه محدثًا وملهمًا ومعرفًا بأسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره.

كان أحـد أركان هذا الشـأن، وأجلاء الأكابر الأعيان، أظهر الله على يديه عجائـب الآيات، وأنطقه بفنون الحِكم، وكشـف له الأسرار والمغيبات. واجتمع عنده للأخذ عنه أكابر الأئمة من الفقهاء، والمشـايخ الصوفية، وصلحاء الأمة، وتخرج به جمع من الأصفياء، وأكابر الأولياء، يكثر عددهم، وتتلمذ له خلق كثير من أهل الطريق.

قال يومًا: قد فتح لقلبي سـبعون بابًا من العلم اللدني، سـعة كل باب كسـعة ما بين السـماء والأرض، ثم تكـ بخصوص المعارف.

قـال السـيد أبو بكر الشـلي في "المشرع الروي": وتفقه على شـافعي زمانه وعلامة أوانه عبـد الله بن عبد الرحمن بن عبيد، مصنف "الإكمال"، وكان لا يبتدىء بالدرس حتى يحضر صاحب الترجمة؛ وعلى القاضي أحمد محمد باعيسى؛ وأخـ الأصول والعلوم العقلية عن الإمام العلامة علي بن أحمد بامروان، والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب؛ وأخذ التفسـ والحدي عن الحافظ المجتهد السيد علي بن محمدْ با جديد؛ وأخذ التصوف والحقائق عن الإمام سالم بن بصري، ومحـ بن علي الخطيب، وعمه الشـيخ علوي بن محمد صاحب مرباط، والشـيخ الكبير سـفيان اليمني لما زار حضرموت ونـ مدينة تريم...(انتهى من المشرع)، وكان من المحفوظين الملحوظين في صباه وبدو أمره، شديد التمسك بكتاب الله وسـ رسـول الله واقتفـاء آثار الصحابة (رضي الله عنهم)، والسـلف الصالح، قوي المجاهـدة في تهذيب الأخلاق، وملازمة آداب الشرع، وكمال الرياضة، متين الجد في تحصيل أنواع العلوم الشرعية والعقلية، حتى فاق في جميع أنواع العلوم.

كانت بدايته كنهاية أمثاله من أهل الطريقة، وأعطي من التمكين المكين والرسوخ في كمال التوحيد وحقائق اليقـ ما لم يعط غيره من الأقطاب العارفين والخواص المقربين.

وكان يتعبد في شـعب النُغَير، واتفق ان ولده، السـيد أحمد، تبعه في بعض الليالي، فلما وصل الوادي ذكر الله بلسـ وجهر، فذكر الله معه ما في الوادي من شجر وحجر، فخرّ الولد مغشيًا عليه، حتى رجع أبوه إليه.

ويقول شـارح العينية: وكان سـيدنا الشـيخ السـيد الفقيه محمد بن علي المذكور مع كمال وسع علومه، وغزارة بسـ فهومه، عظيم المجاهدات، شـديد المكابدات في العمل بالشريعة، وعزائم الطريق، والتَخلق بمحاسـن الأخلاق، والتـ عـن سفاسـفها، صاحب همم عـوال، وله التعلق الـكلي بكمال الصفات، وجـلال الذات. وبعد السـلوك ترادفت عليـ


منزل الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي

ـفحات، وتواترت لقلبه الجذبات، فتجرد في طريق
تصوف، وانخلع عن جميع العوائد والرسوم، وأقبل
على المجاهدات العظيمة القلبية، والمكابدات الشريفة
سرية، والخلوات المباركات الغيبية، حتى ترادفت عليه
كشوفات، وسطعت على قلبه أنوار شموس المشاهدات،
ـفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه من بحور
علوم اللدنية، والفتوحات الإلهية، والعطايا الرحمانية.


منزل الفقيه المقدم بعد التجديد

وكان مع هذا في جميع أحواله يؤثر التواضع
خمول، حتى كان يحمل السمك في كمه من السوق
ـ ـ ره.

وكان أهل تريم إن ذاك أهل علم وورع وزهد،
ـسك بالعلم الشرعي، والعمل به، ولم يكن هناك
ـ يعرف طريق الصوفية، ودقائق أحوالهم، وأشكال
ـ تهم ومنازلتهم، فكتب الفقيه إلى الشيخ سعد
ـضري، فبيّن له، ثم صفت لسيدنا الفقيه مشارب
ـوه، فلم يحتج إلا إلى الله تعالى، وظهرت عليه
ـ ـت ذلك، وهو أول من أظهر اسم شيوخ طائفة الصوفية، وانتشرت منه آدابها، وكثر مريدوه، وتخرج به الكبار.

ـما نسبة خرقة سيدنا وإمامنا، وشيخ شيوخنا الفقيه محمد بن علي علوي رحمنا الله به، وجمعنا وإياه وأهلينا
ـشـ يخنا في جواره، مع أنبيائه وأوليائه في عافية، فله (رضي الله عنه) طرق كثيرة من جهة الكسب والظاهر، وطرق كثيرة من
ـ ـة والباطن، والكشف على تفاصيل في ذلك، ومن رؤية المصطفى محمد والأنبياء (صلى الله عليه وعليهم أجمعين)،
ـ ـكة والأولياء، والاجتماع بالخضر، ورجال الغيب، وأهل البرزخ، وغير ذلك، مما يطول تفصيله.

ـمن الطرق الظاهرة الكسبية في نسبة الخرقة، ووصلة الصحبة، وتسلسل الإسناد، طريقان:

ـحدهما: أنه - أعني سيدنا الفقيه محمد بن علي - تأدب بأبيه علي وعمه علوي، وأبوه وعمه تأدبا بأبيهما محمد، ومحمد
ـ حب مرباط تأدب بأبيه علي خالع قسم، وعلي تأدب بأبيه علوي، وعلوي تأدب بأبيه محمد، ومحمد تأدب بأبيه علوي
ـ حب سمل، وعلوي تأدب بأبيه عبيد الله، وعبيد الله تأدب بأبيه أحمد المهاجر صاحب الشعب، وأحمد تأدب بأبيه عيسى،
ـيسى تأدب بأبيه محمد، ومحمد تأدب بأبيه علي العريضي، وعلي العريضي تأدب بأبيه الإمام جعفر الصادق، وجعفر

الصادق تأدب بأبيه الإمام محمد الباقر، ومحمد الباقر تـأدب بأبيـه الإمـام علي زيـن العابدين، وعلي زين العابديـن تـأدب بأبيـه السـبط الحسـين وعمـه الحسن (ﷺ)، والحسنان تأدبـا بأبيهمـا الإمام علي بـن أبي طالـب (رضي الله عنه)، ومولانـا علـي بـن أبي طالب وابناه تأدبوا بسـيد المرسـلين، وحبيـب رب العالمـين، وخـير الخلائق أجمعين، محمد (ﷺ). ومحمد (ﷺ) يقول: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[1].


منزل الفقيه المقدم من الداخل


المحراب الذي في منزل الفقيه


باب منزل الفقيه المقدم

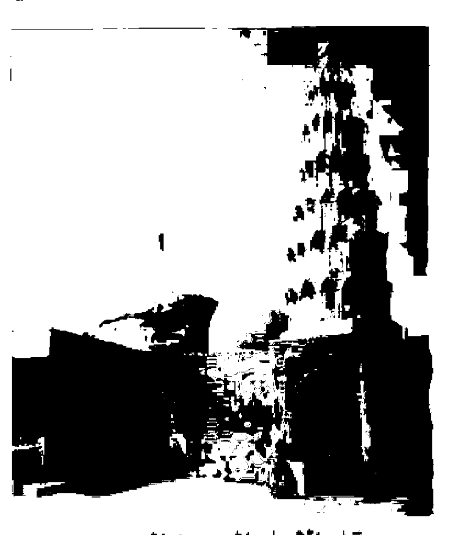
والطريقة الثانية: لسيدنا الفقيه محمد بن علي علوي، فإنه لبس خرقة الصوفية من سيدنا الشيخ أبي مدين شعيب بواسـطة عبد الرحمن المقعد، وعبد الله الصالح، المغربيين - كما يأتي بيان ذلك، وتفصيله، وكيفيته - والشـيخ أبو مدين أخذ الخرقة عن الشيخ أبي يعزى المغربي، والشيخ أبو يعزى أخذها عن الشيخ أبي الحسن بن حرزهم، وأبو الحسن المذكور أخذها عن الإمام أبي بكر بن عبد الله ابن العربي المغافري، والقاضي ابن العربي أخذها عن الإمام حجة الإسلام محمد الغزالي، والغزالي أخذها عن شيخه إمام الحرمين، وإمام الحرمين أخذها عن والده الإمام محمد الجويني، والجويني أخذها عن الشـيخ أبي طالب المكي، وأبو طالب أخذها عن الشـيخ الأستاذ الشـبلي، والشبلي أخذها عن سيد الطائفة الجنيد بن محمد، والجنيد أخذها عن خاله السري السـقطي، والسري السـقطي أخذها من يد معروف الكرخي، ومعروف الكرخي لبـس مـن يد داود الطـائي، وداود الطائي لبس من يد حبيـب العجمي، وحبيب العجمي لبس من يد الحسـن البصري، والحسـن البصري لبس من يد الإمام علي بن أبي طالـب، والإمام علي أخذها من يد الرسـول (ﷺ)، والنبي (ﷺ) أخذها عن جبريل الأمين، وجبريل الأمين (ﷺ) أخذها عن الله (ﷻ).

(١) الجامع الصغير للسيوطي، ١٣٦٢.

سند الخرقة

- الحسن البصري - حبيب العجمي

- داود الطائي - معروف الكرخي



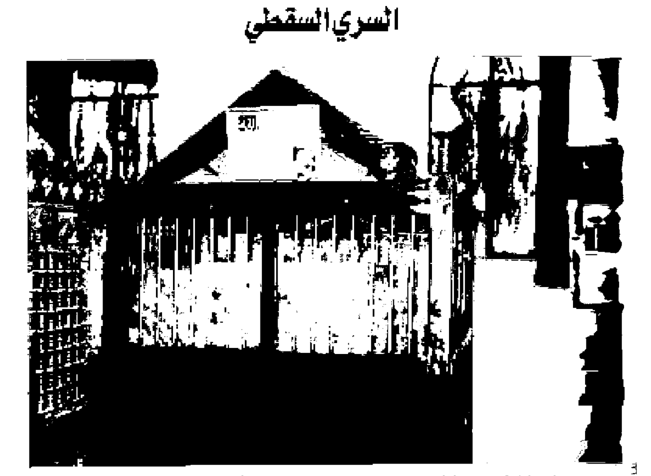
مقام الإمام الحسن البصري



مقام الشيخ حبيب العجمي (رضي الله عنه)

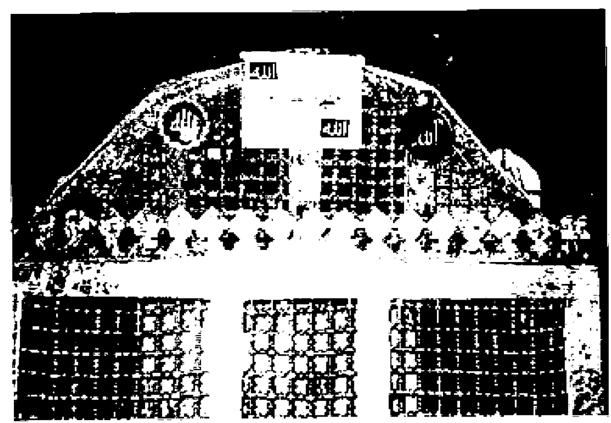
مسجد الشيخ معروف الكرخي ببغداد

السري السقطي



مقام الشيخ السري السقطي (رضي الله عنه) بجوار مقام تلميذه الإمام الجنيد بمقبرة الشونيزية ببغداد

الجنيد بن محمد



مقام الإمام الجنيد البغدادي (رضي الله عنه)

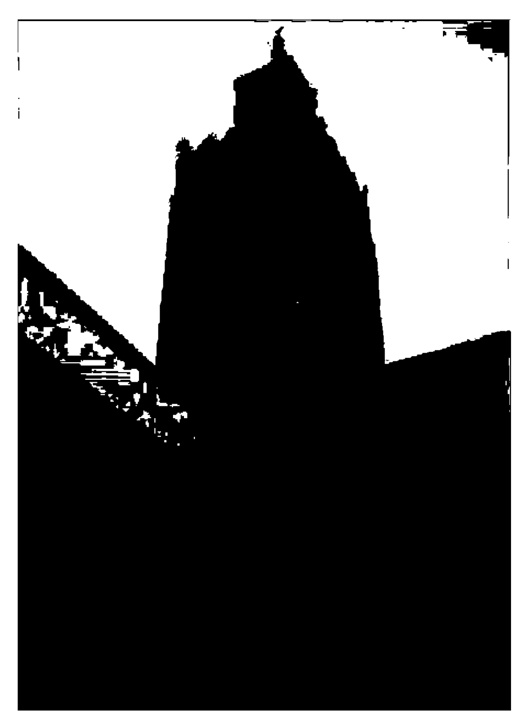
- أبو بكر الشبلي - أبو طالب المكي - الإمام محمد الزوزني - إمام الحرمين الجويني - حجة الإسلام الغزالي



مقام الإمام أبي حامد الغزالي (رضي الله عنه) بطوس، بالقرب من مشهد، بشمال إيران




القاضي أبو بكر بن العربي - الشيخ أبو الحسن بن حرزهم - الشيخ أبو يعزى المغربي - الشيخ أبو مدين شعيب - الشيخ عبد الرحمن المقعد - والشيخ عبد الله الصالح - الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي



صحن مسجد الشيخ أبي مدين (رضي الله عنه)



مسجد الشيخ أبي مدين شعيب (رضي الله عنه) بتلمسان بالجزائر



باب مسجد الشيخ أبي مدين (رضي الله عنه)

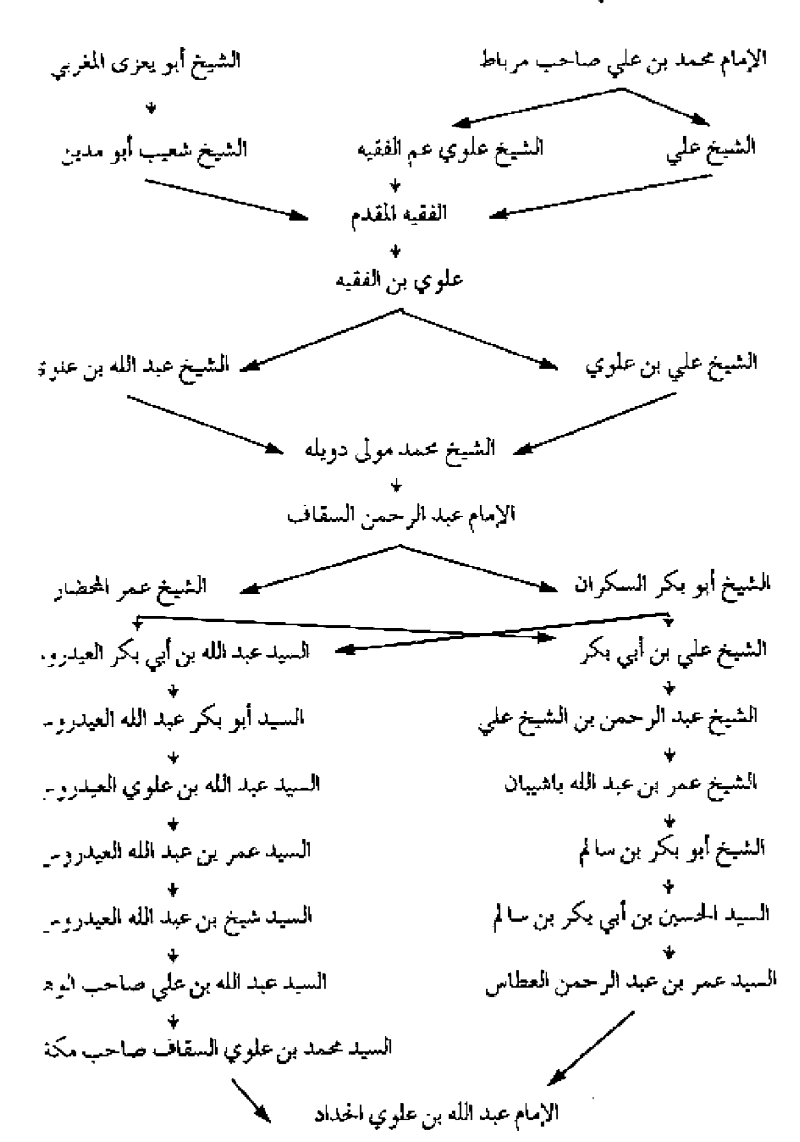


ضريح الشيخ أبي مدين (رضي الله عنه)

وللشيخ معروف الكرخي طريقة أخرى من جهة أهل البيت (ﷺ): تأدب معروف بمولاه علي الرضا، وعلي ـ ـب بأدب أبيه الإمام موسى الكاظم، وموسى تأدب بأبيه الإمام جعفر الصادق، وجعفر تأدب بأبيه الإمام محمد الباقر، ومحمد الباقر تأدب بأبيه الإمام علي زين العابدين، وعلي زين العابدين تأدب بأبيه الإمام السبط ـ ـين، والحسين تأدب بأبيه الإمام علي بن أبي طالب، والإمام علي تأدب بأدب النبي (ﷺ)، والنبي (ﷺ) ـ ـول: **«أدبني ربي فأحسن تأديبي»**.

وكان الفقيه محمد بن علي باعلوي قد سمع قائلاً يقول: لا يفك قفل قلبك إلا الشيخ عبد الرحمن المقعد. ـشيخ عبد الرحمن إذ ذاك بمكة، فسار الفقيه قاصدًا نحوه، فأخبر بوفاته أثناء الطريق فرجع. ثم جاء إلى الفقيه ـ من أهل الشام، وقال: ما جئت إلا لأجلك، ولكني وجدت الشيخ عبد الرحمن المقعد جاثمًا على قلبك، فإذا ـ ـ فتحكم له، فهو رجل مكتسب، وأنت ذو نسبة. فقال له الفقيه: ما هذه النسبة؟ فأجابه: سدرة المنتهى.

ـ شيخ عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ثم المغربي، المعروف بالمقعد، من أكابر تلامذة الشيخ أبي مدين. ـ قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال له: إن لي فيها أصحابًا، فسر إليهم، وخذ عليهم عقد التحكيم، حكمهم، وألبسهم الخرقة. وأعطاه الخرقة، ـ له: إنك تموت في أثناء الطريق، وترسل ـ من يأخذ عليهم. فمات بمكة، فأوصى ـيذه الشيخ عبد الله الصالح المغربي، ـ الخرقة، وقال له: اذهب إلى حضرموت، ـخل تريم، وتجد الشريف محمد بن علي ـ يقرأ على الفقيه علي بن أحمد بامروان، ـ حه على رجليه، فاغمزه من عند بامروان، ـ وألبسه، واذهب إلى قيدون، تجد فيها ـ بن عيسى، فحكمه.



ـ الشيخ عبد الله الصالح: فلما وصلت ـ وجدت الفقيه محمد بن علي باعلوي، ـ الشيخ عبد الرحمن المقعد، فغمزته ـ حكمته. وما شاور شيخه بامروان، فلما رجع ـ الخرقة اغتاظ عليه، وقال: رجوتك ـ مثل ابن فورك فتركت صحبتنا، ورجعت ـ صوفية! فقال له الفقيه: الفقر خير.

فهجره بامروان إلى أن توفي بينما الفقيه غائب بالعجز، فجاء لجنازته، فوجده قد دفن، فآل على نفسه يخرج من مكانه حتى يجتمع به، ويزيل ما في خاطره من جانبه. فلما دخل حميد المؤذن وقت الفجر، وجد الفقيه والفقيه عليًّا بامروان يتحادثان، فلما علم الفقيه بوجوده، قال له: لا تخبر بنا أحدًا. فأبى المؤذن فقال له: اصبر حتى أموت. فلما مات الفقيه، نادى بأعلى صوته عند الحضور بالمقبرة، وقص القصة، وقد إنه سمع الفقيه بامروان يقول للمقدم: إن أهل البرزخ، الشريف والضعيف، يترجونك كما يترجى حضرموت الخريف (أي المطر).

وقد رأيت تعليقًا على هذه الأحداث بقلم الحبيب العلامة علوي بن طاهر الحداد، في إحدى مكاتباته للحبيب علوي بن محمد الحداد، قال فيها: إنه قد تبيّن له من مطالعة بعض الكتب النادرة في مناقب الشيخ سعد الظُفاري أن الفقيه المقدم فُتح عليه قبل لأن يأخذ عن الشيخ عبد الرحمن المقعد. قال: وهيأ الله له الشيخ أبا الفضل المقدسي، أحد أولياء الله، وأخبره إنما جاء من أجله، وهو الذي حثّه على التحكّم للشيخ عبد الرحمن المقعد، وقال: إنه رجل مكتسب، وأنت ذو نسبة. قال: وما تلك النسبة؟ قال: سدرة المنتهى. وفي مكاتبته من القطع التي ذكرها الشيخ سعد يظهر أن الفقيه المقدم حصل له تجرد الروح، وخطابها، وترقى إلى المشاهدة، في ابتداء أمره، وجوابات الشيخ سعد عليه تدل على إنه عنده فتح ومعرفة بشؤون الصوفية محدودين، وأن الفقيه قد علا فتحه في ابتداءه حتى قارب الذين بلغوا النهاية في الفتح. وجرى على خاطري حينئذ قول الحبيب عبد الله الحداد:

قبع وعصا الفقيه المحفوظة ببُضا بوادي دوعن

كانت بدايته مثل النهاية من   أقرانــه فاعتبر هذا بتبيان(1)

وبعض جوابات الشيخ سعد فيها ضعف.

وعجبت للمترجمين للفقيه كيف لم يبالغوا في شرح تلك الكلمات التي فاه بها الفقيه من منازلاته وفتوحه للشيخ سعد، ولو ظفرنا بنفس مكاتبات الفقيه لكان الأمر عظيمًا...

وفي مكاتبات الشيخ سعد حَدو للفقيه، وحض وحث، وتصريح وتلويح، ليأتي إليه، ويتحكّم له، ويتتلمذ، وغيرةً من أبي الفضل القدسي وعبد الرحمن المقعد، وإشفاقًا أن يظفر بتلمذة الفقيه دونه. فيا عجبًا! لقد قامت سوق الغيرة ...

(1) قصيدة في مدح الفقيه المقدم والاستغاثة به، مطلعها: يا ظبي عيديد ما في الحسن لك ثاني   هل من سبيل إلى لقياك يا غاني

الفقيه على ساق بين علماء الظاهر والباطن، فأبو مروان يغار لأنه تصوّف، والشيخ سعد يغار لأن أبا الفضل المقدسي سبق إليه وحدّه إلى التحكم للمقعد، وحسبك بمن يتغاير العظماء على قربه. (ا.هـ. من كلام الحبيب علوي بن طاهر).

وتخلف الفقيه المقدم مرة عن زيارة قبر نبي الله هود (ﷺ)، قال: فبينما أنا جالس في مكان متعال سقفه، دخل علي نبي الله هود يطأطئ رأسه كي لا يصيبه السقف، فقال لي: يا شيخ، إن لم تزرنا زرناك. فقلت له: من أين أتيت هذه الساعة؟ قال: من عند ابني هادون.



قبر الفقيه المقدم (رضي الله عنه)

وبينما هو (رضي الله عنه) جالس مرة مع أصحابه، جاء الخضر (عليه السلام) متمثلاً في صورة بدوي، وعلى رأسه زبد، فقام سيدنا الفقيه، وأخذ الزبد من رأسه، وأكله، فتعجبوا، وسألوه: من هو؟، فقال: الخضر (عليه السلام).

وقد دعا الفقيه لذريته بدعوات ثلاث: دعا لهم أولاً بحسن السيرة، ثم ألا يسلّط الله عليهم ظالمًا يؤذيهم، وأخيرًا أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مستور.

وقد شهد له أرباب المكاشفة بأنه لا يخلو في عمره ساعة من سكر شراب المحبة الخالصة، ولكنه في آخر عمره تواترت عليه الواردات العظيمة، والتجليات، والمشاهدات، والأسرار اللدنية، فأخذته عن حسه، حتى مائة ليلة مصطلمًا، مستغرقًا في بحور الأسرار، محوًا عن نفسه، غائبًا عما سوى ربه، فانيًا فيه، باقيًا به، لا يأكل ولا يشرب.

ولما طالت غيبته (رضي الله عنه) على أولاده، ألزموه على أن يأكل شيئًا فأبى، فلما كان آخر يوم من عمره أكرهوه على إدخال شيء من الطعام في بطنه، فلما دخل الطعام، سمعوا هاتفًا يقول: إن ضجرتم منه، فنحن نقبله. ولو تركتموه من الطعام لبقي. وفي رواية: لما أحس بالطعام، فتح عينيه وقال: أضجرتم مني؟ وتوفي. وكان ذلك سنة ٦٥٣ هـ.

الإمام عبد الرحمن السقاف (رضي الله عنه):

الإمام القدوة الكامل، شيخ شيوخ الأولياء العارفين المتمكنين، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم. كان في بدايته ممن رسخ قدمه في أنواع العلوم، وتضلع من بحور حقائق المعقول والمنقول، حتى فاق الأئمة الفحول.

كانت ولادته سنة ٧٣٩هـ وكانت له (رضي الله عنه) المجاهدات العظيمة، منها أنه لم ينم ثلاثًا وثلاثين سنة، وأنه كان يمكث على الكف من الطحين ليالي. وكان إذا نام على شقه الأيمن رأى الجنة، وإذا نام على شقه الأيسر رأى النار.

وكان (رضي الله عنه) يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ثمان ختمات، أربع بالليل، وأربع بالنهار، ختمتان من بعد الصبح إلى الظهر، وختمة ما بين الظهر إلى العصر، يقرؤها في ركعتين، وختمة بعد العصر.

وكان يجتمع بالنبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة يقظة في كل ليلة جمعة واثنين وخميس دائمًا، كما شهدت ذلك بعض نسائه الصالحات، حتى إنها قالت: اجعلوني معكم، لما سمعتهم يذكرون بعض الأمور النافعة، فقال أبو بكر الصديق: وأنت معنا! قالت: فما أحبني لأبي بكر الصديق، حيث قال ذلك.



خلوة الشيخ عبد الرحمن السقاف بشعب نبي الله هود(

قال ولده محمد: قال والدي: ما بنيت مسجدي الكبير إلا وقد وقف النبي (صلى الله عليه وسلم) في قبلته، والأئمة الأربعة في أركانه.

وهذا المسجد أول مسجد بناه، وذلك سنة ٧٦٨هـ، وبنى عشرة مساجد، وساعد أولاده في النفقة على مساجدهم.

وقال ولده الشيخ حسن: قال لي والدي السقاف يومًا: لي في القطبية شيء وعشرون سنة، وما بنيت دارًا ولا مسجدًا، ولا غرست نخلاً، ولا فعلت شيئًا حتى سمعت النداء: افعل كذا، افعل كذا.



مسجد الشيخ عبد الرحمن السقاف من الداخل

وله - نفع الله به - في التسليك والتربية والتحكيم اليد الطولى، والرتبة العليا.

قال السيد الجليل محمد بن أبي بكر بن أحمد باعلوي: لما حكّمني الشيخ عبد الرحمن، ذهبت عني محبة الدنيا في الحال، وزالت عني في ذلك الوقت صفات مذمومات، وأبدلت بصفات محمودات.



صحن مسجد الشيخ عبد الرحمن السقاف

وكان (رضي الله عنه) ما يحكم أحدًا حتى يؤذن له من قِبَل الحق سبحانه وتعالى بالأمر بذلك.

وكان يقول: اجتهدنا فلم يفتح علينا بالفتح العظيم إلا بعدما رجعنا إلى معرفة النفس.

ومن كلامه (رضي الله عنه): دواء القلب قطع العلائق.

ومن كلامه (رحمه الله تعالى): من لا له ورد، فهو قرد، ومن لا يطالع في كتاب الإحياء ما فيه حياء.



شاهد قبر الشيخ عبد الرحمن السقاف بزنبل بتريم

ومنه: الناس كلهم فقراء إلى العلم، والعلم فقير إلى العمل، والعمل محتاج إلى العقل، والعقل فقير إلى التوفيق.

ووقعت زحمة بعد موته، فكادت رجل بعض الحاضرين تقع على رجل الشيخ، فقبض الشيخ رجله، فلما وضعها، مد الشيخ رجله.

وكانت وفاته (رضي الله عنه) يوم الخميس لثلاث وعشرين خلت من شعبان، سنة ٨١٩هـ ودفن ضحى يوم الجمعة.

وكان بعض أهل البصيرة يراه بعد وفاته يحضر سماعه، كما كان أولاده يحضرون بعد وفاتهم، وكذا كثير من الأولياء، وكذا الملائكة يحضرون سماع راتبه في حياته وبعد وفاته، حتى قال بعض الأخيار: ما في موضع قدم من زحمة أهل الغيب من الملائكة والجن.

الشيخ عمر المحضار(رضي الله عنه):

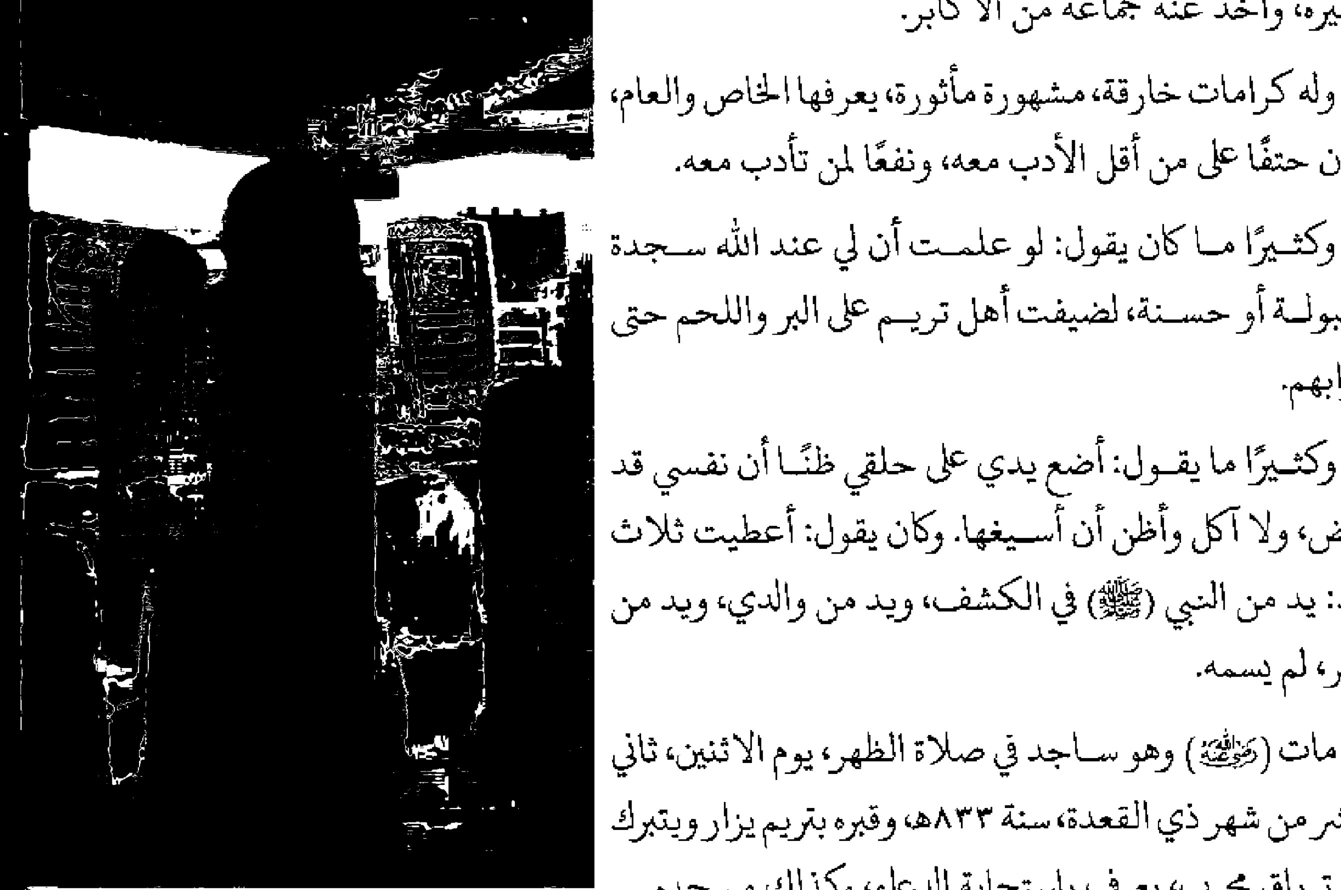
أما المحضار، فهو السيد الإمام، العالم العامل، العارف الرباني، الشيخ الكبير عمر المحضار ابن القطب عبد الرحمن السقاف. كان شيخ شيوخ أئمة عصره، وكان كبير الحال.

قال الأولياء العارفون والسادة المتقون: إنه يغضب لغضبه جبار السموات والأرض، ويرضى لرضائه.

له الباع الطويل في المجاهدات والرياضات، وله في طيّ الليالي والأيام ما لا يقدر أحد من أهل زمانه عليه، والانخلاع عن جميع العادات، وصدق المعاملات، والرسوخ في المقامات، وانكشاف المغيبات، وعنده المكاشفات، والعلم الغزير في الظاهر والباطن.

وكان يحفظ منهاج النووي عن ظهر قلب كالفاتحة، ويكاد يحفظ كتاب الحقائق للسلمي في التفسير.

أخـذ في العلـم الظاهر عـن جماعة من علماء حضرموت والشـحر، وفي علم الباطن عن والده السـقـ
وغيره، وأخذ عنه جماعة من الأكابر.


قبر الشيخ عمر المحضار (رضي الله عنه) بزنبل بتريم

وله كرامات خارقة، مشهورة مأثورة، يعرفها الخاص والعام، وكان حتفًا على من أقل الأدب معه، ونفعًا لمن تأدب معه.

وكثـيرًا مـا كان يقول: لو علمـت أن لي عند الله سـجدة مقبولـة أو حسـنة، لضيفت أهل تريـم على البر واللحم حتى دوابهم.

وكثـيرًا ما يقـول: أضع يدي على حلقي ظنًـا أن نفسي قد قبض، ولا آكل وأظن أن أسـيغها. وكان يقول: أعطيت ثلاث أيد: يد من النبي (ﷺ) في الكشف، ويد من والدي، ويد من آخر، لم يسمه.

مات (رضي الله عنه) وهو سـاجد في صلاة الظهر، يوم الاثنين، ثاني عشر من شهر ذي القعدة، سنة ٨٣٣هـ، وقبره بتريم يزار ويتبرك به، ترياق مجرب، يعرف باستجابة الدعاء، وكذلك مسجده.

الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس (رضي الله عنه):

هو السـيد الشريف، إمام الأولياء والصالحين، وقطب الأقطاب الواصلين، سـلطان الملأ، عبد الله بن بكر بن عبد الرحمن السقاف. ولقبه العيدروس.

أخـذ في التصـوف على عمه الشـيخ عمر المحضار، وتربى بـه، وقرأ كتب الإمام الغـزالي، خصوصًا كتـ "إحياء علوم الدين"، كاد أن يحفظه نقلاً، وأطنب في مدحه، ومدح مصنفه.

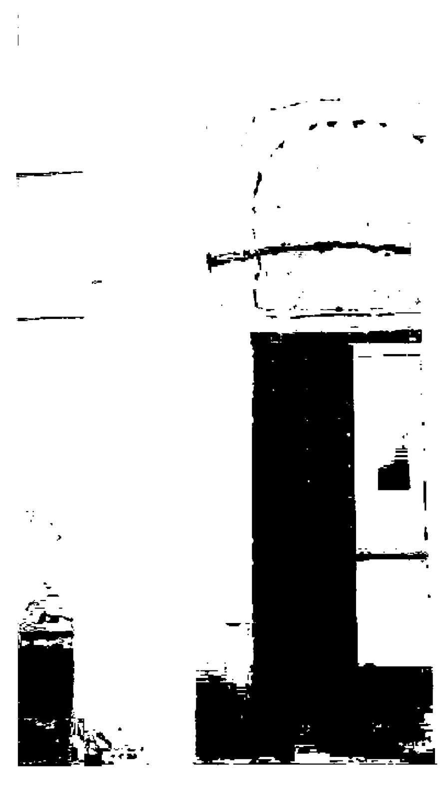
وكان له الكلام العالي في حقائق التوحيد، وكان يقول: لو أردت أصنف على حرف الألف مائة مجلد لفعلت

ومـن تصانيفـه: كتاب «الكبريت الأحمـر». وله شرح على قصيدة لعمه الشـيخ عمر، وكان يقـول: آه. وردت على القلب علوم لا يمكن شرحها!

وقال (رضي الله عنه): استوى عندي المدح والذم، والجوع والشبع، واللباس الرفيع والدنيء، وصرف خمسمائة د ودرهمين، ومنذ نشأت في صغري لا يميل قلبي لغير الله تعالى.

وكان يقـول: إذا انقلبـت على جنـبي الأيمن رأيت الجنة، وإذا انقلبت على جنـبي الأيسر رأيت النار، فـ الراحة؟


مسجد الشيخ عبد الله العيدروس (رضي الله عنه)


مدخل مسجد العيدروس

وكان عظيم الخوف والتواضع، لا يرى نفسه خيرًا من أحد من خلق الله تعالى، حتى البهائم والكلاب. وكان (رضي الله عنه) في بداية أمره، يضع على رأسه التراب تواضعًا لله (عز وجل). وكان يحمل حاجته من السوق في ثوبه، ولا يُمكّن أحدًا أن يحملها له، بل يضعها على عاتقه ورأسه. وكان يجلس قرب المزابل إماتة للنفس، ومكث يستقي لأمه الماء، ويلتزم أن يكون من ماء بعيد، فيذهب له إلى الأماكن البعيدة.

وبدأ في مجاهدات النفس وهو ابن ست سنين، ومكث سنتين يفطر على سبع تمرات، إلا شيئًا من الليالي تأتيه أمه بقرص يأكله؛ جبرًا لخاطرها.

قال الشيخ عمر المحضار: ما زوجت الشيخ عبد الله (يعني: ابنته عائشة) إلا لأني رأيته استأثر بأحوال آل باعلوي كلهم.

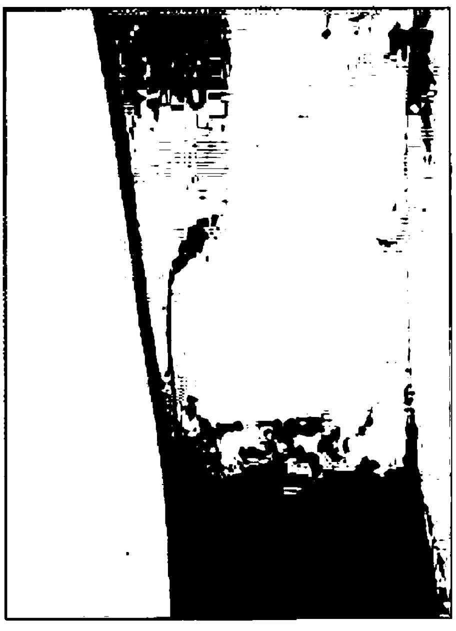
كان مولده في العشر الأول من ذي الحجة سنة ٨١١هـ.

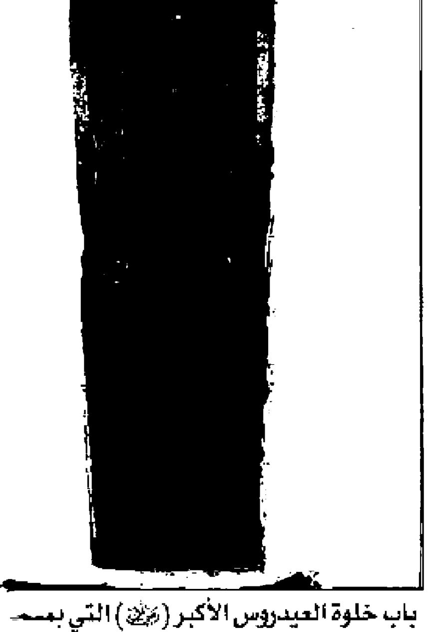
وتوفي الإمام عبد الرحمن السقاف، وعمر الإمام عبد الله العيدروس ثمان سنين ونيف. وتوفي والده أبو بكر بن عبد الرحمن، وله قريب من العشر سنين، وكفله بعد والده مع إخوته، عمه الشيخ عمر بن عبد الرحمن، وتربى به حتى فتح الله عليه. وتوفي عمه عمر وله قريبًا من ثلاث وعشرين سنة، وقد تزوج ابنته عائشة بنت عمر وبنى بها في حياة أبيها عمر، رضي الله عنهم أجمعين.

قال (رحمه الله تعالى): من أراد الصفاء الرباني، فعليه بالانكسار في جوف الليل، وآخر الليل كبريت أحمر غريب وطيف دقيق، لا يكاد يوجد، ومن شمّر عن ساق الجد والحب، فلابد أن يعثر على شيء من هذا السر.

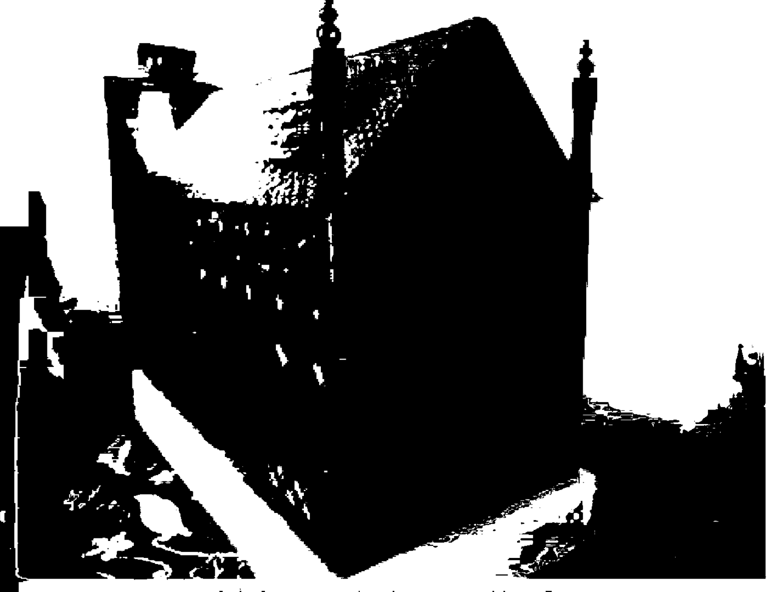
وكنوز كل الكنوز في دعائم الاجتهاد، وتوزيع الأوقات هو الذي هو المخ، بل هو الجوهر الأبدي، والكبريت الأحمر الذي لا يدرك في خزائن الدنيا والآخرة إلا لمن وفقه الله تعالى.

ومعظم أوقات الكنوز بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ونصف الليل الأخير وبعد الصبح.


خلوة الشيخ عبد الله العيدروس (رضي الله عنه)


باب خلوة العيدروس الأكبر (رضي الله عنه) التي بمسـ

والخير كل الخير، وأصل كل مقام وبركة، في ذكر القبور والموت والموتى. وموضع رضا الله ورضا رسوله مطالعة كتاب "إحياء علوم الدين"، وترك الغيبة مملكة، وترك النميمة سلطنة، وحسن الظن ولاية، ومجالسة من ذكر الله مكاشفة، والخير كله في الصمت، واستعمل الفكر، ففيه سر. ولا تخل الصـ كل ليلة، ولو مثقال ذرة. واحرص على تلاوة القرآن في الليل والنهار. وعلامة السعادة والتوفيق، والعلم والعمل، حسـ الخلق والأدب؛ لأنه حياة القلب. وعلامة العقل الصمت، وعلامة الخوف كثرة الحزن، وعلامة الرجا كثرة العبادة، وعلامة الكرم بذل الجهد في الخير وفي رضا الله، وعلامة التوبة كثرة الندم. واترك السماع، فلا فائدة في قربه للمريدين، خصوصًا في هذا الزمان.


قبر الشيخ عبدالله العيدروس (رضي الله عنه)

كانت وفاته في الثاني عشر من رمضان سنة ٨٦٥هـ، وعمره خمس وخمسون سنة.

الشيخ عبد القادر الجيلاني (رضي الله عنه):

سيد السادات، وإمام أهل الولايات، السيد الشريف، القطب الغوث، عبد القادر بن موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون، لقـ به لأنه آدم اللون، بن عبد الله المحض، (والمحض: أي الخالص في الشرف) بن الحسن المثنى، بن الحسـ السبط، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

ولد (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) سنة ٤٦٠هـ أو ٤٧١هـ[1] بجيلان[2].

وكان سيدنا الشيخ عبد القادر آدم اللون، نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية، طويلها، أسمر، مقرون الحاجبين، له صوت جهوري. وسبب تلقيبه بمحيي الدين، أنه كان كما قال: مر في بعض سياحاته بشخص مريض، متغير اللون، نحيف البدن، فقال له:



قبة الشيخ عبد القادر الجيلاني

أحسني، فلما أجلسه الشيخ عبد القادر، نما جسده، وحسنت صورته، وصفا لونه، فقال: أتعرفني؟ أنا الدين، وكنت قد دثرت كما رأيتني وقد أحياني الله بك، أنت محيي الدين. ثم لقبه رجل، فقال له: يا سيدي محيي الدين. فلما قضيت الصلاة، هرع الناس إليه يقبلون يديه، ويقولون: يا محيي الدين. وما دعي به من قبل.

وأما بداية أمره، فقال (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): مكثت خمسًا وعشرين سنة متجردًا، سائحًا في براري العراق، وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء، ثم أستفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة، ويدي في وتد مضروب في حائط، خوفًا من النوم، حتى أنتهي إلى آخر القرآن في السحر.

وكنت أمكث الثلاثة الأيام إلى الأربعين ولا أجد ما أقتات به. وكان النوم يأتيني في صورة، فأصيح عليه، فيهرب، فتأتيني الدنيا وزخارفها وشهواتها في صور حسان وقبائح، فأصيح عليها، فتفر هاربة، وأقمت في برج إحدى عشرة سنة، وعاهدت الله فيه ألا أطعم طعامًا حتى ألقم، ولا أشرب حتى أسقى، فبقيت فيه مدة أربعين يومًا ما آكل شيئًا. ثم جاء رجل ومعه خبز وطعام، فوضعه بين يدي ومضى، فكادت نفسي تقع على الطعام، من شدة الجوع، فقلت: والله لا أخلف ما عاهدت ربي عليه، فسمعت صارخًا من بطني ينادي: الجوع! الجوع! فمر بي الشيخ أبو سعيد المخزومي[3] فسمع الصارخ، فدخل علي، فقال: ما هذا؟ قلت: هذا قلق النفس، وأما الروح فساكنة إلى مولاها (ﷻ). فقال: تعالى إلى باب الأزج[4]، ومضى وتركني، فقلت: ما أخرج إلا بأمر. فجاءني أبو العباس الخضر، فقال: قم، وانطلق إلى أبي سعيد. فجئته، فقال: ألم يكفك قولي حتى أمرك الخضر؟ ثم أدخلني بيته، فوجدت طعامًا مهيئًا، فجلس يلقمني حتى شبعت، ثم ألبسني الخرقة بيده، ولازمت الاشتغال عليه.

---

(1) ذكره الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي في كتابه «قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر». وذكر آخرون أن الشيخ عندما دخل (بغداد) كان عمره ١٨ سنة، وكان ذلك سنة ٤٨٨هـ، فيكون ميلاده حينئذ سنة ٤٧١هـ.

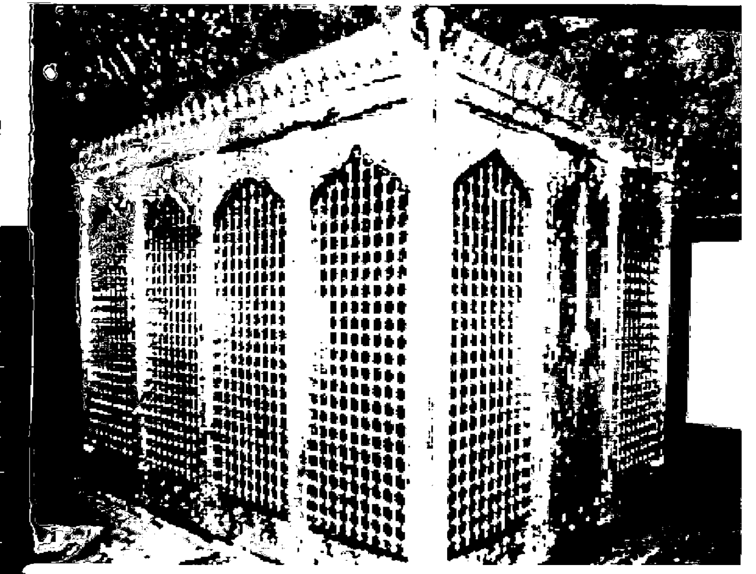
(2) ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان، ٢: ٢٠١، جيلان بالكسر اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وليس في جيلان مدينة كبيرة، إنما هي قرى في مروج بين جبال. ينسب إليها جيلاني وجيلي، والعجم يقولون كيلان.

(3) هكذا ذكره الشيخ أحمد بن زين الحبشي في «شرح العينية»، ولكن صاحب «قلائد الجواهر» قال ص ٤: «والمُخَرِّمي بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المهملة وتشديدها ثم ميم وبعدها ياء النسبة، نسبة إلى محلة (المُخَرِّم) ببغداد، نزلها بعض ولد يزيد بن المُخَرِّم؛ فسُميت به».

(4) الأَزَج: محلّة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحالّ كبار في شرقي بغداد.

قال القاضي أبو سعيد: لبس عبد القادر الجيلي مني خرقة ولبست منه خرقة، يتبرك كل واحد منا بالآخ

وقال (رضي الله عنه): كشـف له عن أشراك كثيرة ومصائد حولي، فقلت: ما هذا؟ فقيل: أشراك الدنيا. فتوجهـ في أمرها سنة، حتى انقطعت كلها. ثم كشف لي عن أسباب متصلة بي، فقلت: ما هذا؟ فقيل: أسباب الخ فتوجهت في أمرها سـنة أخرى، فتقطعت كلها. ثم كشـف لي عن باطني، فرأيته مناطًا بعلائق كثيرة، فقـ ما هذا؟ فقيل: هذه إرادتك واختياراتك. فتوجهت في أمرها سـنة أخرى، فتخلص قلبي، ثم كشـف لي عـ نفسي، فإذا أدواؤها باقية، وهواها حي، وشـيطانها مارد، فتوجّهت في ذلك سـنة أخرى، فبرئت الأدواء ومـ الهوى، وأسـلم الشـيطان، وما وصلت إلى مطلوبي بعد، فجئت إلى باب التوكل لأدخل منه على مطلوبي، فـ عنـده زحمـة فجزته، ثم باب الشـكر كذلك، ثم باب الغنى كذلك، ثم باب المشـاهدة كذلك، ثم باب الفقـ فإذا هو خال، فدخلت منه، وفتح لي، وفيه الكنز الأكبر.


قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني

وقال (رضي الله عنه): والله ما أكلت حتى قيل لي: كل، ولا شربت حتى قيل لي: اشرب.

وكان الشـيخ تـاج العارفـين أبـو الوفـا يومًـا يتكلـم على النـاس فـوق الكرسي، فدخل الشـيخ عبد القـادر إلى مجلسـه، وهو يومئذ شـاب، أول مـا دخل بغـداد، فقطع الشـيخ أبو الوفـا كلامه، وأمر بإخراج الشيخ عبد القادر، فأُخرج، فتكلم، فدخل الشـيخ عبد القادر، فأمـر بإخراجه ثانيًا، ثم دخل، فاعتنقه الشيخ تاج العارفين، وقبّل بين عينيه، وقال: قوموا لولي الله يا أهل بغداد، ما أردت إهانته، بل لتعرفوه! ثم قال: يا عبد القادر، الوقت لنا، فيصير لك، كل ديك يصيح ويسكت، إلا ديكك، فإنه يصيح إلى يوم القيامة. وأعطاه سجادته وقميصـ ومسـبحته، وقصعتـه، وعكازه، وقيل له: خـذ عليه العهد، فقال: على جبينه داعي المخزومي، يعني أبا سـعـ المبارك بن علي[1].

ثم جاء الوقت الذي قال فيه الشـيخ عبد القادر لأصحابه: قد سـلمت لي الأرض شرقها وغربها، ولم يـ ولي في ذلك الوقت إلا أتاه، وسلم عليه بالقطبية.

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: بحر الشريعة عن يمين الشيخ عبد القادر، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيـ شاء اغترف.

(١) هكذا قال صاحب «قلائد الجواهر» أن الشيخ عبد القادر لبس من أبي سعيد، ولكن جل سلوكه على يد الشيخ حماد الدباس، رضي الله عنهم أجمعـ

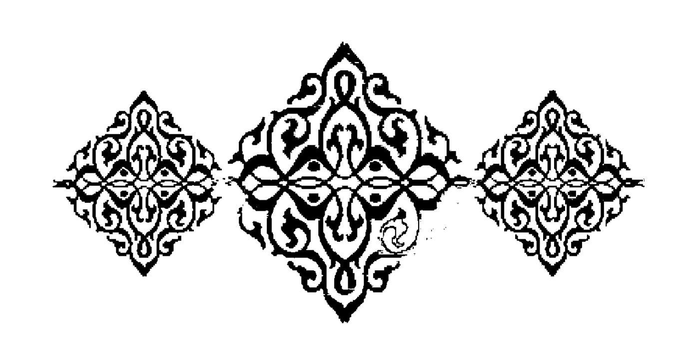
وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي: الشيخ عبد القادر سيد أهل زمانه، عارفين وأولياء، وعلماء ومشايخ

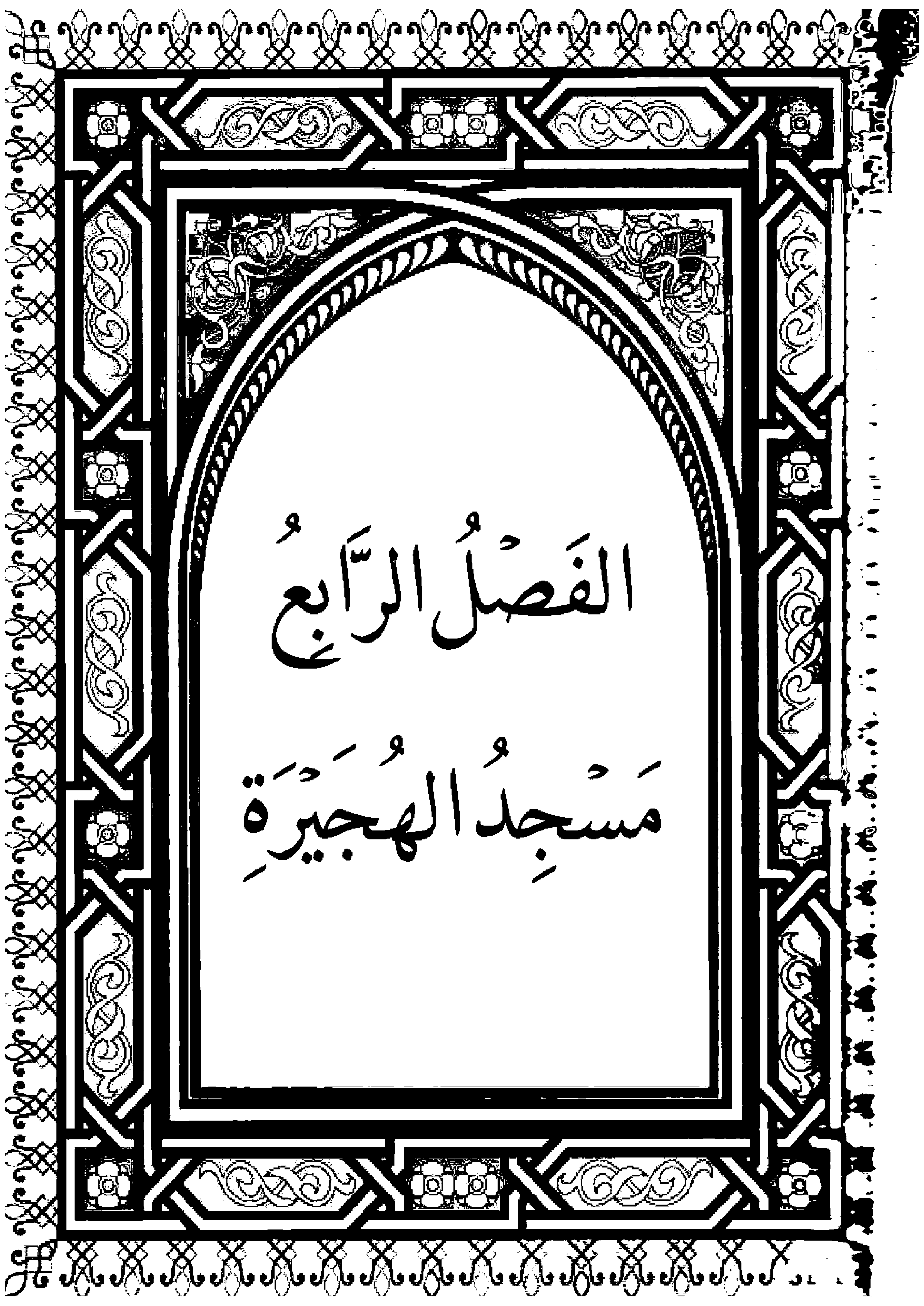
وقال الشيخ إبراهيم الأعزب: الشيخ عبد القادر سيدنا، وشيخ المحققين، وإمام الصديقين، وحجة العارفين، وقدوة السالكين إلى رب العالمين.

وقال الشيخ أبو مدين: سألت الخضر عن الشيخ عبد القادر، فقال: هو إمام الصديقين، وحجة الله على العارفين، وهو روح في المعرفة، وشأنه الغربة بين الأولياء، وأنا أصرف مراتب الأولياء من وراء إشارته.

وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي: الشيخ عبد القادر سلطان الطريق، والمتصرف في الوجود على تحقيق.

وكانت وفاة الشيخ عبد القادر (رضي الله عنه) سنة ٥٦١هـ ببغداد، ومسجده بها لا يزال عامرًا إلى اليوم.





الفَصْلُ الرَّابِعُ

مَسْجِدُ الهُجَيْرَةِ




في الجهة الجنوبية الشرقية من تريم، خلف مسجد الشيخ المحضار، يقع مسجد الهجيرة، وهو ككثير من ـ جد تريم، مسجد صغير ذو رواقين، وصحن مكشوف، ودرج يؤدي إلى السطح.

وكان لآل الحداد اعتناء بهذا المسجد، فلما قرر الإمام أن ينتقل إلى مكان يخلو فيه للعبادة، كان من ـبيعي أن يختار هذا المكان.

وكان لزومه لزاوية مسجد الهجيرة من رمضان سنة ١٠٦١هـ وبقي على ذلك إلى أن حج سنة ١٠٧٩هـ، وبعد ـ حج إلى أن انتقل إلى الحاوي سنة ١٠٩٩هـ.

قال السيد محمد بن عمر السقاف: عزمت لزيارة تريم، فجئت إلى سيدي أشاوره في تولي وظيفة مسجد هجير. فلما وصلت إليه، لم أتجاسر على مشاورته، فقال (رضي الله عنه) ابتداء منه: إن مسجد الهجيرة المعروف بتريم كانت وظيفته بنظر والدنا، وأهلنا قبله، وبعد وفاة والدنا تعين علينا القيام به بعدهم. فعرفت مكاشفته، ـ ذلك ذكرت له ما في نفسي، فأشار علي بتولي الوظيفة.



مسجد الهجيرة

كان الإمام في البداية يتجنب الناس ومخالطتهم، ويقول عن هذه الأيام: كنت في ابتداء أمري إذا صليت ـة خرجت من الجامع من أجل ألا يتبعني أحد، ثم آتي مسجد الهجيرة، وأدخل الزاوية، وأغلق الباب، ـ الآتي فيقرع الباب فلا أجيبه، وربما كنت بركن من أركان المسجد، وينادي عليّ المنادي فلا أجيبه.

وكان يخرج كثيرًا لزيارة تربة بشار مع أصحابه من أمثال السيد علي بن عبد الله العيدروس. قال الإمام: عقد الأخوة بيننا وبينه عند قبر الفقيه المقدم، وأظنه ليلة الجمعة، لأني كنت وإياه كثيرًا ما نزور ـعشاء تربة تريم، ثم نرجع إلى زاوية الهجيرة فنطالع الكتب النافعة ليلاً طويلاً، وفي غير ليلة الجمعة

أيضًا. ونجتمع به كثيرًا في بيتهم نهارًا في البلد، وبمصلى الشيخ عبد الله العيدروس بالسُبير في دمّون، على مطالعة الكتب الفقهية، والأربعين الأصل الغزالية، وكتب مناقب السادة آل أبي علوي كالفتوحات القدسية، ودواوينهم المنظومة.


صحن مسجد الهجيرة والمحراب الخارجي

قال الشيخ الشجار: وكان (رضي الله عنه) في مدة إقامته بزاوية مسجد الهجيرة المذكور يطوف كل ليلة على مساجد تريم كلها، يصلي في كل مسجد منها ما تيسر له، وقد أدركت خادمه حميد بامزيدان، وسألته عن ذلك، فقال: يطوف المساجد كلها يصلي فيها. حتى إن المساجد المغلوقة المهجورة التي لا يصلى فيها كنت أقدم له ظهري يرتقي عليه ويتسور ويصلي، والمساجد المهجورة كمسجد بامروان، الذي يقع قريبًا من المجف، كان آخر ما يأتيه منها، وكان موضع تدريس الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي.

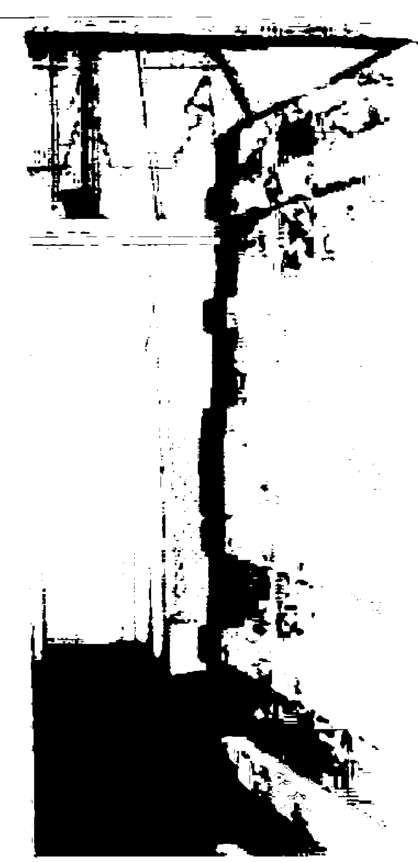
وقد رتب الراتب وبدأ حضرة الذكر سنة ١٠٧٢هـ.

قال السيد أحمد بن الحسن بن عبد الله الحداد: واعلم أن إنشاء هذا الراتب المبارك كان سنة إحـ وسبعين وألف. وسببه أن بعض الفضلاء من أهل حضرموت، لما سمع بخروج الزيدية إلى الجهة الحضرمية تلك السنة، طلب من سيدنا القطب عبد الله الحداد - نفع الله به - أن يملي شيئًا من الأذكار النبوية يـ بها أهل الجهة ويجتمعون عليها، ويجعل فيها شيئًا من العقائد الإيمانية، ليحصنوا بذلك معتقدهم، خو عليهم من تلبيس أولئك الفرقة، ولاسيما على العوام، فأملى سيدنا هذا الراتب، واستمر عند الخاص والع وكان ابتداء ترتيبه بالحاوي في مسجده سنة اثنتين وسبعين وألف.

قال الإمام الحداد (رضي الله عنه): الذي سأل منا الراتب رجل كان يقرأ علينا من بني سعد، يقال له: عامر، وأقـ بقرية موشح المعروفة من نواحي شبام بإذن منا، ولم نقمه نحن إلا في المحرم من السنة التي أنشىء فيها، ود به رجلاً يقيمه عندنا، وأقمناه سنة حججنا في الحرمين الشرفين، وحضره جمع كثيرون، فبقي من ذلك الخـ

وقد ظل الراتب يقرأ بالحرم المكي كل ليلة عند باب الصفا، وفي الحرم النبوي عند باب الرحمة.

قال الشيخ الشجار: وكان قد ورد هذا الراتب على مؤلفه - نفع الله به - في بعض ليالي رمضان، وكا ليلة القدر، وقد قيل: إنه ورد ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٠٧١هـ، وكان لا يقام بحضرة مؤ إلا بعد الفراغ من صلاة العشاء، ورواتبها البعدية، وأذكارها المرتبة بعد الصلوات، وفي شهر رمضان يقـ قراءة الراتب قبيل صلاة العشاء.


باب مسجد الهجيرة

وقال السيد محمد بن زين بن سميط: الراتب المشهور كثير الخير والبركة والنور، يُقرأ بعد صلاة العشاء في الجمع وبالجهر. كان (رضي الله عنه) يثني عليه، ويوصي به، ويقول: راتبنا هذا يحرس الجهة التي يُقرأ فيها.

وقال الحبيب أحمد بن زين الحبشي: وقد سمعت بعض أهل الصلاح يقول: إن من قرأه، لاسيما الجلالة، بأدب وحضور ويقين ونية، وأتم الجلالة ألفًا، لابد وأن يظهر له شيء من النور والفتوح.

وكان الإمام كثيرًا ما يزور بشّار بمفرده ليلاً، كما ورد من رواية عن بعض الثقات من آل أبي شُرَيِّف (قبيلة معروفة بتريم) وكان بيته بجانب الهجيرة الكائن قريبًا من مسجد الشيخ عمر المحضار ابن السيد الإمام عبد الرحمن السقاف. قال: كنت أرى سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد - نفع الله به - في بدايته، يخرج كل ليلة من المسجد المذكور إذا نام الناس، وحده، ويأخذ نحو مسجد الشيخ عمر المحضار، ولم أدر أين يذهب، فرصدته في بعض الليالي حتى خرج، فتبعته من بعيد، بحيث لا يحس بي، وهو يسير على سنن الطريق من غير دليل ولا عصاء، ولم يمل عنها حرفًا، حتى وصل إلى تربة آل أبي علوي زنبل، وجلست أنا خارج التربة، فزار، وأطال، وأنا واقف، حتى خرج منها، وسلك غير الطريق التي جاء منها، حتى شرقي مسجد الجبانة، وأنا أتبعه من بعد، ثم مسجد أبي سالم المشهور ببارشيد، ثم مسجد الشيخ علي بن محمد الخطيب، صاحب الوعل، ثم قطع البلاد طولاً، ولم يحد عن الطريق أصلاً، حتى بلغ النويدرة الشريفة، وبلغ منها مكان مسجد السيد محمد الزاهر بن شهاب الدين قبل أن يبنى، وأنا منه بعيد، فقام ثمت، فالتفت إليّ، وناداني مكاشفًا، قائلاً: شُرَيف (تصغير شريف) أما تترك الفضول؟ أو قال: يكفيك الفضول، ارجع. فرجعت متعجبًا من اطلاعه. ومضى نحو تربة بريح ومولى الراكة.

ثم بدأ بالتدريس بمسجد الهجيرة، وصارت له مجالس راتبة، وكثر زواره، وفتح عليه الفتوح، وظهرت عليه كرمات وخوارق عادات.

من ذلك أن أحد المتعلقين بالسيد المجذوب محمد بن أبي بكر العيدروس استشاره في شيء، فقال له: اذهب إلى السيد عبد الله الحداد، واستشره في شأنك هذا، وخذ بإشارته. قال: فجئت إليه، وهو بزاوية مسجد الهجيرة، ولم أكن أعرفه قبل ذلك، ولا رأيته، ولا هو يعرفني أصلاً، فلما دخلت المسجد ناداني من الزاوية

باسمي ونسبي: هلم إلى هنا! فجئت إليه، فلقيته وحده، وهو مكفوف البصر، فتحيّرت حيث عرفني وهو لا يبصر. وكان سنه إذ ذاك عشرين سنة، فامتلأ به قلبي، وزدت له تعظيمًا.

ومنها ما روي عن أحد أصحاب الإمام، واسمه أحمد بن سعد مطران، قال: أتيت مع سيدي عبد الله (رضي الله عنه) من بعض الأماكن إلى مسجد الهجيرة، وسيدي إذ ذاك بزاوية المسجد المذكور، فلما وصلنا إلى الباب الحاكم على الزاوية، وإذا على عتبته حرباء، وهو الفخاخ بلغة أهل حضرموت، فدخلنا الزاوية، ولم أقل لسيدي شيئًا، وهو لا ينظر بعينه الظاهرة، وجلست معه. فقال: قم وقل للفخاخ يذهب، وقل له: إن حاجتك مقضية. فخرجت وقلت له ذلك، فانصرف في الحال، كأنه سمعني، فتعجبت منه، فقلت لسيدي: ما هذا؟ فقال: إنه شكا من احتياجه، فأصلحنا أمره.

وقد زار الإمام في مسجد الهجيرة الإمام أحمد بن زين الحبشي في صحبة والده، وهو حينذاك دون سن البلوغ. فقد سُمع السيد أحمد يقول مرارًا: إن بعض قراباتنا من السادة قال لوالدي يومًا: إني جئت إلى تريم، ورأيت شخصًا من السادة يتبعه أناس، ويفعل السجادة، وهو كالعاتب عليه – يعني به: سيدي الحبيب عبد الله. قال: فسافر ذلك السيد إلى بندر المخاء، فصادف من أعطاه لسيدي شيئًا من المال، فلما وصل إلى بلدنا، انحدر واجتمع بسيدنا، فلما رجع، سمعته يقول: إن ذلك الشخص (يعني: سيدي عبد الله نفع الله به) الذي عتبت عليه، أمر بالظهور من كبار الشيوخ، يستحق ما ظهر وأكثر. أو قريبًا من هذا بمعناه، وقال لوالدي: سر إلى تريم، وإذا سرت إلى تريم، فاحرص على اجتماعه، الله الله! فسار والدي وأنا معه، في سن ما دون البلوغ، فقصدنا إلى بيت بعض السادة، ثم جئنا بالليل إلى مسجد الهجيرة، فقيل: إن سيدي الليلة لم يخرج. فجئنا إلى بيته، عند زوجته الصالحة الشريفة خديجة بنت عبد الله، فاستأذنا عليه، فخرج في عراضنا (أي: في استقبالنا)، وصعدنا معه إلى البيت، وذلك بعد العشاء، فلما استقر المجلس قال له والدي: العارف (أو قال: المحب) مشغول أو مستريح؟ فأجاب (رضي الله عنه) بما يحير الألباب. وما زال يملي عليه من العبارات البديعة في العلوم الرفيعة على تلك المسألة إلى أن كان آخر الليل، ودموع والدي تجري. فلما كان الصباح، أرسل لنا إلى بيت السيد شيئًا من العود المليح، والكاغد الحسن، فأخذ والدي العود، وأعطاني الكاغد.

وكان بعض الصالحين إذا نظر للإمام الحداد وقت الدرس يرى أن الفقيه المقدم والإمام الغزالي حاضران على جانبي الإمام، وأنه تخلع عليه الخلع.

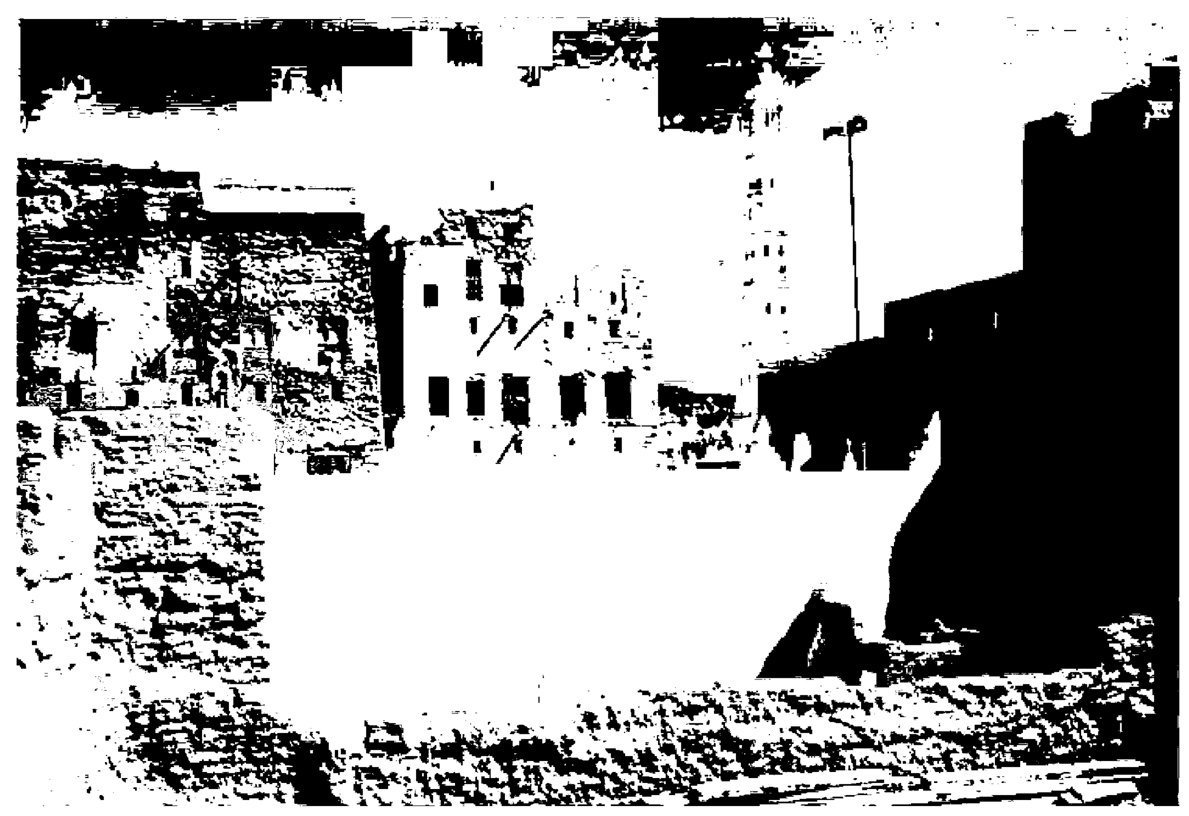
وروى السيد الجنيد بن علي باهارون لقاءه بالحبيب حين الصغر، فقال: استعار سيدي الحبيب عبد الله ابن علوي الحداد من والدي كتاب «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» للقاضي عياض، فبقي عنده مدة

ـ ـن والدي أرسلني إلى سيدي يومًا لاسترداد الكتاب المذكور، وأنا إذ ذاك صبي، فصليت العصر بمسجد ـ أبي علوي، وخرجت أنا وجماعة من كبار السادة آل أبي علوي قاصدين سيدي، وهو يدرس بمسجد ـجيرة بتريم، يريدون حضور درسه بالمسجد المذكور، فدخلوا المسجد، فرأيت ما هالني، من تقبيلهم يده، ـتو ضعهم له، مع كبر سنهم، وصغر سنه، فامتلأت هيبة منه، ولم أقدم لمصافحته، وقمت بباب المسجد، ـ ـنت عن كتاب «الشفا»، فقيل: إن القراءة الآن فيه، فازداد توقفي، حيث القراءة فيه، فبينما أنا كذلك ـ قدم سيدي الإمام عبد الله من مكان تدريسه، وأقبل نحوي، فتقدمت وصافحته، فقال لي - ابتداء وهو لا ـعرفني، ولا يبصر بعينه، بل كاشفني - : أنت ولد السيد علي بن الجنيد؟ فقلت: نعم. فقال: أرسلك والدك ـترجاع الكتاب منا؟ فقلت: نعم! فنادى: هلم بكتاب الشفا وأعطانيه.

ـقال بعضهم: كنت وأنا صغير السن أحضر درس سيدي بمسجد الهجيرة، فكنت أتحرك وأقوم وأجلس ـحرج وأعود كعادة الصغار، فقال لي يومًا: ما هذا التردد والمجيء والذهاب؟ أتحسب أنا لا ننظرك؟

ـ ـ: وكنت عنده مرة، فوُضع له فنجان ملآن قهوة بين يديه، فوقعت فيه ذبابة، فناداني سيدي وقال لي: ـحرج الذبابة منها، من غير أن يخبره أحد، وهو لا يبصر.

ـحكى عبد الله باشراحيل قال: كنت عند سيدي بمسجد الهجيرة، مستندًا إلى جانبه الشرقي، فأردت النهوض ـ ـ حاك في صدري، وهممت أن أشاور سيدي فيه، فأشار إلي من بعد عند أول خاطر لي أن أجلس، فلم أقم.



باب مسجد الهجيرة

قال الشيخ عبد الله بن سعيد العمودي: كنت ذات يوم بمسجد الهجيرة عند سيدي عبد الله الحد
وذلك في صفر من سنة ١٠٩٥هـ عشية ذلك اليوم بعد الدرس، وهو جالس على العادة في عش البركة
المسجد، وأنا في الضاحي، وفي نفسي خاطر يحوك أن يدعوني، إذ نادى عليّ وعنده شريف وخادم، ففرق
كلاً في حاجة، وأقبل علي بالكلام، وقال: كم ألسنة الدعوة؟ فقلت: الله ورسوله وأنت أعلم! فقال ابتد
- أي من غير تفكر - : خمس وهي: أن تدعو العامة بلسان الشريعة إلى الشريعة، وأن تدعو أهل الشريعة
بلسان الطريقة إلى الطريقة، وأن تدعو أهل الطريقة بلسان الحقيقة إلى الحقيقة، وأن تدعو أهل الحقيقة
بلسان الحق إلى الحق، وأن تدعو أهل الحق بلسان الحق إلى الحق، وهذه الأخيرة فتح علينا بها الآن.

وسُمع الإمام يقول وهو إذ ذاك بمسجد الهجيرة المعروف: أنا صاحب وقتي، وليس لي فيه منازع، ومن نازعني فيه أذبته ذوبان الملح في الماء.

وسمعه آخر يقول: أنا وحيد عصري، وأنا في غاية الخمول.

وعن الشيخ محمد باجبير قال: قال سيدي - نفع الله به - وذلك في حين نشوئه: يا فقيه، إني موعود بالصديقية الكبرى.

وقال الإمام يومًا للشيخ محمد باجبير، وهو خارج لزيارة أكابر الأموات بمقبرة تريم: يا شيخ محمد، حبيبك منذ دخل مقام القطبية ثلاثة أيام. وكان عمره حينئذ سبعًا وعشرين سنة، وباجبير المذكور قرأ على الإمام وقت الصغر، كما ذكرنا من قبل، وحفظ «الإرشاد» عنده، ثم سافر الشيخ محمد باجبير إلى الحرمين ورجع فوجد الإمام أعلى منه ومن كل أهل وقته، فرجع يقرأ هو على الإمام، فقرأ عليه في «الإحياء».

قال في تثبيت الفؤاد: إن رجلاً يسمى زنبر رأى في المنام كأن الخانات (أي الطبول) تضرب في السموات والأرض، فقيل: إنهم ولّوا القطبية السيد عبد الله الحداد. فلما انتبه، أعلم سيدنا، فقال له: إن صدقت رؤياك ألبسناك. ثم بعد أيام ألبسه.

ومن كلام الإمام (رضي الله عنه): كنا نطلب من الكل، والآن الكل يطلب منا.

وقال (رضي الله عنه): إن الشيخ عبد القادر الجيلاني جلس على بساط، ثم طوي بعده ذلك البساط إلى زمن الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس، فبسط له، ثم طوي بعده إلى زمننا، فبسط لنا، فجلسنا عليه، [redacted] يطوى بفقدنا من الدنيا، ثم لا يُجلس عليه، إلا إن بقي من يستحيا منه.

ولا شك أن هذين الإمامين، الجيلاني والعيدروس، قطبان مكينان عارفان كاملان، وربما أنه يشير بذلك إلى بساط الظهور والشهرة؛ لأن هؤلاء الثلاثة أظهرهم الله ظهورًا لم يسمح بمثله لغيرهم.

وعن السيد شيخ بن حسن الجفري قال: سمعت سيدي عبد الله - نفع الله به - يقول: نحن - بحمد الله -


مسجد الهجيرة من الداخل

قد قطعنا العقبات السبع التي ذكرها الإمام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»، ونحن الآن في آخرها، يعني: عقبة الحمد والشكر.

ومن كلامه: لولا مجالستنا لهؤلاء المحجوبين لطرنا في سريان الغيب.

وقال عبد الرحمن بن عبد العظيم: أردت الحج سنة من السنين، فجمعت دراهم لأستعين بها على الحجة، فقدمت تريم يوم الثلاثاء، فقصدت مسجد الهجيرة، فلم أجد سيدي، لأنه خرج إلى بعض الأماكن، فوضعت ثوبي، والدراهم مصرورة فيه في زاوية المسجد، وخرجت في حاجة، فجاء بعدي رجل إلى الزاوية، ووقع على الدراهم، فأخذ منها بعضها، فلما رجعت، وجدته خارجًا منها، فبهت مني، وقال لي: هذه دراهمك؟ فقلت: نعم! وأخذتها منه، وقصدت ستره لله تعالى. وجاء سيدي نفع الله به وقت المغرب، فصليت معه، ثم سلمت عليه، وقبلت يده، فقال: كذا وكذا، وعيَّن القدر الذي أخذه الرجل، من غير زيادة ولا نقصان، فقلت: نعم، وقد عفوت عن صاحبها، وقصدت ستره لله. فاستحسن ذلك مني، ثم قال: ندعو لك بالحج والزيارة، وإن حصل عليك شيء في زيارتك المدينة فلا تتعب، فإنما هي زيادة لك. ثم يسرت أموري، وسرت إلى الحج، فحججت، ثم إني اتبعت القافلة إلى المدينة، فلما وصلنا خبت البزوا[1] المعروف، رقدنا جميعًا، ثم قاموا وتركوني ومضوا، فاستيقظت وليس عندي ماء ولا زاد، فحرت في الأمر، ثم ذكرت قول سيدي لي: إن حصل عليك شيء في زيارتك فلا تتعب، فإنما هي زيادة لك، فسكنت، فمشيت وحدي وأنا في غاية العطش والضيق، فقصدت شجرة لأموت تحتها، فإذا تحت أصلها ماء قليل، يكفيني، فشربته ونمت، فرأيت سيدي كأنه يؤمنني في الطريق، فقمت مسرورًا، وقد زال عني كل ما وجدته


محراب مسجد الهجيرة

(١) خبت: أي الصحراء المستوية الجرداء الخالية من التلال والجبال. وخبت البزواء: هي المنطقة التي بين مستورة وبدر على درب القوافل.

وعن السيد الصالح محمد بن علوي مُساوَى، قال: كنت عند سيدي الأستاذ عبد الله وهو يدرس بعد العصر بمسجده، فخطر لي أن أسأله دعاء يكون لي عدة للمهمات، والملمات، وقضاء الحوائج، فحال ما خطر لي ذلك تكلم قائلاً: إن بعض السادة طلب منا دعاء يكون لقضاء الحوائج، فأمرناه بقراءة منظومتنا التي أولها:

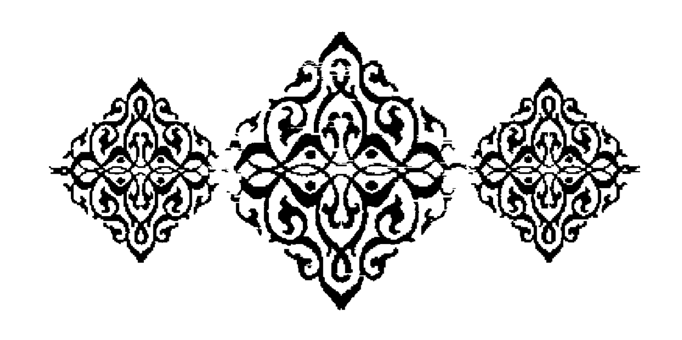
قد كفاني علم ربي ... من سؤالي واختياري
فدعائي وابتهالي ... شاهد لي بافتقاري

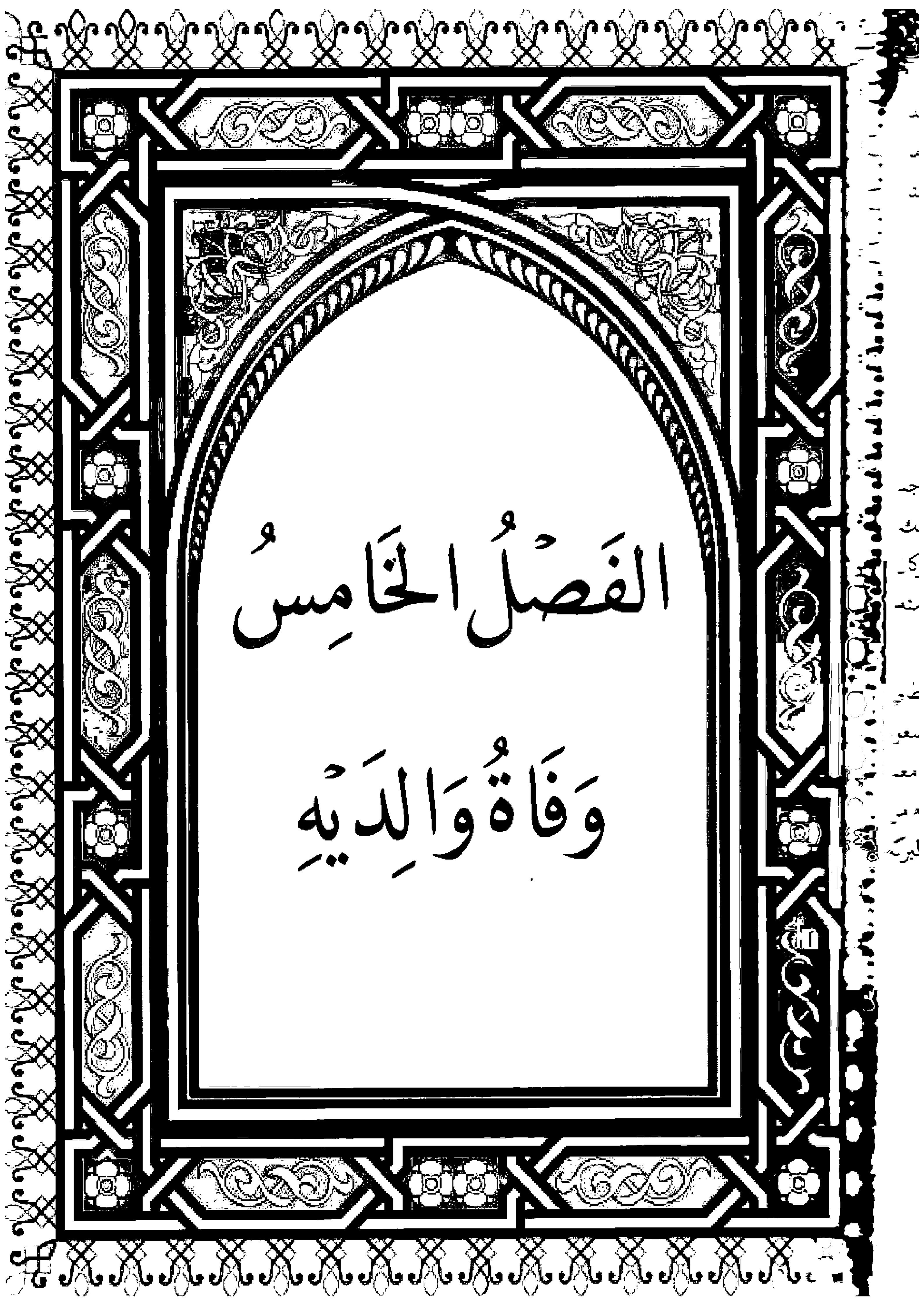
وكان نفع الله به يقول: من حزبه أمر أو أراد حاجة، فليدع بقصيدتنا هذه، وبالأخرى:

ما في الوجود ولا في الكون من ... أحد إلا فقير لفضل الواحد الأحد

وعن عبد الله بن صالح باكثير، قال: أتاني سيدنا وشيخنا عبد الله - نفع الله به - بعشائي إلى مسجد الهجيرة، فلما أردت أن آكل، وفد على سيدي رجل زائرًا، فقال لي (رضي الله عنه): أمسك عن الأكل حتى آتيك، فأمسكت حتى جاء، ووضع يده الكريمة فيه، وذكر اسم الله عليه، وقال لي: أطلع الرجل، وكل أنت وهو. وكان الطعام إذ ذاك لا يكفي واحدًا في إناء صغير، فأشهد لقد رأيت ذلك الطعام يزداد وأنا انظره حتى شبعنا منه، وبقيت بقية في الإناء لم نأكلها.

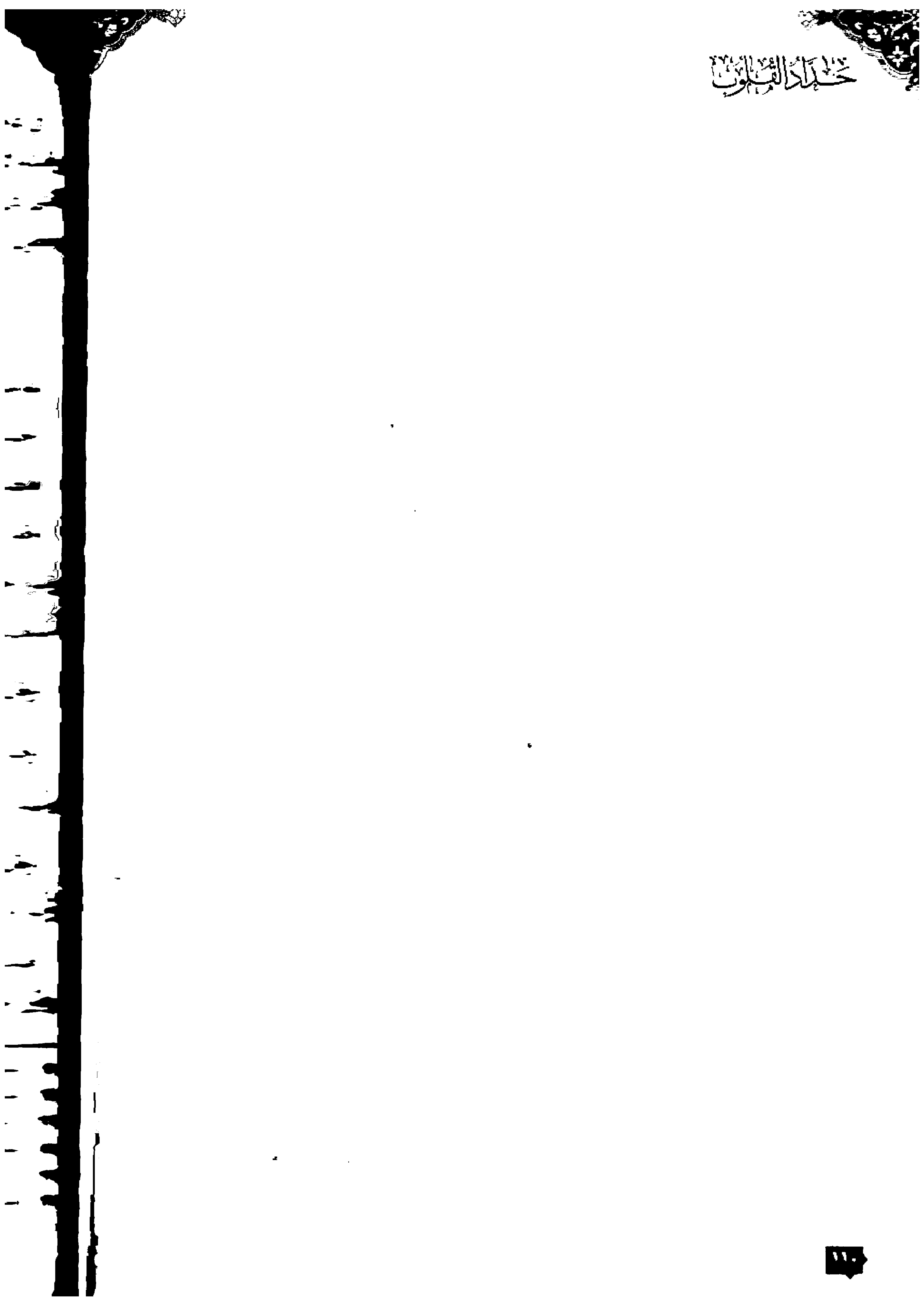
وعن السيد عقيل، قال: أخبرنا رجل من المتنكسين من أصحاب سيدنا عبد الله الفقراء قال: أعطاني سيدي شيئًا من الطعام، فأخذته ووضعته في إناء، وقلت لأهلي: كلما حصل معكم شيء من الطعام ضعوه في هذا الإناء على طعامه من أجل البركة، ولا تخرجوه أبدًا. قال: فبقينا مدة مديدة، وكلما حصل شيء معنا من الطعام، طرحناه فوق طعامه وبقي بحاله لم ينقص، ولم يخل الإناء من الطعام، إلى أن اتفق في يوم من الأيام أخرجوا الطعام جميعًا، ولم يبقوا منه شيئًا، فأخبرت سيدي بذلك فقال: لو لم تخرجوه لبقيت البركة فيه ولم يفرغ الإناء.





الفَصْلُ الخَامِسُ

وَفَاةُ وَالِدَيْهِ



في عام ١٠٧٢ هجرية، وعمرُ الإمام حينئذ الثامنة والعشرون، توفي والده السيد علوي، ثم بعده توفيت ...ـته، ثم أحد أجلّ مشايخه وهو السيدعمر بن عبد الرحمن العطاس. وأرسل الإمام إلى أخيه السيد الحامد ...ـني كان في ذلك الوقت في الهند يخبره بهذا، ويعزيه ويصبّره؛ وكان خطابه هذا مثالاً عجيبًا لما يجب أن ...ـكون عليه المؤمن الكامل الإيمان من الثبات والتفويض، لذا أحببنا إيراد الجزء الأكبر منه، فهذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

...ـه ما في السموات وما في الأرض، وإلى الله ترجع الأمور.

...حمد لله، حمدَ من اكتفى بعلمه، وسلَّم لحكمه، ورضي بقضائه، وشَكَر لنعمائه، وصبر عند حلول بلائه.

...ـصبر والوفاء شأن الرجال أولي الكمال، والضجر وضيق الصدر بالنوازل شأن النساء والأطفال.

...قد خص الله الصابرين بالمعية والبشارة، وأكرمهم بالإمامة والخلافة، وأتحفهم بالصلاة والرحمة والهداية، ...ـأجرهم عن أن يكون له حدٌّ أو غاية، فقال تعالى في ذلك، وهو أصدق القائلين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...ـنوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١).

...ـل تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢)

...ـل تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾(٣) وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا ...ـئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٤).

...ـل تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٥) وقال تعالى ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ...ـنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾(٦).

... علم العاقل أن الصبر من أعظم الفضائل، وأجل الوسائل، اعتمده واتصف به عند نَوْب النوائب، ...ـوائر، ونزول النوازل، وعَدَلَ عن الجزع والتبرّم؛ لعلمه بأنه متعِب في نفسه، وهو مع ذلك مفوت

...ـرة: ١٥٣.

...ـرة: ١٥٥ـ١٥٧

...ـراف: ١٣٧.

...ـجدة: ٢٤.

...ـر: ١٠.

...ـ: ١٧.

للثـواب، وموجـب للمقت والعقاب، فيَفُوته بجزعه رضا مولاه، وكريـم ثوابه وجزاه، وذكره وثناه، من غير يعود له ما ذهب عنه، ولا يرجع إليه ما سُلِبَ منه.

ولـو لم تكن في المصائب والبلايا إلا التعريف بشـأن الدنيا الدنيّـة، الداعي إلى الزهد فيها، وإيثار الآخرة عليها، لكان ينبغي للعاقل أن يَعُدَّه من النعم العظام.

كيـف وفيهـا - أعني المصائب - الثواب العظيـم، والجزاء الكريم، في جوار الله الـبر الرحيم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(١).

وصلّ اللّهمّ وسـلم على سـيدنا ومولانا محمد، النبي المصطفى، والرسول المجتبى، والحبيب المنتقى، والحـ... المرتضى، وعلى آله وأصحابه أولي الأحلام والنهى، والصدق والوَفَا.

مِن أقل العباد: عبد الله بن علوي الحداد علوي الحسـيني، إلى السـيد الصابر، الذاكر الشـاكر، التـ... النقي، الناسـك التقي، موضع الأمانة والسر، ومحل البركـة والبر، الصنو الكريم، والحبيب الفخيم، الحامـ... السـيد المرحـوم علوي بن محمد الحـداد علوي، رفعه الله أعلى عليين، وجعل اسـمه في السـابقين المقربـ... واسـتعمله وتولاه بما اسـتعمل وتولى به عباده المخلصين، وجمع الشـمل به في عافية ودعة وسـلامة في ... والدين، وكان الله على ذلك قديرًا.

السـلام عليكـم ورحمة الله وبركاته، سـلام قولاً من رب رحيم، يصحبه لطف خفي من إله لطيف ... وجُود واسع وفضل عظيم، من مَلِك جواد كريم.

أمـا بعـد، فاعلـم أيها الصنو الأكرم، علّمـك الله من علمه وحُكْمه، أن الله تعالى هـو الإله الحق، ... بالخلق والتقدير والحكم والتدبير، ليس لأحد من الخلق معه سـبحانه صغير ولا كبير في العالم، قليل ... كثـير، ولا تقديـم ولا تأخير، بل هم - كما وصفهم في كتابه المنير بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾(٢) - بل هم عبيد مسخَّرون، وأرقَّاءُ مقهورون، لا يستطيعون جلب ما يحبون، ولا دفع ما يكرهون.

واعلم أن لله تعالى في خلقه قَدَرًا سابقًا، وحُكمًا نافذًا، لا يستطيع أحد من الخلق له دفعًا ولا ردًّا.

وللمقادير أوقات معينة، تقع فيها بقدرة الإله القدير، من غير تقديم ولا تأخير، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٣)

(١) فصلت: ٣٥.
(٢) سبأ: ٢٢.
(٣) يونس: ٤٩.

فالسعيد الميمون مَنْ رضي بِمُرّ القضاء، وصبرَ عند حلول البلاء، وجانب السَّخَط والجزَع، وسلّم أمره إلى ـه، مكتفيًا بعلمه، ومسلّمًا لحكْمِهِ.

ومَن عَلِم أن الله تعالى هو المبتلي له، والقاضي عليه بما وصل إليه، وعلم مع ذلك أنه سبحانه رحيم به، يختار له إلا ما هو الأحسن والأبقى، طاب قلبه، واستراحت نفسه عند شعورها بنوازل القضاء، كما قيل:

وخفّفَ عني ما وجدتُ من البَلا بأنك أنت المبْتَلي والمقدِّرُ
وما لامرئٍ عما قضى الله معدل وليس له منه الذي يتخيّرُ

ذا علمت ذلك، فاعلم أن الله تعالى قد قضى بأمر وفي قضائه الخير والخيرة، وفي الرضا به الثواب والمنفعة، روح والراحة، عاجلاً وآجلاً؛ ذلك أنه نقل إلى رحمته ورضاه، وفسيح جنته الوالد الكريم السيد الشريف ـوي بن محمد الحداد علوي، وذلك ليلة الاثنين الأولى من شهر رجب الحرام سنة ١٠٧٢ هجرية.

توفي بعد أن مرض مرضًا ليس بالشديد، ومات على حالة مَرْضِية، وطريق سديدة، بعد أن نطق بكلمة خلاص، التي من كانت هي آخر كلامه دخل الجنة، وهي: لا إله إلا الله.

بعد وفاته بنحو خمسة أيام مرضت الوالدة ودام عليها المرض قريبًا من عشرين يومًا إلى أن توفيت ـمت على الدار الباقية، بعد أن تشهدت ضحى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر المذكور.

ـ الله تعالى يلهمُك وإيانا الصبر الجميل، ويجبر كسر المصيبة بهما بما يوليه من الثواب الجزيل، ويجعل رحمته مصيرهما إلى رَوح وريحان ونعيم ورضوان، ويسكنهما فسيح الجنان، إنه كريم منان، دائم الإفضال حسان.

وصيتنا لك أن تصبر وأن تحتسب، فإنه لله ما أخذ، وله ما أعطى. وإياك والجزع، واحذر من: لو ولِمَ؟ ـيف؟ فإن الأمور كلها، ما كان وما يكون، قد جرى بها القدر، وسبق بها القضاء في العلم المكنون.

ـقل ما يرضي ربك: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾؛ لتكون من الذين ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ـحۡمَةٞۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1].

حْمَدِ الله تعالى واشكره، حيث أنهما توفيا على حالة مرْضيَةٍ، في هذا الزمان المفتون، وماتا موتة حسنةً ـتبر بالنجاة، وأنهما راضيان عنك، وداعيان لك، وذاكرانك بالبر والقيام بحقهما. ونحن نعلم ذلك ونعرفه

(1) البقرة: ١٥٦ - ١٥٧.



قبر والد الإمام الحداد

وليست الدنيا بدار بقاء ولا خلد، ولا بد من الفناء والمصير إلى الدار الآخرة، سواء طالت الأيام وامتدت الآماد أو قصرت.

ولو لم يكن في المصائب، بعد الرضا بقضاء الله، والفوز بثوابه، إلا التعريف بشأن الدنيا، المقتضي للزهد فيها، وإيثار الآخرة عليها.. لكان ينبغي للعاقل أن يفرح بها.

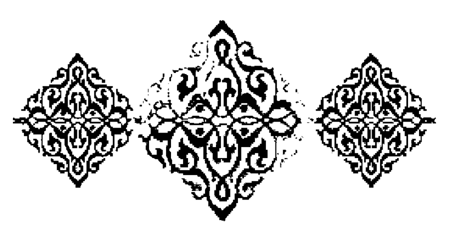
وما أحسن قول القائل في تسلية المصائب:

وإذا أتتك مصيبة تُشْجَ بها فاذكر مُصابَك بالنبيِّ محمدِ

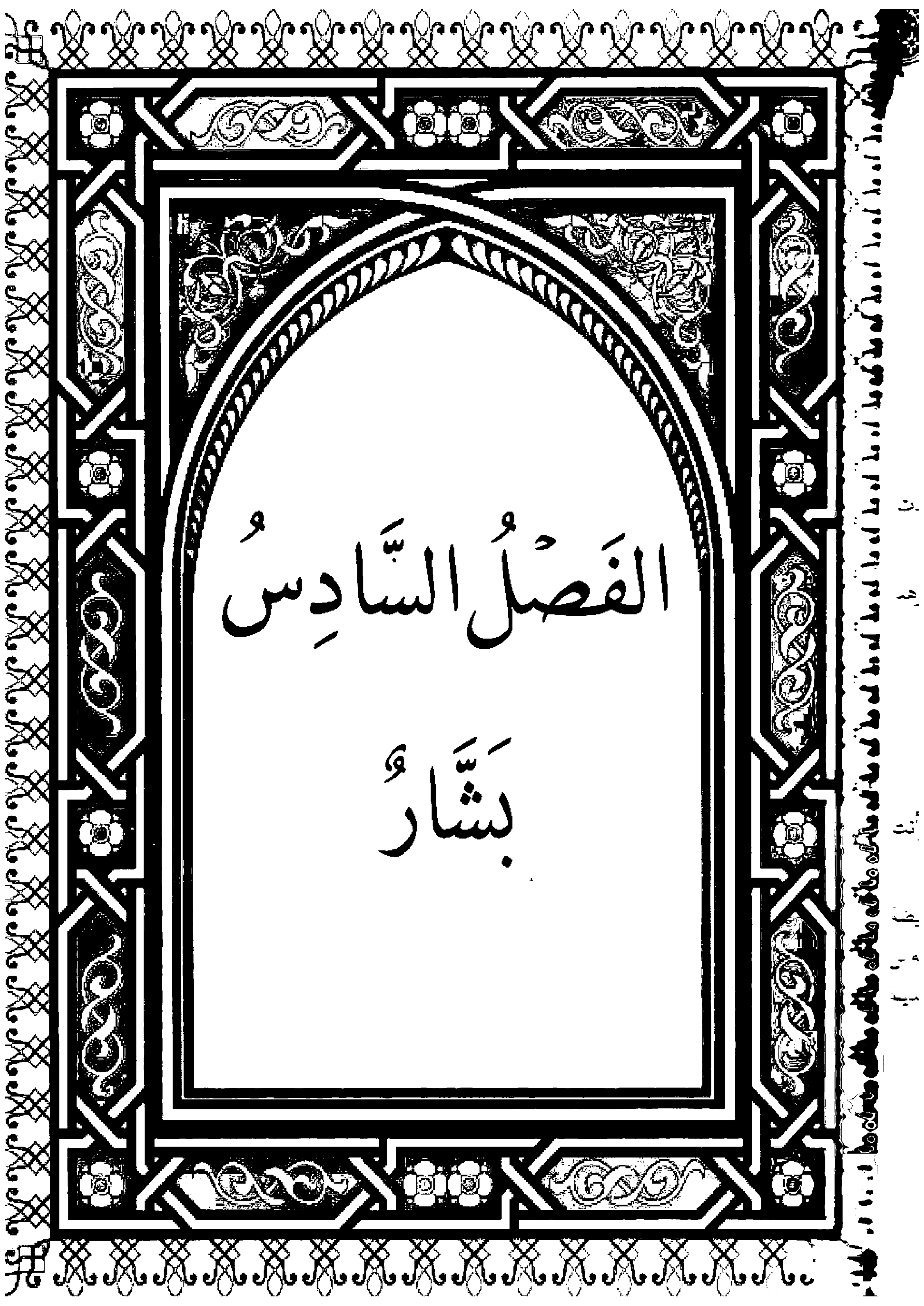
وفي الحديث: «من أصابته مصيبة، فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب»(1).

وقد كتب بعض السلف إلى مُصابٍ يعزيه، فكان مما قال: اعلم أنك إن صبرت فقد نفذ قضاء الله وأنت مأجور، وإن جزعت نفذ قضاء الله وأنت مأزور.

وقد توفي في هذه السنة جماعة من الأعيان، مثل السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس، صاحب حريضة وهو سيد فاضل، وقد قصدناه للزيارة في حياته وانتفعنا به، والسيد العمدة بقية الفضلاء عبد الله بن شيخ العيدروس، فكانت وفاته ببندر الشَّحْر؛ والسيد الأجلُّ بقية المحققين، أحمد القُشاشي، المقيم بالمدينة الشريفة، وكانت وفاته في آخر سنة إحدى وسبعين ١٠٧١هـ (إلى آخر المكاتبة)



(١) الطبراني في المعجم الكبير (٦٧١٨)؛ الأوسط، (٤٤٤٨)؛ الصغير، (٦١٢)؛ البيهقي في شعب الإيمان، (١٠١٥٢ - ١٠١٥٣ - ١٠١٥٤).



الفَصْلُ السَّادِسُ

بَشَّارُ




تُسمى مدافن تريم: تربة بَشَّار، وهي جنوبي المدينة، تحت جبل الفُرَيط.

وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء:

١ - جزء جنوبي ويسمى زَنْبَل، وهو مدفن السادة آل باعلوي وبعض المحبين من السلاطين والعبيد وغيرهم.

٢ - وجزء شمالي يسمى الفريط، وهو مدفن المشايخ، وفيه الشيخ سعد السويني شيخ العيدروس العدني.

٣ - وجزء شرقي يسمى أَكْدَر.



مقابر زنبل والفريط والقبة التي على يسار الناظر قبة السيد باشميلة، والتي في وسط الصورة قبة العيدروس الأكبر

وكان الإمام (رضي الله عنه) كثير الزيارة لجنان ـر - تربة تريم - خصوصًا في بداياته، ـكان يكثر من زيارة آل أبي علوي. ـ قال (رضي الله عنه وعنهم): إني ـت كثير الزيارة أنا والسيد العيدروس ـي بن عبد الله بعد العشاء من ليلة ـجمعة. وكان ربما زار وحده.

قال بعض الصالحين: خرجت لزيارة ـ علوي ليلة عرفة، نحو نصف الليل، ـجدت سيدي الشيخ الحبيب عبد الله ـ قبر سيدنا الفقيه المقدم وحده، ـ ربي الفقيه ومن عنده، ثم السقاف ـ عنده، ثم المحضار ومن عنده، ثم ـعيدروس ومن تحت قبته، ثم أمرني بالانصراف فانصرفت، ودخل هو ـ وأغلق الباب، ولم أدر كيف صار أمره.



تريم، وترى قباب بشار في الخلفية

ـان دأبه (رضي الله عنه) الزيارة عشية الجمعة بعد أن يصلي العصر في مسجد ـحيرة، ولعله إنما اختار الزيارة في هذه العشية، رجاء أن تكون هي ساعة ـ يوم الجمعة؟ لكونه مذهب جماعة السلف، وهو مذهب سيدتنا ـة بنت الرسول (ﷺ) وتأثره عن أبيها، ويحضر زيارته جماعة كثيرون ـ فضلاء السادة آل باعلوي وغيرهم.

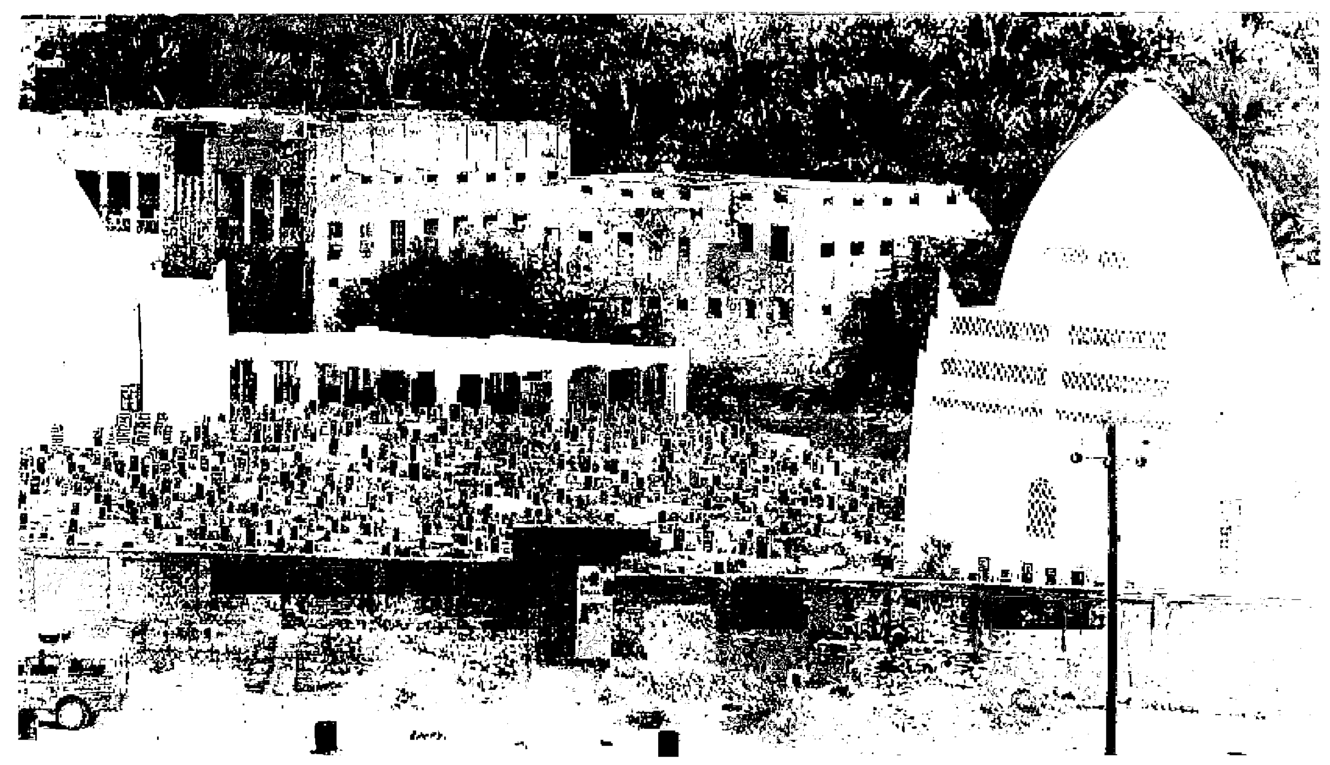
ـان يبتدئ في الزيارة بالفقيه المقدم محمد بن علي علوي، والشيخ ـة باعلوي. ثم الشيخ علوي بن الفقيه المقدم ومن حوله، كأخيه

السيد الولي عبد الله بن الفقيه المقدم، وهو الذي يقال: إنه نعش نعشين، نعش في السماء، ونعش في الأرض، وأمه زينب، والسيد الكامل محمد بن علوي من ذرية أحمد بن الفقيه المقدم، وجده السيد العارف عمر بن أحمد المنفر، وغيرهم. ثم السقاف عبد الرحمن بن محمد ومن عنده، كوالده الشيخ مولى الدويلة، وجده علي ابن علوي، والشيخ حسن الورع، والسيد أحمد بن عمر الهندوان. وغير هؤلاء جماعة من حولهم، كالشيخ علي بن علوي خالع قسم، والشيخ جمل الليل، والسيد الولي محمد بن عبد الرحمن ابن الفقيه المقدم، ثم جده الشيخ الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه المقدم، هو والشيخ مولى عيديد محمد بن علي؛ لأنهما في قبر واحد، محاذ قبر الشيخ أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف، وابنه أحمد بن أبي بكر، ثم السيدين الشيخين شيخ ابن السقاف عبد الرحمن وشيخ العيدروس عبد الله ابن أبي بكر ومن حولهما. ثم المحضار عمر بن عبد الرحمن والشيخ علي بن أبي بكر ومن حولهما؟ كالشيخ حسن وحسين ابني السقاف، والشيخ عبد الرحمن بن علي، والشيخ شهاب الدين، والشيخ مشيخ ابن عبد الله، وغير هؤلاء من أكابر السادة آل أبي علوي (رضي الله عنهم).

ثم يمر ويقف قليلاً عند قبر الفقيه الصالح محمد بن أحمد باجير، أحد من قرأ عليه، ويقول: إني أحب أنه يمسك برجلي إذا مررت بقبره.

ثم يزور الشيخ العيدروس عبد الله بن أبي بكر ومن عنده كابنه الحسين وابنه أحمد.

ثم يزور أهله شرقي قبة العيدروس، ثم يجلس هناك بمن معه ويتذاكرون ويتفاوضون الحديث بينهم، وقد قيل له: كيف تتكلمون في المقبرة؟ فقال: لو لم نتكلم لاحترقنا. وكان يزور أيضًا عشية الثلاثاء على هذه الكيفية في الترتيب للزيارة المذكورة.



سقيفة الحداد

قـال قـدس الله سره: كنا أولاً مقتصرين على زيـارة الجمعة فقط، فرأى بعض أصحابنـا الفقيه المقدم في منام فقال له: قل للسـيد عبد الله الحداد: زيارة الجمعة فقط لا تكـفي، فرتبنا زيارة الثلاثاء لذلك. ثم لما عجز بالكبر بقي يزور على غير هـذا الترتيب من الجمعـة والثلاثاء، بل كان ربما زار بعض الأسـبات قبل طلوع الشمس وغير ذلك.

قـال في «تثبيـت الفـؤاد»: وزار (رضي الله عنه) التربة ضحى السـبت ٢٦ ذي القعـدة من سـنة ١١٢٤هـ، فقال: كنا مرتبين زيارة التربة في ليلة الجمعة؛ لأن في الليل يصفو الوقت للزيارة ويسـلم الإنسـان من تشويش الناس، في سـاعة يجيئـك واحـد، وبقينا نزور كذلك حتى فعلنـا الذكر في ليلة الجمعة، في المحرم أول سـنة ١٠٧٢هـ، فبقينا نزور في أثناء الأسـبوع، وترتيبنا الزيارة ليلة الثلاثاء، بسـبب رؤيا رآها بعض الأخيار، وهي أنه رأى السادة مجتمعون عند الفقيه المقدم، ويقولون: ما يكفينا من فلان في الأسبوع زيارة واحدة، والآن لما حصـل الضعف نزور على الاتفاق، حسـب الطاقة، وإن طالـت المدة، وإذا زرت إن أمكنني أتم الزيارة، وإلا، زرت الفقيه وحده، وقد تجتمع عنده أرواحهم.

فقلـت له: قـد كنتم تزورون في الليـل، وملازمين للزيارة لا بد منها في الأسـبوع، فقال نفع الله به: خل كان كنا نزور نمشي والمركوب قائم، وما ينفع كان؛ لأن ما كان قد كان، وعلى بالك أن ابن خلكان سمي بذلك لأنه يقـال: إنه من ذرية البرامكة، وكانوا على مـا هم عليه، فيذكرون الناس أيامهم، ويقول: كان فلان منهم كذا وكذا، وعلى هذا، فقيل له: خل كان، أي: اترك كان.


أحد أبواب مقبرة زنبل

قلت: هل الزيارة مندوبة في نفسـها، أو لأجل التذكير والاتعاظ؟، فقال: لأجل ذلك، وللتبرك بمجالسـة الصالحين، إذ ورد أن رجلاً سأل النبي (ﷺ)، عن أفضل الأعمال، فقال: «**الجلوس بين يدي ولي، سـواء حيًّا أو ميتًا**»[1]. وورد: «**من زار قبري، فكأنما زارني في حياتي**»[2].

قلت: أيكون الميت يرى أن عليه حقًّا للزائر ينفعه به في الآخرة؟ فقال: حق ضعيف، دون من زار الحي، ولهذا تعجب السائل من قوله (ﷺ): «حيًّا أو ميتًا»؛ لأن الـحي ترجو منه وصية، ودعاء صالحًا، ومثـال الزائر كالواقع في البحر، إنما يطلب نجاته بأي ممكن.

ومن كلامـه (رضي الله عنه): إنا قد نقصـد الزيارة في بعـض الأحيان ولا يمنعنا منها إلا ما شغلنا به الأموات من طلب الشفاعة، فنترك لذلك، ولكثرة التعلق منهم.

[1] ... ذلك منامًا لأحد أكابر اليمن.
[2] ... الطبراني في المعجم الكبير، (١٣٤٩٦ ١٣٤٩٥)؛ والأوسط، (٢٨٧).

وكتب (رضي الله عنه) لبعض السادة: نحن داعون لكم عند ضرائح السادة عند زيارتنا، وقد قلت منا الزيـ
لهم في هذه الأيام لضعف القوة، ووهن الجسم، وقلة الصفاء، وترادف الأكدار بسبب حوادث حدثت في الجهة ما كنا نظن أنها تقع ونحن في الحياة، وبين ظهراني الناس، ولكن الأمر كله لله.

وكان يحض على زيارة آل أبي علوي، ويأمر بها كثيرًا، ويوصي بها جملة من الأصحاب، خصوصًا زيـ الفقيه المقدم.

ورآه بعض الصالحين بعد موته وهو يقول: عليك بزيارة الفقيه المقدم، فإن بعض الناس لم يكن له كثير عبادة إلا أنه كان كثير الزيارة له، فألحقه الله بالعاملين الكاملين، أو قريبًا من هذا المعنى.

وكان (رضي الله عنه) يعجبه من كان مواظبًا عليها، وينسب من يقلل الزيارة إلى العجز، والكسل، وقلة الاهتـ بأمر الدين، ويقول: إن الشيخ علي بن أبي بكر كان لا يمل الزيارة، وربما زار في اليوم أربع مرات، وكان ربـ طلع من الزيارة ثم يرجع من أثناء الطريق قبل أن يصل إلى البلد، ويقول: إنها حصلت نية أخرى في الزيـ

وكان الشيخ عبد الرحمن بن علي لا يقوم من عند قبر والده الشيخ علي (رضي الله عنه) حتى يسمع قائلاً يقول له: يـ عبد الرحمن قم، قد أحرقتك الشمس!

قال: وكان الشيخ عبد الله باعلوي يجلس عند قبر سيدنا المقدم ويطيل جدًّا، وربما عصرت ثيابه من شدة العرق الذي يحصل من حرارة الشمس، وكان يقول: الصيد كل الصيد في جوف الفرا. وينشد:

يا دار إن غزالاً فيك هيمني   لله درك ما تحويه يا دار

وعن بعض الثقات من أصحاب الإمام قال: جئت ليلة وحضرت راتب الشيخ عبد الرحمن السقاف في مسجده الكبير، ثم مكثت بعد تمامه مدة، فإذا بسيدي عبد الله قد أقبل إلى ذلك المسجد وحده، وهو لا ينظر، وكنت في جانب لم أتحرك ولم أتكلم ولم أصافحه، فناداني فجئت إليه وصافحته، فآنسني، ثم قـ لي: أريد أن أزور التربة هذه الليلة أنا وأنت، فقلت: نعم يا سيدي، فخرجت معه، فلما قربنا من مقبرة آل علوي، قال لي: اثبت ولا يفزعك ما ترى أو تسمع - أو معنى ذلك - فقلت: إذا كنت معك إني إذًا لثابت. فلما وصل إلى قبر سيدنا الفقيه المقدم قال: السلام عليكم، فوالله لقد سمعت النداء عليه برد السلام من كل قبر، فداخلني عند ذلك فزع، فضرب بيده على صدري، وقال: لا ترع! هؤلاء الأحياء، أتحسب أنهم موتى؟ نحن الموتى، وهم الأحياء! فسكن بعض فزعي، وما زالت يده على صدري حتى قمت (رضي الله عنه).

قال السيد الحسين بن عيدروس الجفري باعلوي: انحدرت أنا ووالدي إلى تريم، لزيارة من بها من عباد الله الصالحين (رضي الله عنهم) فزرنا تربة آل أبي علوي، فصادفنا سيدي عبد الله يزور، فزرنا معه في جمع عظيم. ونحن في زي البادية؛ لأننا معنا إبل نرعاها ونباشرها بأنفسنا، فلما صافحه والدي، قال له: من أنت؟ فأخفى

ـنه شريفًا، وقال: أنا من آل باجابر الفقراء المعروفين، ومراده التغريب على سيدي - نفع الله به - فلما ـ شيخ العيدروس عبد الله، جلس هو ومن معه حول قبته، فجلسنا معه، فنادى والدي من بعيد، وقال ـ أنت الحسين بن عيدروس الجفري؟ ولعله لم يعرفه من قبل أي لم يلتق به من قبل. فقال: بلى يا سيدي! ـد ذلك عرف جماعة سيدي أننا أشراف فصافحونا.

وعن بعض الثقات قال: زرت مع سيدي في بعض الليال سيدنا الفقيه المقدم بعد العشاء، فقرأ سورة ـلاص ثلاثًا، وخفّف الزيارة جدًا، فتعجبت غاية العجب، وخطر لي أنه كيف طلع من مكانه الحاوي، ـدًا الزيارة ليلاً، ومع ـ خفف هذا التخفيف، ـ يزر إلا المقدم فقط، ـ نصرف، وأراد أن ـب الفرس، أخذ أذني ـرها، وقال: أما تدري ـرءة سورة الإخلاص ـ تعدل ختمة، كما ـ حديث؟ فعرفت أنه ـني بما خطر لي.



أحد أبواب مقبرة زنبل

ـر شخص تربة آل أبي علوي، فقال له الإمام: زرت آل أبي علوي؟ قال: زرت المقدم وحده. فقال: هو ـيء كله.

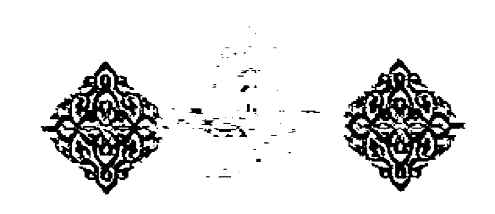
ـن بعض المنشدين: كنت جالسًا مع سيدي في جمع عند قبة العيدروس، فخطر لي: ليته يأمرني بالإنشاد. ـ ما خطر لي تبسم وقال: أنشد.

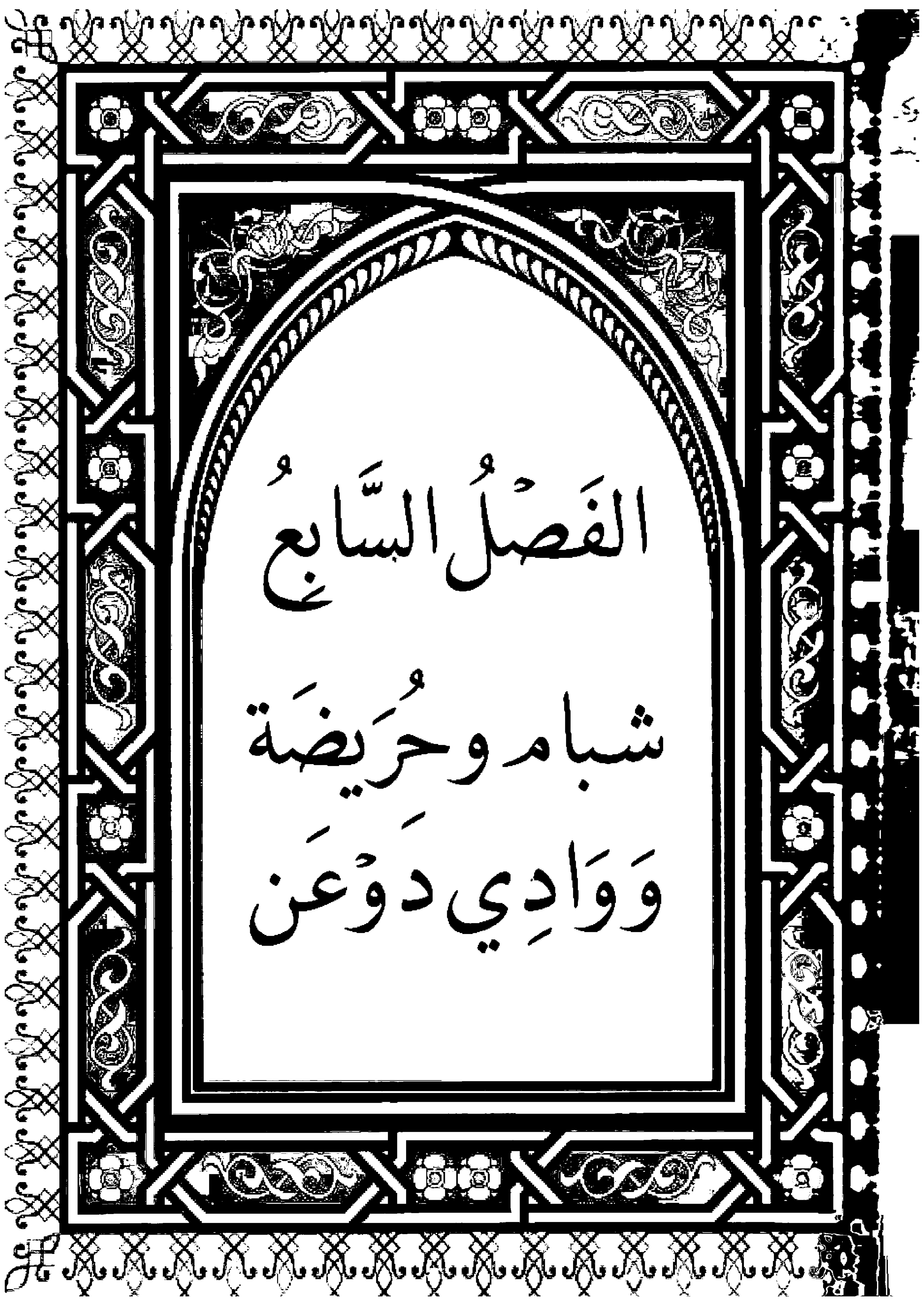
خبر السيد عقيل عن بعض فقراء الإمام قال: زرت مرة تريم، فخرجت أنا وسيدي لزيارة التربة ليلاً، فلما ـد قبر سيدنا الفقيه المقدم، وذلك بعد وفاة زوجته الصالحة خديجة بنت السيد عبد الله بن عمر بن الحسين ـشيخ علي بأيام، وكان معي شيء من شجر الريحان، فقال لي سيدي - نفع الله به: اطرح بعضه على قبر سيدنا ـلمقدم، وبعضه على قبر زوجتنا الشريفة خديجة. فقلت له: أنا لا أعرف قبرها. فقال لي: امض إلى نحو قبر ـخ عمر المحضار، وأنت تعرفه. قال: فطرحت بعضه على قبر سيدنا الفقيه المقدم، وقدمت إلى نحو سيدنا ـ، فإذا أنا بالنداء من قبرها: قبري هنا، قبري هنا. فذهبت أتبع الصوت، حتى وقفت على القبر الذي أسمع ـه، وجعلت عليه بقية الشجر، ورجعت إلى سيدي مبهوتًا مرعوبًا، فقال لي: ما الذي بدا لك؟ فأخبرته، ـ من النساء الولود الودود. وعرفت أنه كوشف بأنها ستناديني من قبرها، حيث قال: امض، وأنت تعرفه.

وكانت الشريفة خديجة هذه من النساء الصالحات، وتذكر عنها أشياء من الخصال الجميلات. و
للإمام بها أنس تام، لكونها موافقة له في أكثر أحواله، عظيمة الأدب معه. وكان مولدها بأرض اليمن. أو
الإمام ابنتيه الشريفتين الصالحتين فاطمة وبهية.

قال السيد العارف بالله الجنيد بن علي جمل الليل: خرجنا نزور تربة تريم، أنا وسيدنا الإمام الأكبر عبد الله بن علوي الحداد، ومعنا سيد ثالث، فلما زرنا الفقيه المقدم، ومضينا إلى عند ضريح سيدنا السقاف، انصرفت أنا أزور جدي جمل الليل باحسن، وسيدي عبد الله هو والسيد الآخر بقيا هناك. فبينما أنا كذلك إذ أقبل إلى هذا السيد فزعًا مبهوتًا، فقلت له: ما الذي بدا لك؟ وما الذي أفزعك؟ قال: إنه تراءى لي أنه انشق القبر وانفتح، فوثب فيه سيدي عبد الله وأنا انظر، وغاب عني فيه، ولم أدر أين صار. فخرجنا هاربين من التربة.

قبة السيد باشميلة





الفَصْلُ السَّابِعُ

شِبامُ وحُرَيضَة وَوَادِي دَوْعَن

زار الإمام الحداد (رضي الله عنه) وادي دوعن وحريضة ثلاث أو أربع مرات مرات. وكانت بعض هذه الزيارات في حياة السيد الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس (رضي الله عنه)، وبعضها بعد وفاته.

يقول الشيخ محمد بن ياسين باقيس الدوعني: إن الزيارة الأولى كانت بغير قصد، إذ استأذن الإمام والديه في زيارة الإمام المهاجر (رضي الله عنه)، كعادته في ذلك، فأذنا له. فلما زار المهاجر والسيد أحمد الحبشي جاءته نية زيارة الشيخة سلطانة الزُّبَيدية، ومنها إلى سيؤون لزيارة العارف بالله الشيخ عمر بامخرمة. فلما زار الشيخ بامخرمة، استجدت عنده نية زيارة الصالحين المقبورين بمقبرة شبام، ثم حضرت نية زيارة هينن، والشيخ عبد الرحمن باهرمز[1]، ومن حوله من الصالحين. فلما تم له هذا، حصلت نية وجذبة إلهية لزيارة الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس.

وكان الإمام قد مر على بلدة بور طالبًا من الحبيب أحمد بن هاشم الحبشي أن يسير معه إلى حريضة لزيارة السيد عمر العطاس (رضي الله عنه). وأراد الحبيب أحمد أن يعتذر ويتخلف عنه، إلا أنه لم يمكنه في النهاية إلا مرافقته. فسارا إلى حريضة، فكان وصولهما إليها ليلاً، فقصدا بيت السيد عمر، فوجداه غائبًا بوادي عمد، فلما أصبحوا، دعاهم أحد أصحاب الحبيب عمر، وهو الشيخ عليْ بن خولان السعدي، إلى الغداء. فلما جلسوا وحضر الطعام، إذا يقال لهم: هذا الحبيب عمر قد أقبل. فقال لهم الإمام الحداد: قوموا، واتركوا الغداء، وكونوا في التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والتوبة، والاستغفار، والأدب، والانكسار، فإنكم تلاقون صاحب الوقت. فأخذت الحاضرين حالة عظيمة من مقالته، وقاموا جميعًا، وخرجوا كي يتلقونه. فأما الإمام فإنه عانقه، وأما السيد أحمد بن هاشم فأكب على قدمه يقبلها، وكانت تلك ...



وادي دوعن

قال الشيخ عبد الله بن عمر ...حي: قال سيدنا ومولانا الشيخ عبد الله بن علوي ...: لما كانت سنة إحدى ...عين وألف، في جمادى ...ة منها، يوم الاثنين ...ي والعشرين من الشهر

---

[1] الشيخ عبد الرحمن بن عمر بن محمد باهرمز الشبامي، أحد أكابر العارفين، والشيوخ الواصلين. ولد بشبام سنة ٨٤٠ هـ، وكان يؤثر الوحدة، وإذا عرف في ... تخلى عنها. انتقل في نهاية عمره إلى مدينة هينن، وتوفي بها سنة ٩١٤ هـ. من أشهر من انتسب إليه الشيخ معروف باجمال، والشيخ عمر بامخرمة.

المذكـور، تفضـل الله (ﷻ) أن أنهـض الهمـة وأطلق الأقدام بالسـعي مـع الأصحاب إلى زيارة سـيدنا و
مشايخنا السيد الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وكان الاجتماع به في داره بحريضة.

وحصلت بسبب الاجتماع هذا فوائد ومنافع، وإمدادات ظاهرة وباطنة، ذلك من فضل الله. ومن جم أني طلبـت الخلـوة به، فخلي لي، فكنت أنا وإياه ما معنا إلا الله، فكشـفت له عن جملة أمري تبركًا باطلا فما ذكرت له عن نفسي شـيئًا إلا واستحســنه، وأقرني عليه، وأكثر ما يحثني على الدعوة إلى الله وإظهار للخـاص والعـام، من غير مبالاة بأحد، والتمسـت منه شـيئًا من الصلـة الظاهرة، مثـل الإلباس والتـ والمصافحة، فسمح بجميع ذلك، مع الإذن العام فيه، وقال: ألبستك، وألبس منك. وانتزع عمامته، ووضـ على رأسي، وأخذ العمامة التي كانت عليّ، فوضعها على رأسه.

وقد ذكر صاحب «تثبيت الفؤاد» أن الإمام (ﷺ) ألبس أناسًـا الخرقة في أحد الأيام، ثم قال: لبسـ من الشـيخ عمر العطاس لكن بالشـدة، ما طاع يلبسنا إلا بمعالجة، وأرادنا نحن نلبسه، لأنه كان متو جدًّا، والتواضع وإن كان حسنًا من كل أحد، لكنه من أهل الفضل أفضل وأحسن، فالمنظور بين الناس نبـ تواضعه كتواضع أحد من أطراف الناس.

وقد سُمع أيضًا يقول: ما ألبسني كوفيته أي طاقيته حتى ألبسته كوفيتي، وكل منا ترك كوفيته للآخر.

وقيل: إن السيد عمر بعد أن طال جلوس الإمام عنده ثم خرج، قال لمن عنده: ما ظننت أن أحدًا يرحـ بتريم مثل هذا السيد.

قال الإمام: أردت الرجوع إلى تريم، حيث طالت الأيام ولم أكتب لوالدي كتابًا أعلمه بحالي؛ لأن كل على نيـة الرجـوع إلى الوطن، وإنما تحدث النيات. وكذلك لـم يكتب لي والدي كتابًا؛ لأنه كل يوم يتوقع فـ قدومي إلى الوطن.

قـال: فلما هممـت بالرجوع مـن حـضرة الحبيـب عمـر العطـاس - نفع الله به - أشـار علـيّ بزيـارة الشـيخ الكبير والقطب الشهير، معدن الأسرار والمعـارف، الشـيخ سـعيد بـن عيسى العمـودي، بقيدون. قال السيد عمر: فإن انشرح صدرك لزيـارة دوعـن فأتم الزيـارة إلى

قرية من قرى وادي دوعن

نحو الوادي، وإلا فارجع من حضرة الشيخ سعيد. قال الإمام: فلما زرت الشيخ سعيد، وتمليت في حضرته، واستمددت من بركته، وحصل المقصود من زيارته، انشرح الصدر إلى زيارة من بوادي دوعن من الصالحين الأحياء والميتين، فعزمت على الزيارة ومعي رجل من السادة آل الجفري، جمّال متبرع، حق محبة واعتقاد. وزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مؤذن بضرفون ومن في تربته، وطلعنا بُضَة، واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم.

وفي بضة نزل الإمام في ضيافة السيد عمر باعقيل، وكان آل العمودي يترددون عليه وهو يتردد إلى بيوتهم، أخذوا كلهم عن الإمام وارتبطوا كلهم به ارتباطًا وثيقًا، وقد أطال الشيخ باقيس في ذكرهم فملأ الصفحة تلو الصفحة من أسمائهم.

وعن بعض أصحاب الإمام قال: كنت مع سيدي ببلد الهجرين، لما زار دوعن، فلما أصبح بالبلد المذكور، جاء رجل من آل ابن النعمان: إن في بلدتكم هذه جنًّا صالحين، إنهم جاؤوني البارحة وقالوا: نريد أن نخدمك، فقلت لهم: لا حاجة لي بخدمتكم، قد خدمني الأحرار الإنس - أو الروحانين - الله أعلم أي ذلك

ويكمل الشيخ عبد الله [illegible]حين فيقول: قال سيدي: ثم [illegible]سرنا من حضرته قاصدين [illegible] الشيخ سعيد بن عيسى [illegible]مودي. وكان في أصل الهمة [illegible] زيارة السيد عمر [illegible]كور من الأحياء، وزيارة الشيخ سعيد من الموتى، وما [illegible] في ضمن ذلك من زيارة [illegible] نته الصالحين الأحياء [illegible]ت، فهو لاحق به، وتابع [illegible] جتمعنا في هذه السفرة، بجماعات من أهل الخير والصلاح، مستورين ومشهورين، وحصلت معهم [illegible]ت حسنة، وموافقات شريفة، ومذاكرات لطيفة، ثم إن الله - وله الحمد - ختم ذلك بمصادفة السيد عمر [illegible] وهي على الطريق، فدخلنا لزيارته، وبقينا عنده من عشية يوم الخميس إلى آخر يوم الجمعة، وحصل في الاجتماع الثاني من الخير والمدد ما لا يقدر قدره. وبعدما ودعنا السيد عمر خارج البلد، اتبعنا شخص [illegible]عكاز، وقال: هذا لكم من السيد عمر. فأظهرنا البشارة، حين عرفنا الإشارة.



مدينة قيدون، دار الشيخ سعيد بن عيسى العمودي

وكان هـذا السـيد عمر حجة في الاسـتقامة، وتصحيح مقـام العبودية، وغاية في كتمـان الأسرار، وت النفـس، وآيـة في التواضع، وإيثار الخمول، والإعراض عن الخلـق، ولكنه لا يعرفه كل أحد؛ لأنه أكثر وكمالاته كان باطنًا، لا يهتدى اليه إلا بنور الفهم والبصيرة، وإن كان كله كمال.

وكان السيد عمر يقدم الإمام على نفسه في إمامة الصلاة، وعند الدعاء، وعند القهوة، ويقول: السيد عبد الله الحداد أمة وحده. وكذلك كان يقول: وجدنا فيه ما في أسلافنا المتقدمين.

قـال عبـد الله بـن صالـح باكثير: زرت مع سـيدي وادي دوعن، فلمـا رجعنا منه مضينا إلى السيد العارف عمر بن عبد الرحمن العطـاس إلى حورة، ثم طلبنا الاسـتيداع منه، فطلب المسى عنده تلك الليلة، فقال سـيدي عبد الله: افسـحوا لنا. وإن كنتم أردتم جلوسـنا الليلة عندكم خوفًا علينا من المطر



منازل قيدون

فنحن نسير إن شاء الله، ولا يكون شر.

عندئذ استودع الإمام الحداد من السـيد عمر بن عبد الرحمن العطاس، وتخلف الحبيب أحمد بن هـ الحبشي قليلا.

قال الشيخ باكثير: أما السـيد أحمد بن هاشـم، فقال للحبيب عمر: يا سـيدي، إنه يحصل معي قبض الظاهر، واتوقف عن مرافقة الحبيب عبد الله الحداد، وعسى أن يكون للمفارقة سـبب منه. وكان الحبيـ عمـر قد سـبق وقال لهما إنهما سـوف يجتمعان في البدايـة، ويفترقان في النهاية. فكانـا في ابتداء أمرهم ذكرنا، ثم حصل مع الحبيب أحمد بن هاشم قبض. ونراه هنا يحس بالحرج من انقباضه عن مصاحبة الإ الحداد، ويطلب من الحبيب عمر، كرامة منه، أن يكون سـبب الإفتراق في طريق العودة من الإمام الحـ وليس منه. فأجابه الحبيب عمر: يكون ذلك هذا اليوم؛ وذلك أنكم ستمرون بمكان فيه عِلب (أي شج سدر) من صفته كذا وكذا، وعنده طريقان، والعلب بينهما.

قال الحبيب أحمد: فسرنا من عنده جميعا، وكنت أتوقع العبور على المكان الذي وصفه سيدي عمر، حت أتينـا إليـه، فكان كما وصـف، وكان الحبيب عبـد الله راكبا متقدما وأنـا خلفه، فأمسـك مركوبه، والتفـ


مسجد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (رضي الله عنه)

ـ لسائرين معه، وقال: ما تقولون في السيد أحمد بن ـوي باجحدب والحبيب ـمر بن عبد الرحمن العطاس، ـما حاله أكبر؟ فسكت ـحضرون، ولم يجبه أحد ـم. فأعاد السؤال ثانيا، ـثا، فلم يجبه أحد كذلك. ـت له: حال سيدي عمر بن ـ لرحمن أكبر. فقال السيد ـ لله الحداد: صدقت. ثم ـ ما يَصلُح سَيْفان في جَفير[1]، خذ أي الطريقين شئت. قال: فأخذت الطريق الضيق، وتركت له الطريق ـع[2].

يكمل عبد الله باكثير فيقول إنهم ساروا ـنك، فلما وصلوا إلى الكسر طلع السحاب، ـ، وكان هناك عريش فدخلوه ليحتموا فيه ـصر، وكان معهم بعض المنشدين، فأمره ـميع. قال عبد الله باكثير: وأنا في طرف ـحـ، فذكرت في نفسي عند ذلك قول السيد ـ في الممشى، ووقع لي إنه اطلع على وقوع ـ فعند ذلك كاشفني سيدي قائلاً: من هذا ـتألى على الله ويقول كذا؟ وذكر ما خطر ـبعه.


مسجد الأبدال الذي أنشأه الإمام الحداد بنقر شبام

ـ زيارة الثانية للإمام فهي التي سبق ـ في ترجمة الحبيب عمر العطاس (رضي الله عنه). ـ بعدها بفترة قليلة.

[1] ـفير هو غمد السيف أو كنانة السهام.

[2] ـ حبيب أحمد بن هاشم الحبشي يوم الإثنين ١٤ من ذي الحجة سنة ١١١٥هـ.



صحن ومئذنة مسجد الأبدال

وفي هذه الزيارة الثانية سنة ١٠٧٢هـ، كان الإمام قد ابتنى مسجدًا خارج شبام، وكان يقيم فيه حضرة الذكر الجهري.

ذكر الشيخ عبد الله بن عمر شراحيل في مؤلفه: أنه (رضي الله عنه) لما زار جرب هيصم تربة شبام كنت معه، فلما انصرف عنها، قام بطرف المقبرة، وقرأ شيئًا من القرآن، وأطرق ساعة، ثم قال لي: يا عبد الله، معذبي الجرب ليسوا كثير! فكأنه كوشف بذلك.

وكان يأتي مسجده الذي بشبام، وربما فعل فيه حضرة الذكر الجهري، وكان يثني على هذا المسجد، ويقول: إنه مسجد الأبدال، ويظهر تجلي الحق عليه، وإنا نحب من يأتيه، ولن يبيد حتى تفنى الأرض ومن عليها.

وفي شبام وقعت له واقعة مع الفقيه عبد الرحمن باعبّاد.

قال الإمام (رضي الله عنه): إنا لما دخلنا مدينة شبام، جاء إلينا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله عباد، في جملة من جاء، وذاكر في أشياء، وكان يغلب عليه التعصب على علم الظاهر.

مدينة شبام من الجو

قال: فكأنه حمل معه شبه الغيرة والإنكار علينا - أو نحو ذلك - فما لبثنا أن جاء إلينا الرجل معتذرًا، قال: إن الشيخ عبد الله بن محمد عباد، المعروف بالقديم، جاءني، وعاتبني، ووبخني لسوء أدبي معك.

قال: فصدقناه في قوله: إن الشيخ عبد الله جاءني - يعني: في اليقظة - كما عادتنا نصدق كل من جاء إلينا.

وقال السيد أحمد بن زين الحبشي: إنه حصل على باعباد المذكور بسبب إنكاره شيء من العقوبة، عمي بصره، وسيدي إذ ذاك بمسجده الكائن بالنقر، بضاحية شبام، أقام به حضرة الذكر الجهري، فخرج باعباد بقائده، (أي بقائد يقوده) فلما قرب من المسجد، وقد اطلع سيدي عليه، وعلى ما جرى له، قال سيدي لصبي كان قريبًا منه، وهو فقيره المنوّر المجذوب سالم بن أبي بكر باذيب الشبامي: أخرج إلى مكان كذا، وأدخل الرجل علي! فامتثل الصبي الأمر، وخرج للقاء الشيخ باعباد، وأدخله عليه، فاعتذر إليه، فقبله.

وبعد هذه الواقعة حسن اعتقاد باعباد المذكور في الإمام، وزاد تعلقه به، وبقي يكاتبه، ويسأله فيجيبه، كما هو مثبت في رسائل الإمام، وهو السائل له بمسائل كتاب «إتحاف السائل». قال (رضي الله عنه) في خطبة الكتاب المذكور: أما بعد، فقد طلب مني الشيخ الزكي، ذو الفهم الذكي، عبد الرحمن بن عبد الله عباد، جوابًا على عدة مسائل، أثبتها في ورقة، ودخل بها عليّ، وذلك بمدينة شبام، حال صدوري من زيارة الشيخ العارف بالله سعيد بن عيسى العمودي، ومن تلك النواحي والبلدان من عباد الله الصالحين، الأحياء والأموات، فوعدته بالجواب، لما رأيت عليه من لوائح الرغبة في معرفة الحق، وشممت منه روائح الصدق، وقد حان حين إنجاز الوعد، وفد أسئلته اللائقة بالأجوبة [illegible]. وذلك سنة اثنتين وسبعين بعد [illegible] من الهجرة.

شبام

وفي مكاتبات الإمام الحداد عدة رسائل إلى الشيخ باعباد، وفيها أسئلة فقهية وأخرى صوفية أجابه عنها، [illegible] محفوظة في كتاب «النفائس العلوية في المسائل الصوفية»، إلا أن هذه المكاتبات فيها من الإشارات [illegible] عن حال الشيخ باعباد مع الله ما يكاد يخط للقارئ طريق ترقيه وسلوكه على يد الإمام الحداد.

ففي إحدى المكاتبات يقول الإمام الحداد (رضي الله عنه): من عبد الله بن علوي الحداد، إلى الشيخ الوجيه [illegible] النبيه عبد الرحمن بن عبد الله باعباد، جعله الله من المستعدين بالأوراد، من العبادات والأذكار، [illegible] واردات الأنوار، الفائضة من العوالم الملكوتية، على يد العناية الربانية، وإيانا... آمين.

ففي هذه المكاتبة يشير الإمام إلى وجوب الاستعداد بالأوراد لكي يصبح المريد أهلاً لنزول واردات الأ... ثم لابد من العناية الربانية لكي يثمر هذا الاستعداد، وأن الأنوار في هذا المقام ملكوتية، أي: من ... العلوية، ولكن الخلقية لا الحقية.

وفي مكاتبة أخرى يقول الإمام (رضي الله عنه): من عبد الله بن علوي الحداد علوي، إلى الشيخ الذي قد ... نفحات الطريق، وشام[1] لمحات التحقيق، المحب الوجيه عبد الرحمن بن عبد الله عباد، جعله الله ... العابدين له على بساط المعرفة به، القائمين له به قيامًا يفنيهم عن قيامهم له في قيامهم، أولئك العارفون حـ... والمحققون صدقًا، جعلنا الله وإياكم منهم بمنّه، آمين.

هنا يشير الإمام إلى أن الشيخ قد بدأ يشم عبير التحقيق، ويتلقى لوامع من نفحات القرب، وأنه سو... يكون ممن يعبد الله على معرفه، وأنه سوف يغنيه الله عما سواه، وأن باب المعرفة والتحقيق قد فتح... ودعي إلى الدخول، وما ذلك إلا ببركه شيخه حداد القلوب.

وفي مكاتبة ثالثة يقول الإمام (رضي الله عنه): من عبد الله بن علوي الحداد العلوي إلى المحب الوجيه عـ... الرحمن بن عبد الله عباد، حجبه الله عن شهود نفسه، بمشاهدة أنوار قدسه، وأغناه من مدركات حـ... بأمر يلقيه إلى سره من غيب ملكوته، يستغرقه به عن جن العالم وإنسه.

أما هنا فيتكلم الإمام عن مشاهدة أنوار القدس، وهذه أنوار الحق لا الخلق، وهنا أصبح الشيخ عبد الرحمن باعباد من العارفين بالله.

وهكذا شأن كثير ممن بدأ بالإنكار على الأكابر، فإن من كان الله يريده عوقب حتى يعلم خطأه، ثم يدفعه الله إلى العارف فيعلمه ويؤدبه ويسلك به طريق المعرفة، ومن لم يكن يريده تركه على ما هو عليه من غي واعتراض، متوحلاً في أوحال العجب والكبر والجهل، والعياذ بالله.



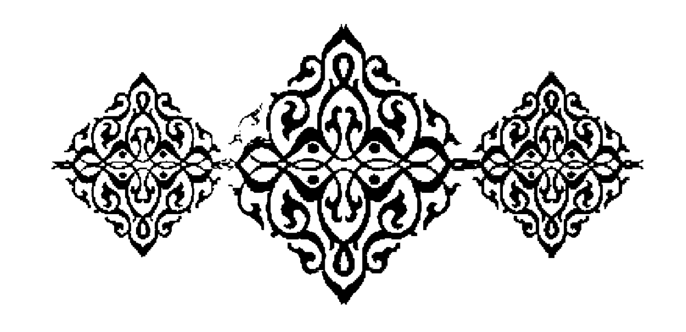
المسجد الجامع بشبام

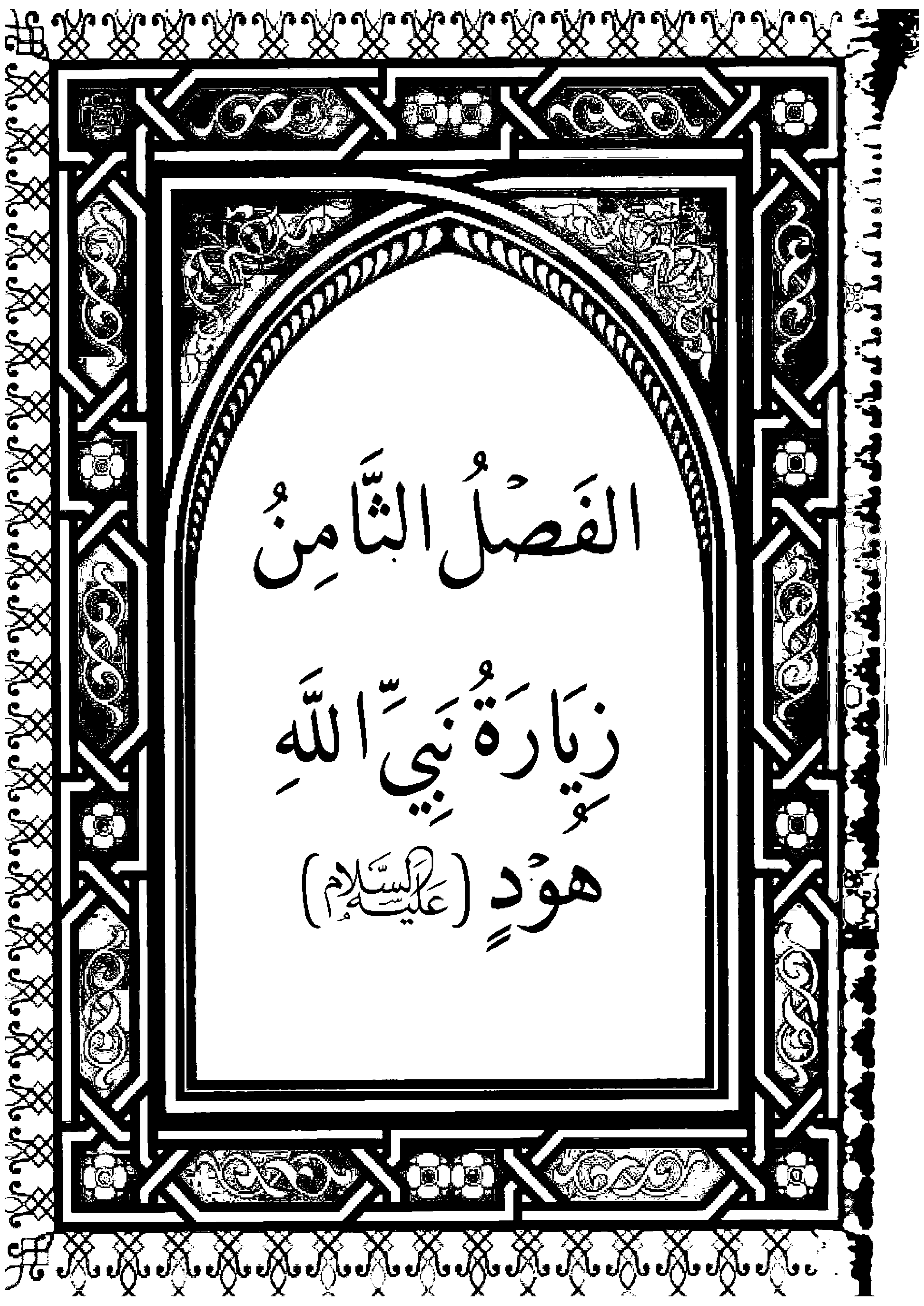
(١) شام: أي تطلّع وبدت له مخايل ما هو آت.

وروى السيد محمد بن زين بن سميط عن إحدى زيارات الإمام لوادي دوعن، ولم يبين أي منها، قال: وكذا جلس في دوعن جماعات، وحصل جمع عظيم، فتكلم (رضي الله عنه) في مواهب إمداده ومواجيد أوليائه وصفوته من عباده، ثم قال: إن أحدكم يود أن يكون مثلهم أو ينال مناالهم، ولكن القيد حديد - أو قال: - ثقيل. ثم أخذ يتكلم في الوعظ والتذكير والدعوة إلى الله تعالى وإلى سبيله، ثم قال: سوف تسألون عني وأسأل عنكم، هل بلغت أم لا؟ فعند ذلك صاح الشيخ المنور عمر بن أحمد بن حمود صيحة عظيمة، وجعل يفحص ويشخّر كأنه مذبوح، فحُمل إلى بين يدي سيدي (رضي الله عنه). فقرأ عليه، وأمر برش الماء عليه، حتى أفاق. فقال سيدي: هو تلقى الكلام كله، ولو شاركه فيه غيره لما وصل إلى هذا الحال.

والشيخ عمر بن حمود النجار الشبامي هذا كان مقيمًا في مسجد الإمام الذي بنقر شبام، وكان من هيبته له لا يستطيع النظر إليه، فإذا نظره صاح وغشي عليه، ويمكث ثلاث أيام لا يستطيع النظر إليه؛ ذلك أنه كان من أهل الأحوال، ومن خواص أصحاب الإمام، وكان من أهل الخطوة. لقيه بعض الصالحين بعرفات، ونسي الشيخ سبحته هناك، وذلك في سنة لم يحج فيها في الظاهر، فلما عاد ذلك الرجل وجد الشيخ عند باب شبام، معه قداح، يعملها ويبيعها في السوق، فقال له الشيخ حين رآه: هات السبحة، ولا تُعلم أحدًا بما رأيت.

قال الشيخ عمر يومًا: رأيت كأني مت، وغسلت، وكفنت، ودفنت. فلما سوي عليّ التراب، وأرادوا الانصراف عني، أتاني ملكان عظيما الخلق، فأقعداني للسؤال، فإذا بسيدي وشيخي عبد الله (رضي الله عنه) حاضر عندي، فتشفعت به، فتنحيا عني وانصرفا، ولم يكن لي منهما سؤال أبدًا! فاستيقظت وانحدرت إلى سيدي وقصصت عليه الرؤيا، فأقر ذلك (رضي الله عنه) وقال له: نحن كذلك لجميع أصحابنا.





الفَصْلُ الثَّامِنُ

زِيَارَةُ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ (عليه السلام)




إن لنبي الله هود (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم) قبرًا في حضرموت، له زيارة سنوية تستمر ثلاثة أيام في شهر شعبان من كل عام، وكانوا يتعهدونه بالزيارة أيام السنة، ويختلون فيه الأيام والليالي.

قال السيد صالح الحامد في كتابه «تاريخ حضرموت»: من أشهر وأبرز المآثر القديمة بحضرموت قبر النبي هود (عليه السلام) الواقع قريبًا من وادي بَرهوت، شرقي قرية نغمة بنحو من عشرة أميال، على سفح الجبل المعروف بشعب هود. وكونه بحضرموت هو المنقول المتواتر خلفًا عن سلف. وهناك أقوال أخر بأنه بالشام أو غيرها. وعلى كل حال فلا يوجد قبر لنبي من الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يبلغ في صحة تعيين ناحية قبره ما بلغ منه قبر النبي هود (عليه السلام). فقد كاد أن يطبق المؤرخون على أنه بحضرموت. وفي القرآن الكريم ما يدل على ذلك، إذ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾. وموضع الأحقاف - لا خلاف فيه - شرقي حضرموت. وقد كان وادي حضرموت قديمًا وحديثًا يسمى بوادي الأحقاف، وكان القبر معروفًا في عهد الجاهلية وما قبله، وفي العهود الإسلامية، وما زال معروفًا يزار إلى اليوم.



شعب نبي الله هود (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام)

وقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أنه كان بحضرموت على الكثيب الأحمر. أهـ

وروى عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبًا أحمر يخالطه مدرة حمراء وسدر كثير بناحية كذا وكذا؟

قال: والله يا أمير المؤمنين إنك لتنعته نعت رجل قد رآه!

قال: لا ولكن حُدثت عنه.

قال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟

قال: فيه قبر هود (عليه السلام).. أهـ[1]

ويقول السيد صالح الحامد: وإنما اعتمدنا ما اعتمدناه من تصحيح أن قبره بحضرموت اعتمادًا على ما نص عليه المؤرخون والمفسرون وغيرهم من ترجيح كونه بحضرموت، وهو المقبول عقلاً. وأما كون قبره هو في اليوم فهو المتواتر عند أهل حضرموت، رواه الأحفاد عن الأجداد.

(١) الحاكم في المستدرك ٦١٥/٢.

وقال الشيخ عبد الوهاب النجار: ويقول أهل حضرموت إن هودًا (عليه السلام) سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات، ودفن بها في شرقي بلادهم، على نحو مرحلتين من مدينة تريم، قرب وادي برهوت. وقد أثر عن علي (كرم الله وجهه) أنه مدفون في كثيب أحمر، وعلى رأسه سمرة في حضرموت، وأهل فلسطين، يدّعون أنه دفن عندهم، وقد بنوا له قبرًا، ويعملون له كل سنة مولدًا. وقول أهل حضرموت أقرب إلى العقول؛ لأنها متاخمة لبلاد عاد، وهي الأحقاف، دون فلسطين...


القرية التي بشعب نبي الله هود (عليه السلام)

وكذلك استمر الأمر بعد الإسلام إلى المؤرخ الهمداني مؤلف كتاب «صفة جزيرة العرب»، المتوفى سنة ٣٠٤ إذ قال: إن قبر هود (عليه السلام) في الكثيب الأحمر، ثم في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف، وهو واد يأخذ بلد حضرموت إلى بلدة مهرة مسيرة أيام، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت.

وكان موضع القبر متوعرًا غير ممهد، وفي القرن التاسع الهجري قام الشيخ الفقيه حكم بن عبد الله باقشير المتوفى سنة ٨٧٨هـ أو سنة ٨٧٩هـ بعمارة المشهد المذكور عمارة تامة، وبناه بالحجر والنورة، وجعل عليه قبة، وب ما حواليه من غربيه. وذلك ليقابل الزائرون وجهه ويجلسوا مستقرين. هكذا قال صاحب «السعادة والخير».

ثم زيدت العمارة بعد ذلك. قال السيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العيدروس، صاحب الدشتة، في رسالته «بذل الجهود»: وقد بنى السيد الشريف الفاضل أبو بكر بن محمد بلفقيه - كان الله (ﷻ) له ونفع به - قبة عظيمة على جانب الحجرة المتصدعة السابق ذكرها في نحو نصف القبر عام ١٠٩٧ من الهجرة.

وقد تعددت بعد ذلك العمارة أيضًا إلى عصرنا، وفيه انتدب لعمارة الموضع وتهيئته تهيئة زائدة على ما تقدم السيد المرحوم علوي بن عبد الله الكاف، فمهد الدرج المعروف اليوم، وبنى حول القبر موضعًا واسعًا، وبنى حول الصخرة المسماة «الناقة» بناء من الحجر، وردمه وسواه، فتهيأ هناك موضع واسع يتسع لجموع الزوار، وطلى ذلك كله بالنورة، وأصلح ذلك كله بكل إحكام، وصرف على ذلك مالاً لا يستهان به، يقدر بحو خمسة آلاف من الريالات.


قبة نبي الله هود (عليه السلام) والدرج المؤدي الى الضر

وقد صار منذ عهد غير قريب لزيارة النبي هود (عليه السلام) بحضرموت موسم خاص يجتمع له الناس، ولا أظن أن موسم زيارته كان في عهد الجاهلية أيضًا. فقد ذكر اليعقوبي سوق الشحر: وأنه تقوم به مهرة تحت ظل حب الذي عليه قبر هود (عليه السلام).

وفي القرن السابع، في عهد الشيخ عبد الله باعبّاد القديم، كان للزيارة موسم يذهبون فيه مع الشيخ عبد الله، وذلك بعد فراغ الناس من أشغال التمر وتعبئته، لا على الأشهر القمرية.

وأول من جعل موسم الزيارة على الشهر القمري هو الشيخ الكبير، فخر الوجود، أبو بكر بن سالم علوي، المتوفى سنة ٩٩٢هـ إذ جعل ذلك في شعبان، وجعل المبيت ليلة النصف من شعبان هناك، إذ كان يقيم هناك من الليلة الحادية عشرة منه. وقيل: إن أول من رتب الزيارة في ذلك الحين هو شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن، والمشهور الأول. (انتهى من كلام السيد الحامد)

وكان الإمام (رضي الله عنه) كثير الزيارة لنبي الله هود (عليه السلام) وقد زاره ثلاثين مرة، كلها في شهر شعبان، كما هي عادة الناس حينئذ.

وكان يعول عليها ويوصي بها، ويثني عليها وعلى من يزور، ويقول: إن من زار النبي هود، وصنع مولدًا للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) هناك، تمر عليه سنته طيبة جميلة.

وكان يسير بجميع من كان عنده من القرابة والفقراء والزائرين وكان في الأكثر في طريقه يزور الشيخ أبا بكر بن سالم صاحب عينات، والشيخ أحمد ابن الفقيه المقدم بسحز، ويزور تربة قسم، وإذا وصل الشعب المنور زار بالناس القبر الشريف في جموع لا تكاد تحصى. ويمكث في الشعب غالبًا ثلاثة أيام، من يوم الثاني عشر إلى مغرب ليلة النصف من شهر شعبان.



ضريح سيدنا هود (عليه السلام) داخل القبة

وكانت له في تلك الزيارات مقامات مشهودة، ومحاضر معقودة، واجتماعات واجتماعات مع أخيار وسادات، مثل السيد سالم بن عمر بن الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم. كان يقول بعد أن يجتمع به: لو لم يكن لنا في زيارة النبي هود إلا كون السيد سالم المذكور فيهم لكفى. والسيد شيخان بن الحسين بن أبي بكر بن سالم، وقد عده الإمام من الذين أخذ عنهم في قصيدته العينية،

وكذا اجتمع بأكثر أولاد السيد الإمام الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم بعينات وبالشعب. واجتمع في حـ السـنين هناك بالسـيد العارف الكامل أحمد بن عمر الهندوان. فقال للسـيد أحمد: خاطرك معنا، أنت الهند فأجابه: خاطرك أنت، لا يُصلح الهندوان إلا الحداد[1].

قـال بعض أصحاب الإمـام: كنت مع سـيدي أوان زيارته لنـبي الله هود، قبل وفاته بأكثر من عشرين سـنة، فأرقت ليلة طول الليل، فما رأيت سيدي نام إلى الصباح، فسألته عن ذلك، فقال: إني منذ ثلاثين سنة لم أنم قط فيها. (أي في الزيارة)



البئر التي تبدأ من عندها الزيارة

أما الحبيب أحمد بن زين الحبشي، فقال: وكان أكثر ما رأيته في صحبتي إياه وزيارتي لنبي الله هود (ﷺ) يصلي ثلاث عشرة ركعة، مع كمال حضور، وتمام فهم وخشـوع، وحسـن استكانة وخضـوع، وإدامة تـضرع واسـتغفار ورجـوع، ويطيل الدعاء عقب كل ركعتين، مع سـؤال الرحمة، والاسـتعاذة من العذاب، كمـا نقل مـن صلاة النـبي (ﷺ)، ويقـوم من الليـل النصف الأخـير، أو ثلثـه، أو أدنى من ذلـك، أو أكثر من ذلـك، ويفعل قهوة مليحة.

وقال يومًا وهو في الشعب المذكور - مع كونه يجمع ما لا يحصى من أهل الفضل، الخامل منهم والمشهو كل فضيلة توجد عند أحد من جميع من هو في هذا الشعب فهي عندنا[2].

وكان - نفع الله به - ربما ألبس الخرقة الصوفية، قبع آل أبي علوي المعروف، لبعض الناس في أوان زيـ للنبي هود (عليه السلام).

وفي بعض السنين ألبس جميع من حضر، وأمر من ينادي: ألا من أراد أن يلبس من فلان، فليأت! فألبـ تلك السنة جموعًا لا تكـاد تحصى. وكان يفعل هناك مولدًا للنبي (ﷺ).

قال بعض أصحاب الإمام: كنت متعلقًا بالسـيد العارف بالله تعالى علي بن عمر بن الحسـين بن الشـ علي، فعزمت سـنة من السـنين مع سيدي عبد الله الحداد لزيارة نبي الله هود (ﷺ). فجلست معه ليلة عـ القـبر الشريـف، فتذاكرنا أحوال السـيد علي بن عمر، وأثنى عليه سـيدي، وقال: السـيد علي ما عاد تطـ مدته، يموت فيما دون السـتة الأشـهر، فقلت له: كيف ذلك يا سـيدي؟ فقال: إنه دخل بحر المحبة بنحو

(١) أي: لا يُصلح السيفَ المهندَ إلا الحدادُ.

(٢) إشارة إلى أنه قطب الوقت؛ الإنسان الكامل الذي يستمد منه الجميع.


بداية زيارة نبي الله هود (عليه السلام) عند البئر المعروفة

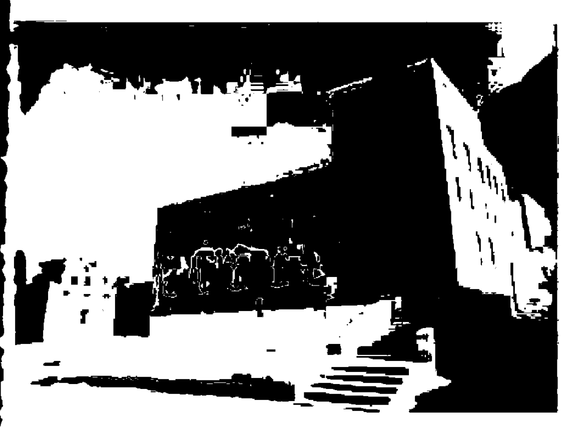
نحن أعددنا له سفينة، فاسترحنا. فما مضت على السيد علي ستة أشهر إلا توفي (رحمه الله ونفع به وبسائر الصالحين).. آمين.

روي أن السيد العارف محمد بن عبد الرحمن مديحج قال للشيخ عمر ... - مريد الإمام - في بعض السنين: لا تزر نبي الله هودًا هذه السنة (يعني: في شعبان) فأخبر الإمام ... د بما قال له السيد محمد، فقال ارجع إليه، وقل له: يقول فلان: إن كنت رأيت أن علينا في زيارتنا هذه السنة شيئًا، فأعلمنا به لتركها جميعًا. وكان السيد محمد من أرباب الكشف والمعرفة بالله، فلما بلغه ما قاله الإمام، صاح قائلاً: مثلي لا يعترض على عبد الله الحداد! استكبارًا لقوله: إن يكن علينا في سيرنا شيء، أعلمنا لترك الزيارة. وأمره السيد محمد بعد ذلك أن يسير مع الإمام للزيارة.

قال السيد عقيل: زرت سنة من السنين نبي الله هود (عليه السلام) مع سيدي عبد الله - نفع الله به - وأنا صغير ...، فاتفق لي أني كنت أقرأ سورة يس عند قبر نبي الله هود، فأخذتني سنة، فرأيت كأني في دار عظيمة، ... مفروشة بالفرش المنقوشة بالذهب، وكأن في صدر المجلس فرش عجيب ألوانه، غاية في الحسن، فوق ... فلما وصلت إلى سيدي وهو بالشعب، قال لمن عنده: هل أحد منكم رأى رؤيا؟ كرر ذلك مرارًا، ولم ... أحد، واستحييت أنا لصغر مني، فلما انصرف الناس من عنده، قصصت عليه الرؤيا، فسكت ولم ... فأخبرت بها السيد الجليل الفاضل أحمد الحبشي، أحد خواص السادة آل أبي علوي، وكذلك السيد ... الرحمن، تلميذ مولانا (رضي الله عنه)، قال: هذا الفرش الذي رأيته لزائري قبر النبي هود (عليه السلام)، وهذا الفرش ... لا يكون إلا لسيدنا الإمام الصدر الهمام عبد الله الحداد (رضي الله عنه ونفع به)، سيد الجميع.

روى الحساوي أن الإمام ذكر يومًا زيارة النبي هود (على نبينا وعليه السلام)، فقال: زيارة نبي الله هود، ... روَّح، أي: ليلة ١٤ في الشهر، من الشعب، ما له زيارة؛ لأنه خالف ترتيب السادة وما درجوا عليه، ... مراغم لهم، وما جعل الشيخ أبو بكر بن سالم الحضرة إلا ليجتمع الناس ساعة، ويذكرون الله، ... شيئه، ويقرؤون مولدًا، لحصول البركة بالاجتماع. ومن سرح من الشعب بعدما حضر الحضرة، أي: يوم ... نصف زيارة، ومن نفر، أي: ليلة ١٥، فله زيارة تامة. فربما شيء من الأمور الإلهية مرتب على ما ... السادة.

وقال السيد عقيل: زرت نبي الله هودًا سنة من السنين مع سيدي الأستاذ الأكبر عبد الله، ومع جمع كثير منهم سيدي الأكمل أحمد بن زين الحبشي، وجملة من الأعيان، فلما كنا في أثناء الطريق نزلنا تحت جرف عظيم، وما في ذلك الوقت من أثر للسيل، فبينا نحن كذلك، مطمئنون في الجلوس تحته، إذ أمر سيدي بضرب الخيمة في مكان آخر، ففعلوا، فقام سيدي وقام من معه ودوابهم فجلسوا في الخيمة، فحال جلوسهم فيها سقط ذلك الجرف وانهدم إلى المكان الذي نزلوا به، ولو بقوا تحته لأهلكهم عن آخرهم ولم يبق منهم أحد، ولم يهلك تحته إلا حمار كان لبعض سيارته. فلما أخبر سيدي بسقوط الجرف، حمد الله على السلامة، ثم لما استقر بهم المجلس، أخذوا في المذاكرة في الأخذ عن الشيخ. فقال سيدي عبد الله: إن بيننا في الأخذ وبين الشيخ أبي بكر بن سالم واحدًا، وهو السيد الجليل عبد الرحمن بن شيخ صاحب عيديد. اجتمع بالشيخ أبي بكر وهو ابن سبع سنين. فقال له سيدي أحمد: هل يكفي في الأخذ الاجتماع فقط من غير قراءة ولا مذاكرة؟ فقال سيدي: نعم، يكون ذلك كافيًا إذا كان الاجتماع بأحد الأكابر، ويكفي الاجتماع معه فقط.



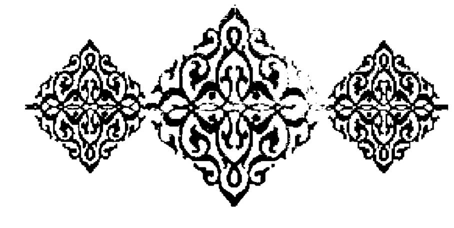
خلوة الشيخ أبي بكر بن سالم (رضي الله عنه) بشعب هود

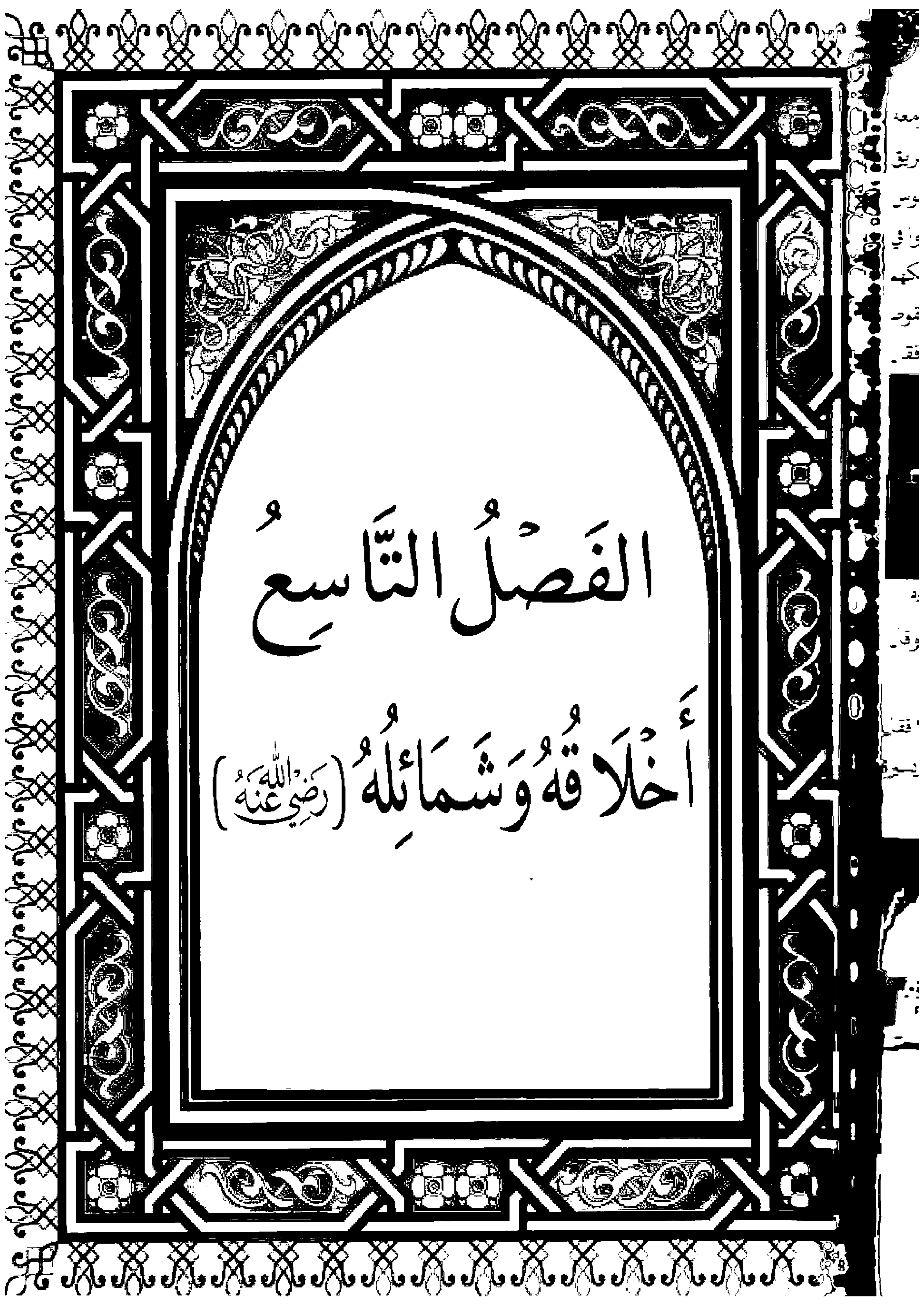
وسمعت سيدي أحمد يقول: إن صاحب الحمار الذي انهدم عليه الجرف، جاء إلى سيدي يبكي وقال: حماري ومتاعي الذي أملكه كله من دراهم فوق هذا الحمار.

فقال له: أيما أحب إليك، دراهمك ترجع إليك، أم نقرأ لك الفاتحة بنية أن يرزقك الله رزقًا واسعًا؟ فقال سيدي أحمد: قلت: إن الفاتحة خير له. فقرأها سيدي والحاضرون أجمعون، فأخبرني الرجل بعد مدة يسيرة أنه أثري، وكثر ماله، وصار يملك نحو ألف قرش فضة، وجملة من النخيل، وغير ذلك.

وللإمام الحداد بيت منسوب إليه بشعب هود لا يزال قائمًا كان قد بناه أو بعض أولاده، لينزل به مع ضيوفه حين الزيارة، ولا يزال المنشدون من آل باحرمي ينشدون قصيدة «يارب يا عالم الحال» حال صدورهم من الزيارة، فيبدؤون عند الدرج الهابط من ضريح سيدنا هود (عليه السلام)، إلى أن تنتهي القصيدة عند بيت الإمام الحداد.

المنزل المنسوب للإمام الحداد بشعب هود





الفَصْلُ التَّاسِعُ

أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)



إن الكلام في مناقب وشمائل الإمام الحداد بحر لا ساحل له، فقد كان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وارثًا لجده المصطفى (ﷺ) في علومه وأعماله وأخلاقه.

كان الإمام الحداد (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) طويلَ القامة، عريضَ ما بين الكتفين، ليس به بدانة، أبيض اللون، تعلوه هيبة والوقار، ولم يكن في وجهه شيء من أثر الجدري الذي ذهب ببصره في طفولته.

وها نحن ننقل في هذا الباب شيئًا يسيرًا مما ذكره السيد الإمام محمد بن زين بن سميط في «غاية القصد والمراد»، حيث وصف شيخه الإمام الحداد (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) فقال: كان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) إذا ضحك، تبسم كجده المصطفى (ﷺ) وإذا سر واستبشر، استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وتبدو أسارير وجهه. وكان في أكثر أوقاته ضحوكًا، مستبشرًا، مسرورًا، لما ينازل باطنه من أنوار الجمال الأقدس، ويسري منه السر والسرور والبشر إلى جلسائه، فينسون ما وراءهم، حتى أنفسهم، وربما ذهل الجائع عن جوعه، والمتألم عن ألمه، والمهموم عن همه، ولا يودون انقضاء مجلسه أبدًا.

وكان مجلسه وقورًا هادئًا مطمئنًا وإن طال. وكان في جلوسه ربما تربع، وربما احتبى بيديه أو بحبوة، وربما جمع ركبتيه جميعًا واستوى على بطون قدميه، وربما جلس واضعًا فخذه اليسرى، ورافعًا ركبته اليمنى، وهو أكثر، ويضع يده اليمنى على ركبته اليمنى. وذلك ما شاهدته، ولعل غير ذلك، والله أعلم.

وكان مجلسه مهيبًا، لا يكاد يتكلم أو يتحرك منه أحد، حتى كان على رؤوس جلسائه الطير.

قال الحبيب أحمد الحبشي: له هيبة عظيمة في القلوب، حتى إنه في بعض الأحوال يكاد ينفطر قلب جليسه من الهيبة، لا لشيء يظهر منه ولكن هيبة الولاية.

وكان الإمام (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) يقول: إن الله (ﷻ) يجللنا بالهيبة إذا شاء، وإلا فنحن من أهل الجمال.

وكان لا يدع أحدًا من ضيوفه وزوّاره إلا وآنسه، فناداه باسمهن، وسأله عن أحواله، وتبسّط معه.

وكان يكلم الناس على قدر عقولهم، ويُنزل كلاً منهم منزلته، فكان إذا جاءه الرفيع رفعه – وإن كانت رفعته في الدنيا – وإذا جاءه من يراه الناس وضيعًا آنسه، وأخذ بخاطره، وخصوصًا إن كان من الفقراء. وكان يسأل كلاً منهم عن حاجته، ويسعى في قضائها. وكان يقول: لو علم الخلق ما أفاض الله على قلبي من الرحمة لما تركوا (أي له) شيئًا، ولكن الله (ﷻ) يُلْبِس أولياءَهُ الهيبةَ، فيمتنع عنهم الخلق.
وكان يقول: إني أصبح وأمسي وليس عندي على أحد من الخلق حقًّا ولاحسد.

وكان يحب طلبة العلم والراغبين في الآخرة، فكان صابرًا نفسه مع ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[1]، لا يمل من مجالستهم، ويخصهم بزيادة الإيناس والعطف. وكان مع ذلك لا

[1] الكهف: ٢٨

تَشْغَلُه مجالسة الخلق عن حضوره مع الحق، فكان يقول: ما جلس عندي أحد من الخلق فشغلني عن الله (ﷺ).

قال في «المشرع الروي»: يُعامِلُ من جَنَى أو جفا بالصفح والوفا، والمودة والصفاء، وإذا أتاه من أخطأ طريق السلامة والنجاة، وخسر آخرته ودنياه، نهض له بالعناية والاجتهاد، والمساعدة على هدايته بكل حال. حتى يوصّله إلى نهاية الآمال، ويصلح ما مضى فعلُه بحسن الاستقبال.

وكان يعامل الناس بلطف وسخاء، يقبل عذر من اعتذر إليه، وينظر إليهم جميعًا، بَرِّهِم وفاجِرِهم. بعين الشفقة والرحمة التامة. قال عنه الحبيب أحمد بن زين الحبشي: كان آخذًا بالعفو، آمرًا بالمعروف، معرضًا عن الجاهلين. ولقد أمر الله نبيه (ﷺ) بذلك، فكان هذا شأنه (ﷺ)، ثم شأنَ ورثته من بعده (رضي الله عنهم أجمعين).

وما كان ظهور كمال الوراثة في الإمام الحداد إلا لكمال إيمانه، فقد قال (ﷺ): «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[1].

وقال ذات مرة، مشيرًا إلى نفسه: إن لله رجالاً إذا جلس عندهم أولو العقول سلبوا عقولهم.

يقول السيد محمد بن زين: ومع ذلك كان (رضي الله عنه) شديد الخوف من الله سبحانه، دائم الخشية والهيبة منه (ﷻ)، غزير الدمعة، لا يكاد يسمع المخاوف إلا وجادت عيناه بالدموع، ولا يطوف بساحات قلبه منه. وظهر على ظاهره ما سكن باطنه من الخشوع والخضوع. وكان عند سماعه للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار المروية عن السلف الصالح التي فيها ذكر الخوف والرجاء، يظهر عليه التلون بحسبه من الكآبة، والانبساط، والحزن، والسرور؛ يغلبه البكاء عند الخوف، وتعلوه الكآبة، ولا ترقأ دمعته. وكان لا يقدر على إمساكها إذا غلبته، لشدة ما في باطنه من دواعيها ومقتضياتها. وكان عند إرسالها ربما سالت على لحيته الشريفة كأنها قضبان الفضة. ولقد رأيته عند قراءتي عليه بمكانه في السبير من أعمال وادي دمون، قبل وفاته بسنين، في كتابه «سبيل الأذكار» في وصف الجنة والنار، يبكي بكاءً شديدًا، واحمر وجهه احمرارًا، وهو مع ذلك يتنفس تنفسًا بعيدًا، ثم بعد أن أتممت القراءة، وقلّص دمعه، قال - نفع الله به: هذه أوصاف الجنة، وأين نحن منها؟ إنما رجاؤنا في الله النجاة من النار، ولو إلى الأعراف، بين الجنة والنار. هكذا سمعت منه بلفظه أو قريب منه (رضي الله عنه). ولما قال له بعض الناس: خاطرك يا سيدي عبد الله أن الله يجمعنا معكم في الفردوس الأعلى. تغيّر وجهه، وقال: أهكذا تقول؟ ونحن لا نطلب من الله إلا النجاة من النار ولو إلى الأعراف؟ فقال له الرجل: ألم يقل جدك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى؟**»[2] فعند ذلك انشرح ودعا بذلك.

(١) الطبراني في المعجم الأوسط، (٤٤٢٠)؛ معجم أبي يعلى، باب الحاء، (١٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، (٢٦٣٧).

وكان يظهر عليه الحزن والخشوع عند سماع شيء من سير أرباب العزم، والجد، والاجتهاد، والتبتل، من عباد والزهاد والعلماء والأوتاد؛ كأويس القرني، وأحمد بن حنبل، وغيرهما، كما شاهدت ذلك منه.

وكان (رضي الله عنه) يكثر خوفه وانزعاجه عند أصوات الرعد والريح، وكان ربما قام وقعد من شدة الوجل، يأمر من يجلس عنده، ولا يجلس وحده، ويأمر بضم الأطفال وبهدوء الأصوات، ويكثر عند ذلك من سؤال العفو، مع إشفاق كلي ووجل من ربه (ﷻ)، ولا يسكن روعه حتى يحس أو يُخبر بالمطر. وكان هذا من أوصاف رسول الله (ﷺ) لشدة خوفه من ربه.

أما رجاؤه في ربه وحسن ظنه به، واعتماده عليه، واستناده وأمله فيه (ﷻ) وتوكله في جميع أحواله عليه، وتبرؤه من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته، فأمر بيّن ظاهر عليه في جميع حركاته وسكناته من أقوال وأفعال.


طاقية الإمام (رضي الله عنه)

ومن كلامه: إن عندنا من الرجاء، وحسن الظن بالله تعالى، ما لو ظهر للناس منه سم إبرة، لتركوا العمل اتكالاً.

وكان يحرص على شغل مجالسه بالقراءة في الكتب النافعة، والمذاكرة في العلوم الدينية، فإن مجالسه كانت تجمع العَالِم والجاهل، وما كان كل من يحضره من طلاب الآخرة، فكان بذلك يحفظ مجلسه مما حُرِّم من الكلام كالغيبة والنميمة، ومما هو مباح ولكنه فضول لا فائدة منه إلا إضاعة الأوقات، كالكلام في الأمور الدنيوية، فكان في غاية التورع عن الكلام في الناس، وعن كل ما لا يعنيه، بل عن كل ما لا فائدة له في الدين، ولا فائدة منه على المتكلم، ويمقت الغير على الكلام في الناس أشد المقت. قد طهّر الله لسانه، لا يتكلم إلا بذكر، أو مذاكرة علمٍ، أو نصيحة مسلم، أو إيناسه، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة. وكان يقول: طبيعتي تكره المذاكرة في أمور الدنيا وأحوالها من قديم، وتكره الظهور وتكلفات الناس.

ويقول: لا أحد يستشيرني في أمور الدنيا، ولا يذكرها لي أبدًا، فإنه لا ينبغي ذلك ولا يحسن، إنما ينبغي أن نكون للآخرة فقط، وأما الدنيا: فينبغي أن يُسْتَشَار فيها غيرُنَا.

ومع ذلك، فقد كانوا يستشيرونه في أمورهم الدنيوية، وكان صدره يتسع لذلك، وكان إذا شاوره أحد في أمر أو دنيوي يتوقف حتى يظهر له الأصلح، ويتبين له الصواب، فيشير به عليهم.

وكان يحترز من الفتوى في الأمور الفقهية، ويحيل بعض الوقائع إلى غيره، وخصوصًا إذا كانت المسألة ذات خطر، وإن أفتى بشيء أفتى بالأحوط للدين. وكان يوصي من استوصاه بتقوى الله وعلو الهمة، والمحافظة على الفرائض، ويقول: إنما يستدل على كمال الشخص بتأديته للفرائض.

وكان إذا استودع منه أحد لسفر يوصيه بتقوى الله، والمحافظة على الفرائض في الجماعة، ورفع الصـ بالأذان ما أمكن، وبقراءة حزب الأسبوع من القرآن، وسورة ﴿يس﴾ أو ﴿لإيلاف قريش﴾ عند الخـ وقد يقرأ للمسافر الفاتحة بنِيَّة الحفظ والتيسير.

كان (رضي الله عنه) قدوةً للناس في الأقوال والأفعال، ونموذجًا للأخلاق النبوية، والسجايا المحمدية.

كان قويَّ الهمة والعزم في الدين، يأخذ في جميع الأمور بمعاليها، لم يسمع بمَكْرُمة أو فضيلة، إلا وشـ العمل بها. وكان كريمًا سخيًا جوَادًا، وكان كرمه يتضاعف مرات كثيرة في رمضان، وكان الناس يتوافدون عـ في رمضان من أقاصي البلاد، يتبرّكون بالإفطار على مائدته الممدودة؛ فإنه وإن كان الضيوف وأصحاب الحـ لا ينقطعون من عنده على مدار السنة إلا أن رمضان عند الإمام بالحاوي كان موسمًا يحرص الناس على حضـ

كان الإمام يقول: باللُّقَم تُسْتَدْفَعُ النقَم.

ويقول: لو كان في اليد والمقدرة شيءٌ لكُنّا نملأ لهم مدينتَهم فقراءَ ومساكين، فإن أول هذا الدين لم يـ إلا بضَعَفَةِ المؤمنين.

وكان (رضي الله عنه) يتفقد أقاربه وأصحابه وجيرانه، ويرسل إليهم من كل ما يَجيئُه من خير.

وكان على عكس ما دَرَج عليه الناسُ، يظهر عليه التكدّر عند إقبال الدنيا، ويبادر إلى إخراج ما يجب

وقد كتب إليه بعض محبيه من أهل الإحساء قائلين: إن أردتم حاجة أو شيئًا قولوا لنا، ونحن لكم في الخد

فلم يعجبه ذلك، وقال: أوَ نحن تجار حتى نحتاج إليهم؟ ما حاجتنا إليهم إلا أنهم يتقون الله، ويؤدو عليهم من حقوق الله وحقوق عباده، فهذه حاجتنا التي نطلب منهم.

وكان (رضي الله عنه) شديد الحرص على رعاية الأرامل واليتامى. قال يومًا: قلّما تخلو كفالتنا - بحمد الله - عـ يتيم أو أرملة؛ لأن من عادتنا من كان من هذا القبيل مُحْرَمًا لنا، ولا له مَن هو أَلْزَمُ به منا في الشرع، جعـ عندنا، معيشته وما يحتاج إليه.

إن كثيرًا من الناس إذا أصابتهم مصيبة من مرض أو نحوه صبروا عليها، علمًا منهم أنها قضاء الله وقدره، ولكنهم آذاهم أحد من الناس استشاطوا غضبًا، ونسوا أن أذى الناس إنما هو أيضًا من القضاء والقدر، وأن الله إنما يمتحـ ويطهرهم بهذا، فقد قال النبي (ﷺ): «**إن عُظْم الجزاء مع عُظْم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضـ فله الرِّضَا ومن سَخِط فله السخط**»[1].

فكان الإمام عند حدوث الحوادث المزعجة كالجبل الراسي، لا يكاد يظهر عليه أثر.

كما كان نقي السريرة، يحتمل أذى الخَلْق، ولا يغضب لنفسه، وإنما كان غضبه إذا غضب لربّه انْتُهِكَتْ محارمُه.

(١) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (٢٣٩٦).

وكان يقول: أما الحقوق التي لنا: فقد سمحنا بها، وأما الحقوق التي لله (ﷻ)، فلا نسمح بها أبدًا.

ويقول: نحن من طبعنا: مَنْ ظَلَمَنَا تركنا حقنا له، ولا نتظلم لأهل الزمان وإن كانوا هم الظالمين، ونُظْهِر لهم ـه مستحقون. ونحن نَقْدِرُ مع ذلك أن نُظْهِرَ الحق، ونأخذ حقنا منهم، بالحق لا بالباطل. وكان النبي (ﷺ)، ـ آذتـه قريش في عِرْضه وماله فعفا عنهم وترك لهم ماله، ثم أظهره الله عليهم فملّكه رقابهم وأموالهم، فمنّ ـيهم برقابهم وأموالهم. ونحن طريقتنا إلا مثل طريقة الشـيخ عمر العطاس، من أعطانا شـيئًا سـكتنا عنه، ـ نسـأله؛ وإن طالب بنوه بماله خليناه لهم، فكم ناس أوصوا وجعلوا لنا أشـياء ما أخذناها، وأشياء فرقناها ـ ورثتهم.

ويقول: إنا نسمع أناسًا يأكلون طعامنا ويسبوننا، فلا نتأثر لذلك، ولا نَجِدُ عليهم، بل ندعو لهم.

ويقول: إني أُصبح وأُمسي، وليس عندي على أحدٍ من الخلق حقد ولا حسد.

وكـم أُوذِي الإمـام من قِبَل رجال الدولة، وآخرين من الحُسَّـاد، وأُولي النفـوس المريضة، فصبر. وكان كما ـ جده المصطفى (ﷺ): **«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا ـبر على أذاهم»**(1).

ـ أن لله تعـالى غَـيرةً على أصفيائـه، فإنه (ﷻ) يقول في الحديث القدسي: **«مـن عادى لي وليًا فقد آذنته ـحـرب»**(2). فالولي لا ينتصر لنفسـه، بل يعفو، ولا يرى لنفسـه على الخَلْق حقوقًـا، ولكـن الله تعالى ينتصر ـ يعلنهـا حربًـا على من عاداه. وقد جـرّب الإمام الحداد ذلك، فرأى غير مرة مـن يؤذيه تُعجَّل له عقوبتُه ـنيـا، فقـال: إنا رأينـا كلَّ من تعرّضَ لنا بمكروهٍ، أو بما ينافي الأدبَ، تُعجَّـل له العقوبةُ ولا يُمهَل، فربما ـنا في جانبه بما يشبه العقاب، لئلا تعجل له العقوبة، رحمة به، وشفقة عليه.

قـال مـرة أخرى: إنا إذا أَشْـغَلَنا أحـدٌ أو آذانا لا ندعو عليه ولا نكرهه، ولكـن نحب أن نتكلم عليه ـمـة حتى نتنفس بها من جهته، لئلا يبـقى في خاطرنا عليه شيء، فيأخذه الله بذلك؛ لأنا جربنا ورأينا ـ عادة الله أنه ما آذانا أحد إلا أخذه الله.

ـ كان بعـد ذلك يأخذ بخاطرهم، ويقول: هـذه عادتي إذا تكلمت لأحد بما يغضبه، أني بعد أترضاه بما ـيه من قول أو عطاء.

ـ عنـده خـادم، فكلما فعل الخادم شـيئًا يغضبـه أعطاه الإمام عطية ليزيل غضبـه عليه، فكان الخادم ـ يته يغضب عليّ كل حين!

ـ يشمت قط فيمن آذاه إن أُصيبَ بمكروه. ولم يكن يدعو على أحد، وكان ينهى الناس أشد النهي عن ـ على من ظلمهم.

(1) ـبيهقي في السنن الكبرى، ١٠/٨٩؛ سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، (٤٠٣٢).
(2) ـصحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب (٦١٣٧).

وكان (رضي الله عنه) كثير الدعاء والابتهال والتضرع والسؤال في جميع الأحوال، عظيم الافتقار والانكـ
لعالم الخفيات والأسرار، آناء الليل وأطراف النهار، كثير التملق في الأسحار. وكان يطيل الدعاء ولا يمـ
طرفة عين كل حين، وكان يظهر عليه التلون عند الدعاء من آثار الخضوع، مما ينازل باطنه من أنوار
والرجوع، ويعرف كل من هو حاضره بما يبدو على أسارير محياه ما منحه مولاه من مزايا القرب و
وما أكرمه من التحف وباداه، يكاد يفصح ما يبدو عليه من السرور والحبور ما انطوى عليه ضمير
الحضور وما ووجه به من الكشف والنور. وكان كثير الدعاء بالجوامع الكوامل من الدعوات النبوية وا
عن السلف الصالح، وله أدعية مخترعة جامعة نافعة تشبه الأدعية النبوية، غالبها يشتمل على الأمور
الشاملة، الظاهرة والباطنة، والعاجلة والآجلة، والأكثر أن يدعو بلفظ الجمع خصوصًا وعمومًا. وكـ
دعائه كثير الاهتمام بأمور المسلمين وإصلاح شؤونهم العاجلة والآجلة، لما غلب عليه من الرحمة والشـ
عليهم، حتى إن أحب الناس إليه وأحظاهم عنده من يخبره بمسارهم، وأبغضهم وأبعدهم عنده من يخـ
بمساءتهم، وكان أكثر دعائه للمسلمين، ويوصي من أوصاه أن يدعو للمسلمين.

وكان يقول: من أخبرني بأمر فيه مساءة للمسلمين فكأنما يستقبلني بشهاب من نار.

وكانت تظهر عليه البهجة والسرور التام إذا تجددت لهم المسار، ويكثر من الشكر لله تعالى على ما تتـ
به، ويسأله التمام والدوام، وبعكسه يظهر عليه التكدير والاهتمام مع الرضا والتسليم للحكيم العليم.

قال - نفع الله به - بعد أن وصف بعض الأحوال المهولة التي جرت على المسلمين من ولاتهم، وأظهر
الاهتمام بذلك، وكثرة الشفقة: والقلب في بحر من التسليم سابح، ومن ترك الاعتراض على الله تعالى
في حكمه وتدبيره، فهو السعيد الرابح.

ويظهر اهتمامه الشديد بأمور المسلمين في مكاتباته، وفي كلامه المنظوم ما لا يحصى من الأدعية الخـ
والعامة، تبيّن قوة رجائه، وتعلقه بربه، واعتماده واستناده، وتوكله وثقته، وتبرئه من حوله وقوته، وشهود
لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وكان يقول: أنا بحمد الله لا أجد همّ الدنيا، إنما أصدق بوجوده لغيري، وعندي من الشجون القلبية
وزع على أهل تريم، لهربوا، ولا أجد في شعرة تهتز لأحد أصلاً؛ قد ملأ الله قلبي محبة.

وكان يقول: أجد في قلبي محبة ومودة لكل مؤمن أمرًا عظيمًا، ولكن محبة الله سبحانه سترت ذلك.

وكان (رضي الله عنه) في معاملاته متّبعًا للسُّنة، يأخذ بعلم ويعطي بعلم، حسبما نقل عن سيد المرسلين، أصحـ
الكاملين وأتباعهم المحسنين (رضي الله عنه وعنهم أجمعين) مع الورع الكامل، والتحرز من الشبهـ
ولكن بدون تنطع ولا تفتيش على الناس، ولا تتبع ولا استقصاء يؤدي إلى الخروج عن سنن الاتباع، ومـ
غير سوء ظنٍّ بالمسلمين.

وكان يأخـذ مـا يأخذ من يد الفضل والفتـوح؛ لأنه لا يرى المعطي إلا الله، ولا يلتفت إلى الوسـائط، بل يرى ها كما هي وسائط؛ لأنه كوشف بصحة التوحيد، وصحة الكفالة من الحميد المجيد، قد تجرد له فعل الله، وانمحى عنـده غير الله فيرى المعطي والمانع هـو الله ذوقًا وحالاً، فأنى له، والحالة هذه؛ استشراف نفس أو حظور على بال، ولا شك ولا ارتياب أنه لا يتناول إلا أحل الحلال، مع ما يصحب تناوله من النيات الصادقة.

وكان في غايـة التـورع عـن الكلام في الناس، وعن كل ما لا يعني، بـل عن كل ما لا فائدة له في الدين، ولا تشـد منـه على المتكلـم ويمقت الغير على الكلام في الناس أشـد المقت. قد طهر الله لسـانه كما طهر جنانه، وشيد أركانه كما شد بنيانه، ولا يتكلم قط إلا بذكر أو مذاكرة علم، أو نصيحة مسلم أو إيناسه، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة في النطق.

وكان إذا استأجر أجيرًا ضاعف له الأجرة، وزاده فوق أمله، لا على مقتضى عمله، فضلاً عن الاستقصاء. يقول: إنما قَصْدُنا فيما يفعله الأجير لله، وإعطاؤنا الأجرة إنما هو لله، فلا نستقصي لذلك.

وكـون الإمام ومـن حوله ديدنهم هذه الأخـلاق المحمدية الراقية لا يعني أنهم لـم تحدث بينهم في بعض الأحيان مهـم خلافـات، فذلك سـنة البشر، وقـد اختلف أصحاب رسول الله (ﷺ) فيما بينهم ولـم ينقص ذلك من مقاماتهم المنيفة شـيئًا. وفي مكاتبات الإمام ما يدل على حدوث ذلـك ويعطي تفصيلاً نظريًا في طبقات الأصحاب ونوع المعاملة المناسـب لكل، ودرسًـا عمليًا في كيفية العتاب عند الحاجة، وأن نبدأ بكلمة عفا الله عنك، وننتهي بما يجمع الشمل ويصفي النفوس.

كتب (رضي الله عنه):

أما بعد، فإن القيام بحق الأخوة أمر مهم، جهله من جهله، وعلمه من علم.

عفـا الله عنـك، بعثـت إليك منذ أسـبوع لتجيء إلي لأمـر أرى أن المصلحة فيه عائـدة إليك، ومنعطفة عليك، فلم تفعل. فيا ليتك إذ لم يتفق عدلت إلى رخصة العجز، وهي العذر الناجز.

وينبـغي أن تعلـم أن الناس ثلاثة: رجل ترى أنه فوقك، فوظيفتك معه كمال الأدب؛ ورجل مثلك، وحقه عليك كمـال الإنصاف؛ ورجل دونك، لا بد لك معه من حسـن السياسـة. وفي كل رتبة من هذه طبقات لا يليق بذكرها.

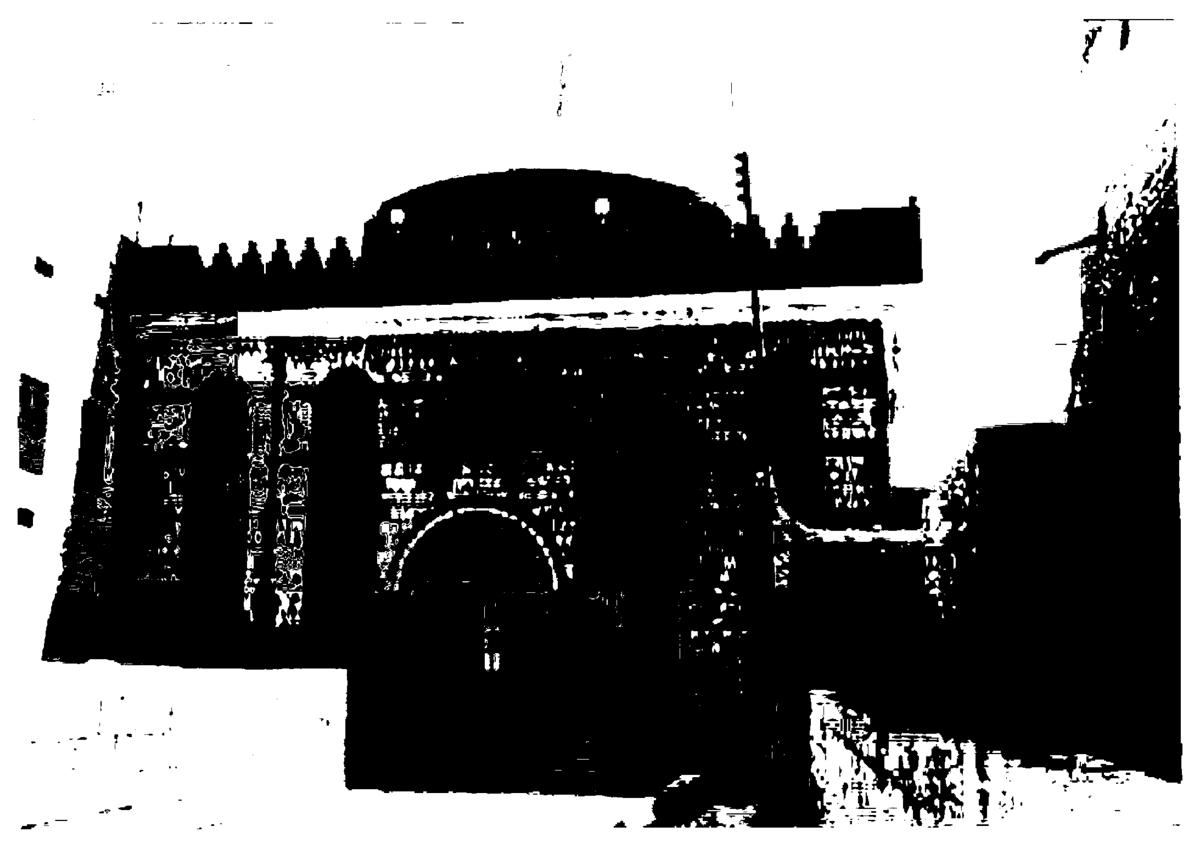
وإنـك لا تخلـو في عـدم الإجابة من أحـد ثلاثة موانـع: أحدهما كثرة الاشـتغال، وهو أمـر لا يرتقب. والثـاني العجز والتسـويف، ويكفي في ذم العجز مـا قيل: لو قيل للحرمان: من أبوك؟ لقال: العجز. والتسـويف هو العقيم الذي لا يلد خيرًا قط. والثالث من الموانع التكبر والاستعلاء، أعيذك بالله من ذلك.

وقد نهى النبي عن صحبة من يرى أن له الفضل على صاحبه؛ والبينة من الأفعال، لا من الأقوال.

وما قلت ما قلت إلا أني علمت أن المعاتبة أولى من المجانبة؛ ومع هذا فالصدر لكم سليم. ونحن عازمون على المجيء لزيارتكم بعد صلاة العشاء من الليلة القابلة، إن شاء الله الكريم، وهو بكل شيء عليم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (انتهت المكاتبة)

وكان (رضي الله عنه) بعد أن بنى بيته بتريم الذي هو قريب من مسجد بني علوي، لم يزل يقول: إني متخوف من بناء هذا البيت وكونه متعاليًا، للوعيد الوارد في تطويل البنيان. وظننت أنه يقول: ليس لنا اختيار في ذ...



الدار التي ابتناها الإمام بالقرب من مسجد باعلوي وتسمى الآن دار الحضرة

وكان يحترز من الفتوى في الأمور الفقهية خصوصًا، وربما أحال في بعض الوقائع على غيره، لا سيما إذا كانت المسألة ذات وجوه، وإن أفتى بشيء، أفتى بالأحوط للدين، والمرضي لرب العالمين.

ومن كلامه - نفع الله به: نحن في جميع أمورنا متوكلون على الله وعلى كرمه وفضله، ومنفقون من خزائن جوده، لا يهمنا بحمد الله إخراج الشيء، بل يهمنا وجوده، والأحوال جميلة، والأمور ميسرة بعون الله والسلف الصالح.

وكان يقول: أنا لا أشهد المعطي إلا الله حقيقة، ولو أعطاني رجل من المال ما أعطى، ما زاده عندي قدرًا لأني أراه من جملة الأسباب والوسائط.

قال السيد محمد بن زين: قلت: وهذا هو حقيقة التوحيد؛ أعني: رؤية الأسباب أسبابًا، وأن الفاعل بها هو الله تعالى، وأنه ليس لها بالحقيقة وجود، بل بإيجاده لها سبحانه وجدت، وعلى وفق علمه وإرادته وقدرته برزت

قال بعض مريدي الإمام: اتفق في بعض السنين غلاء وقحط، فكان ربما جاء سيدي الضيف فيصنع له الطعام الكثير، بحيث يكفي جماعة كثيرين، فكنت أعجب منه حيث يصنع مثل هذا في مثل هذا الوقت.

فقال - نفع الله به: لا تعجب، أنا من أموري أعجب، ليس لي من الأمر شيء، وإنما أنا مأمور به، ولا يجوز الاقتداء بي في ذلك لأحد، إلا أن يكون ذلك الأحد قد أعطي ما أعطيته؛ أي: من التوكل على الله، والاعتماد عليه، والثقة به، والسكون إلى وعده، والاستناد في جميع الأحوال إليه، وطلب التأييد والتسديد والعون منه سبحانه. ومن كان هذا وصفه فهو الإمام المتبوع، والصدر المرفوع، ويحق له أن لا يهتم ولا يغتم؛ لعلمه بأن ربه أحكم وأرحم.

وأهدى إليه ملك الهند دراهم كثيرة في بعض السنين، بواسطة بعض وزرائه، وكان الوزير خيِّرًا فاضلاً. وكتب الوزير كتابًا بتعيين ما أرسل الملك، ولم يكتب لسيدي كتابًا سوى الواسطة، وطلب من سيدي كتابًا يخبره بوصول الرسالة. ولعل قصده أن الملك يثبتها له كل سنة أو يزيد عليها إذا جاءه الكتاب، فأبى أشد الإباء، وقال: إنه لم يكتب لنا، ومن عادتنا أن لا نبتدئ أحدًا بالكتابة، لا سيما أبناء الدنيا وملوكها، اللَّهُمَّ إلا أن يكون الابتداء لأجل شفاعة ونحو ذلك، وأما للدنيا، فلا.

وكان (رضي الله عنه) لا يبالي بما أنفق على الضيفان، أو تصدق على المساكين والجيران، أو أهدى للقرابة والإخوان، قلَّ ذلك أو كثر، صغر عنده المعطى أو كبر، وذلك لهوان الدنيا وصغرها في عينه وقوة يقينه بالله، وتوكله وقناعته. وكانت أكثرها سرًا لا يكاد يطلع عليها أحد، حتى من خاصته وقرابته لا ينبغي بها إلا وجه ربه الأعلى.

وكانت له مواساة لبعض أصحابه والمنتسبين إليه من السادة وغيرهم تقارب كفايتهم مدة حياته، لم تنقطع عنهم إلا بموته، لا يعلم بذلك غيرهم، كما أخبر بذلك الناس منهم.

وكان (رضي الله عنه) حريصًا على كتمان الصدقات، وكذا غيرها من الحاجات، ويطلب ممن أعطاه ألا يتكلم.

وكان يقول: إنا لا نطلع أحدًا بالقصد من الخاصة فضلاً عن العامة على شيء من أمورنا، إلا إن كان مما يعنيه، أو ممن يحتاج إليه فيه، وبسبب ذلك تخفى على بعض خواصنا أشياء كثيرة من شؤوننا، حتى إنهم فيها بمنزلة من لا خصوصية له منا.

وكان يقول: والله لا أبالي لو كان جميع أهل تريم عيالي إذا قنعوا بحالي.

ويقول: لو كان في اليد والمقدرة شيء لكنا نملأ لهم مدينتهم فقراء ومساكين. يعني: تريم. فإن أول هذا الزمن لم يقم إلا بضعفة المؤمنين.

ويقول: أموالنا وجميع ما كان لنا إنما هو للبذل والتكرم على ذوي الحاجات والمستحقين.


دار الحضرة من الداخل

ويقـول: أما الحقـوق التي لنا فقد سـمحنا بها، والحقـوق التي لله (ﷻ) فلا نسمح بها أبدًا.

ويقول: إنا نسـمع أناسـا يأكلون طعامنا ويسبوننا، فلا نتأثر لذلك ولا نجد عليهم، بل ندعو لهم.

وقـد أمـر بعـض مـن كان يقـوم بخدمـة مزرعتـه، فقـال: الحـذر أن تدفعـوا أحـدًا بالقوة إذا جـاء يأخذ منـه شـيئًا - أي الـزرع - وأَعْلِمُوه أنـه زرْعُنا، فإن أخذه عن حاجة، فما أموالنـا وجميع ما كان لنا إلا للبـ والتكرم على ذوي الحاجات والمسـتحقين له، وإن كان قدومه علينا على سبيل القهر والاستهانة، ففعله يعو عليه ضررهُ، إما عاجلاً وإما آجلاً.

وكان شـديد الاحترام والتعظيم للسـادة آل أبي علوي، خصوصًا الأسـلاف منهم، لا يكـاد يعتب عليـ شـيئًا قط ممـا نقل عنهم من الأفعال والأقـوال في عباداتهم وعاداتهم، بل كان عظيـم التأسي والاقتداء بهـ ويرى الخيركله في الاتباع لهم على ما كانوا عليه. وله فيهم الحب العظيم، والثناء الجسيم، والذكر الفخيم. خـ خصوصًا ولسائر أهل بيت رسول الله (ﷺ) عمومًا، نثرًا ونظمًا لا نطيل بذكره.

وكان كثيرًا ما يأمر بملازمة ما كانوا عليه، ويزجر عن مخالفتهم في سائر الأحوال.

وكان يقول: لو وضع السلف وضعًا في بناء ونحوه وتغير ذلك الوضع لم يسعنا إلا رده كما كان من غير زيـ فيه ولا نقصان. ويقول: إنهم وضعوه بنية صادقة. ويقول: نحن لا ننكر شـيئًا مما فعله السـلف الصالح قبلـ لأن ما فعلوه حسن.

وكان عظيـم الاحـترام والإكـرام للعلـم والعلماء، كثير الثنـاء عليه وعلى أهله، غايـة في الحث على طلب وتحصيلـه. وكان يقـول: مـا وجدنا الخير كلـه إلا في العلم ولولا العلم، ما عرف العبـد ربه، ولا عرف كيف يعبده. فاجتهد يا أخي في طلب العلم. وكان مدة حياته في تحصيل الكتب من فنون العلم الشريف، وخصوصًا كتـب الحديث، والسـير، وكتب القـوم، وخصوصًا كتـب الغزالي منها، حـتى جمع منها عدة كبـيرة بالشر والكتابة وغير ذلك.

وكان - نفع الله به - قوي الهمة والعزم في الدين، ولا يقنع بدون الاستهلاك في سبيل رب العالمين، يأخذ في جميـع الأمـور بمعاليها، ولا يلوي على الدون منها، بل لم يسـمع بمكرمة أو فضيلة كائنة ما كانت في عادة

وعبادة إلا وشمر في العمل بإكمالها، وجميع ما ذكر من شمائله وفضائله شاهد له بعلو الهمة والحزم، وقوة جأش والجزم. وكان يأمر أصحابه ويحثهم على الهمة بقوله وفعله. قال السيد أحمد: ما سرت من عند سيدي عبد الله في جميع سفراتي إلا وهو يوصيني بالهمة، ويقول: إنها قالب التوفيق، وهو روحها.

وكان يقول: عملنا في الحلال والحرام حسبما ذكر الإمام حجة الإسلام الغزالي - نفع الله به - في الأربعين الأصل. ولا ريب أنه (رضي الله عنه) عمل بما في الكتاب المشار إليه بالقسم الرابع مما ذكره الحجة، وهو ورع الصديقين، الذي هو الأخذ لله وعن الله، والامتناع عما لم يكن لله وعن الله. ولم ينقل عنه أنه لم يحتط في شيء من جميع ما يتعاطاه. بل حكي عنه وشوهد منه ما يستغرب وقوع مثله من كمل من سلف من الأكابر، فضلاً عمن خلف من الأواخر، في جميع أخلاقه وأعماله وأقواله في سائر أبواب الدين، وفي سلوك الطريق المستقيم والتحقق بمقامات اليقين، والشرب من حياض القرب من رب العالمين، والكون في مخدع الوصل في أعلى رتب الواصلين.

وكان (رضي الله عنه) يحب إنشاء المساجد، وقد ذكر مترجموه من عدة ما بنى من المساجد:

- مسجدًا بالنويدرة سمّاه «مسجد الأوّابين»، وأوقف له وقْف نخْلٍ قبل بنائه.
- وآخر بالسُبير سمّاه «مسجد «الأبرار».
- وآخر بالحاوي أَطلَق عليه «مسجد الفتح» أو «مسجد التوّابين»، وكل هذه بتريم.
- وآخر بسيؤون أطلَق عليه «مسجد باعلوي».
- وآخر بشبام أَطْلَقَ عليه «مسجد الأبدال».
- وآخر بمدودة أَطْلَقَ عليه «مسجد الأسرار».
- ومساجد أخرى بنواحٍ متفرقةٍ كثيرة.

أما مسجده الذي بالسبير: فقد قال عنه: إنما بنينا هذا المسجد في هذا الموضع لأنا سمعنا الوالد يقول: ليت كأن في هذا الموضع عند بير العسلة مسجدًا، فلما توفي الوالد، تممنا نيته وصدقنا رؤياه.

وقد ذكر صاحب «تثبيت الفؤاد» إحدى زياراته لهذا المسجد فقال: وفي مثل هذا الوقت من ليلة الثلاثاء رمضان المذكور خرج (رضي الله عنه) إلى السبير، وقال: مرادنا المسجد نركع فيه. وأصابنا في الطريق مطر فدخلنا بيته بالسبير التي ذكرنا أنه ولد فيها، وكان ابنه السيد علوي حالاً فيها إذ ذاك، وأقمنا فيها ساعة طويلة حتى جاء ابنه السيد علوي من المسجد بعدما تفرقوا من الوترية، وقدم سحورًا، ثم خرج سيدنا إلى المسجد الذي في الجابية، وصلى في المسجد ما بدا له، ثم جلس وجلسنا ننتظر طلوع الفجر ساعة، ثم سأل عن الوقت، فما منا من جزم فيه بشيء من قوة السحاب والمطر، فلما رأى تحيرنا، قال لنا: اركعوا فإنه فجر،

وُمرت أن نصلي السنة. وكان (ﷺ) أعرف بالوقت من البصراء الناظرين بعيونهم، فإنه مدة ما أنا عمـ
وقبل ذلك، إلى أن توفي، ما يخرج لصلاة الفجر إلا بعد أن يركع السنة في الدار عندما يدخل الوقت...
غير أن يُعلمه أحد قط، فإذا ركع السنة، خرج إلى الضيقة وجلس فيها، ولا يخرج إلى الصلاة حتى يبعـ
ـيه الجماعة أنهم فرغوا من السنة وما معها من الأذكار، كل هذا من شدة اتباعه لجده المصطفى (ﷺ)، كـ
كان (عليه الصلاة والسلام) يصليها في البيت، ولا يخرج حتى يأتيه بلال يؤذنه للصلاة. وبعدما يفرغ ـ
لأذكار التي بعد الصلاة، ويفرغ قارئ يس من قراءتها يأمر بشد الفرس، ثم يطلع إلى الحاوي.

وأما مسجده الذي بشبام، فإنه لما سمع أن أحدهم يقول: هذا المسجد بني في الخلاء، ما يدوم، قال:
نحب من يجيء مسجد النقر؛ لأن الحق يتجلى عليه، وهو مسجد الأبدال المؤسس على التقوى، ولن يبـ
حتى يُبيد الله الأرض ومن عليها.

والمسجد بالفعل قائم بعيد عن مدينة شبام، وتحيط به الكثبان الرملية من كل جهة، وليس ثم حو
مبان أخرى، والناظر إليه يظن أنه لو قامت الريح لتحركت عليه الكثبان، وانهالت عليه الرمال فغطته. ـ
أنه بحمد الله لا يزال قائمًا عامرًا.

وأما مسجده الذي بالنويدرة، مسجد الأوابين، فقد بني سنة ١١٠٤هـ قال الإمام: قد أوقفا نخلاً على المسجـ
قبل أن نبنيه وكنا أردناه إلا عند سدة باشريف، ولكن أشار علينا الصنو على أن يكون في ناحية النويدر

وفيه قال الإمام:

العبـــد قد بناه ... للـه مـن عطـاه
والعبد ليس يملك ... شيئًا مـــن مولاه
يــا ربنـا تقبل ... منـــه وكـن معاه
وكـــن بــه لطيفًا ... واغفـــر له خطـاه
والمسجد المبارك ... قد أرخـــو بنـــاه
أئمـــــة كـرام ... وبالمليـــح فاهو

إلى آخر القصيدة.

قال بعضهم: جئت جوف الليل مسجد سيدي المسمى بمسجد الأوابين، بنويدرة تريم، فركعت فيه مـ
شاء الله، ثم رجعت إلى البيت ونمت، فرأيت كأن سيدي الشيخ عبد الله العيدروس وسيدي الشيخ عبـ
الله الحداد داخلين المسجد، وكان كل منهما يريد تقديم صاحبه في الدخول، ولم أدر من الذي تقدم منهمـ

وقال أيضًا: إن امرأة كانت حول المسجد المذكور، فكانت كثيرًا ما ترى أناسًا يدخلونه بالليل، وليس
الوقت وقت صلاة، ولا من العادة اختلاف الناس في ذلك الوقت.

وقال بعضهم: نمت فيه - أي: المسجد - وأنا صغير السن، فلما كان وسط الليل، فإذا أنا برجل مهيب يسألني عن بعض أحوالي، فقلت له: ومن أنت؟ فقال: وما حاجتك؟ وإن كان أحد يفزعك؟ ولم يخبرني[1].

وكان مسجدًا مأثورًا مشهورًا يأوي إليه الصالحون، ويألفه العابدون، ولذا أضافه في التسمية إليهم.

وكان للإمام به عناية خاصة، وكان يتردد إليه أيام النشاط وتماسك القوى، خصوصًا ليلة ختمه، وهي ليلة ثلاث والعشرين من رمضان، وقد قيل: إنه كوشف بليلة القدر تلك الليلة، فلعل ذلك السبب في جعل ختم مسجده بها. ثم صار آخر عمره يأتيه آخر ثلاثاء في كل شهر، حتى توفي. وكان يقول: لا يأتم بالناس في مسجدنا هذا إلا مرموق.



مسجد الأوابين بنويدرة تريم

وكان (رضي الله عنه) لا يحب المدح، ولكنه يجيزه ويقول: وأناس مدحونا بقصائد كثيرة وذكرونا بها، فأردنا أن ننهاهم عن ذلك، ولكن خفْنا من عدم الإخلاص في نهيهم، فخلينا كلاً يتولى ما تولى، ويتدرك ما تدرك ونقتدي بالنبي (ﷺ)، لمّا قيل فيه النظم مما مُدِحَ به، وأُنْشِدَ بين يديه، ومدحه عمه العباس وغيره، ونحن أشياء ما تجيء على بالنا ولا نحبها لنا ولا لمن نحبه.

ولما أُنشدَتْ بين يديه قصيدةُ مدح قال: نحن ما نستثقل من هذه الأشياء؛ لأن ما وقع لنا طرحناه في بحر النبي (ﷺ)؛ لأن النبي (ﷺ) منبع الفضائل كلها، وهو الممدوح بها كلها، فكل من مُدح بعده بفضيلة فمدحُه عائد إلى النبي (ﷺ)؛ لأنه السبب في حصولها. والشيطان منبع الرذائل كلها، فكل من ذُمَّ برذيلة فذمُّه عائد

---

[1] أي: من يكون.

إلى الشيطان؛ لأنه السبب في حصولها. فقد كان الإمام جَمَّ التواضع، يظهر ذلك في أقواله وأشعاره ومكا

وقد كتب إلى الحبيب علي بن عبد الله العيدروس ذات مرة: أُدعوا لأخيكم الضعيف إلّا من الأ عفو الله، وقوة الطمع في الخفيات من ألطافه، وجميل ستره، على التقصير عن القيام بحقه إلى الغاية والنـ

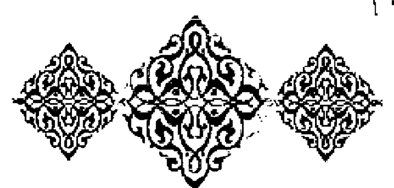
ويقول: إن لي نفسًا تقوم، ولكنها لا تقوم إلا بحق، كما قال (ﷺ): **«إني لأغضب ولكني لا أقول إلا حقًّا»**(١)

قال السيد محمد بن زين بن سميط: وسمعت سيدي أحمد مرارًا يقول: كان سيدي عبد الله في آخر يذكر لي تحمل أمور ومكابدة أحوال مما يوجب الضنا، ويؤدي إلى الونا، وهو يكتم ذلك ولا يشكوه إلى من الخلق، وربما قاسى الشدائد من صحبه وعشيرته وأصهاره، حسدًا من أحد، أو أذى في جسد من مر وغيره، ولم يطلع على ذلك أحدًا من قريب أو بعيد. قال: ولقد قال لي آخر عمره: إن الحمى في جسدي خمس عشرة سنة لم تزايلني أبدًا، ولم يعلم بذلك حتى أهل بيتي، ثم أدخل يدي من كمه وألمسني جـ الشريف والحمى فيه. وكان (رضي الله عنه) حريصًا على كتمان البلايا والرزايا والمصائب والأذيات، لا يكاد يخـ عليه شكوى من ذلك، ولا ذرة، ولو عاوده الألم ألف مرة.

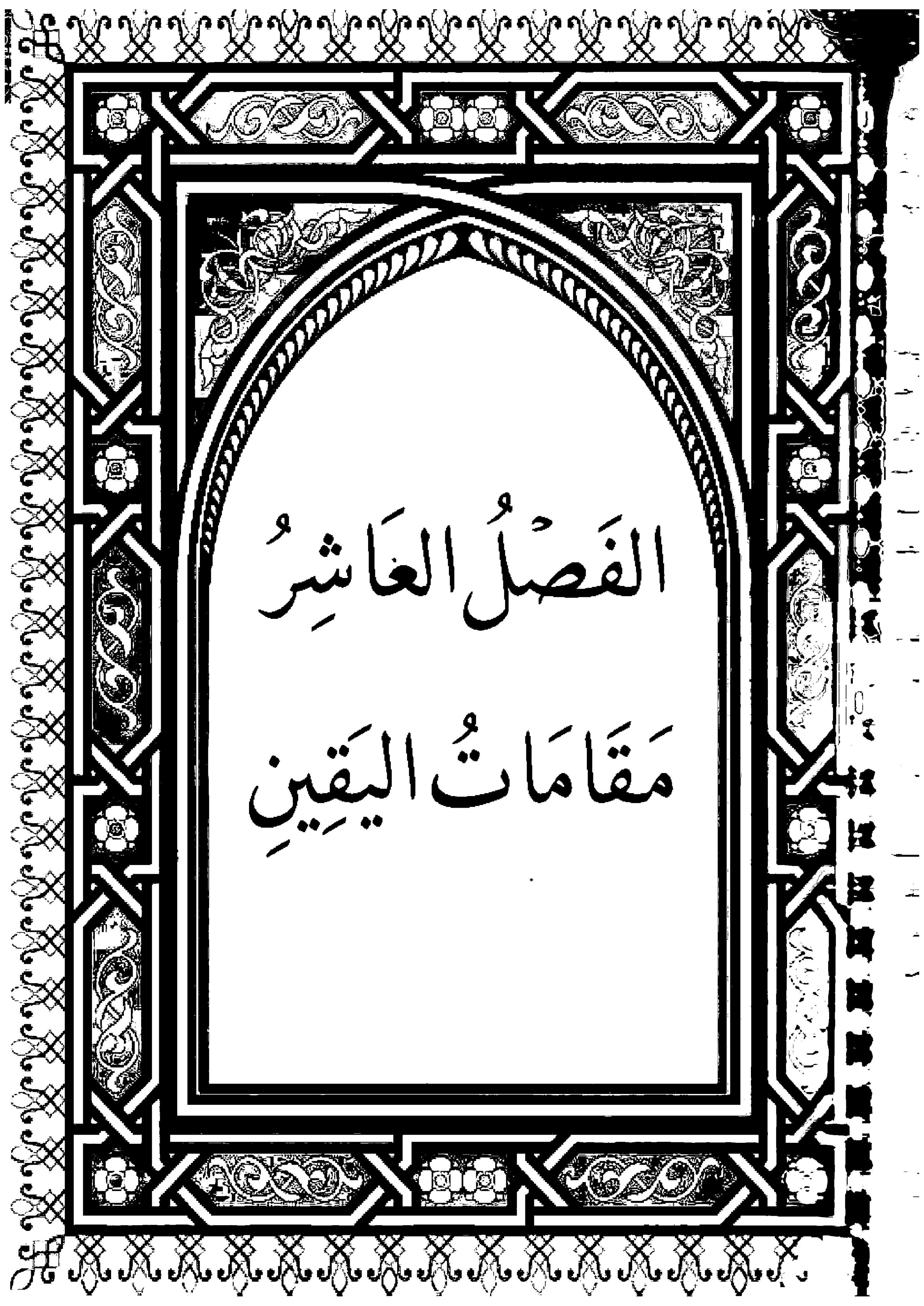
قال: وربما كان الضنا باديًا في وجهه من التكلف للناس بطول المجلس، وكثرة المصافحة والخـ عندما كبر وضعف، جبرًا لخواطرهم، وإعانة لهم على نياتهم ومقاصدهم، فيحصل عندي بمشاهدة ذلك التعب الكلي؛ رقة وشفقة عليه.

وكان الإمام يقول: ليس لنا لذة في مخاطبات الناس، ولا في كلامهم، ولا نبالي بأحد، ولا نخاف من أحـ غير الله، ولكنا نعامل بالصبر ما دام يحسن، فإذا جاء ما لا يُصبر عليه فنحن رجال.

وكان إذا حصلت له المشقة من المخاطبات للناس ومعاناتهم في بعض الأمور، لا سيما لما ضعف سمعه آخر وقته، يقول: تريدون منا أن نشكو مولانا جلت قدرته (يعني: نخبركم بعجزنا وضعفنا، والثقل في سمعنا). سمعت ذلك من سيدي أحمد - نفع الله به - وسمعته أيضًا يقول: ما مات سيدي عبد الله إلا وقـ ماتت أكثر حواسه الظاهرة، كف بصره من أول عمره، وضعف أو فقد سمعه وشمه آخر عمره، ومع ذلك كـ في غاية الرضا والتسليم للحكيم العليم.



(١) عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله (ﷺ)، أريد حفظه. فنهتني قريش عن ذلك، وقالوا: تكتب ورسول الله يقول في الغضب والرضا؟ فأمسكت، حتى ذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ)، فقال: «أكتب! فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقًّا». مسند أحمد، (٦٨٠٢ - ٦٩٣٠ - ٧٠٢٠).



الفَصْلُ العَاشِرُ

مَقَامَاتُ اليَقِينِ



يقـول الله (ﷻ): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وفـسَّرَ رأسُ المفسِّريـن مـن التابعـين الإمامُ مجـاهـد بن جـبر[2] (رضي الله عنه) هذه الآية بكلمة واحـدة، فقال: وما خلقت الجن والإنـس إلا لَيعرِفونِ. فأوضح ـنك أن المولى (ﷻ)، إنما ذكر العبادة لأنها السبب الموصل إلى معرفته، وهذه المعرفة إنما هي الغرض الأصلي من الثقلين.

والمعرفة من العلم، فالعلم أعم والمعرفة أخص، والعلم أنواع، فمنه المكتسَب بالحواس، ومنه المكتسَب ـعقل، ومنه ما يختص بالروح.

والنوعان: الأول والثاني، من العلوم الكسبية. أما الثالث: فهو وَهْبِيّ، وهو ما يُطلَق عليه العلمُ اللَّدُنِّي، وهو ـرد بلفظ المعرفة.

والعلوم العقلية تقبل التبديل والتحويل كلما ظهرت دلائل جديدة، وهي لذلك ظنّية.

أما إذا رسخ العلم بحيث لا يقبل التبديل ولا التحويل، صار يقينًا.

وقد عرّف الإمام الحداد (رضي الله عنه) اليقين، فقال: واليقين: عبارة عن تمكن الإيمان من القلب، واستيلائه ـ على وجه لا يتصور معه التزلزل والتشكك بحالٍ. وثمرة اليقين هي الكشـف والعَيان، فالكشف حال ـ ، واليقين مقام له.

وهو - أعني اليقين - حال المؤمن، والإيمان مقام له.

قـال (رضي الله عنه): وعليـك، أيها الأخ الحبيب، بتقوية يقينك وتحسـينه؛ فإن اليقـين إذا تمكن من القلب، ـتولى عليه صار الغيبُ كأنه شـهادة، وعند ذلك يقول الموفق، كما قال عليّ (كرّم الله وجهه): لو كشـف ـ ـ ما ازددت يقينًا.

ـيقين عبارة عن قوة الإيمان، وثباته، ورسوخه، حتى يصير كأنه الطود الشامخ، لا تزلزله الشكوك، ولا ـ ـه الأوهام، بل لا يبقى للشكوك والأوهام وجود البتة، فإن جاءت من خارج لا تصغي إليها الأُذن، ولا ـت إليها القلبُ، والشيطان لا يستطيع الدّنو من صاحب هذا اليقين، بل يفر منه، ويفرق من ظله، ويقنع ـلامة، كما قال رسـول الله (ﷺ): «**إن الشـيطان ليفرق من ظل عمر**»[3]، و«**ما سلك عمر فجًّا إلا سلك ـن فجًّا آخر**»[4].

---

[1] ـريات: ٥٦.

[2] مجاهد بن جبر المكي التابعي: أخذ تفسيره عن ابن عباس. قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، أقف عند كل آية وأسأله عنها: فيمَ ـت وكيف كانت. رَوَى الحديث عن عليّ، وسعد بن أبي وقاص، والعبادلة الأربعة، وغيرهم من الصحابة. توفي سنة ١٠٤ هجرية.

[3] مسند أحمد: إن الشيطان ليفرق منك يا عمر. (٢٣٠٤٠).

[4] حديث في صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (٣١٢٠)؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل ـ ـ٢٣٩٦)، وسائر الكتب الأخرى بلفظ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًّا إلا سلك غير فجك. وفي سنن النسائي الكبرى (٨١٣٠) ـ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك غيره.

إلى أن قال الإمام الحداد: وعلى الجملة، فاليقين أصل، وسائر المقامات الشريفة والأخلاق المحم والأعمال الصالحة من فروعه وثمراته، والأخلاق والأعمال تابعة لليقين قوّةً وضعفًا، وصحة وسُقمًا.

واليقين عند أهل الله ثلاث درجات: فالدرجة الدنيا هي علم اليقين، والوسطى عين اليقين، والعليا حق اليقين.

يقول الإمام الحداد: واعلم أن علم اليقين: يُعبَّر به عن الإيمان الصادق، المؤيَّد بالبراهين الصحيحة والأدلة الصريحة.

وعين اليقين: مرتبة فوقه، وهي أن يستغني الإنسان عن الاستدلال لظهور الحق له من طريق العيان قريبًا منه.

وأما حق اليقين: فهو المرتبة العالية، المشار إليها بالكشف المطلق الأَسْنَى، المخصوص به أكابر الأولياء وخواص العارفين الأصفياء، وفيها رسخت أقدام الأنبياء، وكُمَّل ورثتهم من الصدِّيقين.

وقد شَبَّهوا درجات اليقين بما قاله سيدنا موسى عليه السلام لقومه وهو بجانب الطور: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1]، فإن الخبر الذي سيأتي به نبي الله عليه السلام مصدَّق عندهم ولكنه تصديق بالغيب لأنهم لم يروا ما رأى، فيكون هذا عندهم علم يقين. فإذا أتاهم بشهاب قبس فرأوه في يده صار اليقين عينًا. فإذا اقترب منهم فوضعه بينهم فمدوا أيديهم ليصطلوا به وسرت حرارته في أجسادهم أصبح ما لديهم من يقين حقًا، وهذه هي المرتبة العليا.

والدرجة الأولى من اليقين علم، أما الثانية والثالثة فمعرفة.

واليقين بدرجاته إنما هو ثمرة المجاهدات وتطهير القلب من كل شائبة تحول بينه وبين الأنوار؛ فالقلب الذي يعلوه الصدأ لا يتمكن منه الإيمان، وتعصف به الأهواء، وتزعزعه الهواجس والوساوس.

وأما القلب الذي تخلّى عن الصفات الذميمة وتحلّى بالصفات الحميدة فقد برَأَ من الظلمات وتأهل للأنوار.

يقول الإمام الحداد (رضي الله عنه):

إن سِـــــرَّ الله مستتر في جميع الكونِ والبَشرِ
فاقْطعِ الحُجْبَ الكثيفةَ بالـ ـسَّيرِ عنها غير مُقتصِرِ
واقطعِ الحُجْب اللطيفةَ بالـ ـسَّير فيها غيرَ مغترِرِ

(١) النمل: ٧

إذا جـــــــاوزتَ مُرتَقِيًا سِـدْرَةَ الأســــــرارِ والقَـدَرِ
توقـــــفْ وانتظِـــــرْ علْمًا مــن علــوم الأمْـرِ وادَّكِـرِ

والحجـب الكثيفـة المذكـورة في هذه الأبيـات هي التي بيَّنها الإمـام الغزالي باسـتفاضة في ربع المهلكات ـن «الإحياء»، وبيّنهـا الإمام الحداد في الفصول الأخـيرة من كتاب «النصائح الدينيـة»، ثم بمزيد اختصار ي «رسـالة المعاونة». ومنها حب الدنيـا، والكذب، والغيبة، والنميمة، والعُجْبُ، والرِّيـاء، والكِبْرُ، والخُيَلاء، حسد، والحقد، والغش، وسوء الظن بالله وبالمسلمين، والشّح والبُخل.

وهذه كلها من أمراض القلب، التي تحول بين المرء وربه، وتوقعه في المهالك.

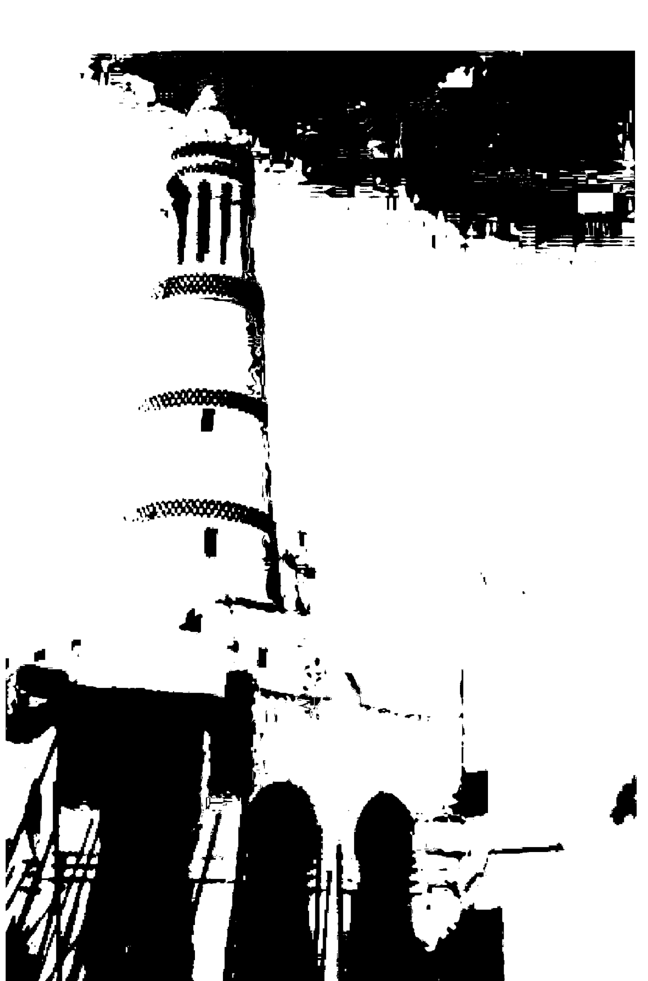
ومن أخطرها على السـالك لطريق الله الرياءُ فإنه مرض خبيث يدِقُّ أحيانًا حتى لا يكاد المرء يسـتبينه نفسه، ويقلِب الحسناتِ سيئاتٍ، ويضيّع على العابد عبادته، وعلى المتصدق صدقته، وعلى العالم تعليمه. ـك فإن من أكثر ما يهتم به المشايخ، وعلى رأسهم الإمام عبد الله الحداد، حماية أصحابهم منه، وتحذيرهم ـ الوقوع فيه.

يقـول الإمام الحداد (رضي الله عنه): الرِّيَـاءُ عبارة عن طلب ـزلة عند الناس بعمـلٍ يُتَقَرَّبُ بمثله إلى الله كالصلاة ـصيام.

ويقـول: إيـاك والريـاء؛ فإنـه يحبـط العمـل، ويبطل ـب، ويوجب المقت والعقاب، وقد سـماه رسـول الله ﷺ: الشِّرك الأصغر.

وقد رُوِيَ أن رجلاً جاء إلى الإمام الحداد يسـتأذنه في ـ مسـجد، فسأله الإمام إن كان يقبل أن يُكْتَبَ اسمُ ـيره على المسـجد، بعد أن يبذلَ فيه المـال والجهد حتى ـه، فأجاب الرجـل إن ذلـك شيء لا يقدر عليه، ـ الإمام بعدم بناء المسـجد، إذ أنه إن فعل كان ذلك ـ من الرِّياء.

ـ العُجْبُ: فيقول الإمام (رضي الله عنه): إنه عبارة عن نظر ـن إلى نفسـه بعـين التعظيم، وإلى مـا يصدر منها


منزل الإمام وصحن المسجد والمنارة قبل التجديد

بعين الاستحسان، وفي الخبر: «إن العُجْبَ يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطبَ»[1].

والتخلي عن الصفات المهلكة يصحبه ويتلوه التحلي بالصفات المَرْضِية. ويؤدي ذلك إلى التحقق بمقـ اليقين التسع التي ذكرها الإمام في ديوانه:

مقاماتـه تسْـعٌ عليـكَ بحفظِها ... وإحكامِهـا وابْدأ بتصحيـحِ توبةِ
وخوفٍ ونعْمَ الخوفُ للعبد سائقٌ ... ونِعْـم الرجاء من قائدٍ للسـعادة
وصـبرٍ جميـلٍ عنـد كلِّ بليّـةٍ ... وأمْـرٍ ونـهْي أو ركـون لشـهوة
وشـكرٍ على النّعْمـا برؤيـة منعِمٍ ... وصرف الذي أسداه في سُبْل طاعة
وصحِّحْ مقام الزهد فهو العماد والـ ... تـوَكُّل وهـو الـزاد في كل رحلـة
وحـب إله العالمـين مـع الرِّضـا ... بكـل الذي يقضيـه في كل حالة

وهـذه المقامـات بيَّنهـا الإمام الحداد بكلامـه، وأعماله، وأخلاقـه، وأحواله، ثم شرحهـا شرحًـا وافـ الفصول السِّتة الأخيرة من «رسالة المعاونة».

١ـ وأول مقام ذكره الإمام في أبياته مقام التوبة.

وفي شرح التوبة يقول: التوبة أول قدم يضعها العبدُ في طريق السـلوك، وهي أسـاس جميع المقامات، و يحـب التوابـين، ويقول: واعلم أن التوبة لا تصح بدون ترك الذنب، والندم على فعله، والعزم على أن لا تـ إليه ما عشت.

وللتوبة درجات، يقول فيها ذو النون المصري: توبة العوام من الذنوب، أما توبة الخواص فمن الغفلة. ورد في الخبر: إن أهل الجنة لا يندمون على شيء، إلا على كل لحظة مرت عليهم في الدنيا لم يذكروا الله فـ

٢ـ ثم ذكَرَ الإمامُ المقام الثاني وهو مقام الخوفَ:

فقال: وأما الخوف، فأصله معرفة القلب بجلال الله وقهره، وغناه عن جميع خلقه، وشـديد عقابه، و عذابه اللذين توعد بهما من عصاه وخالف أمره. وتتولد من هذه المعرفة حالةُ وَجَلٍ تسمى الخوف.

٣ـ وثالث المقامات مقام الرجاء:

فقـال في الرجـاء: وأصل الرجاء معرفة القلب بسـعة رحمـة الله، وجُودِه، وعظيم فضله وإحسـانه، وجميـ وعده لمن عمل بطاعته، فيتولد من هذه المعرفة حالة فرح تسمى الرجاء. وقال: الرجاء أوسع من الخوف؛ ...

(١) البيهقي في شعب الإيمان، (٧٢٤٨).

نفس مغرورة. ومن ليس معه معرفة بقدر خوفه يُخشى عليه الانقطاع. ثم قال: والخوف أهم من الرجاء، لأن فقده مضر ويسوق إلى المعاصي، والنفس كالمرأة السوء.

ثم إن العبد إذا ترقى وتطهر يصبح رجاؤه أُنسًا، وخوفه هيبة، وهؤلاء يقول عنهم الإمام: عبد قد أناب إلى ربه واطمأنت به نفسه وانقشعت ظلمات شهواته بإشراق أنوار قربه، فلم تبقَ له لذة إلا في مناجاته ولا راحة إلا في معاملته، فصار رجاه شوقًا ومحبة، وخوفه تعظيمًا وهيبة.

وقد وُصِفَ الإمام الحداد (رضي الله عنه) بأنه: كان شديد الخوف من الله سبحانه، دائم الخشية والهيبة له عز وجل، غزير الدمعة، لا يكاد يسمع المخاوف إلا وجادت عيناه بالدمع.

ولكنه كان (رضي الله عنه) يغلب رجاؤه خوفه، وكان يقول: إن أغلب أحوالنا صدق الرجاء في الله، وحسن الظن بالله تعالى، بالنسبة إلينا وإلى جميع المسلمين، ولكن الله أعطانا لسان الخوف رحمة للعامة، إذ هم عظيموا الاغترار بالمَلِكِ الجبار، ويغلب علينا الرجاء، حتى للمخالفين من أرباب الفرق.

وقوله: أعطانا الله لسان الخوف، ظاهر في أقواله وفي كثير من نَظْمِه، أما شمول رجائه لجميع المخالفين من الفرق من أهل البدع: فإن شيمة الأكابر اتساع صدورهم للكل، ودعاؤهم للكل، مع إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ومن كلامه: إن عندنا من الرجاء وحسن الظن بالله تعالى ما لو ظهر للناس منه سَمُّ إبرة لتركوا العمل اتكالاً.

وحسن الظن بالله أيضًا مما يظهر في ثنائه واعتماده عليه، وفي دعواته، وفي كلامه المنظوم وغيره.

٤و٥ـ ثم ذكر الإمام في أبياته المقامين الرابع والخامس، وهما مقاما الصبر والشكر:

وهما مما لا غنى للمؤمن عنه.

وقد قسّم الصبر في «رسالة المعاونة» إلى أربعة أنواع:

أولها: الصبر على الطاعات.

وثانيها: الصبر عن المعاصي.

وثالثها: الصبر على المكاره.

ورابعها: الصبر عن الشهوات.

وقال في أحد المجالس: إن أهل البلاء في هذا الزمان ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ـ أهل الرضا والسكون، لهم رفع درجات.

٢ـ وأهل الجزع من غير اعتراض، لهم تكفير سيئات.

٣ـ وأهل الجزع والاعتراض، لهم مقت وعقاب.

فأما صبره على الطاعات: فقد ذكرنا شيئًا منه في مجاهداته أيام بداياته. أما بعد هذه المرحلة فإن ت تكون للعارف محض لذة وأُنس. وقد قال (رضي الله عنه): إن مَن لَزِم الصبر وصل إلى مقام القُرْب، وهناك يجـ الطاعات من الحلاوة، واللذة، والأنس، ما لا يوصف.

وأما الصبر عن المعاصي: فإنه كان في صباه وشبابه ليس فيه دافع لمعصية أصلاً، وذلك بالنسبة للمعـ الحسّية. أما بالنسبة للغيبة، والنميمة، وفضول الكلام، فقد حفظه الله منها، فإنه كان بالفطرة بعيدً عـ كل البُعد، وكذلك الشهوات المحللة، لم يكن صبره عليها بالمجاهدة والمعاناة، وإنما كانت لا تكاد تخـ له على بالٍ، وذلك بفضل فطرته السليمة.

وأما الصبر على المكاره: فإنه كان حريصًا على كتمان البلايا والمصائب، لا تكاد تظهر عليه منها شكـ وربما قاسى الشدائد ممن حوله ولم يطّلع أحد على ذلك.

وقد قال لتلميذه المقرب السيد أحمد بن زين الحبشي قرب نهاية عمره: إن الحمّى في جسدي منذ خمس عـ سنة، لم تزايلني أبدًا، ولم يعلم بذلك حتى أهل بيتي. ولم يذكر له ذلك من باب الشكوى، ولكن من باب التعـ

وكان إذا حصلت له مشقة من كثرة من يتوافدون عليه من الناس، وكلٌّ يريد محادثته بصفة خاصة، يريد مصافحته، سيما لمّا ثَقُلَ سمعُه آخرَ وقتِه، يقول: تريدون منا أن نشكو مولانا جلّت قدرته.

وكان يقول (رضي الله عنه): إنا لنريد ومولانا يريد، وما يكون إلا ما يريد، وقد سلمنا له ما يريد، عسى يكفينا شر ما نريد، إنه حميد مجيد.

ورُوِي أنه استطال رجل على بعض أصحابه فشكا إليه منه، فقال له: أَمَا تتحمل له في كلام يسير، و نسمع الكلام فينا فنصبر ونَعْفُو ونُحسِن إلى من أساء إلينا؟

ولقد أوردنا هذه الأشياء في مقام الكلام عن الصبر، إلا أن الصبر عند الإمام ارتقى، منذ سن مبكـ إلى الرضا. وهو الأكمل من حيث التسليم والتفويض والسكون. هذا من حيث نفسه، أما بالنسبة للنـ فكان يقول: إذا ابتُليت بما يمكنك الصبر عليه فلا تخرج من الصبر، أي الذي هو مقام أصحاب اليمـ إلى الجزع الذي هو مقام عصاة المؤمنين ونحوه. بل إن خرجت منه فاخرج إلى الشكر، وهو أرفع منه؛ لكو مقام المقربين. وإذا دامت الشدائد أُلِفَت. وكانوا أي الأولون لما ابتلاهم الله اتسعت قلوبهم بأن أنزل الله قلوبهم السكينة، فصبروا ولم يتزحزحوا.

ويقول: لا يحمل أحدًا ولا يستره في هذا الزمان إلا الصَّبْر، وفي الصبر على ما تكره خير كثير، وكم الضرر في فلتات اللسان، والرجل العاقل هو الذي يصبر، وأما النساء: فلا يحتملن ذلك، وبين عقوله وألسنتهن برزخ.

وكان يصبِّر أصحابَه على البلاء بأن يذكرهم أن اختيار الله لهم خير من اختيارهم لأنفسهم، وأن فيه تكفيرًا للذنوب ورفعًا للدرجات، وأن الله مع الصابرين.

ومما قاله: إن الله لا يخرج عبده المؤمن من الدنيا حتى يضجره بمرض ونحوه، ليخرج منها زاهدًا فيها.

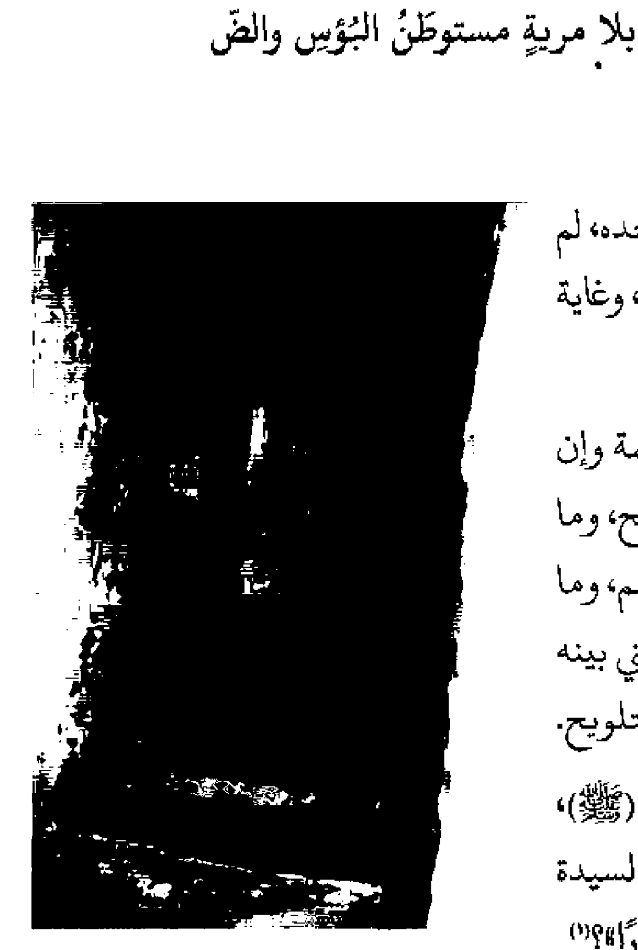
وقال نظْمًا:

وكَـمْ محْنَـةٍ كابدتُهـا وبَليَّـةٍ ... إلى أن أتانـا اللهُ بالفتـح والنصْر
صبرتُ لها حتى انقضَى وقتُهَا الذي ... به وُقِّتتْ في سَـابِقِ العِلْم والذِّكْرِ

. أن قال (رضي الله عنه):

إذا مَـا ابْتَـلاكَ اللهُ فالصَّبرُ حقُّهُ ... عليكَ وإنْ أولاكَ فالحقُّ في الشُّكْرِ
ومـن عَـرَفَ الدُّنيَـا تحقَّـقَ أنها ... بلا مريةٍ مستوطَنُ البُؤسِ والضّ

وأما الشكر: فلمَّا ذكره الإمام (رضي الله عنه) قال:



الدرجة التي كان يجلس عليها الإمام ليتذاكر في دقائق الأمور مع الحبيب احمد بن زين الحبشي

أصل الشكر معرفة القلب بالنِّعَم، وأنها من الله وحده، لم ... إليه شيء منها بحوله وقوته، بل بفضل الله ورحمته، وغاية ... شكر: أن تطيع الله بكل نعمة أنعم بها عليك.

... ذكر أن من الشكر كثرة الثناء على الله، وتعظيم النعمة وإن ... ت صغيرة، والتحدث بالنعم بدون تزكية للنفس أو تبجح، وما ... أثنى الإمام على ربه شعرًا ونثرًا، وما أكبرَ تعظيمَه للنعم، وما ... تحدثه بها، إلا ما كان منها متصلاً بولايته، والأسرار التي بينه ... ربه، فإن تحدث عن شيء منها فبالإشارة اللطيفة وبالتلويح.

... نظرت إلى أعماله، عرفت أنه كان على قدم جَده (صلى الله عليه وسلم)، ... قدم الليل حتى تورمت قدماه الشريفتان، فلما سألته السيدة ... (رضي الله عنها) عن ذلك، قال (صلى الله عليه وسلم): **«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»**[1]

صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه، (١٠٧٨)؛ صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ... الأعمال والاجتهاد في العبادة، (٢٨١٨).

٦و٧ـ ثم ذكر الإمام في أبياته مقامَي الزهد والتوكل،

فقال:

وصحح مقام الزهد فهو العماد   والتوكُّل وهو الزاد في كل رحلة

أما الزهد: فيقول فيه: وأصل الزهد معرفة القلب بحقارة الدنيا وخسَّتها، وأنها لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء، وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله فيها، وأن من أخذ منها فوق ما يكفيه، أخذ حتفه وهو لا يشعر.

وثمرة هذه المعرفة والمقصود منها: ترك الميل إلى الدنيا باطنًا، وترك التنعم بشهواتها ظاهرًا.

وأدنى درجات الزهد: أن لا تقع بسبب الدنيا في ركوب معصية، أو في ترك طاعة.

وأعلى درجاته: أن لا تأخذ منها (أي الدنيا) شيئًا حتى تعلم أن أخذه أحب إلى الله من تركه، وبين هاتين الدرجتين درجات كثيرة.

وكان الإمام يقول: نحن الآن إنما نُعَدُّ من جملة الأموات؛ لأنها قد ماتت منا جميع الشهوات الدنيوية، لا أجد ميلاً ولا رغبة إلى شيء من الدنيا أصلاً، من مأكول وملبوس، وغير ذلك، ولا أجد لذلك لذة، ولكن إذا قُرِّب إلينا المأكول أكلنا منه ما تيسر بحكم الموافقة، ولنا بهذا الحال مدة. وقد كان لي إلى مثل هذه الأمور ميل ضعيف جدًا قبل هذه المدة، والآن عُدِم ذلك الميل، وإن رأيتم مني خلاف ذلك من حيث الحركات والمخاطبات من الناس.

ويصف مترجم الإمام الحداد حالَه، فيقول: فأقبلت عليه الخلائقُ بالأموال والهدايا، يبتغون الفضل من ربهم والرضوان، فيَقْبَل منهم نظرًا إلى الله، وإعانةً لهم على حسن نياتهم، ويصرف جميع ذلك في وجوه الخير من ضيافة وصدقة وإهداء وغير ذلك، لا يدخر لنفسه شيئًا، بل يخرج ما جاءه على حسَب ما نواه.

وكانت تأتيه الأكسية الفاخرة من الأماكن البعيدة، فيلبسها مدة، ثم يُهديها أو يُكسيها لمن نواه من غير نظر والتفاتٍ إليها.

وكان يقول (رضي الله عنه): أُكَلِّم الناس لقصد الإيناس، وإلا فلا شهوة لي في ذلك طبعًا. وكان يقول (رضي الله عنه): ليس لنا لذة في مخاطبات الناس وكلامهم ولا نبالي بأحد منهم.

وكان يقول (رضي الله عنه): أُبْغِض الجاه والصيت طبعًا وجِبِلَّةً، ومن أشهى الأحوال عندي السياحة في البراري والقفار، وذلك مُنائي ومطلوبي، ولكني منعت ذلك لينتفع الناس بي، وبختهم بي خير من بختي بهم.

أما التوكل: فيقول فيه الإمام (رضي الله عنه): اعلم أن أصل التوكل على الله معرفة القلب أن الأمور كلها بيد الله ما ينفع منها وما يضر، وما يسوء منها وما يسر.

ويقول: وللمتوكل الصادق ثلاث علامات:

الأولى: ألا يرجو ولا يخاف إلا الله، وعلامة ذلك أن يصدع بالحق عند من يُرجى ويُخشى عادة من المخلوقين، كالأمراء والسلاطين.

والثانية: ألا يدخل قلبه هم الرزق ثقة بضمان الله، بحيث يكون سكون قلبه عند فقد ما يحتاج إليه كسكونه في حال وجوده وأشد.

والثالثة: ألا يضطرب قلبه في مظانّ الخوف، علمًا منه أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

وقد أخبر الإمام عن حاله قائلاً: أنا بحمد الله لا أجد همّ الدنيا، إنما أصدِّق بوجوده لغيري، وعندي من الشجون القلبية ما لو وُزِّع على أهل تريم لهربوا.

والشجون هذه نتيجة الشوق العظيم إلى الله سبحانه الذي يعتري المحبين.

ويقول الإمام: نحن في جميع أمورنا معوِّلون على الله وعلى كرْمه وفضله، ومنفقون من خزائن جوده.

ويقول: أنا لا أشهد المعطي إلا الله حقيقة، ولو أعطاني رجل من المال ما أعطى لم يزده عندي قدرًا؛ لأني أراه من جملة الأسباب والوسائط.

والتوكل من المقامات العزيزة، وأمره عجيب، ولا يفهمه عامة الناس، ويخلطون بينه وبين التواكل. أما التواكل: فمعروف، وهو التكاسل والتقاعس مع ادعاء الاعتماد على الله والثقة به. وأما التوكل: فهو الأخذ في السبب بجد وحزم، مع سكون القلب إلى تدبير الرب، والعلم أن العطاء والمنع ليسا إلا منه.

وكثير من الناس يسيئون الظن بأهل الله، ويتهمونهم بالتواكل، بينما هم المتواكلون. وقد ذكر الإمام أمثال هؤلاء، فقال: وكثيرًا ما تسمع من سفلة الزمان عندما يقال لهم: ما بالكم تتركون الطاعات، وتأتون المحرمات؟ فيقولون: هذا شيء قد قضاه الله علينا وقدَّرَهُ، ولا محيص لنا عنه، وإنما نحن عبيد مقهورون. وبيّن الإمام أن هؤلاء غرّهم الشيطان، وأن ما هم فيه من ترك الطاعات والاجتهاد في جمع الدنيا والاستمتاع بها إنما هو تناقض ونفاق، فقال: وإياك وأماني المغفرة القاطعة عنها، وهي ما تسمعه على ألسن طائفة من المغترين من قولهم: إن الله يغفر الذنوب جميعًا، وهو غني عنا وعن أعمالنا، وخزائنه مملوءة بالخير؛ مع إصرارهم على فعل المعاصي، وترك الأعمال الصالحة، إلى أن قال: ولو أنك قلت لواحد من هؤلاء المغترين: اقعد عن الكسب والتجارة، والله تعالى يأتيك برزقك، سخر منك، وقال: ما رأينا شيئًا يجيء إلا بالسعي والطلب، بل بالكد والنَّصَب.

والتـوكل مـن ثمرات التوحيد الخالص، الذي لا يشـهد أهله فاعلاً في الكـون إلا الله عز وجل، كما
الإمام (رضي الله عنه):

ما في الوجود ولا في الكون من أحد   إلا فقـير لفَضْـلِ الواحـد الأحد
معوّلـون على إحسـانِه فُقَـرَا   لفيـض إفضاله يا نعـم من صمد

وأهل الدنيا يَتَشَبَّثون بالأسباب المادية، ويرونها مؤثرة.

أما أهل الله فَيُثْبِتون الأسباب المادية، ولا يعتمدون عليها، ويثبتون الأسباب العلوية، مع يقينهم أن الأسـ
وإن علَت لا تخرج عن كونها أسبابًا، فنرى الإمام الحداد، إذا أهمّ القومَ أمرٌ، رتّب قراءة سورة ﴿يس﴾ يوميـ
أربعين يومًا، حتى يأتي الله بالفرج.

ونراه أخرج إلى الناس راتبه الشهير عند دخول الزيدية حضرموت، فصار الناس ببركة قراءته محفوظ

ونراه خصص دعاءً لكل غرض.

ونراه توسَّل بالنبي (ﷺ)، فيقول:

يـا رسـولَ الله يـا أهـل الوفـا   يـا عظيـم الخلق يـا بحـر الصَّفَا
أنـت بعـدَ الله نعـم المرتـجى   واللَّجـا يـا مُجْتَـبَي يـا مصطـفى

ونراه في كثير من أشعاره توسَّل بمشايخه وأسلافه من الأولياء والصالحين.

وهكذا أهل اليقين يأخذون في الأسـباب الظاهرية بهمم عالية، ويأخذون بالأسـباب الغيبية، فيكثـ
مـن تلاوة القرآن والأذكار، ومن الدعاء، والتضرع، والتذلل، والتوسـل بكل ما هو وسـيلة إلى الله، ولكن
قلوبهم تبقى مذعنة لبارئها، لا يشوبها ضجر، ولا سخط، ولا اعتراض. فظاهرهم العمل والدعاء والابتـ
وباطنهم السـكون والتسـليم. وما كمال ذلك إلا حال الرضا، الذي ذكره الإمام في أبياته بعد مقام الحبـ
هما أعلى مقامين، فقال:

وحب إله العالمين مع الرضا   بكل الذي يقضيه في كل حالة

٨ـ ثم ذكر المقام الثامن وهو مقام حب الله (ﷻ):

فقـال عنـه: واعلم أن أصل المحبـة المعرفة، وثمرتها المشـاهدة، وأدنى درجاتها أن يكـون حبُّ الله هو
الغالب على قلبك، وأعلى درجاتها أن لا يصير في قلبك حب لغير الله البتة.

ثم قال: واعلم أن محبة رسولِ الله، وسائرِ أنبياء الله، وملائكته، وعباده الصالحين، ومن يعين على طاعته، ذلك من محبته.

وقـد قـال الإمام (رضي الله عنه) مخبرًا عن نفسـه: دَكَّتْنِي المحبـةُ وأخذَتْ كلِّيتي، وأذابني الحـبُّ حتى خامر جميع حولي، فأنا ذاهب القلب، وإن رأيتني بين هذا الخلق.

وقال: أجد في قلبي محبة ومودة لكل مؤمن أمرًا عظيمًا، ولكن محبة الله سبحانه سترت ذلك.

وقال نظمًا:

ولله روح خالـط الحُـبُّ كلَّهـا ... ومازَجَهـا حـتى صَبَـتْ للصَّبابةِ

وقال:

يـا مَـنْ هواهُـم في فـؤادي مقيمْ ... وحسـنُهم في مشْـهَدِي مستقيمْ

هل مـن سـبيلٍ لي إلى وصْلِكُم ... من قبل أن تُمْـسِي العظامُ رميمْ

أن قال:

عطفًـا على مـن صـار في قلبـه ... مـن حبكم والشّـوقِ أمرٌ عظيمْ

لـو كان يَدرِيـهِ العـذولُ له ... في حسنكم عاد الشفيق الرحيمْ

وقال يومًا: أفاض الله على قلبي من محبته، فامتلأ قلبي حزنًا فصار دار الأحزان.

والحزن المقصود هنا ليس هو المرادف للكآبة، ولكنها الشجون المذكورة آنفًا والشوق الكبير الذي يقول الإمام:

سـقيًا لأيامنـا الـلاتي ... مرت لنا بالحمى المأنوسْ

كانـت بهـا كل لذاتي ... في عالم الروح والمحسوسْ

لـولا الـتَرَجِّي لمـا يـأتي ... من نفحة الملك القدوسْ

لمزقـت قلـبيَ الأحـزان ... وذُبْتُ من شـدة الكَرْبِ

وكتب (رضي الله عنه): وللمحبة الصادقة علامات، أجلُّها وأعلاها كمال المتابعة للرسـول (ﷺ) في أقواله وأفعاله وأخلاقه. قـال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]، وبحسَـب المحبة لله تكون المتابعة لرسول الله، إن كثيرًا فكثير، وإن قليلاً فقليل.

[1] آل عمران: ٣١

٩ـ ثم ذكر الإمام المقام التاسع من مقامات اليقين، فانتقل من المحبة إلى مقام الرضا:

فقال: فإن الرضا بالقضاء من أشرف ثمرات المحبة والمعرفة، ومن شأن المحب أن يرضى بفعل محـ حلوًا كان أو مُرًّا... إلى أن ذكر ما قاله الغزالي: الرضا هو أن ترضى بما يفعل الله باطنًا، وتفعل ما يرضاه ظـ

إلى أن قال: واعلم أن الدعاء والإلحاح فيه لا يقدح في الرضا، بل هو من الرضا، كيف والدعاء مُعرِب عن التحقق بالتوحيد، وهو لسان العبودية، وعنوان التحقق بالعجز والاضطرار والذلة والافتقار.


الدرجة بعد تجديدها

وكان (رضي الله عنه) كثير الدعاء والابتهال، مُلحًّا فيه. وأكثر ما روي عنه من أوراد وأحزاب إنما هي دعوات نبوية، وكذلك ديوانه تكثر فيه الدعوات والاستغاثات بالله والابتهالات.

ولنرجع الآن إلى الأبيات التي ذكرناها في بداية الفصل، فإنها تشير إلى أنه بعد قطع الحجب الكثيفة، ثم اللطيفة، يتأهل القلبُ لهبوب نسيمات الوصال، وتَنزُّل المِنَح الإلهية. قال في ديوانه (رضي الله عنه):

فإذا جاوزتَ مرتَقِيًا سدْرَةَ الأسرارِ والقَدَرِ
فتوقف وانتظرْ عَلَمًا من علومِ الأمرِ وادَّكِرِ

وهذا العِلم المنتظَر إنما هو معرفةُ الله بالله.

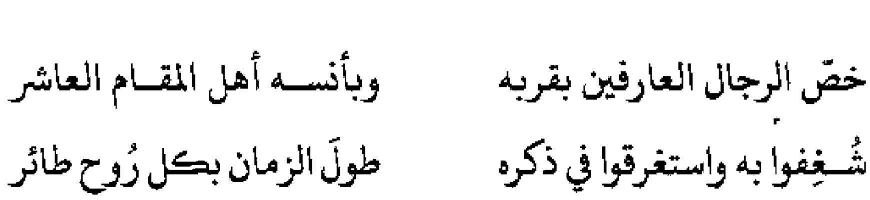
وقد ذكر (رضي الله عنه) في بعض قصائده مقاما سمّاه المقام الرابع، وآخر سماه المقام العاشر، ولم يفصح عن كنههما. ففي العينية نراه يذكر من الأكابر: الإمام زين العابدين وذريته، وعمر بن عبد العزيز، وأويس القرني، والثوري، وأكابر الصوفية المتقدمين، وأئمة المذاهب الأربعة، ثم يقول:

تلك الأئمة والدعاة إلى الهدى والحق من أهل المقام الرابع

وأما في الرائية التي نظمها سنة ١١١٩ والتي مطلعها:

الحمد لله الشهيد الحاضر الواحد الملك العزيز الغافر

فيقول (رضي الله عنه):



خصّ الرجال العارفين بقربه وبأنســه أهل المقــام العاشر
شُـغِفوا به واستغرقوا في ذكره طولَ الزمان بكل رُوح طائر

ثم ذكر منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني، والفقيه المقدم، والإمام الغزالي، والشيخ أحمد الرفاعي. فاتضح ـ لمعنيّ بكل من المقامين إنما هم أقطاب الأمة وسادات أوليائها.

بدأ الحبيب أحمد بن زين الحبشي (رضي الله عنه) في شرحه المسـمّى «الروض الناضر» لهذه الأبيات من القصيدة ـرئيـة بتعريـف من هم الرجال فقـال: (الرجال) هم أهل الكمال في الدين والعقـل، وكل من نقص عقله أو ـبـه فليـس برجل حقيقة. بل الرجل من فضّله الله تعالى على أبناء جنسـه، حتى يكـون قوّامًا عليهم بما ـضه عليهم، وبما أنفق من فضائل المعارف والعلوم، وأرزاق التربية والترقية، والإصلاح بأغذية الأسرار، ـيضـة النفوس وتهذيب الأخلاق، والتقريب إلى أخـلاق الرجال، وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ـ غير تبديل، ولا هم عن ذكره بغافلين، ولا عن تقديسه بفاترين، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة. صحّت ـنيتهـم بـه له ووَصْلَتُهم به، يخافـون ربهم ويدعونه رَغَبًـا ورَهَبًا. خصّهم بمعرفته وقربـه، وأفضَل عليهم ـــه، يحبهـم ويحبونـه﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[1] ومـن خصه بقربه فقد رفـع درجاته، وأعلا ـماته، كما قال تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾[2].

ـم تطرق لتعريـف العارفين فقال: (والعارفون) هم العالمون بالله، الذيـن رفع الله درجاتهم على المؤمنين ـيـوعي الدرجـات. قال تعالى:﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[3] وقال تعالى: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[4].

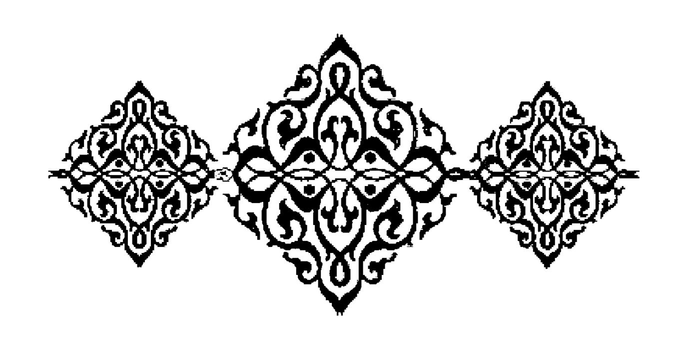
ـم انتقـل إلى الكلام عن مقامات الصـلاح بصفة عامة، فقـال: ومقامات أهل المعرفة بـالله من عباده ـين كثيرة لا نهاية لها، وأعلاهم أقربهم من درجة النبوة، وهم الصديقون؛ وبعدهم الشهداء والصالحون، ـما أراد الله تعـالى في قـوله تعـالى:﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ـشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5] فرتبة الأنبياء أعلاهم بلا نزاع، ثم الصديقين باعتبار بلوغهم أكمل الصدق في ـحق بجميع أخلاق النبيين، وصدق تحققهم بها؛ ثم الشهداء، بنظر واعتبار في معنى كونهم شهداء؛ وكذا ـحون، وذلك راجع إلى تفسير الشهادة، والصدق، والصلاح.

[1] سورة الحديد، ٢١
[2] سورة الأنعام، ٨٣
[3] سورة المجادلة، ١١
[4] سورة آل عمران، ١٦٣
[5] سورة النساء، ٦٩

وكلما اصطُلح على تقسـيم مقام أو وصف، واعتُبر له ابتداء وانتهاء، فتعدُّد درجاته بحسب اعتباره... تُعتـبر أربعـة، فتكـون الرابعة أعلاها. ومن نالها يكـون في المقام الرابع، فهو أعلى أهـل هذه الدرجات الاعتبارات.[1]... إلى أن قال إن المقام العاشر يسـمى مقام الهداية، وهو الرتبة العليا في الولاية والمقام الأ... في أحوال النهاية، وعنده يكون اليقين الصافي، والكشـف والشـهود الوافي، وأنه يسـمّى بالعاشر لأنه ... مقامات اليقين التسع المذكورة.

ويقـول في شرحـه للعينية أن المقـام الرابع هو مقام أخص الصديقين، وهو المنعـوت بالصديقية الك... فهو يرتفع عن مقام عموم الصديقين، وعن مقام الصديقية الصغرى التي هي الشهادة، وعن مقام الص... وهو في التوحيد مقام وراء لباب التوحيد. ولباب التوحيد: هو أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية ... التفاته عن الوسـائط، ويعبده عبادة يفرده بها. فمن اتبع هواه أو سـخط على الخلق خرج عنه. والمقام ... درجة فوق هذا.

وكلا المقامين وراثة وخلافة النبي (ﷺ) في أخلاقه، وأحواله، ودعوته للخلق، ونفعه لهم، خصوصًا وعمو...



(١) يفهم من هذا أنه باعتبار سلالم الأمور الثلاثية كدرجات اليقين الثلاث مثلا، وهي علم، وعين، وحق اليقين، يكون المقام الرابع أعلى من أع... وهكذا إذا اعتبرنا الإسلام، والإيمان، والإحسان؛ أو الشريعة، والطريقة، والحقيقة، ودرجات الذكر من ذكر باللسان، إلى ذكر باللسان والقلب ... تكلفاء إلى ذكر بالقلب بدون تكلف ولا يصرفه صارف. فالرابع هنا هو اللباب، وهو أن يستمكن المذكور ويستولى على القلب، وينمحق ... ويختفي، فلا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى نفسه، بل يستغرقه المذكور جملة؛ وهكذا.



الفَصْلُ الحَادِي عَشَر

أَحْوَالُ العَارِفِينَ




من يطالع مكاتبات الإمام الحداد (رضي الله عنه) يجد أنه - مع تحفظه الشديد - كثيرًا ما يعبر فيها، ويشير إلى أمور لا يتطرق إليها أصلاً في كتبه، وقد يوجد البعض منها متناثر هنا وهناك في ديوان شعره. ومن هذه الأمور إشارته إلى ما أعطاه مولاه من صفات وخصوصيات الأولياء العارفين، وكلما كان الشخص المخاطب أعلى مقامًا وأكثر علمًا كلما كانت الإشارات أكثر عمقًا.

يشير الإمام (رضي الله عنه) في إحدى رسائله إلى أنه يحمد مولاه (ﷻ) حمْد الذي سلك طريق التخلي والتحلي أبلغ سلوك، حتى وصل إلى حضرة المنن، فنستنتج من ذلك أنه مُنّ عليه بحيث صار مولاه بصره الذي به يبصر، وسمعه الذي به يسمع، إلى آخر الحديث القدسي، ثم ارتفع عن مكاشفات العوالم الغيبية الخلقية، وبلغ مرتبة الصديقية، وجرت فتوحاته في مشاهدة العوالم القديمة الحقية. فيقول (رضي الله عنه): الحمد لله اللطيف الخبير، الذي هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، حمْد من سار على السنن، وهو عبارة عن التعري عن كل فعل وخُلُقٍ مذموم، والتحلي بكل فعل وخلق حسن، حتى يصل إلى حضرة المنن، وذلك عبارة عن مواريث الصديقية، والفتوحات الحقية.

ويقول (رضي الله عنه) في رسالة أخرى: الحمد لله الذي نوّر قلوب أوليائه بأنوار قربه وإقباله، ونعّم أرواحهم بنعيم أنسه ومحبته، وأكرمهم بمشاهدة قدس جماله وجلاله.

ويقول (رضي الله عنه): الحمد لله حمدَ من أمعن النظر في مسالك العبر ومجاري الفكر، حتى سمع وأبصر، واتعظ وادّكر، واجتمع بما بَطُنَ من وجوده، وظهر على ما يقرّبه من مولاه ويزلفه من رضاه، وأقبل على مجاهدة هواه ومجانبة دعواه، وآثر آخرته على دنياه، حتى أضاءت له أنوار المعارف، وظهرت له أسرار اللطائف.

وكتب للفقيه الصالح الشيخ عبد الرحمن باعبّاد يقول: الحمد لله الذي بطن في ظهوره، فلم تتصوره الأفكار ولم تدركه الأبصار، وظهر في بطونه، فعلمته العقول، وآمنت به القلوب، وشاهدته الأسرار بأعين الاستبصار:

فذلك للأبرار ببصائر الأنوار،

في غيب الغيوب المنعوت بالاستتار: وذلك للمقربين الأخيار.

فترقّ بين المنازل والأطوار، ولا تقف مع من حار، ولا تدُر مع من دار، ولكن شمّر وسر مع من سار، إلى أن تصل الدار وتشاهد الجار، فنعم الجار ونعم الدار.

وصلى الله على سيدنا محمد، المصطفى المختار، وعلى آله الطيبين الأطهار.

من عبد الله بن علوي الحداد علوي، إلى الشيخ الأجلّ، الصادق في طلبه، والراغب في عمارة قلبه بمعرفة ربه، عبد الرحمن بن عبد الله عباد، أسقاه الله من كأس الشراب، وأسمعه لذيذ الخطاب، وأدخله في العارفين الأحباب[1]،

(1) شرح الإمام (رضي الله عنه) معنى هذه المصطلحات في إحدى المكاتبات الأخرى فيقول: الحمد لله الذي جمع الأحباب، في حضرة الخطاب، على كريم الشراب. والأحباب هم: الأولياء. والمخاطِب: هو العلي الأعلى. والشراب: هو الفتح الأسنى والكشف الأجلى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى السيد أحمد بن محمد الحبشي، وعلى كل محب في الله. وقد وصل إلينا كتابكم وحصل به الأنس. (إلى هنا والمعنيّ بالحديث الشيخ عبد الرحمن، وأما الفقرة القادمة دون سائر الرسالة، فتخص الإمام نفسه) يقول (رضي الله عنه): والمطلوب منكم صالح الدعاء بحصول الحرية من كل بقية، والخروج عن مضيق الأكوان إلى فسيح فضاء العرفان، مع الغيبة المطلقة عن المدخل والمخرج باستيفاء الجملة الوجودية بالحضور مع المدخل والمخرج ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّو

ويفسر ما سبق إلى حد ما ما يقوله (رضي الله عنه) في إحدى رسائله الأخرى: الحمد لله حمد المفرد المستهتر الموحد المستغرق، الذي أسفرت له الحقيقة القدسية عن محيّاها، وسلت له سيف فَناها حتى أمّ فِناها، فأطمس عينه وأثره، وغيَّبت وجوده، فلم يبق له من نفسه لا خُبْر ولا خَبَر، فهو أبعد الأشياء عن إدراك حقيقة نفسه فكيف يكون بُعده عن العلم بغيره من جنسه؟ فسبحان من سلبهم عنهم، ثم تفضل عليهم بأن ردّهم ليقيموا أوامره، ويُظهروا شعائره.

ويقول (رضي الله عنه): أما بعد، فإن لله عبادا شغلهم به عما سواه، وغيّبهم عنهم فلم يشهدوا إلا إياه، فهو أنيسهم في الخلوات، وجليسهم على ممر الساعات. جوارحهم بطاعته عاملة، وأسرارهم عما سواه ذاهلة، وعقولهم عاقلة، لم يشغلهم حاضر الدنيا عن غائب الآخرة.

ويتكلم عن المشكلة التي يقابلها العارف حينما يريد التعبير عما يشاهد، فإنه إما يكون ذلك مما هو ممنوع إفشائه، وإن لم يكن كان من الذي يستحيل التعبير عنه لأنه أوسع وأعجب مما تحتمله لغة البشر، فإذا عبر عنه زاده إبهاما وإشكالا. يقول (رضي الله عنه): الحمد لله حمدَ من شاهد وعاين، فعبّرَ لسانه عن بعض ما شهِدَ جنانه، حين عجز عن كنه ما كوشف به، فإذا هو يضيق نطاق النطق عن وصفه. ومن عرف الله كلّ لسانُه، لعِظم ما يؤَدَّى به، فعند ذلك يعترف بالعجز.



غرفة بالدور الأرضي من منزل الإمام الحداد بالحاوي

وقد لا يعجز عن التعبير، ولكن يؤخذ عليه في صيانة الأسرار. وإلى ذلك أشار من قال: العارف إذا تكلم هلك.(أي كشف ما أُخذ عليه في كتمه وستره).

ويقول (رضي الله عنه): الحمد لله حمدَ من يشهده ويراه، ولا يشهد ولا ويرى شيئا سواه، ويوقن أنه المنفرد في ملكه وملكوته وعزه وجبروته، ويعلم أن الخلق عبيد مسخرون ومماليك مقهورون، ليس لهم من الأمر شيء، ولا بأيديهم عطاء ولا منع، ولا خفض ولا رفع. فعند ذلك أقبل على مولاه مكتفيا به، ومعتمدا عليه، ومسارعا في رضاه، مخلصا له، منيبا إليه.

ولما سئل الإمام (رضي الله عنه) عن قول الإمام الغزالي (رضي الله عنه): العلم يثمر الحال، والحال يثمر المقام، أجاب ضرب مَثَلٍ بمقام الزهد، ثم تطرق إلى أحوال السالكين، فقال (رضي الله عنه): فاعلم أن الزهد من المقامات الشريفة، أصله أن يعلم الإنسان بما ورد في الكتاب والسُّنة وكلام صالحي الأمة في ذم الدنيا، وتقبيح حال الراغبين فيها، وذكر فضيلة الراغبين عنها، المقبلين على الآخرة، فيقع في قلبه إن أدركه التوفيق أثرٌ يقتضي الزهد في الدنيا والرغبة في العقبى.

ثم أضاف: فالأول العلم، وهذا الأثر هو الحال. وتظهر على الجوارح، بواسطة هذا الأثر، أعمال تدل عليه، من الإعراض عن عمارة الدنيا وجمع حطامها، وملازمة ما ينفع في الآخرة من الأعمال الصالحة، إلى غير ذلك.

ثم إن هذا الأثر تعرض له عوارض من وساوس الشيطان والنفس، فيما يدعو إلى الرغبة في الدنيا، فيحول ويتزلزل، ويطرأ عليه ضعف، وربما ينمحي في بعض الأحيان، ولذلك يسمى حالاً.

فإذا رسخ وتأكد، رست قواعده في القلب، فلم تؤثر فيه خواطر الرغبة، ولم تزلزله البتة، فعند ذلك يسمى مقامًا. فقد عرفت بهذا أن العلم يثمر الحال، والحال يثمر المقام.

وقال: «للحال والمقام أمارات وعلامات تدل على صحتها وسعتها، تجري على الظاهر وتسمى العمل، وهو ناشئ أيضًا عن العلم، غير أنه يتعلق بالظاهر، فيفرق بينه وبين الحال بذلك.

وقد ذكر صاحب «العوارف» أن الأحوال بدايات المقامات، وأن من رسخت قدمه في شيء من مقامات اليقين تكون له حالة المقام الذي هو أعلى منه، فاعلم ذلك.

ثم إن الأحوال قسمان:

أحدهما: ما تقدم ذكره.

والآخر: ما يرد على القلب المشرق بأنوار الرياضة والمجاهدة من الواردات الشريفة، كالأنس والغَيْبة والسكْر والجمع، وهذا القسم من الأحوال لا تثمره العلوم، ولكن تثمره التوجهات الخارقة في قوالب المعاملات الخالصة والنيات الصادقة، ولم يُرِدْهُ الإمام أي الغزالي بقوله ذلك. والأحوال التي يجري ذكرها كثيرًا على لسان القوم المراد بها القسم الثاني منها.. والله أعلم».

وهذا القسم من الأحوال، أي التي ترد على القلب المشرق بأنوار الرياضة والمجاهدة، كالأنس والغَيْبة والسكْر والجمع، فلم يرد أنها كانت تظهر آثارها على الإمام فيلاحظها من حوله، وذلك لأنه من أهل التمكين، لكن السيد محمد بن زين أورد في آخر الجزء الأول من «غاية القصد والمراد» وصفًا لبعض أحوال الإمام على لسان أحد محبيه، وهو الفقيه الصالح عبدون بن بن محمد بن قطنة. ويبدو أنها مع قوتها كانت عابرة لا تستمر مدة طويلة، ولا نعلم أنها تكررت كثيرًا، فقد ذكر الفقيه عبدون مشاهدته لها ثلاث مرات، ويتضح من وصفه أن الإمام كان حينئذ مستغرقا في أنوار الحق.

المرة الأولى

روى الفقيه عبدون بن قطنة كيف إنه ظهر على الإمام الحداد مظهر من مظاهر الحق، من الو...
الإلهية، فطلب منه الإمام أن يبيت عنده في بيته. قال: فطرقته حالة فيها شدة تشبه شدة المحتضر، ف...
بقراءة يس، وكلما سكتّ أمرني، حتى كررتها نحو العشر مرات أو تزيد عليها، وبقي يلح بالأمر ب...
واشتكى برداً كثيراً، وبقي ينزعل من هذه الحالة، وهو مع ذلك يكرر: «الله، الله»، وغيرها من الأ...
ويتلو آيات من القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾، إلى أن بلغ قوله: ﴿إِلَّا ...
مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾، فقال: "اتبعنا الرسول". ولما بلغ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُو...
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، قال: «كذبوا عليهم». وجعل يستغيث بالنبي (ﷺ)، وإبراهيم، وجملة
الأنبياء (عليهم السلام)، وفاطمة الزهراء، والخلفاء الأربعة، وزين العابدين، وجعفر الصادق، ومحمد ال...
والشيخ السقاف، والمحضار، والعيدروس، والشيخ أبي بكر بن سالم، نفع الله بهم، وأخذ على ذلك م...
طويلة. وكثيراً ما يسأل عن الوقت وحضوره. فلما طلع الفجر صلى الصبح، واستند، وتكلم بكلام يشـ...
بوقوع فتنة، بل صرّح وقال: «عرضت عليّ منذ ليال، ولا أدري على اليمن تكون أو على حضرموت؟».

قلت: فظهرت الفتنة العظيمة الهائلة بحضرموت، التي أهلكت الحرث والنسل، وبقيت مستمرة إلى يوم
هذا، وهو سنة خمس وأربعين، من سنة سبع عشرة ومائة وألف. والله المستعان. وما أحببت التصريح ...
واللبيب يعرفها[1].

قال (أي الفقيه عبدون): وهو مع ذلك يوصي بالتمسك بالسنة وبمذهب الحق. ثم أمرني بقراءة يس ...
حفظ الدين وكفاية شر المؤذين، وأشار إلى أن بعض من جاء من جهات بعيدة إنما جاء لأغراض فاسـ...
فقال: «نحن نريد صلاحهم، وهم يريدون اللفساد، عليهم وعلى المسلمين، وحسبهم الله، والله يجعل كيده
في نحورهم». ثم أخذته حالة أخرى، فكان فيها بنحو ما كان فيه في الحالة الأولى، من التلاوة والذكر، والتـ...
بمن سبق ذكرهم من الأنبياء والصحابة والأولياء، وزاد يدعو بحمزة، والعباس، وجعفر الطيار، وقراءة ...
سورة هود، وأول الصافات، وآيات أخر شتى، وأدعية نبوية، مع ظهور قوة الالتجاء والاجتهاد في الدعـ...
ويشكو ضيق الصدر عند غلبة الوارد الإلهي. فقيل له: «لو أخذت قليلاً من مربى الزنجبيل؟» فقال: «هـ...
ما هو من هذا القبيل الذي تذهبه الأدوية الظاهرة أو المأكولات الحسية». ويشكو فتوراً في رجليه. و...
يزال يوصي بالتمسك بالدين، ومتابعة الحق، وموافقة الأفعال للأقوال، ويحذر من قول اللسان مع عد...

(١) هذا من كلام الحبيب محمد بن زين، والفتنة المقصودة هي أن يافع دخلوا حضرموت سنة ١١١٧ هـ، واحتلوها، وعاثوا فيها فسادا. ومعنى هذا أن ...
الحال انتاب الإمام الحداد قبل هذا التاريخ. وغالبا ما يكون ذلك ما ذكره في بهجة الزمان أثناء ترجمة الحبيب أحمد بن عمر الهندوان قال: وحصـ...
على سيدنا عبد الله عارض شديد في حدود سنة خمس عشرة وألف، فسأل عنه سيدنا أحمد الهندوان، فقيل له: إنه في غاية الشدة. والناس لا يعلمـ...
ما به، يظنون أنه كسائر الأمراض. فقال السيد أحمد الهندوان: الذي به وارد رباني قوي.

تحقق القلب به، ويحذّر من متابعة أهل الزمان المخالفة مذهب الحق وسبيل الرسول وأصحابه من السلف صالح. وقال: «غيروا الاسم عن المقصود، وأخرجوا الأدلة عن الموضوع». فهو يشير إلى أهل الرسوم في عموم.

المرة الثانية

قال: وحصلت عليه أيضًا حالة أخرى قريبًا مما تقدم، قرأ فيها سورة طه كلها أو بعضها، والفاتحة، وآية كرسي وما بعدها، وآخر آل عمران، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ الآيات، وكرر ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، وقرأ ﴿ ٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾، الآيات، وآخر سورة الكهف، و﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ إلى ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم ﴾ الآية، ثم قال: "إنما أقرأ عليكم غرر القرآن، احتفظوا بالقرآن".

ومما تكلم به في هذه الحالة أن قال: «قدموني إلى الله ورسوله كيف تبغون». قلنا: «الذي تبغي أنت». قال: «نبتغي الله ورسوله، والدار الآخرة، والعفو والعافية، والفوز بالجنة والنجاة من النار».

ثم قال: «اليوم حلول المقابر خير وأكثر فوائد».

ثم قال: «قولوا مثل ما أقول». وشرع في حروف الهجاء: أ ب ت ث إلى آخرها، فقلناها. ولقننا الفاتحة، وآية الكرسي إلى خالدون، وآمن الرسول إلى نهاية السورة، وقال: «احتفظوا بما معكم من القرآن وبالحواس المدركة». وقال: «كونوا جميعًا ولا تتفرقوا». ولم يزل يكرر: «الله الله ربي لا أشرك به أحدًا».

ولما قيل له إن الشمس قد دنت من الغروب، قال: «تخوّفت أنها طلعت من مغربها»، وساق قصة الشيخ علي بن أبي بكر، حيث كان يدرك من ينظر إلى الشمس من أين تطلع، ويكثر في هذه الحالة من: «اللَّهُمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، ولاحول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون». وقال: «لا تتفرقوا فتتفرق قلوبكم». ثم جلس فجعل يومئ برأسه، فخطر أنه يصلي بالإيماء، ثم إنه لما صحا قضاها.

وقال: «سبحان الله! سبحان الله! كيف كانت هذه الجهة في طهارتها ونزاهتها، صارت إلى هذه الأحوال المتغيرة؟ إنا لله وإنا إليه راجعون».

وقال: «احذروا التلافيق، وتمسكوا بما في البخاري والترمذي».

وقال: «طه، كهيعص، طسم، حم، ن، ق».

وقال: «نحمد الله ونشكره، ونثني عليه بما هو أهله. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون».

وقال: «اجتمعوا يجمع الله شملكم».

وقال: «الشياطين يلفقون العلم من أماكن كثيرة، ويجمعون في مكان واحد لأغراض فاسدة، مع لأحكام كثيرة، وأنواع كبيرة، وتفاصيل شتى. وكل من تتبّع مضمون القرآن، من منطوقه ومفهومه، ع الحق، ومن تتبع بُنيّات الطريق، ضيّعه الله. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تـ ٱلسُّبُلَ﴾ الآية».

وقال: «إن استطعتم أن تأخذوا فيما أخذنا فيه، وإلا فلا تقلبونا عما نحن عليه».

وفي هذه الحالات كثيرًا ما يأمر بإشعال السراج بالليل، مع أنه لا يبصره، ويقول: «المصباح قائم، المص ثابت، النور عمّ المكان».

وفي ذلك إشارة إلى ارتباط الحسيّات بالمعنويات، والظواهر بالبواطن، والحقائق بالصور.

وقال: «يا قوم، انظروا لأنفسكم نظر الآخرة».

وقال: «أخبروا بما رأيتم أو سمعتم» يعني من أحواله الشريفة.

وقال: «أخطأ الذين جاؤوا من خارج، أولهم وآخرهم، ذكرهم وأنثاهم».

وربما تيمم من الفراش والجدار في تلك الحالة.

وقيل له: «تأخر قليلاً» فقال: «لا تقولوا لي: تأخر! فإن ذلك يوحشني».

وقال: «لا إله إلا الله، صنع الحبيب حبيب».

وقال: «صفاء العيش في هذا الزمان قليل، وما شيء أحسن في العيش من الانطراح، بعد أن يـ الإنسان فيها بالمستطاع».

ويقول في بعض الأوقات: «هذه دورات كثيرة واسعة، وهذه دورة أخرى، والأمور متباعدة».

وقد تعتريه هزة وارتكاض، فيقول عندها: «الله، الله». سيما إذا سمع صوتًا مزعجًا. وفي هذه المد يأكل إلا علقة من الطعام، اللقمة واللقمتين في اليوم والليلة، وقد لا يأخذ.

وأكثر ما تقوى عليه هذه الحالة بالليل، تنهدّ عند ذلك قواه، ويزيد في ضعفه، ودهشه، ووله، حتى تق إن هذا آخر عهده بالدنيا، لما يظهر عليه من الشدة والوله. وقد يتكلم بكلام لا نفهمه ولا نفهم المقص منه، وقد يعظم عليه الحال فيأمر بإغلاق الباب، وألا يدخل عليه أحد. وكثيرًا ما يقول: «الأمر واض والأمور بيّنة، والأحوال صالحة. هل بقي إشكال؟ هل بقيت شبهة؟ الأمور محفوظة. هل حدث في المك حادث؟» قلنا: «لا». قال: «أما نحن فعلى قبلة محمد». فنقول: «بلى».

وقال: «هؤلاء شغلونا، ما تركوا لنا استقرار، وهذه أمور متفاوتة، ما الذي يخصهم من ذلك؟ كمن لا يعرف شيئا لا يخض فيه. ينظرون أنا أخرج من الظلم أم لا».

ونهض مرة وقال: «أريد أن أصلح المكان». وقال: «هل حدث حادث في البلد؟»، وكان ذلك اليوم حدث حدث من جهة الدولة، وقبضوا على الناس في البلد، وكأنه اطلع على وقوع ذلك.



مسجد باعلوي

المرة الثالثة

وحصلت عليه حالة أخرى، فبقي كالواله، يتكئ مرة ويجلس أخرى، طول الليل. ومع كثرة ملازمتي له ليلًا ونهارًا، وبياتي عنده، يقول: «أين كنت؟ أين بت البارحة؟» وقد يتلو حروف الهجاء.

وقال: «حدث في السادة الانزعاجات». كأنه يشير إلى أهل البرزخ منهم.

وقال: «قام الإشكال، ولا يدري الإنسان من أين أُتي».

وقال: «الاعتمادات ثابتة، هل اختل شيء منها؟ أو تركتم منها شيئًا؟».

وكان في هذه الحالة كثيرًا ما يسأل عن أحوال المسلمين، ويقول: «من أخبرنا بشيء من مساءة المسلمين فإنه يستقبلني بشهاب من نار».

وقال: «لا تنظرن لغير الله في سبب، فالرازق الله والأسباب آلات».



وحال بياتي عنده كلما استيقظت سمعت له بالذكر والقراءة همهمة. وكثيرًا ما يسأل عن الوقت.

وقال: «الدنيا تارة بتارة، والصبر عيش المؤمن؛ لأنها منقضية والبؤس والشدة فيها إلى غاية ونهاية

وقال: «الأرض أرض الله، والسماء سماؤه، والجهات كلها جهاته».

وقال: «هذه الخوارق لها حقائق». وقال: «رتبوا علينا حكمًا لا بعلم ولا معقول، إنما هو بحكم الـ...

وقال: «الأمر واضح».

وكثيرًا ما نسمع في هذه الشدة يكرر: «الله، الله، والأدعية النبوية، والصلاة على النبي (ﷺ)، ويـ... «طوّلوا علينا! أين المدى، أين المدى؟ هذا أمر، وغير هذه دورات كثيرة. قد أريتكم الجهات».

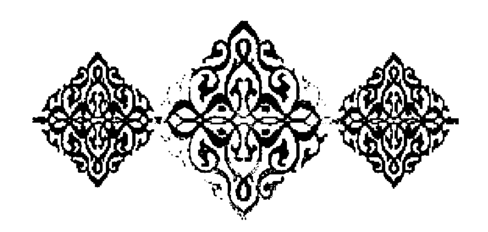
وقال: «مستورون – إن شاء الله – في الدنيا والآخرة، ولكن أين ستر العورة من ستر الحال؟».

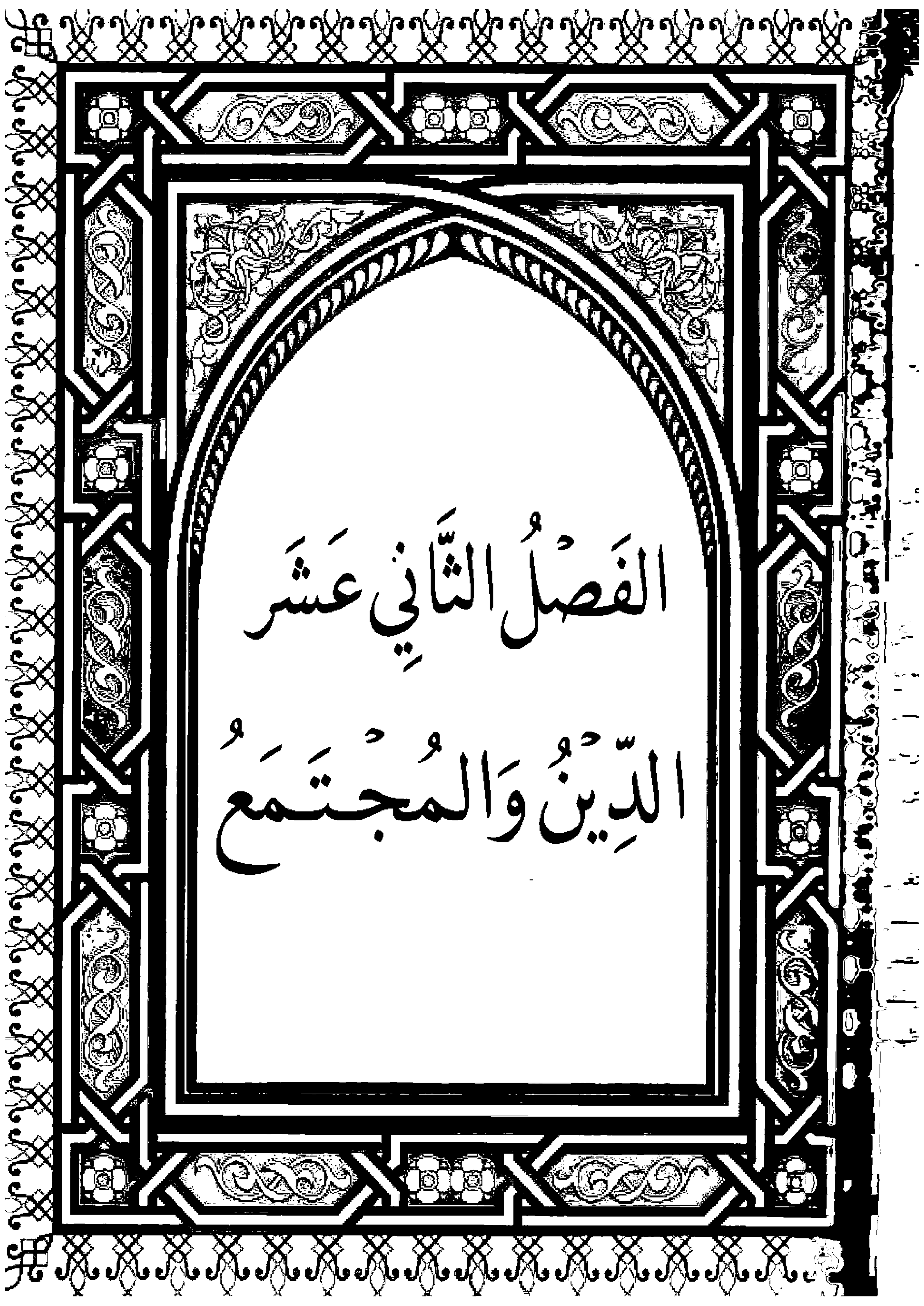
وكان في تلك الحالة يحس الحركات اللطيفة، ويحرص على استقبال القبلة في سائر الأوقات بغاية الإمـ...

ومن كلامه في هذه الحالة: «الدين دين، والعقل عقل، والعلم علم، والقلب قلب، والجسم جسـ... واحد من هذه على حدته ومنفك عن غيره».

وقد عبّر (رضي الله عنه) عن مثل هذه الأحوال في إحدى رسالاته فقال: الحمد لله الذي جعل الموت تحفة... مؤمن، وزلفة لكل محسن موقن، وأعني بها العارف المتمكن، المخصوص بالإدناء. وإنما كان مزلفًا ... أنه قد كان قبله في عين الجمع والشهود، عاكفًا بروحه في حضرة الشاهد والمشهود، لشأن وهو أن الإنـ... وإن كان من أهل العرفان، ما دامت روحه في هذا الجسد الظلماني الفاني، لا يتم له انكشاف الجمال الـ... النوراني. ولا يتم تخلص الأرواح عن الأشباح إلا بالموت، وعنده يكمل الانكشاف والإيضاح، لصير... ظلمة ليل الأجسام نور الصباح.

إلى أن قال: ونسأله سبحانه أن يمن علينا وعليكم بالسير إليه، والذهاب فيه، والاستهتار والاستغر... بمشاهدة أنوار سبحات جمال جلال كمال حضرته، ويمدنا عند سطوع سطوات نواميس أنوار شـ... الحقيقة بقوة من لدنه نقدر بها على القيام بحفظ الشريعة، وسلوك الطريقة. فإنه إن برز الحق المصـ... غير مقرون بحول وقوة من الله، تلاشى العبد وانمحق، ولحق والتحق بالمعدوم والمضمحل، وبذلك ينقص... مقداره بالنسبة إلى أقدار المحققين. والعافية أوسع، واللطف أشمل. ومن الحجاب رحمة، فإنها لو ظهر... صفاته لاضمحلت مكوناته، كما قيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.





الفَصْلُ الثَّانِي عشَر

الدِّيْنُ وَالمُجْتَمَعُ





نَبَّأَنا رسول الله (ﷺ) أن كل قرن من القرون يمر على الأمة يأتي بزيادة ضَعْفٍ في الدين، ونقصانٍ في التقوى، وزيادة حبٍّ للدنيا، وكراهةٍ للموت. قال: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**»[1]. ولذلك نرى كل طبقة من العلماء والصالحين يصفون زمانهم بأنه أفسد الأزمنة. وهو في واقع الأمر كذلك بالنسبة إلى ما سبقه من الأزمنة، ولكنه بالنسبة لما هو آتٍ أصلح؛ فكل زمان أسوأ مما قبله وخير مما بعده.

وزمان الإمام الحداد وخصوصًا في حضرموت كان زمان خير وصلاح، وفيه من المتقين والصالحين العدد الكبير، وفيه من مقومات الحياة الروحية الشيء الكثير، خصوصًا وإن قارناه بزماننا هذا، وسيطرة الماديات عليه، وانتشار البدع والآراء الإلحادية فيه.

يقول الإمام الحداد عن زمانه: إن أهل الزمان نسوا الله بترك حقوقه فسلط عليهم ما يَشْغَلُهم، حتى لو دعوا لم يستجب لهم، وتنكر أصواتهم الملائكة لأنهم لم يألفوها بسماع ذِكْر أو غيره من أمور الطاعة كما في حديث: «**فأَنَّى يُستجاب لذلك؟**»[2].

ويقول عن تدهور الزمان، وزيادة الفتن: إن النور لم يزل يختفي شيئًا فشيئًا، والظلمة لم تزل تظهر شيئًا فشيئًا، حتى تقوم الساعة.

ويقول: لا تظن أن الفتن في هذا الزمان تسكن، لا، بل كلما رأيت فتنةً سكنتْ، فهي كالنار تحت الرماد، ليست ساكنة، بل استترت؛ لأن الناس غلبت عليهم محبة الدنيا والمال والجاه. ومن كان محبًّا للمال والجاه لا يرى نفسه إلا في الفتنة، حتى يبرئ نفسه منها. ومن قال: لا يخاف من النار ولا من العار فلا تَعُدَّه إنسانًا.

ويقول: ليس مع الإنسان في هذا الزمان عن المعاصي مانع من الحق من نحو خوف، ولا من الخلق من سلطان آمر بالمعروف ناه عن المنكر، وإلا لمُلئتْ منهم المساجد؛ أي: إن أطاعوا، أو السجون؛ أي: إن عصوا.

وقد بين الإمام الحداد، غير مرة، أن العلماء ثم الأمراء هم رؤوس المجتمع، وبهم يصلح أو يفسد، فقال: ما أفسد على الناس دينَهم إلا العلماءُ، ولكن بعد فساد دينهم (أي العلماء).

وما أفسد على الناس دنياهم إلا الأمراء، ولكن بعد فساد دنياهم، فبفساد العلماء يفسد الدين، وبفساد الأمراء تفسد الدنيا.

ووجه الاتهام لعلماء السوء، فقال: هذا زمانٌ العالِمُ فيه أبكم عن الحق، والجاهل فيه أصم عنه، فلا العالم يتكلم به؛ لمداهنة غيره، ولا الجاهل يسمعه؛ لاستغراق الكل في طلب الدنيا، وعدم المبالاة بالدين. فمن أين يحصل الأمر بالمعروف، وامتثاله؟ ومن أين يحصل النهي عن المنكر، واجتنابه.

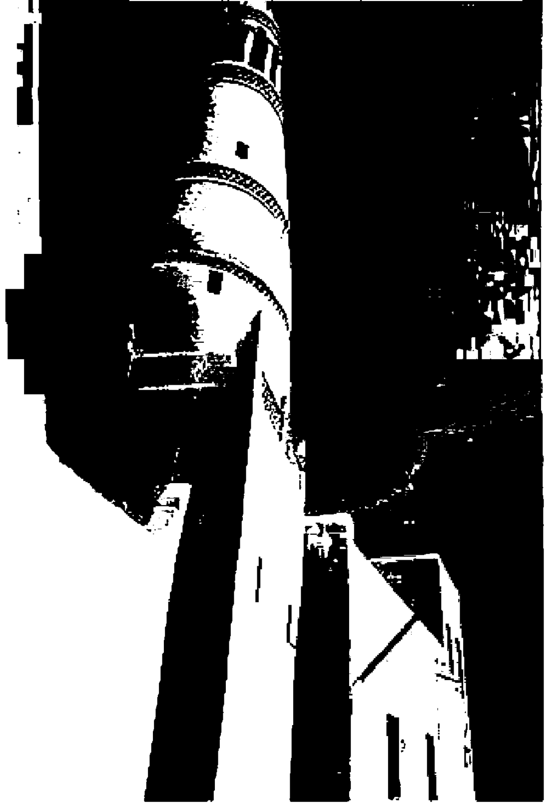
---

[1] صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، (٦٦٥٧).
[2] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (١٠١٥).

ثم تعرّض للأمراء فقال: فإذا كان الولاة بأنفسهم يتعاطون الرّبا، ويفتيهم في ذلك علماء السوء، فما الحال؟

وهؤلاء إنما هم أعداء الدين لا ممن ينصر الدين. فالولاة طلبوا الولاية ليظلموا، والعلماء تعلموا ليتولوا على الأوقاف، وأموال اليتامى وغيرها، فيأكلونها، ويفتونهم بحيل يستحلّون بها الربا ونحوه ... الله عليهم.

ثم بيَّن الإمام أن الله لا يسلط مثل هؤلاء على الناس إلا لذنوبهم وعدم مبالاتهم بالدين، فقال: إذا جاءهم الفقير يطلب الزكاة، دفعوه ومنعوه، فلما لم يعطوا حقهم من حق الله، سلط الله عليهم من يقلعها من مناخرهم قهرًا.



مئذنة مسجد باعلوي

فما أصابهم هذا ونحوه إلا بمنعهم من الحق ولو لم يمنع منهم إلا واحد، فإنما كان عاقر الناقة واحدًا.

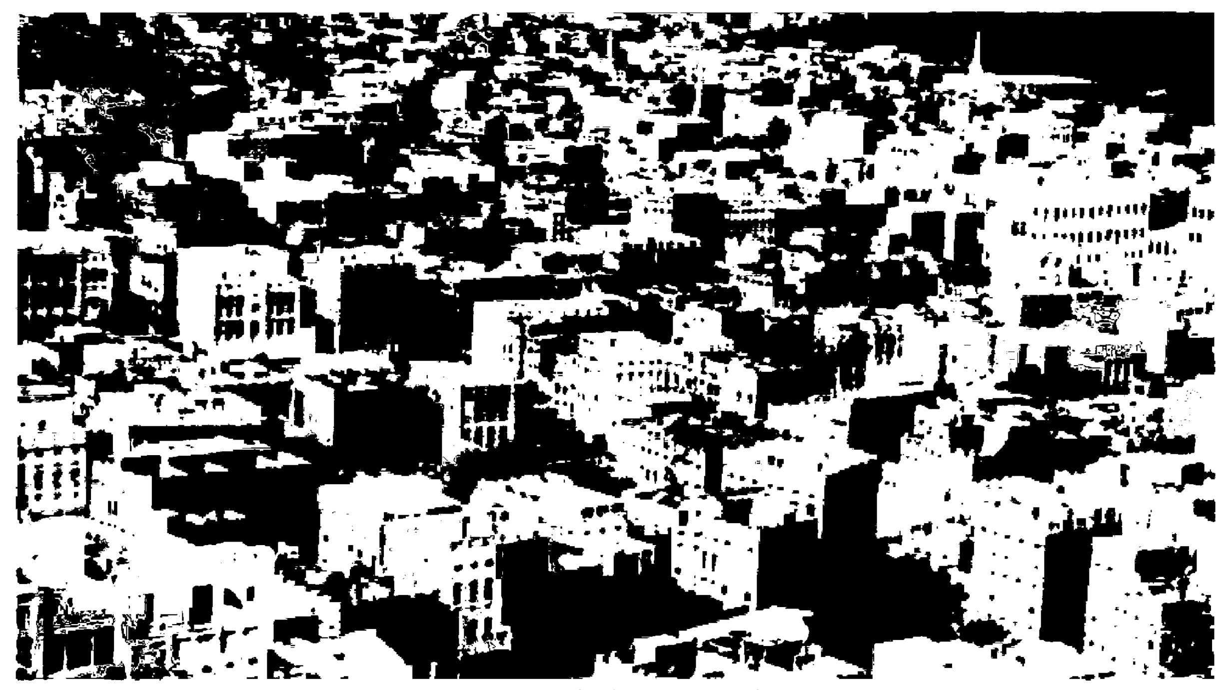
ويقول: ومن تأمل أحوالهم عَرَفَ أن ما فيهم رحمة، لا الدول على الرعية، ولا الرعية بعضهم على بعض. فإذا لم يتراحموا ما رُحموا.

ويقول: من علامة فساد الزمان، أن الرجل فيه إذا ظُلم صاح واستغاث وتنصَّف، وقال: ما أظلم الناس! ما يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، وأبطلوا الحقوق، وتركوا الدين، ونحو ذلك، وإذا وقع الظلم على غيره.. تراه بارد الخاطر، ولا يقول كقوله إذا ظُلِم هو نفسُه.

ويرى الإمام أن مِن أكثر الأشياء ضررًا بالأمة، جهلُ الناس بأمور دينهم، وإعراضُهم عمن يُعلمهم، قال: ... انقلب الناس اليوم إلى حال آخر، فلو ألقيت إلى أحدهم كلمة أو كلمتين من العلم لم يفرح بهما، ولم يتأسف على ما مضى من عمره قبل أن يعرفهما. ولو سألته عنهما بعد يوم أو يومين رأيته قد نسيهما، ولا يهمه ذلك.

ولذلك أشار الإمام إلى أن الصالحين يزدادون استتارًا كلما تقدم الزمان؛ غَيرةً من الله على أوليائه.

فذكر الصالحين يومًا بعد زيارته لمقبرة بشّار بتريم، وذكر ظهورهم في الأزمنة المتقدمة، واختفاءَهم في زمنه فقال: كان الزمان صالحًا، وبضاعتهم مطلوبة، فظهروا لذلك. وأما اليوم، فالزمانِ فاسد، وبضاعتهم مرغوب عنها، فلذلك لم يظهروا. ألا ترى، لو أن رجلاً معه بضاعة لا يطلبها منه أحد، فإنه لا يظهرها، ولا يذكرها لأحد



مدينة تريم حيث عاش الإمام الحداد

ـقـارن (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بـين الأولـين وحبهم للأمـور العُلوية، والآخِرين وحبهـم للأمور السـفلية، فقال: الناس ـانهم أشبه منهم بآبائهم، وما عاد إلا التغافل، ما أمكن التغافل، من غير مداهنة. والخير في هذا الزمان ـيه قليل. ولكن إذا وُجِد، يُرجى أن يدفع الله به عن الناس البلاء؛ لأن السراج الواحد يضيء في أماكن ـعددة.

ـقـد كان الرجـل أي في الزمـان الأول يقـرأ الآية من القرآن، فيمـرض حتى يُعَاد، لعُظْم مـا يظهر له من ـيها، كعمر بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

ـخـر سـمع النـبي (ﷺ) يقرأ الطور، فـكاد قلبه أن ينخلـع، لأن قلوبهم وأبدانهم متعلقـة بالآخرة؛ أي: ـون، وهـؤلاء على العكس؛ أي: الآخِرون، قلوبهم وأبدانهم متعلقة بالدنيا. تركوا قلوبهم مفتوحة للدنيا، ـحت فيها وقلّدَتها؛ أي: أغلقتها، وبقيت في داخلها.

ـذ كان ذلك حال المسلمين، وحال مجتمعاتهم، فكيف الخلاص، وأين الحل؟

ـالحل لا يكون إلا في كتاب الله وسُنة رسوله (ﷺ)، وذلك لا يتأتى إلا بالعلم بما فيهما، ثم العمل به.

ـحل يجب أن يبدأ من أعلى المجتمع؛ أي: من العلماء والحكام. ولذلك يرى الإمام الحداد أن أهم صنفين ـناس: العلماء والأمراء، ثم بعد التأكيد على ذلك توسّـع قليلاً في تصنيف الناس في مجتمع المسـلمين، ـ في «الفصـول العلميـة والأصول الحِكَميـة»: رجال العالم أربعـة، وعلى صلاحهم، واسـتقامتهم، يدور ـحه واستقامته:

ـأول: عابد مستقيم، زاهد، متجرد، ذو معرفة بالله تعالى كاملة، وبصيرة في الدين نافذة.

الثـاني: عالم بالشرع، راسـخ القـدم في العلم بالكتاب والسُّـنة، يعمل بعلمه، ويُعلّـم الناس، وينصح ويأمرهم بالمعروف، وينهم عن المنكر، ولا يداهن في الدين، ولا يخشى في الله لومة لائم.

الثالث: سلطان عادل، منصف، حسن السيرة، صالح السريرة، مستقيم السياسة.

الرابع: غنيٌّ صالح، له مال طيب واسـع، ينفقه في وجوه الخيرات، ويواسي منه الضعفاء والمسـاكين، ويـ منه حاجات المحتاجين. لم يملك المال ولم يجمعه إلا لذلك، ولما في معناه من الخيرات والكرامات.

وبإزاء كل واحد من هؤلاء الأربعة، رجل يشبهه في ظاهر الحال، دون معناه وحقيقته:

فبإزاء العارف المستقيم، الصوفي المخلّط الملبِّس.

وبإزاء العالم العامل، العالمُ الفاجر المداهن.

وبإزاء السلطان العادل، السلطانُ الجائر الذي لا يسير بالحق، ولا يحسن الرعاية والسياسة.

وبإزاء الغنيِّ الصالح، الغنيُّ الظالم الذي يجمع المال من غير حله، ويُمسِكه عن حقه، وينفقه في غير وجـ

وهؤلاء الأربعة الأخيرون هم السبب في فساد العالم، واضطرابه، وتشويش أحوال الناس، وخروجهم ـ شاكلة الصواب. والأمر كله لله، وبيده ملكوت كل شيء.

ثم توسَّع وأسهب في كتابه العجيب، الذي لا مثيل له من الكتب «الدعوة التامة والتذكرة العامة»، فقـ الناس إلى ثمانية أقسام، وبيّن ما يصلح، وما يفسد كل قسم، وما لكلٍّ من حقوق وما عليه من واجبات. و كدأبه بالعلماء والصالحين، الذين هم مستودَع الدين في الأمة، وبالتالي محور وجودها، ومركز دوران أفلا وقد قيل إنه ليس شيءٌ أعزّ من العلم، فالملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

والأصناف الثمانية كما ذكرها الإمام هم:

١ - العلماء.

٢ - أهل الزهد والعبادة.

٣ - الملوك والسلاطين.

٤ - التجار والصناع.

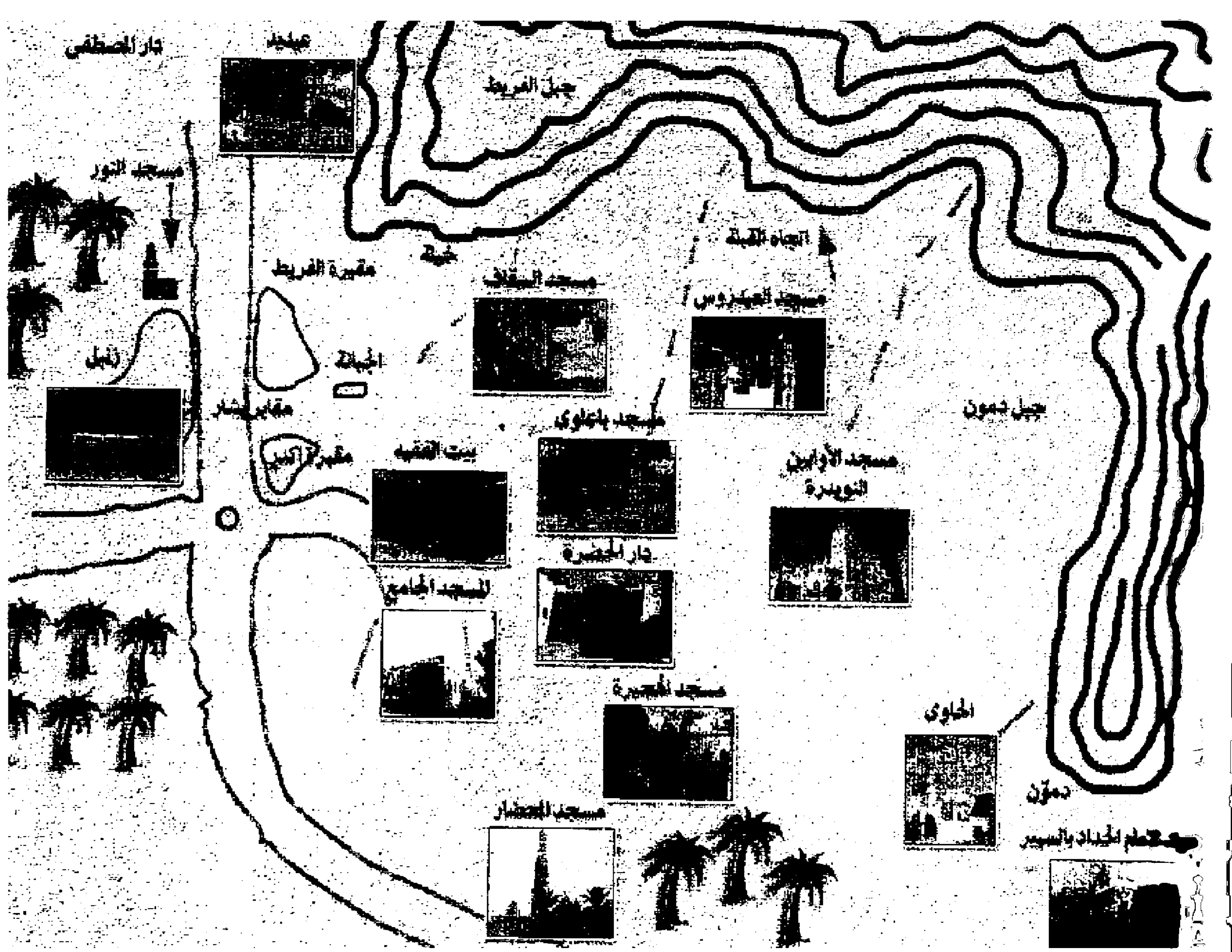
٥ - الفقراء والمساكين.

٦ - الأتباع من نساء وأولاد وعبيد.

٧ - أهل الطاعة وأهل المعصية من العامة.

٨ - غير المسلمين.

ًما عن العلماء: فقد ذكر الإمامُ شرفَ العلم، وأنه دأْبُ الأنبياء والرسل، ثم ذكر إثم المقصرين في الدعوة ن العلماء، وأنه لا عذر للجاهل في ترك التعلم، ولا للعالم في ترك التعليم، ثم الفرق بين العلماء العاملين غير العاملين، واشتغال علماء السوء بالعلوم التي لا تنفع، وبطلب الدنيا بالدين، وكيف أن من العلم ما لا ينفع، ومن العلماء من لا ينتفع بعلمه، وأن علم علماء السوء صورة لا حقيقة، وأنهم بلاء وفتنة على الأمة.



معالم مدينة تريم ويرى موقع ضاحية الحاوي وتقسيم مقبرة بشار إلى زنبل والفريط وأكدر

ـ ذكر الصوفية قائلاً: اعلم أن هذا الصنف من الناس هم صفوة الله من عباده، وموضع نظره من خلقه، ـ فيهم سيدنا الإمام عليّ (رضي الله عنه): أولئك هم الأقلُّون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، بهم يدفع الله ـ حججه، حتى يؤدوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، ـ نوا ما استوعره المترَفون، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون. صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة ـ لأعلى. أولئك خلفاء الله تعالى في بلاده، ودعاته إلى دينه، هاه! هاه! شوقًا إلى رؤيتهم.

وإذا تأملنا حديث سيدنا عليّ، كرم الله وجهه، وجدنا فيه المعاني التي ذكرها فيما بعد السادة الصو
فقوله الأقلون عددًا الأعظمون عند الله قدرًا مرادف لقوله تعالى﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَ
١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾[1].

ثم قوله: «حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم»، إشارة إلى توريث العلم، في الظاهر الباطن، بالسند المتصل من النبي (ﷺ) إلى الأولياء من أمته، إلى يوم القيامة. وأن هذا مختص بهم لا بغير إذ إن كلاً منهم يُوَرِّث ما عنده إلى مَن شابهه؛ أي تأهّل مثله لتَلَقِّي هذه العلوم.

ثم قوله: «هجم بهم العلم على حقيقة الأمر»؛ أي: أنهم لم يقفوا مع الظواهر، ولكنهم اقتحموا لجة بحار

وقوله: «أبدان أرواحها معلقة بالمنظر الأعلى» إشارة إلى ما يفتح الله به عليهم من مشاهدات يرونها القلب؛ أي: بالروح، ويقول فيها الإمام الحداد:

مناظر للنواظر من قلوب ... مطهـرةٍ زكيـاتٍ نقيّـةْ

ويقول:

مشـاهد بالفؤاد أشـهَدُها ... من باطن العلم دونَها النظرُ

وهذه الفتوح هي التي تجعل هؤلاء الصالحين يستلينوا ما استوعره المترفون، ويستأنسوا بما يستوحش الجاهلون، مثل: قيام الليل، وصيام النهار، واعتزال الناس، والصمت إلا لضرورة، ولزوم ذكر الله، و الالتفات للدنيا. فالمجاهدات تليها الفتوح، فإذا بلغوا أعلى الدرجات، صاروا خلفاءَ الله في الأرض، ودعا إلى دينه بالقول، والفعل، والحال، أي بالتعليم والوعظ، وبالقدوة، وبقوة الروح.

ثم ذكر الإمامة الدنيوية فقال: اعلم أن الولاة لابد منهم، ولا غنى للناس عنهم، والولاية أمر خطير، و في غاية الخطر؛ فإنهم إن قاموا بما يلزمهم من حق عباده تعبوا ونَصَبوا، وإن ضيعوا ذلك هلكوا وعَطِبوا.

ثم ذكر واجبات الولاة، ومنها:

١ - التأسّي بأئمة الهُدى.

٢ - تعلم ما لا بد منه من علوم الإيمان والإسلام.

٣ - تعظيم شعائر الدين.

٤ - إزالة المنكرات.

٥ - إقامة الحدود.

(١) الواقعة: ٩ـ١١.

٦ - الالتزام بالآداب، التي هي الشفقة والرحمة مع الضعفاء، والمساكين والمظلومين، وذوي الحاجات. ...شيء من الشدة والغلظة على الظالمين والمتجبرين، وأهل البغي والتعدي.

وعلى الوالي أن يفتح الباب، ويسهل الحجاب، ولا يوسِّط ولا يولي إلا أهل الخير والدين والأمانة والصيانة.

٧ - علمه بحرمة أموال الرعية، وتورعه عن المساس بها.

ثم ذكر أن ظلم الولاة أساس الخراب، وحذَّرهم من التبذير والإسراف، ثم ألحق بالأمراء القضاة، وما ...يهم من الواجبات، وما هم فيه من خطر.

ولقد كان الإمام الحداد يرسل الخطابات الشديدة اللهجة إلى السلاطين والأمراء، يأمرهم بعدم الخروج ...ن حدود الشريعة، وبالرحمة بالرعية، وكان لا يخشى في ذلك لومة لائم، وكان كثيرًا ما يرفض مقابلتهم إذا ...و ذلك. وسوف نورد أن شاء الله بعض الأمثلة على ذلك في الفصل القادم.



مئذنة مسجد المحضار بتريم

...ما الصنف الرابع من الناس: فهم التجار والزراع ...صناع المحترفون وأشباههم، وقد أكد عليهم الإمام ...وب معرفتهم لأحكام المعاملات، وأمرهم بإصلاح ...ية، وأداء الصلاة في وقتها، وإتمام أركانها، وعدم ...شغال بالدنيا أثنائها، وإخراج الزكاة، وتصحيح ...دمها. وحذَّرهم من الأشياء التي تمحق البركة، ...تي بالوبال على المجتمع كله، وهي الكذب والغش، ...ثرة الحلف في التجارة والصناعة، وتطفيف الكيل، ...ن الوزن، والاحتكار، والترويج الزائف، والمعاملات ...حرمة، وأقبحها الرِّبا.

... لصنف الخامس: وهم الفقراء والمساكين وأهل ...رض والبلاء، فذكر لهم الإمام الحداد حقارة الدنيا، ...الصالحين فيها، ثم ذكر لهم أن من الفقر ما هو ...مود، وهو المصحوب بالصبر والرضا، وما هو مذموم، ...مصحوب بالسخط والجزع، وأن امتحان المؤمن في ...يكون بأنواع المصائب، وأنه لا ينبغي للإنسان أن ...موت لضر نزل به، أو أن يدعو على من ظلمه، بل ...يصفح؛ طلبًا لرضا الله.

وأما الصنف السادس الذين هم في تبعية غيرهم، فلله عليهم حقوق، ولمن هم تابعين له حقوق، وهم بدو لهم حقوق.

فمنها: حقوق الوالدَين على الأولاد، وهي معروفة ومندرجة في شرع الله تحت عنوان «بِرّ الوالدَين»، وضـ العقوق، أعاذنا الله من كل سوء!

وكذلك حقوق الأولاد على الوالدَين من حسن رعاية وتربية على النهج القويم.

ثم ذكر الإمام سائر مقومات المجتمع الإسلامي الصالح، من صلة الرحم، وحقوق كلٍّ من الزوجين على ـ والحقوق التي للمماليك وأمثالِهم، وختم ذلك ببيان حقوق المعلمين والمرشدين من الأمة.

وأما الصنف السابع: وهم العوام، ومنهم من هم ملازمون للطاعة، وهؤلاء واجبهم كما ذكر الإمام ـ تحصيل العلوم الشرعية اللازمة، وتحري الحلال، وإصلاح السريرة، ثم حذرهم من الرّياء، والكبر، والعُجـ وأمرهم بالخشوع، والتأنّي في العبادة، أي بعدم السماح للأمور الدنيوية التي هم منشغلون بها أن تُخِلّ بأ ـ للعبادات. ثم أمرهم بتوظيف الأوقات في العبادة، بدلاً من إضاعتها فيما لا فائدة منه.

وأما الملابسون للمعاصي منهم: فذكَّرهم بشؤمها، وحذرهم من الاحتجاج بالقَدَر، ومن أماني المغفرة، وأن ر المغفرة بدون عمل باطل.

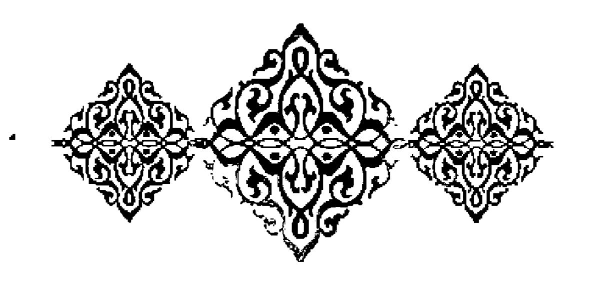
ثم حثَّهم على التوبة، وذكر لهم علاماتِ صدقها وشروطها.

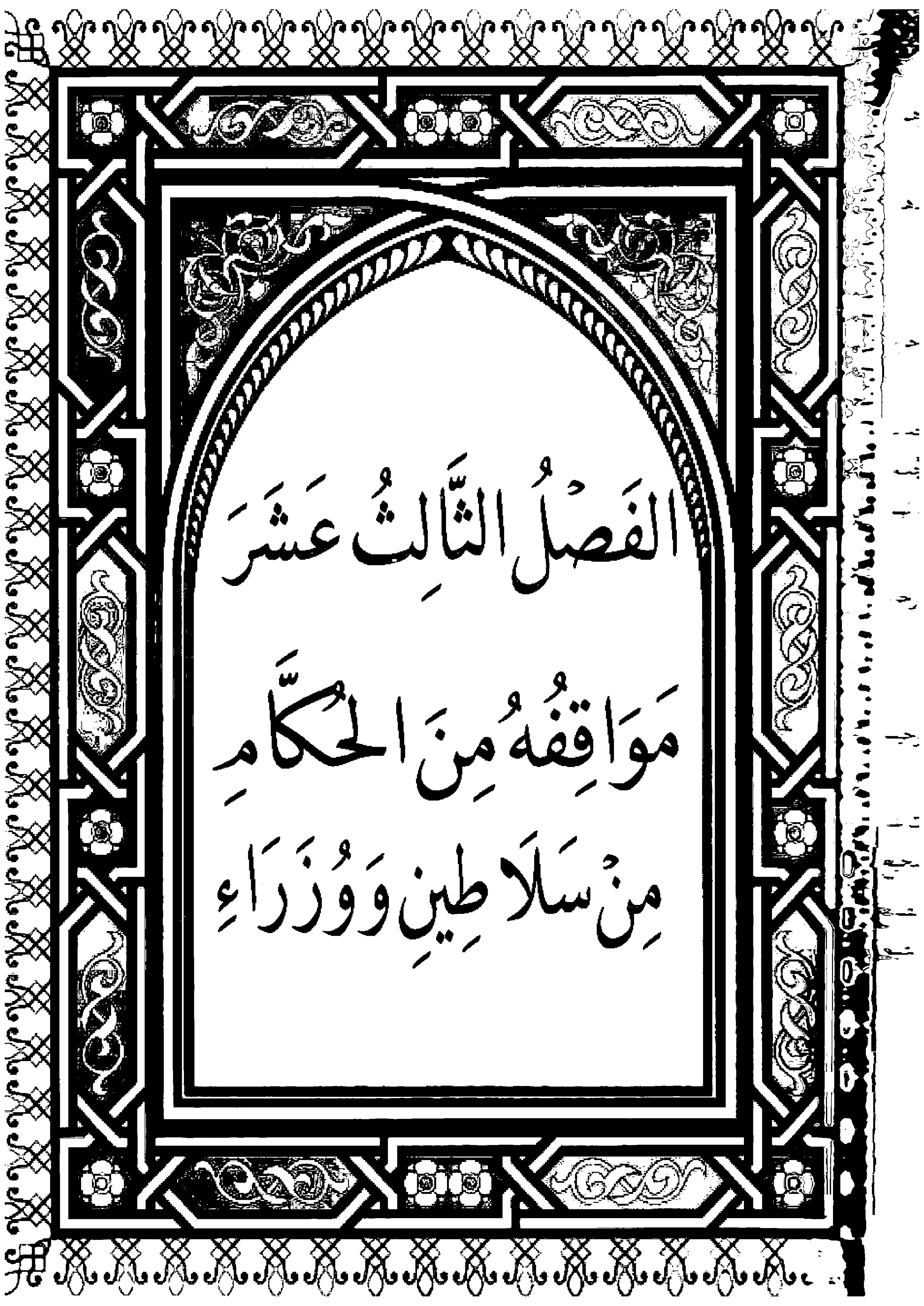
أما الصنف الثامن: وهم المشركون، والمعطّلون، والجاحدون، وأمثالهم: فحقهم علينا دعوتهم إلى التوحيـ وبيان دلائله لهم، ومعاملتهم على مقتضى الشرع.

هكذا نرى الإمام الحداد قد بيَّن مقومات المجتمع الإسلامي بالتفصيل الذي لا يدع لأيٍّ من فئات ـ المجتمع شكًّا فيما عليهم وما لهم، وفي كيفية أداء دورهم في البناء المتكامل، حيث توضع كُلُّ لبنة في محلها الصحيـ

وعدم الالتزام بهذه التوجيهات يؤدي كما نرى اليوم إلى فوضى شاملة، يختلط فيها العالِم بالجاهل، والصـ بالطالح، لا يعرف أحد للآخر حقوقَه، ولا يلتزم أحد حدوده، فجزاه الله خيرًا، قام بما عليه من الإيضاح والتبيـ خير قيام.

أما التطبيق العملي: فذلك يرجع إلى الرؤساء والحكام أولاً، ثم سائر الناس.





الفَصْلُ الثَّالِثُ عشَرَ

مَوَاقِفُهُ مِنَ الحُكَّامِ مِنْ سَلاطِينِ وَوُزَرَاءِ



حداد القلوب

كان مما يقلق الإمام انحراف الدولة عن الصواب في جمع وتوزيع الزكاة، وذلك لما يراه من الآثار السيئة
ـترتبة على مخالفة الشرع الشريف، فكتب هذا الخطاب إلى السلطان بدر بن عبدالله الكثيري، يقول فيه:


قصر السلطان الكثيري بسيئون قديما

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ـ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ
ـضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾(1)،
ـ ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا
ـكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(2)

حمـ لله رب العالمين، نعم المولى، ونعم النصير. مالك الملك، يؤتي الملك من تشاء، وينزع الملك ممن تشاء،
ـ من تشاء، ويذل من تشاء، بيده الخير، إنه على كل شيء قدير.

جعـ بعض عباده ملوكًا على بعض، وولَّى بعضهم أمورَ بعض، ليبلُوَهم أيهم أحسن عملاً، وهو العزيز الغفور.

ـمـ من أخذ منهم بالعدل والإنصاف، وتحلى بمحاسن الأوصاف، وسار بالسيرة الحميدة، وسلك الطريقة
ـــة.. فسيقيهِ الرّدى، ويحشره مع أئمة الهدى، وذلك هو الفضل الكبير.

(1) ـحج: ١-٢.
(2) ـــ: ٣٣.

وأما من ضلّ وغوى، واتبع الهوى، وأغفل أمر ربه فيما استخلفه واسترعاه.. فسيذيقه عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى. جهنم يصلونها وبئس المصير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عبدِهِ ورسولِهِ، البشير النذير، والسراج المنير، وعلى أهل بيته القائمين من بعده بهداية أمته ودعائهم إلى الخير.

من عبد الله بن علوي الحداد علوي الحسيني، إلى حضرة الملك المشهور، والسلطان المنصور، القائم بأمر الله على القطر المُشرق بالنور: أبي عبدالله، السلطان بدر بن السلطان عبدالله، أيده الله وأعانه، ورفع شأنه، ومكّن على العدل سلطانه، وجمع على طاعته في طاعة ربه أنصارَه وأعوانه، آمين اللّهُمَّ آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد: فقد قال الله تعالى وقوله الحق: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[1]

وقال (ﷺ): «**الدين النصيحة**»، قيل: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[2].

وقد كتبت إليك، بعون الله، هذا الكتاب؛ قيامًا بحق النصيحة لك، حملني عليه الشفقة عليك وعلى المسلمين.

فأول ما أدعوك إليه، وأولى ما أنبهك عليه، أنه يجب عليك أن تبالغ في شكر الله الذي خوّلك ما خوّلك وأعطاك سلطانًا، فإن الشكر قيد النعمة، وسبب المزيد، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[3].

ومن لم يُحسِن مجاورةَ نِعمِ الله، بالشكر عليها سلَبَهُ إياها. قال رسول الله (ﷺ): «**يا عائشة أحسني جوار نعم الله، فإنها إذا خرجت عن أهل بيتٍ قلَّ ما تعود إليهم**».

قال بعض الحكماء: مَن شكَرَ النعم قيَّدَها بعقالها، ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها.

واعلم أصلحك الله أن الله إنما ولاَّكَ أمر عباده، ومكَّنَك في بلاده؛ ليختبرك، فإنْ وجدك شاكرًا له على ما أولاك، وعاملاً بطاعته فيما ولاَّك، مَتَّعك متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، وجمع لك بين مُلْكَي الآخرة والدنيا، وإن وجدك غافلاً عن شكره، وذاهلاً عن إقامة أمره.. سلبك المُلك العاجل، وحال بينك وبين المُلك الآجل

(١) العصر ١-٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب تالإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (٥٥).

(٣) إبراهيم: ٧.

ثم إن الشكر الواجب لله عليك: باطن وظاهر.

فالباطن: أن تعلم أن كلّ ما بك من نعمة فهي من الله، لم تحصلها بحيلة، ولم تنلها بوسيلة.

والشكر الظاهر: هو أن تكثر من الثناء على الله، وتعمل بكتابه وسُّنة رسوله فيمن ولاك من عباده، تحوط رعيَّتك بالنصيحة، وتعاملهم بالشفقة والرحمة، وتهتم بما يصلحهم، كاهتمامك بمصالح نفسك ومصالح أهل بيتك، وتبالغ في تفقدهم، والتفتيش على ما فيه المصلحة لهم، فتنصر مظلومَهم، وتغيث ملهوفَهم، وتفك عانِيَهم، وتصفح عن جانِيْهم، فإن الله تعالى سائلُك عنهم.

قال رسول (ﷺ): «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته**»[1].

وقال (ﷺ): «**من وليَ من أمر أمتي شيئًا فلم يحطهم بالنصيحة حرّم الله عليه الجنة**».[2]

وقال (ﷺ): «**ما من والٍ من أمر المسلمين شيئًا، إلا جيء به يوم القيامة، ويداه مغلولتان إلى عنقه، لا يفكهـا إلا عدلُه، ثم يوقف على جسر جهنم فينتفض ذلك الجسر انتفاضة يزول بها كل عضو من موضعه، ثم يوقف للحساب، فإن وُجِد عادلاً نجا، وإلا انخرق ذلك الجسر، فيهوي في جهنم سبعين خريفًا**»[3].

وكأنّي بك وقد أُوقِفْتَ بين يدي الله وحيدًا، ترتعد فرائصُك فَرَقًا، وكأنّي به يقول لك: يا عبدي ولّيتك أمر عبادي، فكيف عملت لي فيما استعملتك؟ فأعِدَّ رحمك الله للمسألة جوابًا عتيدًا، وذلك ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[4]

وبعد: فقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه، وفي المأثور: كم من مَلِكٍ لعنه في صحائف العلماء من أهل زمانه، بتركهم النصحَ له، وعدم إرشادهم له إلى الحق.

وخير الملوك مَلِكٌ يصدر عن رأي العلماء، وشر العلماء من يجعل علمه تابعًا لرأي الملوك.

ولا يخفاكم أن الزكاة أحد مباني الإسلام الخمس، وقد قرنها الله بالصلاة في غير موضع من كتابه، وقد ... منكم الأمر بجمعها، ووقع الغلط في جمعها وتفريقها:

فمن الغلط في جمعها: طلبها ممن لا يملك نِصابًا، وقد قال رسول الله (ﷺ): «**لا زكاة فيما دونَ خمسةِ أوسُق**».

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، (٨٥٣)؛ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (١٨٢٩).

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، (١٤٢)؛ البيهقي في شعب الإيمان، (٧٣٦٤)؛ مسند أبي عوانة، (٧٠٤٣)؛ الطبراني المعجم الكبير، (٤٧٨ – ٤٧٣ – ٥١٣)؛ مصنف ابن أبي شيبة، (٣٧٧٢٢)؛

[3] البيهقي في شعب الإيمان، (٧٤١٦)

[4] آل عمران: ٣٠.

ولا ينبغي أن تعملوا على قول من يقول بوجوبها فيما دون النصاب، كأبي حنيفة (رحمه الله ونفع به؛
تَتَبُّعَ رُخَصِ المذاهب مذموم جدًا، بل قال بعض العلماء: إنه مُروق من الدين.

وأيضًا إذا أخذتم بهذه الرخصة من مذهب أبي حنيفة (ﷺ) لزمكم أن لا تنكروا شيئًا من ر
فإن له رخصًا معدودة عند الشافعية من المنكرات. وفي المذاهب رخص وعزائم، ولا يستقيم لأحد
عن مذهبه إلا بشرائط ومقدمات، لا يعرفها إلا العلماء المجتهدون.

ومن الغلط في جمعها: خرص الزروع، والخرص إنما يكون في النخيل والأعناب؛ لظهورها
الزروع: فلا تخرص؛ لأنها لا تنضبط إلا بالكيل بعد الجفاف والتصفية، وقد بلغنا أن الذين خرصو
أتوا أكثر من العُشْرِ فيما يُسقى بالمؤنة.

وأما الغلطُ في تفريقها: فغيرُ خافٍ، وبيانه أن الزكاة لمن سماهم الله في كتابه، وليس لغيرهم منه
وزن خردلة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾[1]، وقد صدّرها الله بإنَّما المقتضية للح
وقال رسول الله (ﷺ) لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**فإن هم أطاعوك لذلك، فأعْلِمْهُم أن الله فرض ع**
زكاة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم». الحديث.

فإن يكن الحامل لك على جمعها ما يطرق سمعك من جمع الخلفاء لها، فاعلم أنه قد جمعها رسول الله ﷺ
والخلفاء الراشدون بعده، فأخذوها من حيث أمر الله، وفرقوها كما أمر الله على من سمّى في كتابه.

وجمعها أيضًا رجال من الأئمة المضلين، ففرطوا في جمعها وتفريقها، وقد استأصلهم الله، وقطع دابره
حتى لقد حُكِيَ عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) ونفع به أنه أخذ رجلين منهم، فضُربت
وجوهُهم عن القبلة وهو ينظر.

والسعادة في الاقتداء بأئمة الهدى، وفي الاجتناب والاتقاء لسِيَر أهل الشقاء. ولعلك تقول: إن ما
يحصل للمستحقين من الزكاة، لا يسد من حاجتهم مسدًّا، ومهما صُرف في مصالح السلطنة، قام بكفاية
بعض ما ينوب. وهيهات لا يكون الشرع تابعًا للعقل، وإنما العقل هو الذي ينقاد للشرع.

وقد قسّمها الله تعالى للمستحقين، وهو عليم حكيم، يضع الأشياء مواضعها، ولا يجعل الزكاة للفقر
ويكون صرفها إلى غيرهم مصلحة لأحد أبدًا.

فإن قلت: إنما حملني على جمعها على هذا الوجه، وصرفها على هذا الوجه، أمر من جهة الزيدية، وقد
خشيتُهم على الرعية، فرأيتُ أن مسالمتهم أسلم، فاعلم أيدك الله أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله الخالق

(1) التوبة: ٦٠

ومن أطاع مخلوقًا في معصية الله سلّطه الله عليه. ومن أصلح أمر دنياه بخراب دينه، ذهبت دنياه وآخرته. لا خير للمسلمين في مسالمة يعود منها ضرر على الدين.

واعلم أنه لا يسعك أن تجيبهم إلى ما يدْعونك إليه؛ لأن بيننا وبينهم تباينًا في الأصول والفروع، وكلما ندبوك لأمر فانتدبت له، ندبوك إلى ما هو أعظم منه، ولا يرضوْن منك بدون أن تصير أنت ورعيتك زيودًا.

نعم، ولا بأس بمداراتهم عند خوف الشر بما لا يضر الدين، كذكر إمامهم في الخطبة، وحمل شيء من ... إليهم.

وأما اتقاؤهم بما يعود منه ضرر على الدين، كجمع الزكاة على هذا الوجه فلا معنى له، ولا رخصة فيه، فمهما ...وا إليك بأمر يكون في إنفاذه نقص في الدين، أو تغيّر لقلوب الرعية بغير حق، فعليك أن تدفعهم بالتي ... أحسن ما استطعت.

واستعن بالله، وشمّر في نصرة الحق ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ... ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ ...كُمۡ ۝٧﴾[3]؛ ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾[4].



قصر السلطان الكثيري بسيؤن كمل يبدو حديثا

...إن رأيت أيها السلطان قلبك ...لاً إلى العمل بمقتضى هذه ...صيحة، راغبًا في الأخذ بها، فأبشر، ... لله قد نوّر قلبك بالإيمان، ...رح صدرك للإسلام.

...طريق خلاصك من تبعة ...: أن تفرق ما اجتمع منها على ...ستحقين، وتُمسك عن طلبها من ...، واتق التسويف والتأخير؛ فإن ... قصير، والناقد بصير، سبحانه ... بصير.

... ٤٠
... ٢٩
... ٤٧
... ٣٥

ولعلـك تقـول: من رأيي أن أجمع الزكاة كما جمعها بعض الخلفاء، فاعلم أنه لا يسـتقيم لك أن تجمع بحفظ أمور لعلك لا تطيق العمل بها:

منهـا: أن تعمـل في جمعها وتفريقها على مقتضى مذهب الإمام الشـافعي (رحمه الله ونفع به)؛ فإنه ومتبوعُك، وفي خروج الإنسان عن مذهبه لأجل الترخص خطر عظيم.

ومنها: أن تولّي جمعها وتفريقها عدولاً يرضى بهم المسلمون، ممن لا يقبل الرّشا، ولا يُؤْثِر الحياة الدنيا العُقبى، فأنّى لك بهؤلاء!

ومنها: أن تأخذها من كل من تجب عليه، سواء كان شريفًا أو وضيعًا، بدويًا كان أو حضريًا.

ومنها: أن تحمل الناس على فعل الصلاة، فإن أكثرَهم، أو كثيرًا لا يصلون.

وعليك أيضًا أن تشدد في إزالة المنكرات الظاهرة، كالزنا والربا، وغير ذلك؛ فإن إظهار بعض الدين أولى بالإظهار من بعض.

والصلاة أهم من الزكاة؛ لأنها عماد الدين، والشرع لم يضيّق عليك في طلب الزكاة، وقد يضيّق في غير كالصلاة وإزالة المنكرات. ولك في ترك الأمر بطلب الزكاة سعة واسعة.

ويكفيـك إن اتهمـت بعض الناس بعدم الإخراج أن تأمر عنـد الحصاد والجذاذ كل من عنده شيء الزكاة أن يفرقه على المستحقين ظاهرًا، وتتوعده إن لم يفعل ذلك بمكروه... إلى آخر ما كتبه (ا.هـ)

نرى في هذا الخطاب ما دَرَجَ عليه الإمام (رحمه الله) عند مخاطبته للسلاطين والأمراء؛ فإنه لم يبتدئ كلا بعبارات التبجيل، والمدح، والإطراء، ولكن بالتذكير بأن زلزلة الساعة شيء عظيم، وأن الله هو المعز المذل، وهو الذي يقيم الملوك في ملكهم، وهو الذي يسلبه منهم.

ثم ذكّره بالحساب وما يتلوه من عقاب، فلما وضع الإمام كل شيء في محله، وعرَّف السلطان حقارة عند الله. خاطبه على مقتضى ما أقامه الله فيه من مُلْك، ودعا له بالتأييد فيه، والصلاح، ثم أمره بشكر على ما أولاه، مذكرًا إياه أن المُلْكَ إنما هو امتحان، شارحًا له كيفية الشكر، مخوّفًا له من يوم العرض.

ثم انتقل الإمام من العام إلى الخاص، فبيّن له أوجه الخطأ الواقع في جمع وتفريق الزكاة، وحكم الشرع في ذ

ثـم عاد وأمـره بإقامـة شرع الله في الرعية، وإزالة المنكرات، وهي واجبات يغفـل عنها غالبية الحكام. ليت علماء اليوم ينظرون إلى الإمام الحداد وأمثاله، ويحذون حذوهم في نصح الحكام بلا خوف ولا وجل

والظاهـر أن السـلطان وجـد صعوبـة في التخلي عن جمـع الزكاة كمصـدر دخل للدولة، فلمـا كتب السلطان محمد إلى الإمام كتابا يسأله فيه الدعاء، أجابه بأنه يحس أن باب الإجابة مقفول، وبيّن له السبب



مدينة سيئون عاصمة السلطنة الكثيرية. ويبدو قصر السلطان في اعلى اليمين وقبة الحبيب علي بن محمد الحبشي الى اليسار

ـنّ الله يغضب لنفسه إذا انتهكت حرماته، وأن عليهم أن يبدأوا بإصلاح أمور الدولة، غير مشترطين ـنه أن يرزقهم من باب آخر أولاً، ثم يأتي الرزق بعد ذلك ببركة الطاعة.

ـكان مما كتب (رضي الله عنه):

ـتمستم منا أن نتوجه إلى الله في حصول الفتح وما تقع به الكفاية، ونحن لم نزل متوجهين في ذلك لما ـ عليه من المصالح العامة التي يقع بها صلاح أمر المسلمين واستقامة أحوالهم. ومع ذلك فنحن نحس ـريق التوجه كالمسدود. والظاهر أن السبب في ذلك - والعلم عند الله - ظهور أمر الزكاة من جهة الدولة ـد الوجه غير المستقيم، لا في الأخذ ولا في التفرقة ولو أنهم أعرضوا عنه، إما بترك المطالبة رأساً، وهو ـن والأنسب، وإما بأن تُطلب فتؤخذ من أربابها وتفرق على أهلها على وفق المذهب. لا بد لهم - إن ـصلاح والإستقامة وفتح أبواب الخير - من أحد هذين الأمرين.

ـت - حفظك الله - تعلم ما يقعون فيه من التفريط والتخليط في أخذها، ومن صرفها مصارف ـ وأموال الديون عند التفريق. وكيف يسوغ ذلك، أم كيف يستقيم معه حال؟

ـهر أن الوالد السلطان يقول: لو قد فتح الله علينا بما يغنينا عنها تركناها.

ـقد تركها لجاء الفتح.

ويُخشى عند إجراء الزكاة، التي هي قاعدة من قواعد الإسلام، هذا المجرى، أن يغضب الله تعالى ـ وليس شأنها كشأن ما يؤخذ من المسلمين قهرا، لأنهم يغضبون لأنفسهم، ويشتمون بألسنتهم.

فعليك أيها المحب المنوّر أن تجتهد في محو هذه البدعة بما أمكنك، والله تعالى يعينك.

وإذا انحسمت مادة الطمع في الزكاة من جهة الدولة استقام الأمر على الوجه الشرعي... إلى آخر المكتـ

وكتب (رضي الله عنه) إليه مرة أخرى يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾

الحمد لله العالم بذات الصدور، القادر على إصلاح الأمور وإفاضة الخيور، الإله المطاع المحمود عـ حال، المشكور على ما أسبغ من النعم، وزوى من النقم، وصرف من الشرور.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، صلاة وسلامًا دائمين بدوام الله العزيز الغفور.

من الفقير إلى ربه الملك الجواد، عبد الله بن علوي الحداد علوي، إلى حضرة الصدر الهمام، وأحد الرؤ الأعلام، القوّام على ممالك الإسلام، عالي الهمة والمرام، ماضي العزمة والحسام، المحب المحبوب في الله، حمـ الدين، السلطان محمد بن السلطان بدر، أسّس الله أمره على البر والتقوى، وحفظه في ظاهره وباطنه من جمـ الأسوا ومن متابعة الأهواء، ووفقه لإصابة الصواب في كل ما عمل ونوى.. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى من تحتوي عليه حضرتكم من المؤمنين بالله واليوم الآخـ

أما بعد، فقد وصل إلينا كتابكم الأكرم، وانتهى إلينا خطابكم الأفخم، وحصل به الأنس ... وذكرتم أنكم بنعمة وعافية وسلامة، وأن الأمور كلها صالحة. فالحمد لله، ذلك من فضل الله، وذكركـ دليل على أنكم شاكرون لله، والله يحب الشاكرين. ومن شكر فقد تعرض للمزيد من النعم. قال الله تعـ

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

إن الله تعالى، وله الحمد، لا يرضى للشاكر بإبقاء النعم التي هي عليه فقط، بل ذلك مع المزيد؛ وربما كـ المزيد أجلّ وأفضل من النعمة التي وقع الشكر عليها.

وحقيقة الشكر وغايته أن تعلم أن جميع ما عليك من النعم من فضل الله، مع الإكثار من الثناء على ـ والتحدث بالنعم، والاستعانة بها في العمل بطاعته. ومن توصل بشيء من نعم الله إلى شيء من معاصيه فقـ كفر النعمة، واستوجب السلب إن لم يبادر بالتوبة.

والدعاء لكم منا كثير، وأنتم عندنا بالمحل الذي تحبون، فعليكم بتقوى الله وطاعته، فيما بينكـ وبينه، وفيما بينكم وبين الخلق.

وعليكم بإضمار الخير والعزم على العمل به في كل وقت على قدر الاستطاعة.

وتفقدوا أمور الرعية، وانظروا في أحوالهم، وكفّوا بعضهم عن ظلم بعض، وأنصفوا المظلوم، وكونوا معه حتى يستوفي من ظالمه.

وافتحوا الباب، وفرّغوا السمع لكل من رفع مظلمة. الحذر الحذر من التغافل عن نصرة المظلوم، فإنها خراب.

واصبروا على القيام بما كلفتم، والله عون لكم وأهل طاعته معكم ما أنصفتم وعدلتم.

وأوصوا الذين وليتموهم جمع زكاة الفطر بالمسامحة والرفق، فإنهم ربما طلبوها ممن لا تجب عليه وضايقوه في ذلك، وكذلك فرّقوا منها في كل بلد ما تيسر على المستحقين. ولو أمكن السكوت عن طلبها من المسلمين كان حسنًا وخيرًا؛ ولكن الخيرة فيما اختاره الله وقدره. وعسى الله أن يفتح لكم أبوابًا من الرزق الذي في خزائن رحمته يغنيكم به عن الرعية، وتقدرون به على التفرغ بالنظر فيما يصلحهم؛ وما ذلك على الله عزيز. وعليكم بالتسبب في حصول ذلك بالصبر الجميل، وأن تسيروا بالسيرة الحسنة، فإن الصبر أول، والفتح والنصر بعده. ألم تسمع بقول الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾؟

وأنت يا محمد فيك بركة، وقابلية، وإصغاء إلى الحق. احذر أن يشوش عليك قصدك، ويفسد عليك مرئ، من همّته الدنيا، وقصده أن يقضي شهوته منها كيف ما كان، مع الغفلة عن النظر في أمر الآخرة التي هي خير وأبقى.

ولا يقطعنا كتابكم وأخباركم، والسلام. (ا.هـ)

هكذا كانت مراسلاته مع السلطنة الكثيرية، وقد يزوره السلطان في بيته، فيعظه ويبين له الصواب من حـ.

يقول (رضي الله عنه): ولما جاء السلطان إلينا عرّفناه، وحذّرناه، وخوّفناه من عواقب الفتن وإثارة الشرور، خصوصًا ـنك الوادي، وعساه يمتثل - إن شاء الله.

وقد يحدث أن يطلب السلطان اللقاء فيرفض الإمام، كما يظهر من المقطع الآتي من رسالة إلى السلطان ـ بن جعفر الكثيري:

ـع ما ذكرتم من الحال الواقع بينكم وبين العسكر، فذلك حال من المحال، إن دام على الجهة وأهلها ـعب، بل أحوجها، وشتت أهلها منها وفرّقهم. وذلك في رقبتك ورقبتهم، يطالبك الله بها، ويصب عليكم ـتها في العاجل والآجل، ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.


شارع من شوارع مدينة سيئون

وأما طلبك الاجتماع، فما أظن ذلك يتفق في هذه المرة، لأن ما له فائدة ولا منفعة لنا ولا لكم، والحال على ما هي عليه، من الظلم للرعايا، ومطالبتهم بهذه الأثقال التي لا يقوى عليها القوي منهم والضعيف، وتعم الخاص والعام. وإيش نقول لله ولرسوله إن سألنا عنكم وعنهم، ونحن بين أظهركم؟ وما الفائدة في الاجتماع من غير امتثال لما نشير به ونرشد إليه؟

(إلى آخر الرسالة)

وتارة يشتد عليهم في اللوم والتأنيب، كما كتب بتاريخ ١٢ جماد أول ١١٣٠ يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من أحوال أهل النار، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المختار، و أهل بيته الأطهار، وأصحابه الأخيار.

من عبد الله بن علوي الحداد إلى السلطان الهمام، المحب في الله الملك العلام، عمر بن جعفر بن أسلمه الله وكان له، وسلك به شاكلة الصواب وطرائق الصدور الأنجاب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وقد وصل كتابكم وما شرحتم فيه من الشأن الذي وقعت فيه المواطأة: فهو سخنة عين، وجسد رأس، وقفا بلا وجه.

إلى أن قال:

وقد سار ابن عمك السلطان علي بن بدر إلى ظفار بجند كثير وآلات وعدد، وقصده يطلع الجبل القرى، يقهرهم ويُدَوِّلهم، فوقعت أمور كلها عليه، ورجع يطلب الغوث، ويصالح القرى على ما في خواطرهم وربما أن الواقعة على بالك. إلى أن قال: ولا تحسب أنا نغشك أو نغش المسلمين، نعوذ بالله من الإلحاد الدين وسلوك سبيل غير المتقين... (ا.هـ).

وكتب إلى عبد الرحمن بن عبد الله العمودي يقول:

والله الله فيمن استرعاك الله من عباده.. اتقِ الله فيهم، فإنه سائلك عنهم؛ تفقد أمورهم، وانظر في حوائجهم، وانصر المظلومين، وخذ على أيدي الظالمين منهم، ولا تقبل السعاية من بعض على بعض. وقم مع

ضعيف حتى يستوفي حقه من القوي. ومن وليته على بلد، أو عمل أي عمل كان، فأوصه بالرعية خيرًا، وحذره من الظلم والجور. وإذا شكا أهل مكان من القائم عليهم، فابحث عن أمره، فإن حاف فاعزله عنهم.

وتأمل أهل كل بلدة لك، فشدد عليهم في إقامة الجُمَع إن كان عددهم يبلغ أربعين. وأي بلدة لا تقام فيها جماعة لكل فريضة من الخمس، ينبغي أن تهددهم، وتحثهم على إقامتها، ولو أن يقيمها منهم ثلاثة أو أربعة. لا بد من ذلك، ولا عذر في تركها عند الله.. (ا.هـ).

وعلى العكس من ذلك، عند صلاح الحكام وأعوانهم يكتب إليهم يبشرهم بالخير، ويشجعهم على الاستمرار على سيرتهم الحسنة.

ومن ذلك رسالة إلى أحد الوزراء بالهند اسمه حبش خان مفتاح عيدروس، جاء فيها:

واعلم أيها المحب المنور أنه يبلغنا عنك من السيرة الحسنة، والأفعال الجميلة، من الإقبال على العلم، وحسن الأدب والتأديب، واصطناع المعروف، وحب الخير وأهله، ما يدل على عناية الله بك، فصرت بذلك محبوبًا عندنا، مبجلا لدينا.

فدم على ما أنت عليه من العمل بالصالحات، وفعل الخيرات، وزد من ذلك حسب استطاعتك، وأبشر بما يسرك، فإن الله تعالى لا يوفق للعمل الصالح وفعل الخير إلا من يحبه ويرتضيه ويصطفيه. فخذ بحظك من قرب ربك، وتزود لآخرتك، وخير الزاد التقوى.

ولا يمنعك من فعل ما يقربك إلى الله ما تراه من تأخر بعض أبناء الزمان عنه، فإن الله تعالى لا يحبهم، ولو حبهم لاستعملهم فيما يحب.

واعلم أن جماع الخير كله في المحافظة على أمرين:

أحدهما فيما بينك وبين ربك، وهو ألا تزال عاملاً بطاعته، ذاكرًا له بقلبك ولسانك، مستشعرًا في نفسك على الدوام أنك في غاية الافتقار والحاجة إليه، ومفوضًا إليه أمورك كلها، مستعينًا به على جميع ما يعنيه من أمور آخرتك ودنياك، راجعًا إليه في كل ما يهمك، معتمدًا على نصره وتأييده، سائلاً منه، مرتجيًا توفيقه وتسديده.

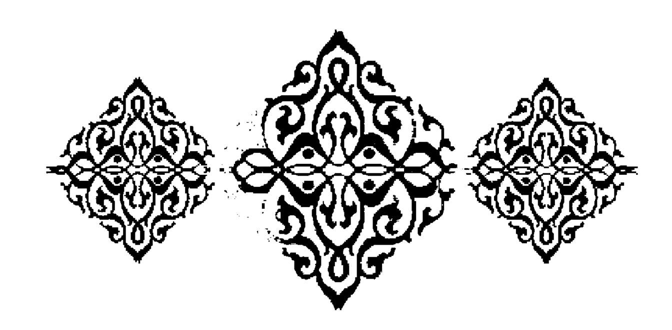
والأمر الثاني فيما بينك وبين رعيتك، وهو أن تبسط عليهم العدل، وتنشر فيهم الفضل، وتأخذ لمظلومهم من ظالمهم، وتشكر لمحسنهم، وتعفو عن مسيئهم، ولكن بعد إيقافه على إساءته، وتوبيخه عليها حتى لا يعود إليها.

وكن شفيقًا عليهم، رحيمًا بهم، مجتهدًا في إصلاح أمورهم، وتفقد أحوالهم، وقضاء حوائجهم، صبورًا على أذيتهم، مقربًا لخيارهم، مبعدًا لشرارهم، مع المداراة لهم بنية السلامة من شرهم.

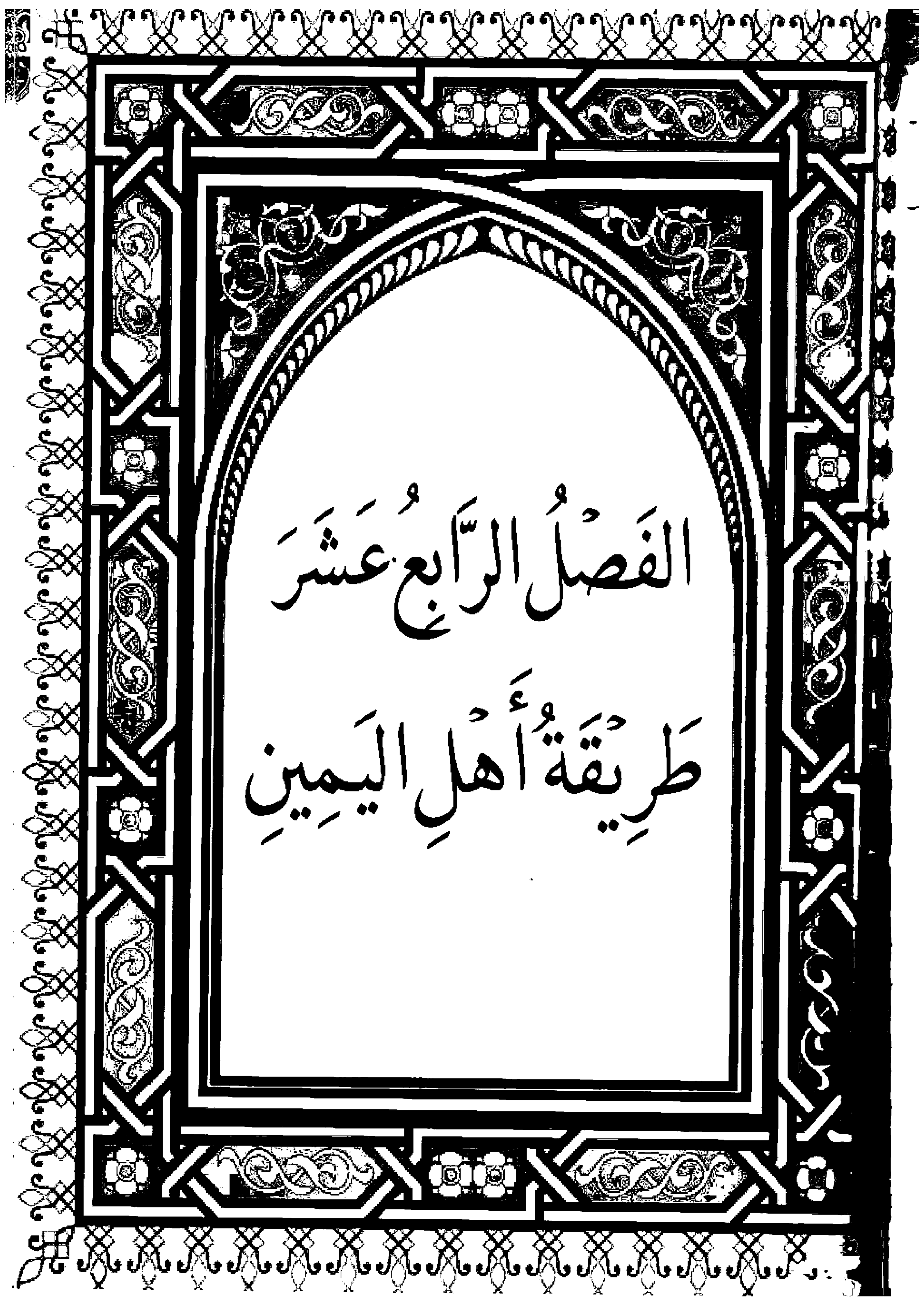


واعلـم أن اشـتغالك بمهمـات رعيتك أفضل من نوافل العبـادات. قال (عليه الصلاة والسـلام):
ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة»[1].

والذي ينبـغي لك أن تجعل لاشـتغالك بأمور رعيتك وقتًـا، ولإقبالك على ربك وعلى ما ينفعك في آ
وقتًا آخر. فبترتيب الأوقات وتوزيعها على الخيرات تظهر بركات الساعات. (أ.هـ)



(١) الترغيب والترهيب، (٣٣٠٥).



الفَصْلُ الرَّابِعُ عَشَرَ

طَرِيقَةُ أَهْلِ اليَمِينِ




أخرج السيوطي في "الجامع الكبير" عن أبي أُراكة قال: صليت مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الفجر، فلما انقلب عن يمينه مكث كأن عليه كآبةً، ثم قلّب يده وقال: «والله لقد رأيت أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم)، فما أرى اليوم شيئًا يُشبِهُهم، لقد كانوا يصبحون شُعثًا غُبرًا، بين أعينهم كأمثال رُكَبِ المَعْزِ، قد باتوا لله سُجّدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله (تبارك وتعالى) مادوا كما يميد الشّجر في يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبلّ ثيابهم، فاذا أصبحوا، والله لكأن القوم باتوا غافلين». ثم نهض، فما رُئِي مُفْتَرًّا ضاحكًا حتى ضربه ابن ملجم[1]. فالصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين)، كانوا يبيتون لربهم سُجدًا وقيامًا، يصومون النهار، ويقومون الليل على الأقدام والجباه، حتى تصير جباههم من سجودهم على الأرض الصلبة والحصى كمثل ركبة الماعز، فإذا طلع عليهم الفجر ذكروا جلال الله، فتمايلوا من الخوف والهيبة، كما تتمايل الأشجار في مهب الريح، وبكَوا من إحساسهم بالتقصير تجاه مولاهم، حتى يظن الناظر إليهم أنهم باتوا نيامًا غافلين عن ربهم.

هكذا وصفهم سيدنا عليّ (رضي الله عنه) هذا مع انشغالهم بالغزوات، والدعوة إلى الله، والتعليم، ومواجهة المحن والفتن، الواحدة تلو الأخرى، وتأسيس دولة الإسلام.

وقد قيل إن التابعين زادوا على الصحابة في المجاهدات والرياضات؛ إذ كانت الدولة في وقتهم قد استقر أمرها، وصار فيها قرّاؤها وفقهاؤها وقضاتها، فتجرد الكثيرون للعبادة في هذا العهد وما بعده، حتى إن الأئمة ممن اشتغل بالعلم كانت لهم من المجاهدات ما نعجز في هذا الزمان عن تعقله.

وقد ذُكر عن الإمام أبي حنيفة النعمان (رضي الله عنه) أنه ظل أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، هذا مع اشتغاله بالعلم والتعليم.

وكذلك الإمام الشافعي (رضي الله عنه) كان يخصص ثلث الليل لمسائل العلم، وثلثَه للعبادة، وثلثَه للراحة.

ورُوِي عنه أنه قال: ما شبعت منذ عشرين سنة.

ثم إنه لما انشغل الناس بالدنيا، وانصرفوا عما كان عليه الصحابةُ ومن يليهم.. أصبح المتمسك بهذا الأسلوب متميزًا عن الناس، متباينًا عنهم، فسموهم الزُّهاد، ثم سموهم الصوفية.

والصوفية هم أولئك الذين تمسكوا بالهدي النبوي، وأخلصوا في ذلك، ولم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وكان للأجيال الأولى من الصوفية من أمثال إبراهيم بن أدهم، والخوَّاص، والطّائي، وسائرِ رجال «الرسالة القشيرية»[2]، من الرياضات والمجاهدات والسياحات ما لا يزال يُذكر إلى اليوم، وما قد أُلِّفَتْ فيها المؤلفات الكبيرة.

(١) «جامع الأحاديث» للإمام السيوطي، المعروف بالجامع الكبير، مسند الإمام علي رضي الله عنه من «المسانيد والمراسيل»، حديث رقم (٨٦٠٧)؛ أبو نعيم في حلية الأولياء، ١/٧٦.

(٢) «الرسالة القُشيرية» في علم التصوف، ألّفها الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وذكر فيها الأجيال الأولى من مشائخ التصوف ومصطلحاتهم وأحوالهم. توفي بنيسابور عام ٤٦٥ هجرية.


باب تقليدي من ابواب بيوت تريم

ثم تدهور الزمان، وصار عدد الذين ينهجون هذا النهج يتضاءل ثم يتضاءل، حتى إذا كان زمان الإمام الحداد، كان الحال قد صار إلى ما وصفه الإمام، وأوردناه في الفصول السابقة، من الضعف في الدين والإعراض عن الحق.

وأما السادة العلويون: فلهم من المجاهدات على مر الأزمنة ما ملأ المجلدات والمؤلفات.

فمنهم من كان إذا فرغ من صلاة التراويح، يُحرِم بركعتين يقرأ فيهما القرآن كله.

وكثير منهم من هجر النوم بالليل أكثر من عشرين سنة.

ومنهم من كان يخرج إلى الأودية والشعاب للتهجد فيقرأ عشرة أجزاء من القرآن من منتصف الليل إلى الفجر.

ومنهم: من جلس سنوات طويلة جلسة التشهد في الصلاة لفرط أدبه في الحضرة الإلهية.

وكانوا يقللون الأكل، حتى تصير معدتهم لا تحتمل إلا ثلاث أو أربع لقم... إلى غير ذلك مما ذُكر عـ

وهذه الطريقة، التي كان عليها الأولون، إنما هي «الطريقة الخاصة»، وفيها تكون المشيخة مشيخة تحكيـ أي أن المريد يسلم أمره إلى شيخه بالكلية، حتى قالوا إنه لا بد وأن يصبح بين يديه كالميت بين يدي الغـ

وفي هذه الطريقة، كما يقول الإمام: تهذيب أخلاقِ النفس، وتلطيف كثافتها بالرياضة البالغة، الـ للرعونات النفسية، القاهرة للحظوظ الشهوانية، المزيَّنة بالحضور الدائم مع الله (عَزَّوَجَلَّ)، ووصْف جـ الأدب على بساط الذلة والانكسار، والاضطرار والافتقار؛ تحقيقًا للعبودية، ووفاء بحقوق الربوبية.

ومن الرياضات البالغة المذكورة الخلوة الأربعينية وغيرها، ومجاهدة النفس في محو كل ما فيها من صـ مذمومة محوًا تامًا، وإحكام مقامات اليقين أحكامًا تامًا.

وعلاقة الشيخ بالمريد في هذه الطريقة، والتي يُطلق عليها التحكيم، هي ألا يَبْقى للمريد مع الشيخ شيـ من الإرادة ولا الفعل المستقل، فلا يفعل صغيرة ولا كبيرة إلا بأمر شيخه، وينطوي فيه انطواءً كاملاً.

أما في الأزمنة المتأخرة حيث كثرت المشاغل الدنيوية، وضعفت الهمم، وقل الإقبال على طريق الآخـ أصبح الطالبون لهذه الطريقة قلة قليلة، والقادرون منهم على سلوكها أقل من ذلك، فدفع ذلك الإمام الحـ إلى ترك هذه الطريقة، والدعوة إلى ما يلائم ويناسب الزمان، وهي الطريقة العامة وسماها «طريقة أهل اليـ



مسجد باعلوي بحوطة تريم

يقول الإمام: لا تصلح الخلوة والرياضة في هذا الزمان؛ لعدم توفرِ شروطِهما فيه، كأكل الحلال، وغير ذلك.

ـكن من بَنَى أمره فيه على ملازمة الفرائض، وترك المحرمات، وما استطاع من نوافل، وأمْرٍ بمعروف ـيٍ عن منكر، وإعانة ضعيف، وإحسانٍ إلى محتاج، أو إقامة بمؤونته، وما شاكل ذلك، وثبت عليه، حصل ـه حصل لأولئك برياضاتهم وخلوتهم، وأدرك ما فاته منها.

ـقول: لا تظنوا أنّا على الطريقة الخاصة أبدًا، لقلة أو عدم من يطلبها بصدق، وإنما نحن على الطريق ـة، طريقة أهل اليمين.

ـتصوف إنما هو الطريق الموصل إلى الله، ولا يتم ذلك إلا بتلطيف كثافة النفس، حتى لا تكونَ ـ. والوسائل الظاهرية تختلف من طريقة إلى طريقة، ولكن فعلها في الباطن وهدفها واحد؛ ولذلك ـلإمام: طرق التصوف، وإن تعددت، فهي طريقة واحدة، وهي مجاهدة النفس، والخروج من كل ما ـيه، وهذا أمر عسر.

ـقول: الطريقة التي تُذكَر إنما هي طريقة باطنة وهي العقائد والأخلاق، وإنما مُثِّل لها بالطريق الظاهر ـوتُفهَم.

ـقول: الشريعة علم، والطريقة عمل، والحقيقة ثمرة، وكل من الثلاثة قسمان ولا عليك من فروعها. فإن ـ ظاهرًا، فثمرتك ظاهرة. وإن عملت باطنًا، فثمرتك باطنة، ومن أظلم قلبه عمل بالمعاصي، فهي ثمرته.

ويقـول الإمـام: إنا لم نَحْمل الناس على طريقة المقرّبين، ولم نكلف أن نحملهم عليها كثيرًا، إنْ حمـ[illegible]
حملناهـم على طريقة أصحـاب اليمين؛ لأن الناس كلما لهم ينكصون قليلاً قليـلاً. ينكصون أولاً من [illegible]
الإحسان، ثم من مقام الإيمان، ثم هم في هذا الزمان أكثرهم يكاد يخرج عن دائرة الإسلام.

والظاهر أن هناك قلة من الناس من أُولي الهمم العالية، سلكوا طريق الخاصة على يد الإمام الحد[illegible]
رُوي عنـه أنـه قال: من أتانا يطلب الطريق العامة أخذنا بخاطره وآنسـناه، ومـن أتانا طالبًا للطريق [illegible]
استخدمناه وابتليناه، مجابَرَةً للأول باللائق لجنسه، واختبارًا للثاني وكسرًا لنفسه.

وذلك يدل على أن الإمام، ولو لم يُظهِر الطريقة الخاصة، إلا أنه اختص بها من هو لها أهل.

وأما الطريقة العامة، فيقول الإمام: إن طريق أهل الله تبدأ بأن يفرغ الطالب قلبه من الدنيا ولا يشتغـ[illegible]
بهـا إلا بقـدر الحاجة، ثم يشـغل أوقاتـه كلها بالذكر والطاعـة، ويحفظها من المعاصي والتوسـع في المبـ[illegible]
ويقبل على أمور الآخرة بالكلية، فإن فعل ذلك صار على الطريق.

وكل ذلك – كما يقول الإمام – من الطريق العامة، وهي: المَهْيَع[1] الواسـع الذي عليه السـلف، وهو [illegible]
يسـع عامـة المسـلمين. وأما الخاصة: فهي الفراغ عما سـوى الله في الظاهر والباطـن، والتخلي عن الصفـ[illegible]
المذمومـة بتفصيلها، والتحلي بالمحمـودة بتفصيلها. والعامة على طريق أصحاب اليمين، والخاصة للمقر[illegible]
ولا ينالهـا أي الخاصـة قبل إحـكام الأولى، أي العامة، ولو عاش عُمْر نوح. ومن لا يحكم صلاته أو زكا[illegible]
نحـو ذلـك كما ينبغي كيف يصـل إلى الخاصة؟ بل هذا عادّه خلف الباب، لم يصل إلى قرب الدخول، و[illegible]
من أحكم العامة في هذا الزمان.. بلغ ما بلغه الخاصة المقربون؛ لانقطاعها فيه وعدم سالكيها. ومن [illegible]
المخلوقـين ويتعلـق بهم، أو يرجو نفعًا منهم، كيف يحصل له الـترقي في مقامات اليقين؟ ومن تعلق بهـ[illegible]
ترك اليقين وتعلق بالوهم، وفعلُ الله هو اليقين والحقيقة، وأفعالهم هي الوهم.

ويقـول (رضي الله عنه): اعمـل في هذا الزمان من الخير ما لا يشـق عليك ويمكنك المداومـة عليه؛ فقليـ[illegible]
خـير من كثيرٍ منقطع، اشـكر على القليل يُعطِك الله الكثـير، ولا تنظر مثل أحوال بِشْر والفضيل وأمثـ[illegible]
فإن هؤلاء حتى الصحابة (رضي الله عنهم) لم يعملوا بمثل عملهم، لكن معهم أي الصحابة نور النبو[illegible]

ويقول (رضي الله عنه): هي طريقة سـهلة تفضي بالإنسـان إذا واظب عليها إلى اللحوق بأهل تلك الطريقة [illegible]
الطريقة الخاصة فربما حصل له في هذه الطريقة فتوح فالتحق بأهل تلك، وليس فيها من طريقة السـ[illegible]
إلا من كل شيء جزء يسير، وهي طريقة سهلة، ولا أربعينية فيها، ولا مشقة، ولا خطر. أما طريقة السابقـ[illegible]
ففيها مشقة وفيها أربعينية، ولكنها خطرة يخشى فيها على أمور الدين من تغير العقل والعقيدة... إلى أن [illegible]
وأكثر ما يحصل التغير في الأربعينية لمن يدخلها بغير شيخ، أو من غير امتثال:

---

(١) المَهْيَع: الطريق الواسع المنبسط.

ولما سئل: فإذا جاءكم أحد لا يعرف طريقة السابقين ولا طريقة أصحاب اليمين، فماذا يفعل؟ قال: يعمل على ما نحن عليه، فما يرانا نفعله يفعله، كما ترى، من إقامة الصلوات، وقراءة القرآن، وترتيب الأذكار، وطلب العلوم النافعة، مع الدوام على ذلك.

وقد قال رسول الله (ﷺ): «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار**»(1).

وقد ذكر الحبيب العلامة علوي بن طاهر الحداد (رضي الله عنه) في كتابه «عقود الألماس بمناقب الإمام العارف الحبيب أحمد بن حسن العطاس» الكثير عن طريقة أهل اليمين.

ومن ذلك قول الإمام أحمد بن حسن العطاس: سلفنا يقولون إن طريقتهم ظاهرها غزالية، ما يتركون الأعمال، وباطنها شاذلية، ما يعتمدون على الأعمال، ما يسلكون إلا بالرجاء والشوق. والخمول طبعهم يقصدونه. وأمثال هذه الأحوال، يعني الكشوفات ونحوها، ما يقصدونها ولا ينظرون إليها؛ لأنها تقطعهم عن ربهم. ومن شأن سلفنا أنهم يربون الطالب حتى يكون عالمًا عاملاً، من غير أن يشعر.

وقول الإمام العطاس: إن ظاهر الطريقة غزالية، وباطنها شاذلية، لا يعني أن طريقة السادة ليست إلا أسلوب الغزالي أو أسلوب الشاذلي، فإن هذه الصفات فيها من قبل ظهور الغزالي والشاذلي، ولكن المراد: أنه لما عُرفت طريقة المجاهدات باسم أبرز من كَتب عنها وهو الغزالي، وعُرِفت طريقة الشكر باسم من كَتب عنها وهم السادة الشاذلية من أمثال الشيخ ابن عطاء الله السكندري، فقد استخدمت هذه الألفاظ اختصارًا للكلام وتقريبًا للمعنى.

وفي هذا يقول الحبيب علوي بن طاهر الحداد في «عقود الألماس»:

ثم أنهم أجملوا الطريقة الشاذلية في قولهم: هي رؤية المنّة لله، وملازمة الشكر، وإخلاص العبودية، والبراءة من جميع الحظوظ، والاعتراف بالعجز والتقصير. هذا مجمل أصولها. وقد أطالوا في التفريع والتفصيل كما تراه في كلام ابن عطاء الله ومَنْ بعده. وهذه الأصول تُومِئ إلى معان عزيزة، ومقام رفيع، يستسيغ السامع ألفاظها، وقد يستسهل التحقق بها، ولا سيما إذا كان غِرًّا بعلل النفوس، وصعوبة مراسها، وعضال دائها، وطول عنفها وعنادها.

وهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومَن به — وهيهات وصلٌ بالعقيق نحاولُهْ

فالمجاهدة والرياضة لا بد منها، وإن كانت الرياضة هنا قلبية، فقد تكون أصعب شيء على النفس.

وأما عن طريقة الغزالي:

فمدارها على الرياضة، والتعب، والمشقة، والسهر، والجوع، وغيرها.

إذن طريقة السادة العلويين، فماذا تفيد؟ وإلى أين تؤدي؟

---

(1) أحمد، (٢٤٦٣٩)؛ البيهقي في شعب الإيمان، (٧٩٩٨).

يقول الإمام الحداد: إن الإنسان إذا نزل من درجة الإنسانية، بأن غلب عليه الهوى والشهوة جدًّا ... تذهب منه المروءة، فيصير حيوانًا بحَسَب ما غلب عليه؛ لأن كل حيوان تغلب عليه صفة من هذه ... يُعرَف بها. ومن غلبت عليه واحدة منها من بني آدم، نسب بسببها إلى ذلك الحيوان الموصوف بها، ف... الوصول إلى الله يحتاج إلى مجاهدة حتى يصل إلى درجة الإنسانية أولاً، وهي ما يختص بها الإنسان دو... الحيوانات، ثم يجاهد أيضًا حتى يصل إلى الله.

ويقول (رضي الله عنه): ما يكون الرجل عندهم رجلاً حتى يكون فيه من كل جزء من أجزاء الإنسانية ... وينقص عنه من كل جزء من أجزاء النفس. ويختلف الناس في ذلك كل على حسب مرتبته ومنزلته ... الله تعالى.

فهذه إذن فائدة الطريقة العامة، فإنها تخرج الإنسان من دركات الحيوانية إلى درجات الإنسانية، ثم ... كُلَّ ما هو فيه إنساني من أخلاق وعلوم ومعارف، وتزيل كل ما هو فيه من صفات النفس الأمارة ب... من طمع وحسد ورياء وعُجب وكبر وغيرها. فإذا قطع الحجب الكثيفة، وسار في الحجب اللطيفة حتى ... مقامات اليقين، أصبح من الله قريبًا، وبعنايته محفوفًا، ولإلهاماته متلقيًا[1].

أما المكاشفات، وما يحصل للسالكين من خوارق العادات، فيقول الإمام الحداد (رضي الله عنه): لا أحسن للإ... في هذا الزمان، إذا أراد سلوكها، من تصحيح أصول التوحيد، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، والإتيـ... السنن على مقتضى الكتاب والسُّنّة، من غير أن يتعداهما، فإذا أثمرت له هذه الأشياء، حصل له خير كثير...

يفهم من ذلك كله أنه إذا أحكم الطالب طريقة أهل اليمين، ترقى على يد مشايخه إلى طريقة المقربـ...

فأما الطريقة الأولى: فغالبًا ما يجني سالكها ثمارها من القرب والوصول في البرزخ، أي بعد موته. فحـ... يكون سالمًا من المخاطر التي قد تعترض السالك في الدنيا بسبب وجود نفسه وما فيها من نقائص وغير...

وأما الطريقة الخاصة: فثمرتها الوصول إلى الله.

ومعنى الوصول قد بيّنه الإمام الحداد في بعض مكاتباته، فقال: «يعلم السائل أولاً أن الواصل إلى ... عبد وصل من العلم بالله إلى حدٍّ ينتهي إليه علمُ العلماء به من خلقه، وأهل هذه المرتبة يتفاوتون تفاوتًا ... ينحصر، وللواصل إلى هذا المقام حالتان، تسمى إحداهما: بالجمع، والأخرى: بالفرق.

فإذا وردت عليه حالة الجمع، فَنِيَ عن نفسه وعن غيره من جنسه، واستغرق بربه، وذهب فيه بالكلية ... فلا خاطر هناك يخطر، ولا موجود ثَمَّ يظهر إلا الموجود الحق (جل وعلا).

---

(١) أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ)، قال: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى ملكوت السماء».



صحن مسجد باعلوي

وفي وصف هذا الوارد، قال بعض المتحققين به:

ولو خطَرَتْ لي في سواك إرادة   على خاطري سهوًا قضيتُ بِرِدَّتي

يعني: حكمت بعدم استغراقي بك واستهلاكي فيك، والله أعلم.

وقال آخر:

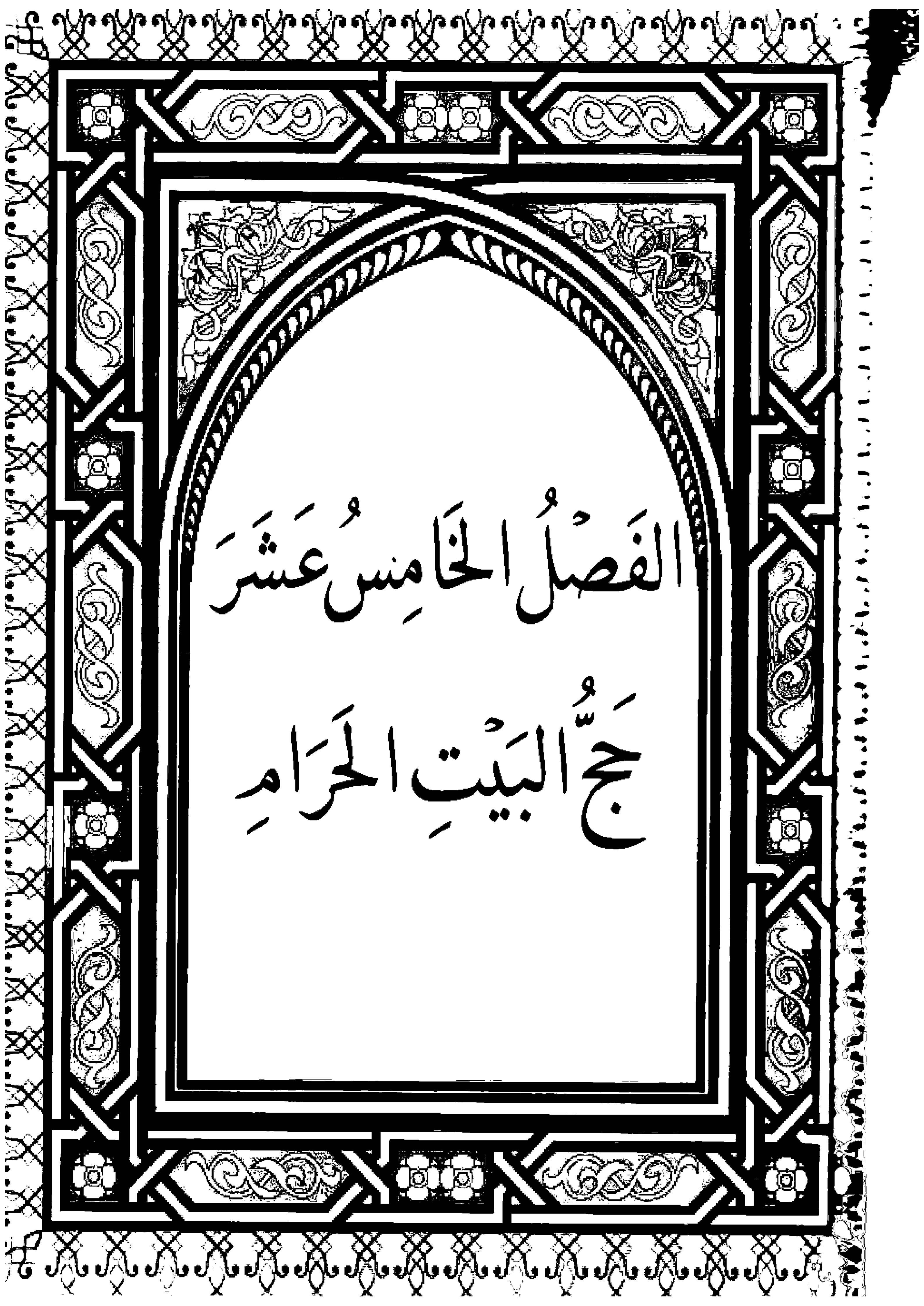
كانـــــت لقلـبيَ أهـواءٌ مفرقـةٌ   فاستُجْمِعَتْ مُذ رأتك العينُ أهوائي

وأصل وجود الخواطر وتشعبها إنما هو تفرق الهم وكثرة العلائق. وما عند الواصل إلى الله من هذا الأمر شيء؛ لأنه قد جعل الهموم همًّا واحدًا، وهو الله تعالى. وإلى الجمع الإشـارةُ بقوله (ﷺ): «**لي وقت لا يسـعني فيه إلا ربي**».

ثم إن دوام وارد الجمع عزيز جدًا، وعند دوامه تظهر أمورٌ عجيبة، وتبدو شؤون غريبة.

ثم قـال: وأما حالة الفرق: فالواصل فيهـا محفوظ، وبعين العناية ملحوظ، وعندهـا يبقى الخاطر الرباني، ويسمى عند الصوفية بالإذن، والخاطر الملكي، ويُدْعى عندهم بالإلهام».

وقد لخص الإمام يومًا الطريق إلى الله حينما كتب لأحد مريديه داعيًا الله له بأن يجعله ممن تهب عليه نفحات العناية، فتنقطع علائقه بعالم الأجسام، وتجذبه إلى عالم الملكوت، وتدخله فضاء المعرفة، وتوصله لمقامات العلى، فقال: «خطبه الله للحظائر القدسـية، والرياض الأنسـية، بسـفير العناية الأهلية، المنطوي تحت لطف نسـيمات الهداية التوفيقية، الـتي ينبعث بها القلب لطرح العلائق الكونية والرسـوم المُلْكية، ويتشوق عندها إلى التخلص من قفص الصورة الظلمانية، ليطير في فضاء العوالم الملكوتية الغيبية، فيجتني بروحه فيها من ثمار أشـجار المعارف الربانية، ويرتوي من حياض مياه الفتوح الإختصاصية، ثم يُؤْذَنُ في الطيران إلى عوالم الأسـماء والصفات، فيفنى عما شـهد أولاً، ثم يُؤذَنُ له أن يطير، فلا يسـتطيع ويَحِير، للفناء الكلّي الذي لا يبقى معه أثر ولا عين، ولا كيفٌ، ولا أينٌ، ولا قربٌ، ولا بين».



الفَصْلُ الخَامِسُ عَشَرَ

حَجُّ البَيْتِ الحَرَامِ

نوى الإمام الحداد الحج سنة ١٠٧٩هـ، وكانت هذه السنة سنة قحط وجوع، وكان رأيه أنه إذا كان الحال يصير إلى أشد منه، فاغتنام الحج يكون في هذا الحين أسهل منه فيما بعده، وإن كان قدر للخصب والرخص يعود، فأحسن ما ينهض الإنسان لأمر الله حيث يشق على النفس.

وكان الإمام (رضي الله عنه) قد بشر بالحج حين صباه، قال: كان لنا خال من آل الغصن، وكان يدعي الكشف، ولم يكن في نفسي منه شيء، وكان يقول لي في صغري: يا عبد الله! عادك تحج سنة كذا، وتدخل بندر جدة، وتعطى بغلاً، وتركبه إلى مكة، ويخرج أناس من مكة في عراضك، ثم تسافر من مكة إلى المدينة، فإذا كنت بين مكة والمدينة في مكان كذا، صب الله عليك نورًا من غير واسطة. فتحقق لي كشفه، حيث وقع لي جميع ما أخبر به من الحج في السنة التي عينها، وركوب البغل من جدة إلى مكة المشرفة، وغير ذلك. قال الإمام: وسبب ذلك أن بعض الناس امتدح جده بقصيدة، فامتدحت أنا جدي الفقيه المقدم وعرضتها عليه، فقال لي: يا عبد الله إنا نرجو لك أكثر من ذلك، وعادك أن تحج سنة كذا، وتنال... إلى ما سبق من الكلام المتقدم.

الخروج إلى ميناء الشحر:

وقال - نفع الله به: من عجيب الاتفاق أنا لما خرجنا من تريم للحج السماء تمطر، وخرجنا من مكة والسماء تمطر، وقد حُكي أن الشيخ إسماعيل الجبرتي اليمني الزبيدي[1] كان إذا خرج من بلد أمطرت السماء، ويقال: إن ذلك بكاها على خروجه منها.

قال عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل: ومن كراماته (رضي الله عنه) أنا لما كنا معه بطريق الشحر، قاصدين الحج، ووصلنا وادي النعز، فحطت القافلة في الوادي لأجل العشاء، وكان وقت المغرب، قال لهم سيدي (رضي الله عنه): [illegible]، فأجابوه إلى ذلك، ولم يك إذ ذاك للغيث أثر. فبينما نحن في الوادي فإذا البرق يلتهب، والرعد يصوت من كل مكان، فلما أمطرت السماء، قال لهم سيدي: إني أرى مكانًا هناك، وأشار إليه: ارتفعوا. ولم يره من كان معه لشدة الظلمة، فانحازوا إليه، وأوقدوا النيران، فإذا به من أحسن شيء، فحططنا به قدر ما وسعنا وجمالنا، فجاء الوادي بسيل عظيم، فحمدنا الله على النجاة. ووصلنا الجسور التي فوق عقبة العرشة، ونحن ننظر السحاب، ولا ثم رعد، ولا مطر. فلما كان وقت الظهر، خرجنا من العقبة وقد أجهدنا التعب، وأردنا أن ننزل تحت العقبة، فأبى سيدي، وقال لنا: امشوا. فمشينا في الوادي، حتى جاوزنا بعضه، فأمرنا أن نرتفع منه، فارتفعنا، وحططنا في واد آخر، فما جلسنا إلا وقد أقبل وادي العرشة بسيل عظيم، بحيث قلع الأشجار، فشكرنا الله وتعجبنا من اطلاعه على مجيء السيل، حيث أمرنا بالارتفاع من مجراه.

وروى الحبيب علوي بن أحمد الحداد في «المواهب والمنن» عن جده السيد الحسن بن عبد الله الحداد أنه قال: وقد حصل على الوالد سنة حج مرض في طريقه خاف منه الانقطاع عن الحج، فدخل عليه منشد، فقرأ

---

[1] هو أستاذ الشيخ العارف بالله الشهير: عبد الكريم الجيلي، صاحب كتاب «الإنسان الكامل».

قبـل أن ينشـد: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[1]. فـ
ذلك، ثم قال له: أنشد. ونيته التفاؤل بنشيده، فأنشده:

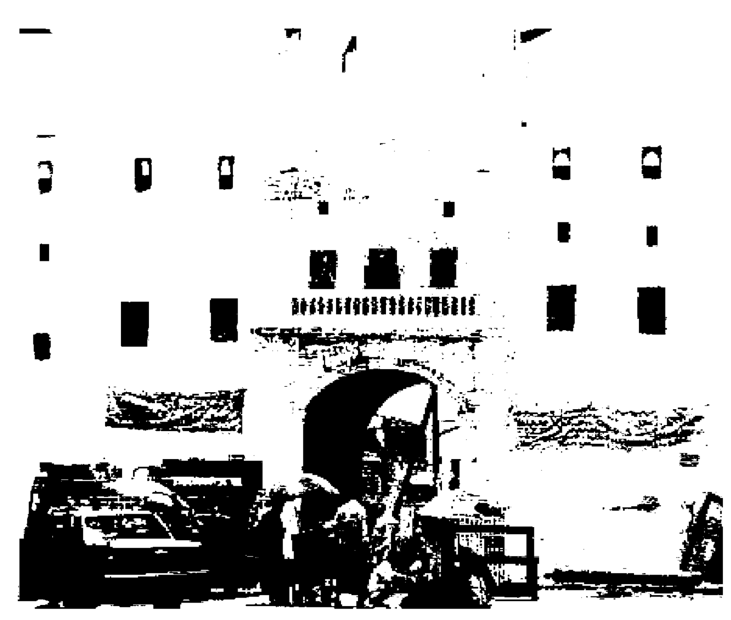
أبشر بما سر أصحابك على تم حال توصلوا بالسلامة ثم تنالوا منال

إلى آخر قصيدة العارف عمر بامخرمة.

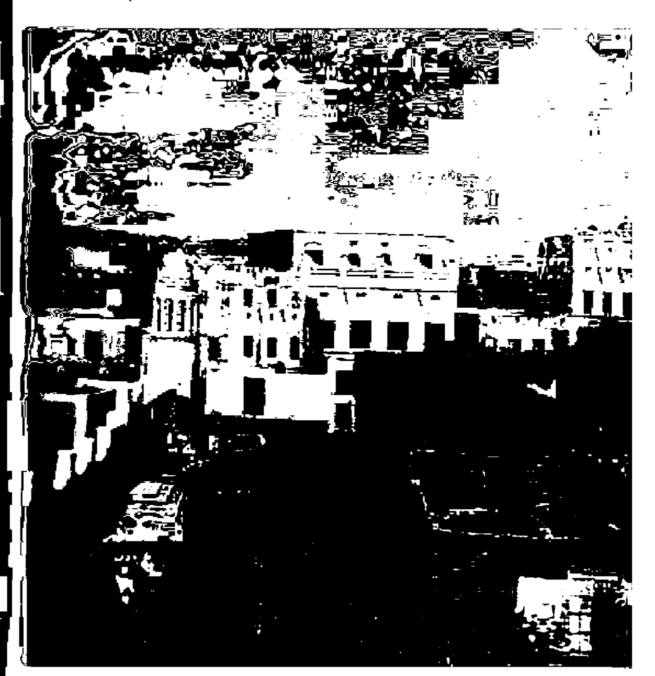
في ميناء الشحر:

قال عبد الرحمن بن عبد العظيم: ومن كرامته (رضي الله عنه) أنه دخل بندر الشحر وقت العشاء، حال مـ إلى الحج، فقال له رجل ممن كان معه حين دخوله: ائذنوا لي أن أتقدم وأهيء لكم بيتًا تنزلونه. فقال ـه هـذا تـأدب معنـا، نحن خرجنا مع الله تعالى، لا نقصد غيره، ولا ندبر لأنفسنا، أول مـن نلقاه هو صـحـ فبينما نحن كذلك وقت العشاء، إذ أقبل السيد حسين بن عمر باحسين السقاف، وطلب سيدي ومن ـ إلى بيته، ومن غير معرفة سبقت، فمضينا معه إلى بيته فإذا هو قد تأهب، وأعد لنا عشاء وماء، وأسرج ـ وأفرغ المنازل، واستعد الخدم، وأحضر القهوة حال جلوسنا. وأخبرنا أن مركبه كان سوف يسافر قبل يـوم ما أُخر إلا كرامة لكم، فجلسنا ثلاثة أيام، ثم سافرنا في مركبه، بغير نول.

وزار الإمام من في الشحر من عباد الله الصالحين، الأحياء منهم والمنتقلين، واجتمع فيه بالسيد الجـ العارف بالله أحمد بن ناصر بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وعقد بينهما عقد الأخوة، وقال: وجدناه لمـ فوق ما توهمناه. وأثنى عليه. وقال السيد أحمد المذكور: ما جاءنا السيد عبد الله الحداد إلى الشحـ هدية، ووددت أن أرسل إلى أهل الجبال التي حول الشحر يأتون ينظرون إليه، فإن النظر إليه مغنم.



بوابة الشحر المعروفة بسدة العيدروس



ميناء الشحر في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي

(١) الفتح:٢٧.

عدن:


مسجد الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس المعروف بالعدني

ووصل الإمام ومن معه إلى ميناء عدن، توقف به، وزار الشيخ القطب الرباني أبا كر العيدروس العدني (رضي الله عنه)، وزار سيد العارف بالله عبد الله بن علي حب الوهط(1). قال: وقفت عند قبر شيخ عبد الله بن علي، فظهر لي أنه مات لحقيقة لأنه كان في غاية الامتزاج والسيد الإمام الشيخ أحمد ابن محمد حبشي صاحب الشعب، في حياتهما، ت السيد أحمد أولاً، فكان السيد عبد الله حوز ما كان للسيد أحمد فوق ما كان له، فلم يقدر على حمله فمات.

وقد ذكر جماعة أن الإمام عبد الله بن علوي الحداد، لما أراد السفر إلى الحج، شكا إليه أهل حضرموت واليهم وجوره عليهم، وقيل: إنه كان يقول: إن سيدي عبد الله يريد أن أكون مثل عمر بن عبد العزيز حيفة العادل. فبلغ الإمام كلامه فغضب، وقال: لو أراد الكامل في هذا الزمان أن يعدل في بيته، فضلاً ن غيره يومًا واحدًا، مثل عمر بن عبدالعزيز، لعاداه كل شيء حتى ثيابه. (أي: فضلاً عن غيره من ولاة مور، أهل التقصير والقصور، لا سيما في هذا الزمان المبتور المنكور). ولهذا استشنع قوله: مثل عمر بن عبد العزيز. وكان هذا الوالي يتردد إلى الإمام، وهو يعظه وينصحه، من أجل الشفقة بالرعية. فقال الإمام لمن كا إليه الوالي: لا نرجع من الحج إلا وقد مات ذلك الوالي.

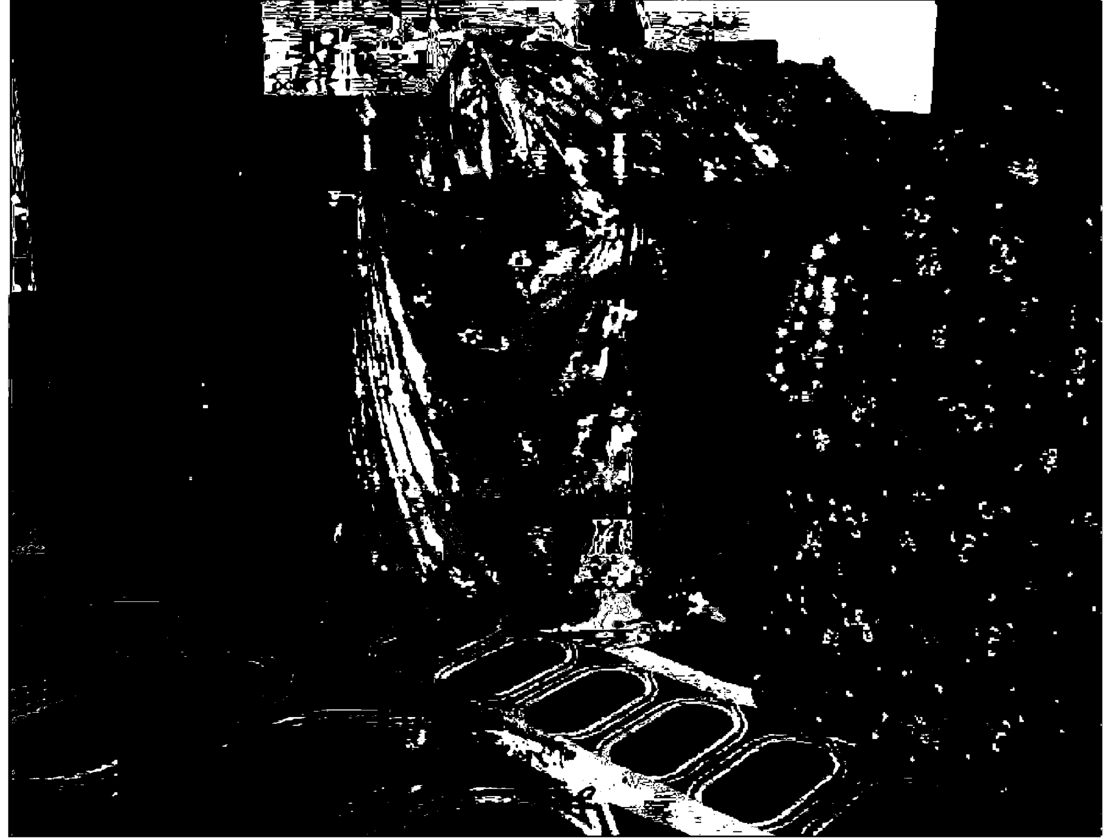
وتكلم عن ذلك (رضي الله عنه) فيما بعد، فقال: إن أهل البرازخ، لما كنا ببندر عدن، شكوا علي من السلطان ن بحضرموت، وإن الله رماه بسهمين فمات.

وكان إذا قيل له: إنكم دعوتم على هذا السلطان، أو مثل ذلك، ينكر ذلك، ويقول: نحن لا ندعو على أحد ء أبدًا، ولكن الحق سبحانه يغار علينا وينتقم لأجلنا.

وحكى بعض من كان مع الإمام (رضي الله عنه) في البحر قال: قال سيدي يومًا ونادى: الصلاة على فلان. (يعني سلطان المذكور)، ولم يكن لأحد علم بموته، وإنما ذلك كشف منه (رضي الله عنه)، وكان موته بحضرموت يوم ه بالصلاة عليه. واستأنف الإمام السفر على نفس المركب حتى وصل إلى الحديدة.

هو شيخ السيد محمد بن علوي السقاف، كما تقدم في ترجمته.




ضريح الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس بعدن وحوله ذريته من آل العيدروس

اليمن:

يقول عبد الرحمن بن عبد العظيم: ثم تحولنا إلى مركب السيد باحسن. وكان في المركب رجل مسمع، فاست... سيدي في أن يسمع لهم الرجل، فأذن لهم، فطرقني خاطر مذموم، من غير اختيار مني، فأمر سيدي الرجل بالسك... فسكت، فتعجب الحاضرون من ذلك، فقال (رضي الله عنه): السماع هذا حرام على أكثر الناس، إلا على العارفين بالله ... انطوى فيهم. وإن رجلاً من أصحابنا - يعني الحاضرين - خطر له خاطر مذموم، وأشار إلي فأقامني أربعة نفر وأه... فتبت إلى الله تعالى، ولم يخطر لي بعد ذلك خاطر فيه؛ لأنه من أرباب القلوب المكاشفين أهل المعارف والأحوال.

وزار الإمام جماعة من أشياخ اليمن وصلحائها، مثل الشيخ أبي الغيث بن جميل، وقال: وحصل لنا ... مدد وغيره من الأولياء (رضي الله عنهم).

وقيل: إنه جيء إليه من بلاد الليث المعروفة بجمل هائج لا يقربه أحد من شدة هيجانه، فلما أخبر ... كذلك، وضع يده على رقبته، فطأطأ رأسه وتذلل له.

جُدَّة:

قال الإمام: ولما كنا بجدة قادمين للحج جاءتنا كتب كثيرة من عند محبين يطلبون أن نقصدهم، وأو... سبق ووصلنا كتاب حسين بافضل، وقال: إن عندي دارًا بنيتها وما تركت أحدًا ينزلها قبلكم، ومرادي ...


سفينة حجاج في ميناء جدة قديما

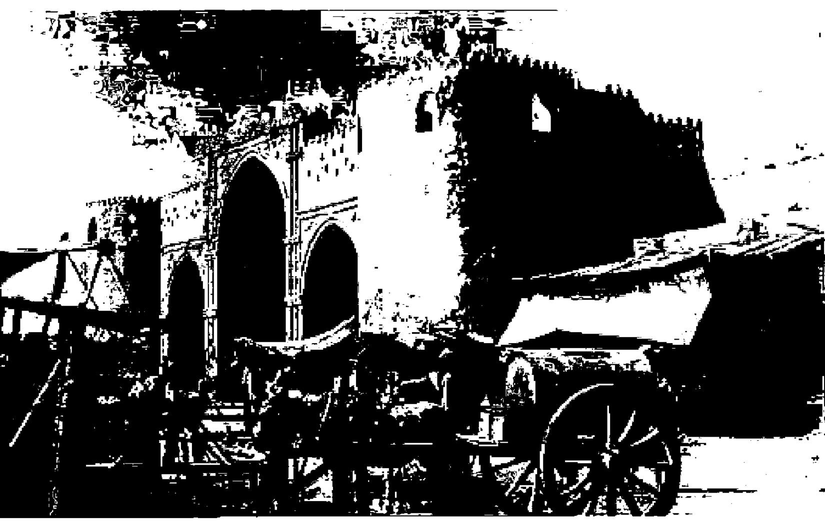

ميناء جدة قديما

.. من ينزلها أنتم، فأجبناه إلى ذلك، فلما قدمنا ونزلناها، .. له: لا تتكلف لنا بشيء ومعنا حوائجنا كلها.

قال عبد الرحمن: ومن كراماته (رضي الله عنه) أنا لما قربنا .. دخوله مكة تقدمت إلى مقهاية هناك تسمى أم قرين، .. ـت جائعًا وليس معي دراهم، فجلست بعيدًا عن .. ـية بحيث لا يراني أحد، والجماعة عنده يأكلون .. ويشربون قهوة، فإذا بسيدي الشيخ عبد الله (رضي الله عنه) .. أقبل راكبًا على جمل، وهو يذكر الله، فلم أتكلم، .. ني مكاشفًا لي، فأتيته، فناولني رغيفين، وقال لي: هذا .. حيث قنعت، وتميزت عن الناس، ولم تتشوف لما .. ـهم. وكان من عاداته لا يحمل معه خبزًا، وهو لا يبصر .. ، إنما هو كشف واطلاع على إني .. ـكي ولم أشرب مع الجماعة (يعني: .. ـوة)، ولم يخبره بذلك أحد إلا الواحد .. أحد.

.. قال: ومن كراماته (رضي الله عنه) أنا لما .. من دخول مكة آخر الليل، وقال له .. أصحابه: إئذنوا لي أن أتقدم (عني .. مكة) وأعد لكم منزلاً تنزلون به، .. ـاس يكثرون بمكة. قال له: يا .. ـأدب مع أهل الله، فوالذي نفسي بيده، ما أود أن أمشي إلا تحت الأرض التي تمشون عليها، غير إني .. مناديًا ينادي عليّ بالظهور. فبينما نحن نمشي في الطريق، فإذا أنا بأناس كثيرين يسألون عن سيدي، .. من سبق مندوب (أي رسول) الشيخ حسين بن محمد بافضل المكي، فأجابه، فدخلنا مكة، وحططنا .. في فرضة الدولة، وكان في صحبة سيدي بعض التجار من أهل الشحر، فلما علم الشريف سعد بن .. محسن أن صاحب الفرضة أدخل الحمول التي في صحبة سيدي الفرضة، غضب عليه، وعاقبه بأن .. فجاء الرجل إلى سيدي ويداه إلى ورائه، فأعذره وأمر بإطلاقه، فأُطلق. فقال: يا سيدي أنا اليوم لا .. أحدًا كرامة لك. فخرج جميع من في صحبة سيدي، ولم يُعَشَّروا ببركته.

.. ـفضة: مثل الجمارك اليوم، وكان فيه جور.


باب مكة بجدة قديما


شارع من شوارع جدة قديما


بحرة وهي محطة على طريق قوافل الحجاج بين جدة ومكة، ويرى المسجد الأثري الذي يدل على المكان الذي صلى فيه الرسول (ﷺ)


جدة - استعداد القافلة للرحيل إلى مكه


حدّة قديما، وهي محطة أخرى على طريق الحجيج بين مكة وجدة


قافلة حجاج على مشارف مكة المكرمة

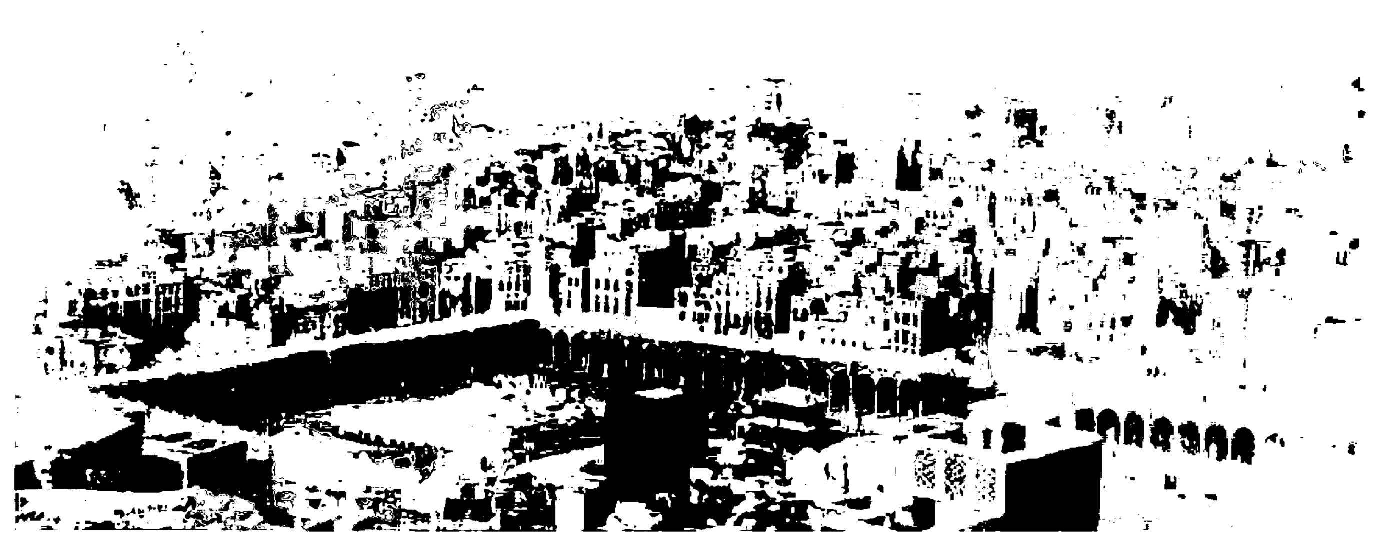
مكة:

كان دخوله مكة صبح ذي الحجة (أي أول يوم منه) من سنة ١٠٧٩هـ، وكانت حجة الجمعة.

وقد تكلم الإمام فيما بعد عن هذه الأيام، قال: ولما دخلنا مكة كان من قصدنا النزول في رباط ربيع ـعروف مدة الإقامة، فعرض علينا الشيخ الصوفي الحسين بن محمد بافضل النزول في بيته، وفرّغ لنا فيه مكانًا حسنًا واسعًا، وهيأ فيه جميع الآلات المحتاج إليها، من الفرش الحسنة وغيرها، وقبلنا ذلك حيث وقع ـتداء من الله (ﷻ) من غير تسبب منا، وهذه طريقتنا، وهي إنزال الحوائج والأمور بالله تعالى، وما ساقه ـيها على يد من شاء من عباده سبحانه قبلناه، وسبب فعل الشيخ هذا أنه سمع قصيدتنا:

قد كفاني علم ربي   من سؤالي واختياري

كتب السيد محمد بن زين بن سميط: وفي هذا منزع عجيب، وهو أنه (رضي الله عنه) لما أنشأ هذه القصيدة صدقًا ـحقًا وتحققًا وذوقًا، المنبهة عن كمال الحال، واتصافه بأكمل الخصال، وهو ترك الاختيار، والتفويض لعالم ـسرار، وإنزال الأمور والحوائج به (ﷻ)، جازاه سبحانه بما هو أعز وأجل من تدبيره لنفسه، واختياره، ـعره لها، برؤيته وأفكاره، بأن قيض الله سبحانه من سمعها، وألقى سمعه حتى عرف منزعها، فكان سببًا ـحول المجازاة له من جنس عمله، ووقوعه على مطلبه وسروره (رضي الله عنه).



مكة والكعبة منذ أكثر من مائة وخمسين عاما

ـشيخ الحسين بن محمد بافضل ولد بالشحر سنة ١٠١٩ هـ، ونشأ به، ـقرآن والفقه والنحو، ثم رحل إلى اليمن، ثم إلى الحرمين، وأخذ في كل من جماعة كثيرين. وبرع الشيخ ـه التصوف، واعتنى بكتب الحقائق، ثم عاد إلى الشحر حيث صحب السيد أحمد بن ناصر باعلوي ـيخ حسن باعمر، ثم رحل إلى الهند حيث أخذ عن السيد جعفر الصادق بن زين العابدين العيدروس

وآخرين. وفي المدينة المنورة أخذ عن الشيخ أحمد القُشاشي، وبمكة المكرمة عن السيد محمد بن عمر السقاف. ورأى في المنام كأن ملكا نزل من السماء، فقطع رجليه، فحصل له بذلك القطع لذة عظيمة. فنوى الإقامة بمكة، فأقام بها إلى أن مات. وكان كثير المطالعة لفتوحات الشيخ ابن عربي، ويحل مشكلاتها، وله أشعار تعبر عن ميوله هذه وإن كان قد تحول عنها في أواخر عمره بعد لقائه بالإمام الحداد. ونورد كنموذج منها القصيدة التالية:

بدى لي سنا نجد فغابت نجومه ... وأفنى وجودي في شموس همومه

وأبقاني الوصف الشهودي فانيا ... وأحكام رسمي قد محته رسومه

إذا أنا لا أفنى ولم أك بالذي ... أحاط به المعنى فإني عديمه

معانيه في المجلى تعاظم قدرها ... ويحظى بها من كان حقا عظيمه

شهودا وعرفانا تراكم فيضه ... على من سقاه الوجد كأسا يقيمه

شراب قديم ذو نعيم معجل ... وساقيه قد أسقى الندامى نعيمه

هو الذوق للمشروب فاعلمه يا فتى ... فمن ذاق ذاك الشراب فهو عليمه

بعلم قديم وهو في الخلق حادث ... ومن حضرة الأسماء كانت علومه

علوم لها في كل روح سراية ... كنور أضاءت في الدياجي نجومه

هو الشمس للأكوان والشمس بدره ... بل الروح للأرواح طاب شميمه

ولما ذكر الإمام يومًا أيام حجه، ونزوله مع رفقة معه، نحو العشرة، بدار حسين بافضل، قال: قال الشيخ بافضل لنا: الحذر إذا بدت لكم حاجة ما تقولون لنا بها. فقلنا: إن بدت حاجة تطلب إلى المخلوقين، فما أحد أولى بها منك، وقدنا عندك، وإن قضى الله سبحانه الحوائج كلها، فما بقي كلام، فاعلم هذا، واعمل أنت عليه.

وقال (رضي الله عنه): لما حججنا، كان من قصدنا الاجتماع بالسيد الولي عبد الرحمن المغربي، فلما وصلنا مكة أرسل إلينا السيد المذكور قبل أن نجتمع به شيئًا من الطيب، ونحن محرمون، فامتنعنا من الاجتماع به، لعدم احتفاظه بظاهر الشريعة، حيث أرسل إلينا الطيب ونحن محرمون، غيرة على الدين، وشفقة على المسلمين أن يقتدوا به.

وعن السيد عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي، قال: حججت مع سيدي وشيخي عبد الله بن علوي الحداد، فلما زرنا السيد العارف عبد الله بن محمد بلفقيه باعلوي مولى الشبيكة، ووقف سيدي عند قبره التفت إلي وقال: إنه ليس هو في قبره الآن. وانصرف ولم يطل الوقوف عنده، ثم عاد إليه ثانيًا فلما وقف عند القبر، قال لنا: إن السيد عبد الله بن محمد مولى الشبيكة الآن هو في قبره.

وقال عبد الرحمن بن عبد عظيم: ومن كراماته أنه خطر في بعد صلاة العشاء ذات ليلة، ونحن بمكة، شهوة التمر، وأنا عند سيدي ولم أتكلم فالتفت إلي وقال: ما أضعف همتك! كنت اشتهيت شيئًا أحسن من هذا والآن يأتينا التمر. فما استتم كلامه إلا والشيخ الحسين ابن



مكة قديما وتظهر القبة البيضاء والمنارة الدالين على مكان مولد النبي (ﷺ)

محمد بافضل المكي يطرق الباب، ولم يكن ذلك من عادته – أعني: المجيء ليلاً – ففتحنا له، فإذا بعبده حملاً وعاء من التمر الفرض. وقال الشيخ حسين لسيدي: إني أردت أن أرقد، فإذا بخاطري يزعجني في شأن هذا التمر، فتفضلوا بقبوله، فقال لي سيدي: اقضِ شهوتك، وإياك وهذا الخاطر، إنا ما دخلنا مكة وقصدنا شيئًا من مثل هذا، ارفع همتك إلى مولاك وأكثر من الذكر لله تعالى.

وحكى أيضًا قال: كنت مع سيدي عبد الله بمكة وقت الهاجرة فأمرني أن أجلس على الباب، وقال: لا تمكن أحدًا من الدخول عليّ حتى أستيقظ. وكان وقت رقوده للقيلولة، فأتى رجل عارف مستتر في هيئة تاجر فسأل عن رجل هناك، فقلت: لا أدري. فتنفس الصعداء، ثم اشتمّ، وقال: إني أجد نفس عارف من هاهنا. فأخبرته بسيدي عبد الله، فطلب مني أن أستأذن له، فامتنعت من ذلك، فشعر به سيدي، فأذن له بالدخول، فدخل وأنا معه، فرأيت منه عجبًا من أدبه وتواضعه واحترامه، وأخبر سيدي أنه من بغداد، وأفشى عليه سره وطلب الإجازة واللباس، فأجازه سيدي وألبسه، فرأيت الرجل قد امتلأ نورًا؛ لأنه ظفر حين سبقت له من الله الموهبة، فلما خرج طرقني حزن، حين رأيت الرجل وما أُعطيه في أسرع وقت، فحصل لي عند ذلك بكاء، فسمع سيدي صوتي، فقلت: يا سيدي، لي عندك وفي خدمتك سنين متعددة لم يحصل لي ما حصل لهذا الرجل في لحظة! فالتفت إليّ سيدي (رضي الله عنه) وقال لي: يا عبد الرحمن، أمور أهل الله ومواهبهم لا ينالها أحد إلا بالتوفيق، والجد في العمل، والإخلاص لله تعالى. إن شئت أن تظفر، وتنال مأمولك، فاعبد ربك في السر والعلانية، وأما كثرة المجالسة والمخامرة مع قلة العمل فلا تفيد السالك، وإن كان صاحبها لا يخيب إن صدق.

وحكى السيد العلامة محمد بن أبي بكر الشلي في كتابه «المشرع الروي» أن الإمام وهو بمكة كان إذا جاءه أحد يسأله عن اسمه ونسبه، لقصد الإيناس. فاتفق أن بعض الناس صافحه، فلم يسأله عن شيء من ذلك، فخطر لهذا الرجل في نفسه: أما يأمن هذا السيد أن يسلب؟ فكاشفه الإمام قائلاً: السلب حق، ولكن الله تفضل علينا منه.

وحصل جمع آخر، فسأل رجل الإمام عن مذهبه، قال: فأردت أن أقول له: مذهبي الكتاب وا... فخشيت من الإنكار، وقلت: مذهبي مذهب محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله. فكاشفني رج... الحاضرين، وقال لي: لم لا تقول الذي في نفسك؟ قل: مذهبي الكتاب والسنة. وقيل إنه الخضر كان في ... المجلس، فقال لبعض أشراف مصر كان حاضرًا: قل للسيد عبد الله: لم لا تقول الذي في نفسك؟ ... مذهبي الكتاب والسنة. ومعنى: مذهبي الكتاب والسنة؛ أي: إني إمام مجتهد، لا أقلد إمامًا آخر، وإنما ... الأحكام من المصادر رأسًا.

مسجد الخيف بمنى وترى القبة البيضاء على موضع صلاة النبي (ﷺ) في حجه

يوم التروية:

قال عبد الرحمن بن عبد العظيم: ومن كراماته أنا كنا طالعين جبل عرفات، فبتنا في مسجد الخيف في منى، فحصل عليّ جنابة في المسجد وسط الليل، ولم يكن هناك ماء، فحِرتُ في الأمر، وجئت إلى سيدي وأخبرته، فقال لي: أُخرج إلى تحت الباب تلق الماء. فخرجت، فإذا أنا برجل ينادي على السبيل، فأعطاني وعاء فيه ماء، فاغتسلت به، ورددت له الوعاء، فناولني رغيفين. ووجود ماء السبيل في هذا المكان مستبعد جدًّا، وإنما ذلك تصريف...

عرفات:

وقال: ومن كراماته ما أخبرني به مريده الصادق عمر بن عبد الله باسالم، قال لي: إني حين بسطت سج... سيدي الشيخ عبد الله (رضي الله عنه) بمسجد نمرة يوم الحج، جاء رجل عليه هيبة في صورة تركي، وجلس ع... سجادة سيدي. فازدحم الناس في المسجد، وبقيت متحيرًا من شأن الرجل، ولم أجسر عليه، فإذا بسيدي قد أقبل، فلم أر الرجل مكانه.



مسجد نمرة قديما

فهكذا الأولياء، يحفظهم الله ويحفظ لهم. وتصور هذا الشخص بهذه الصورة المهيبة في ذلك المكان الذي لا يعرفه فيه أحد، (أي: لا يعرف الإمام فيه أحد) ولا يحترم، إكرامًا من الله له (رضي الله عنه)، ليحفظ مكانه وسجادته. وهكذا يفعل


مسجد الصخيرات حيث وقف الرسول (ﷺ) يوم عرفات في حجة الوداع

حق بأوليائه وخاصته - نفع الله به.

وحال خروجه من مسجد نمرة ...حو الخيمة وكنت حاضرًا عنده، ...خل عليه درويش من أهل ...سياحة يسمى عبد الخالق، فسلم ...ى سيدي (رضي الله عنه)، وجلس متأدبًا، ...قبل عليه سيدي، وقال له: أنت ...ن رجال السر الذين سألت الله أن ...يريهم، فأراني ثلاثة أنت منهم؟ ...قال الدرويش: أجل. فتواعدا أن ...جتمع بمكة.

...بينما نحن ندعو الله بالجبل ونبتهل دخل علينا وقت المغرب، فقام رجل على رأس سيدي، ولم أعرفه، فأذن ...غرب، وأقام الصلاة، وقدّم سيدي للصلاة[1]. فلما انقضت الصلاة، قام رجل آخر ونادى بأعلى صوته: يا أهل الموقف، ... قطب قد حج فيكم، فاشكروا الله تعالى! وسيدي (رضي الله عنه) يبتسم، فحمدنا الله على ذلك.

عودة إلى مكة:

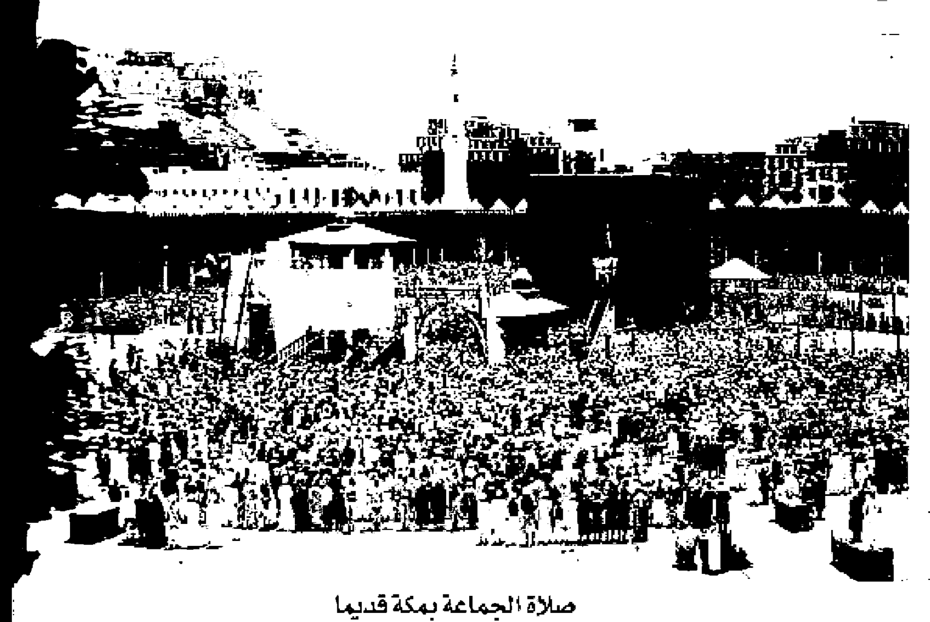
...ل الإمام الحداد: اتفق لنا أن صلينا بالناس في الحرم الشريف صبح يوم الجمعة، أول يوم في المحرم عاشوراء، ...ك بعد الحج وقبل الزيارة، وقرأنا في تلك الصلاة سورة السجدة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، وسورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾.

...قال (رضي الله عنه): ولما حججنا كانت نيتنا بالمسير إلى مكة، بعد نية أداء فريضة الله من الحج وإقامة مناسكه، ... بحرين، بحر في العلم الظاهر، عالم بالكتاب والسنة على الإطلاق، وبحر في العلم الباطن متبحر فيه، ولنا ...عندنا إذ ذاك سؤالات كثيرة في هذين العلمين. فلم نر في الحرمين أحدًا منهما، ولم نعلم أهما اختفيا في تلك ...ة أم فقدا؟ ولكنا رأينا آثارًا يسيرة، كالشيخ أحمد القُشاشي، والشيخ عبد الخالق المغربي، وكان يقال: إنه من ... خطوة، وقلت له: أنت من رجال السر الذين سألت الله أن يرينيهم، فأراني ثلاثة أنت منهم؟ قال: أجل، وكان ...في حضرموت، ولنا به بسبب ذلك معرفة. وقال: إنه حج بالخطوة، وقضى مناسكه، وأصبح سائرًا من يومه ...مدينة، فلم نتفق به إلا بالمدينة. وكنا نظنه متجردًا، وإذا به له بيت وحاشية. وطلب منا الإلباس فألبسناه، ...من أهل البيوتات. «قال لي: إيش مذهبكم؟ وكنت أعتقد الإنكار، فقلت: مذهبي شافعي. فقال: لا، إنما

---

[1] ...صلى الإمام بعرفات صلاة المغرب، مع أن السنة جمعها مع العشاء بمزدلفة جمع تأخير؛ وذلك لاجتماع الأولياء وأهل السر عليه في عرفات.

مذهبكم الكتاب والسنة. فقلت: أسلافنا كلهم على مذهب الإمام الشافعي. فقال لي: ولم تقول إنك شافعي؟ وإنما مذهبك الكتاب والسنة».


صلاة الجماعة بمكة قديما

وروى (رضي الله عنه) هذه الأحداث في يوم آخر فقال: مرادنا عام حججنا أن نجتمع برجلين؛ أحدهما متبحر في العلوم الظاهرة، والآخر متبحر في علوم الحقائق، فنسألهما عن أشياء اختلجت في الصدر ولم نجد من يجيبنا عليها، وكل من وصف لنا ممن هو معروف بعلم حس... وسألناه قال: ونحن نستمد منكم ونطلب الإفادة من لدنكم فلم نر من يشفي الغليل، أو كلما رأينا... ممن ينسب إلى العلوم الظاهرة وسألناه، قال: أنا مستمد وطلب القراءة علينا، فنتركه يقرأ على نيته... رأيناه ينسب إلى العلوم الباطنة، وسألناه عن شيء، انخفض وقال: أنا أريد أن تعطوني الطريق وتلبس... حتى إن رجلاً كان من أهل الخطوة اجتمعنا به في عرفة، وطلبنا منه الاجتماع في خلوة، فقال: إن صعد... الليلة إلى مكة صار ذلك، وإلا الوعد في المدينة. فلم يتفق لنا الطلوع إلى مكة في تلك الليلة وهي... العيد، فلم نتفق به إلا في المدينة، فاستضافنا وطلب منا الإلباس، فألبسناه، وإذا له بيت وحاشية، وكنـ... متجردًا. وهو الشيخ عبد الخالق المغربي. وقال (رضي الله عنه) مرة أخرى: وكل من سألناه عمن هذا وصفه، قـ... يكون هذا إلا أنتم.

قال عبد الرحمن بن عبد العظيم: ومن كراماته (رضي الله عنه) أن أردت أن أسافر مع سيدي لزيارة رسول الله ﷺ وقد كنت زرته قبل هذه، فأبى عليّ من الزيارة معه، ووعدني بزيارات معدودات، وأمرني بالخروج إلى حضرمـ... فامتثلت أمره، وحزنت على مفارقته، فلما وصلت إلى حضرموت، وجدت والدي قد مات قبل وصولي بثمـ... أيام، ووالدتي وجميع إخوتي مرضى، ولا أحد يتعاهدهم، ولا أحد يقدر أن يسقي صاحبه الماء، فلما رأيتهم على... الحال حمدت الله على إشارته، وامتثالي لأمره.

زيارة المدينة المنورة

قال الإمام: ولما خرجنا من مكة لزيارة المدينة، أصحبنا بعض الموسرين قطعة عنبر كبيرة للحجـ... الشريفة، أردنا أن نطلقها على شيخ الحرم أو خدام الحجرة، فحصل عندنا بعض توقف لما رأيناهم فيهم... التساهل. وكنا قد ألفنا صدرًا من النصائح الدينية، أحسبه إلى باب الحج، واستصحبناه معنا، ونيتنا إكـ...

في السفر، فما تفرغنا لذلك، لكثرة ازدحام الناس علينا، وترددهم إلينا، من أهل الحرمين وغيرهم من أهل البلدان التي مررنا بها في سفرنا، حتى إنه لم يكن يتخلف عنا إذا وصلنا إلى بلد إلا من لا يذكر ولا يؤبه له. وكان قصدنا قراءة ما حصل من تصنيف هذا الكتاب في المواجهة، فعقدنا لذلك مجلسًا كل يوم، واقتضى نظرنا أن نبخر بذلك العنبر في المواجهة عند القراءة، فتبخرنا بذلك مدة إقامتنا، مع شيء من العود كان معنا، بقي معنا بقية أطلقناها على بعض المدرسين بالحرم النبوي بالتماس منه لذلك منا، وكان يقرأ علينا في كتاب «رياض الصالحين» مدة إقامتنا بها.



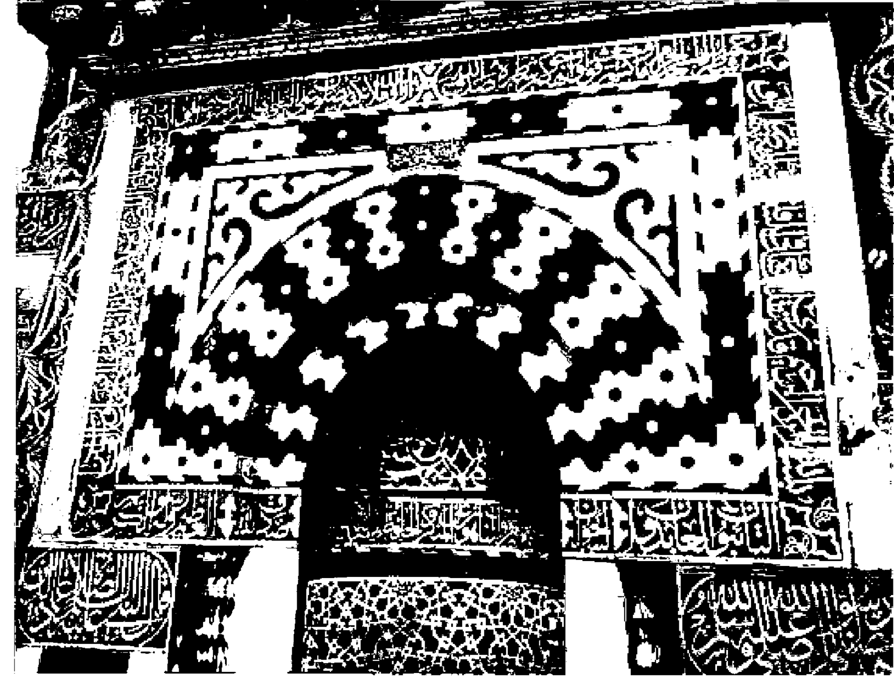
رسم يدوي للمدينة سنة ١٨١٧ م

وكانت مدة إقامته بالمدينة الشريفة أربعين يومًا، وقصد بيت السيد الفاضل عمر أمين المهدلي؛ وكان من أصحاب الشيخ حسين بافضل، وكان من أهل فضل المدرسين بالحرم النبوي.

ولما دخل الإمام (رضي الله عنه) المدينة المنورة توجه إلى المسجد النبوي الشريف، وصلى ركعتين بالروضة المطهرة، ثم توجه إلى المواجهه الشريفة، حيث سلم على جده صلى الله عليه وآله وسلم، وحظي بالرد منه، ردًا سمعه من كان حاضرًا.

يقول الإمام في رائيته:

وقفنا وسلمنا على خير مرسل ... وخير نبي ما له من مناظر
فرد علينا وهو حي وحاضر ... فشرف من حي كريم وحاضر
زيارته فوز ونجح ومغنم ... لأهل القلوب المخلصات الطواهر
بها يحصل المطلوب في الدين والدنا ... ويندفع المرهوب من كل ضائر
بها كل خير عاجل ومؤجل ... ينال بفضل الله فانهض وبادر


محراب مسجد النبي (ﷺ) الذي أهداه السلطان المملوكي قايتباي للحرم

ويقول في الميمية:

ودنونا من حجرة وضريح — لنبي الهدى ومسك الختام
ووقفنا تجاهه بخشوع — وخضوع وهيبة واحترام
وقلوب طوامح بسرور — وابتهاج ولوعة وغرام
ووجوه مبتلة بدموع — من جفون تفيض فيض الغمام
وقرأنا السلام أكرم خلق الله — عليه بعل الصلاة أزكى السلام
وحظينا بالرد منه ونلنا — كل خير ورغبة ومرام

ويروي الإمام الحداد عن أحداث أخرى وقعت له بالمدينة فيقول:

كان رجل من آل العمودي من بضة يُسمّع للشيخ محمد بن علوي، وكان غالب وقته في السماع، وأمره بالجلوس عنده حال مرضه الذي مات فيه، فهو جالس، وأتى أهله إليه يشوفونه (أي من شيء).


الباب المصري وسوق المناخة بالمدينة المنورة

فأومأ إليه أن اجلس، وكلما رأوه عنده ما أمكنهم المجيء، وكلما هم بالقيام أمره بالجلوس، حتى مات هو عنده، وكان آخر ما تكلم به أن قال: يا سيدي يا رسول الله، ومكث عند قبره سنة ما يميل عنه إلا لصلاة أو لحاجة، ثم وقعت له رؤيا عند قبره، فسافر إلى المدينة، واجتمعنا به، وطلب منا أن يقرأ علينا في حكم» أبي مدين، فلما ابتدأ حصل في حلقه شحام، (أي بحة) فقال: أخاف أن السيد محمد أثقل عليه أن نقرأ عليكم. فقلنا له: لا، إنما نحن، والسيد محمد، وأماثل السادة، شيء واحد.

ثم ضرب الإمام لذلك مثلاً فقال: ونحن معهم كالجوابي، متفرقات من فوق، وملتقيات من تحت. (أي: وإن كنا متفرقين في الظاهر، فنحن مجتمعون في الباطن) ثم قال: ولو ذكرنا سيرة هذا العمودي، وسيرة حسين فضل معًا، لاحتاجت إلى كراريس.

ومما ذكر من شأن العمودي معه: أنه طلب أن يفرش له السجادة في صلاة الجمعة، وأن يغسل ثيابه كل يوم.

وقال الإمام أيضًا: وكنت عزمت أن لا ألبس الشاية[1]؛ لأنها من لباس المترفهين، فيومًا كنت في المواجهة لزيارة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فجاءني، (أي العمودي) بشاية، ووضعها على ظهري، وألبسنيها من غير ما أدري، فلما كان ذلك في المواجهة، أخذت ذلك رخصة، ثم لبستها بعد ذلك وسمّع لنا فأعجبنا تسميعه.


شارع من شوارع المدينة المنورة قديما


باب السلام بالحرم النبوي الشريف

(1) الشاية لباس كالشال المطرّز.

وقال الإمام (رضي الله عنه): مدة ما كنا في المدينة عزمنا على ثلاثة أشياء، أنا لا نستعملها: سماع الملاهي، واستعمال الطيب الأحمر، وأكل الكراث. ولما خرجا إلى الحرمين تجنبنا ذكر الأوطان، وأن لا تخطر لنا ببال، ولا القصائد التي تذكرها، ولكن الخواطر التي يخطرها الله على القلب غلبت علينا، فما عاد ذلك إلينا، أو كما قال.

وروى السيد محمد بن سميط في كتابه، قال: حكى جماعة أن الشريف بركات بن محمد الحسني قبل أن يتولى إمارة الحجاز أتى لسيدنا عبد الله، وهو عند قبر النبي (ﷺ) جالس في الروضة الشريفة[1]، فسأل منه الدعاء بتيسير المطلوب، ولم يعينه، فدعا له بذلك. فلما ذهب، سأل: من هو؟ قيل: هو من أشراف مكة. فقال: طلب أن يكون واليًا، وقد استجاب الله الدعاء في ذلك. ثم في آخر سنة اثنتين وثمانين وألف، جهز السلطان (أي العثماني) عسكرًا، ......وولاه إمارة الحجاز. وكان طلبه الدعاء أول عاشوراء سنة ثمانين وألف، وتوليته في أيام التشريق، من سنة اثنتين وثمانين وألف. وصلت عساكر من مصر والشام، ومنهم باشا الشام، وأرادوا القبض على شريف مكة سعد بن زيد، فلم يقدروا عليه لأنه هرب ليلاً هو ومن معه إلى الطائف، فولوا الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نُمَيّ[2]، وخلعوا عليه بمنى ثالث عشر ذي الحجة.



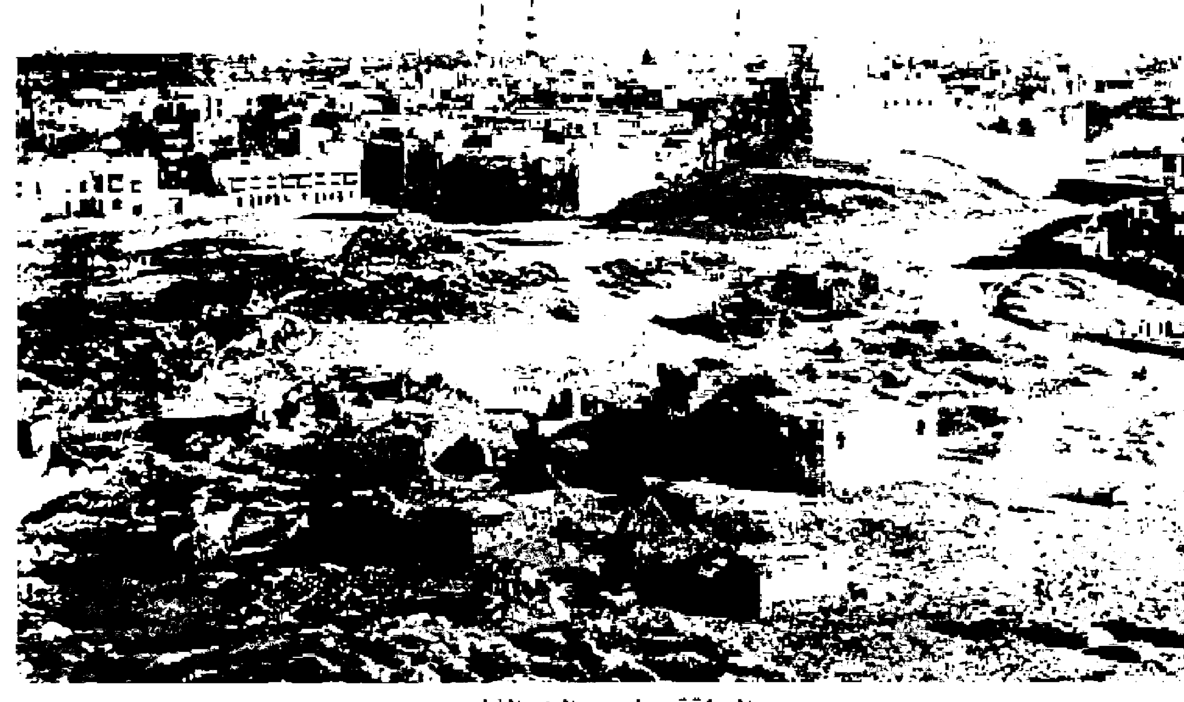
مناخة الحجاج بالمدينة المنورة

وكان الإمام الحداد (رضي الله عنه) يقول: إن الشيخ الحسين بافضل المكي لما اجتمع بنا وصحبنا كان يقول لنا: إنه كان في بحران أغترف منهما، بحر في الظاهر، وهو الشيخ أحمد القشاشي المدني، وبحر في الباطن، وهو السيد محمد بن علوي السقاف المكي، فجمع الله لي البحرين فيكم.

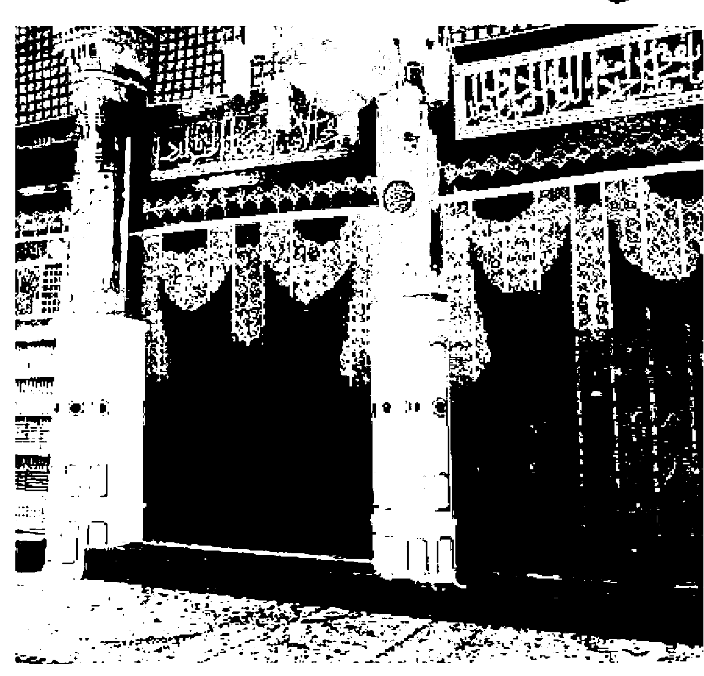
وقال الإمام: هممت بالخروج من المدينة الشريفة بعد الزيارة، فرأيت أني لقيت امرأة في طريق السوق أرادت أن تصافحني، فضممت يدي إلى كمي، وقلت لها: ما اسمك؟ قالت: اسمي رحمة. والمدينة اسمها رحمة. فقالت لي: إن جدك (ﷺ) يقرئك السلام، ويقول لك: لا تخرج من المدينة بعد. فأصبحنا وقد مرض الشيخ الحسين بافضل، وكان في صحبتنا.

(١) في رواية «المشرع الروي» أن هذا الموقف حدث في حجر اسماعيل بمكة والتفاصيل التي جاء بها السيد محمد بن سميط تشير إلى أن روايته أدق في النقل، والله أعلم.

(٢) الشريف بركات بن أبي نمي الحسني، تولى حكم مكة سنة ١٠٨٢هـ إلى أن توفي سنة ١٠٩٤هـ وكانت سيرته حميدة وولايته حسنة.


المدينة قديما ويري الباب الشامي

وقصة مرض الشيخ قصة عجيبة، ذكرها السيد محمد شليه في كتابه «المشرع الروي»، قال: إن الشيخ حسين ـرف على الهلاك، وكشف لسيدي - نفع الله به - أن حياته قد انقضت، فجمع سيدنا الحبيب من كان معه وقال ـ نريد من كل منكم شيئًا من عمره، فوهبه السيد عمر أمين صاحبنا ثمانية عشر يومًا؛ لأن مدة السفر من مكة إلى المدينة اثنا عشر يومًا، وستة أيام للإقامة، ولأنها عدد اسمه تعالى: «حي». وجمعوا جميع ذلك الموهوب نحو ـي سنين، وأثبتوه في ورقة وأخذه سيدي ومضى به إلى القبر الشريف، وتوسل بالنبي (ﷺ)، ثم خرج مستبشرًا ـ: قد قضى الله الحاجة، وقبل شفاعة النبي (ﷺ)، فقام الشيخ حسين من مرضه معافى كأنه لم يشك ألمًا، ـ، فلما انقضت المدة وسيدي بتريم، قال لهم: انظروا الشيخ حسين يموت في هذه المدة، فحسبوا، فجاء موته ـ شار. وقد توفي الشيخ حسين بمكة في ذي القعدة ـ ١٠٨٧هـ ودفن بمقبرة الشبيكة.


إسطوانتي الحرس و الوفود

ـكان الشيخ الحسين بافضل يقول: أدركت ثلاثة ـرجال: من حاله يغلب مقاله، وهو السيد محمد ـعنوي، ومن مقاله يغلب حاله، وهو الشيخ أحمد ـشي، ومن هو كامل الحال والمقال، وهو سيدي ـ عبد الله بن علوي الحداد.

ـكان يقول: حججت حجات كثيرة، وما كنت ـ بشيء منها سوى حجتي مع سيدي عبد الله؟ ـ لقبول، ونيل المأمول، والمطلوب والسول.

وقال الإمام يومًا: لما بلغنا المدينة المشرفة عملنا رحلة (أي شرعنا في تسجيل أحداث الرحلة) نذكر ما بدا لنا في سفرنا، من جهتنا إلى الحرمين. فلما كان ذات يوم سمعت الشيخ حسين يبكي حتى علا نشيجه فسألناه عن ذلك، فقال: إنكم عملتم في هذه الرحلة، وعلمت أنكم تذكروني معكم فيها، وتذكرون ما صنعت معكم، ولا أريد ذلك، فلا تذكروني.

قال الإمام: فمحوناها وما أكملناها لذلك.

وحان موعد الرحيل والعودة إلى مكة، والمدينة لها في قلوب الأولياء مكانة، وفي تركها آلام وشجون.

القصيدة الغراء

وأنشأ الإمام (رضي الله عنه) هذه القصيدة، وقد سميت «القصيدة الغراء»، ولاقت من القبول ما جعل السلطان العثماني يأمر بنقشها على جدار الحجرة النبوية من الداخل، وإظهار البيت السادس عشر منها على اللوح الشريفة فوق الشباك الذي على يمين الناظر.

الرحيل إلى المدينة المنورة:

سلكنا الفيافي والقفار على النجب ... تجد بنا الأشواق لا حادي الركب

فنهوي عليها بالعشية والذي ... يليها من الليل البهيم على القتب

يلذ لنا أن لا يلذ لنا الكرى ... لما خالط الأرواح من خالص الحب

ويبرد حر بالهجير تمده ... سموم إذا هاجت تزعزع للكثب

وما زال هذا دأبنا وصنيعنا ... إلى أن أنخنا العيس بالمنزل الرحب

وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

نزلنا بخير العالمين محمد ... نبي الهدى بحر الندى سيد العرب

رسول أمين هاشمي معظم ... وسيد من يأتي ومن مر في الحقب

ملاذ البرايا غوث كل مؤمل ... كريم السجايا طيب الجسم والقلب

يؤمله العافون من كل ممحل ... كتأميلهم للساكبات من السحب

كريم حليم شأنه الجود والوفا ... يرجى لكشف الضر والبؤس والكرب

رحيم براه الله للخلق رحمة ... وأرسله يدعو إلى الفوز والقرب

وأرسله بالحق والصدق والهدى ... وبذل الندى والرفق والمنطق العذب

به الله أنجانا من الشرك والردى ... ومن عمل الشيطان والجبت والنصب

وأدخلنا في خير دين يحبه ... ويرضاه دين الحق فالحمد للرب

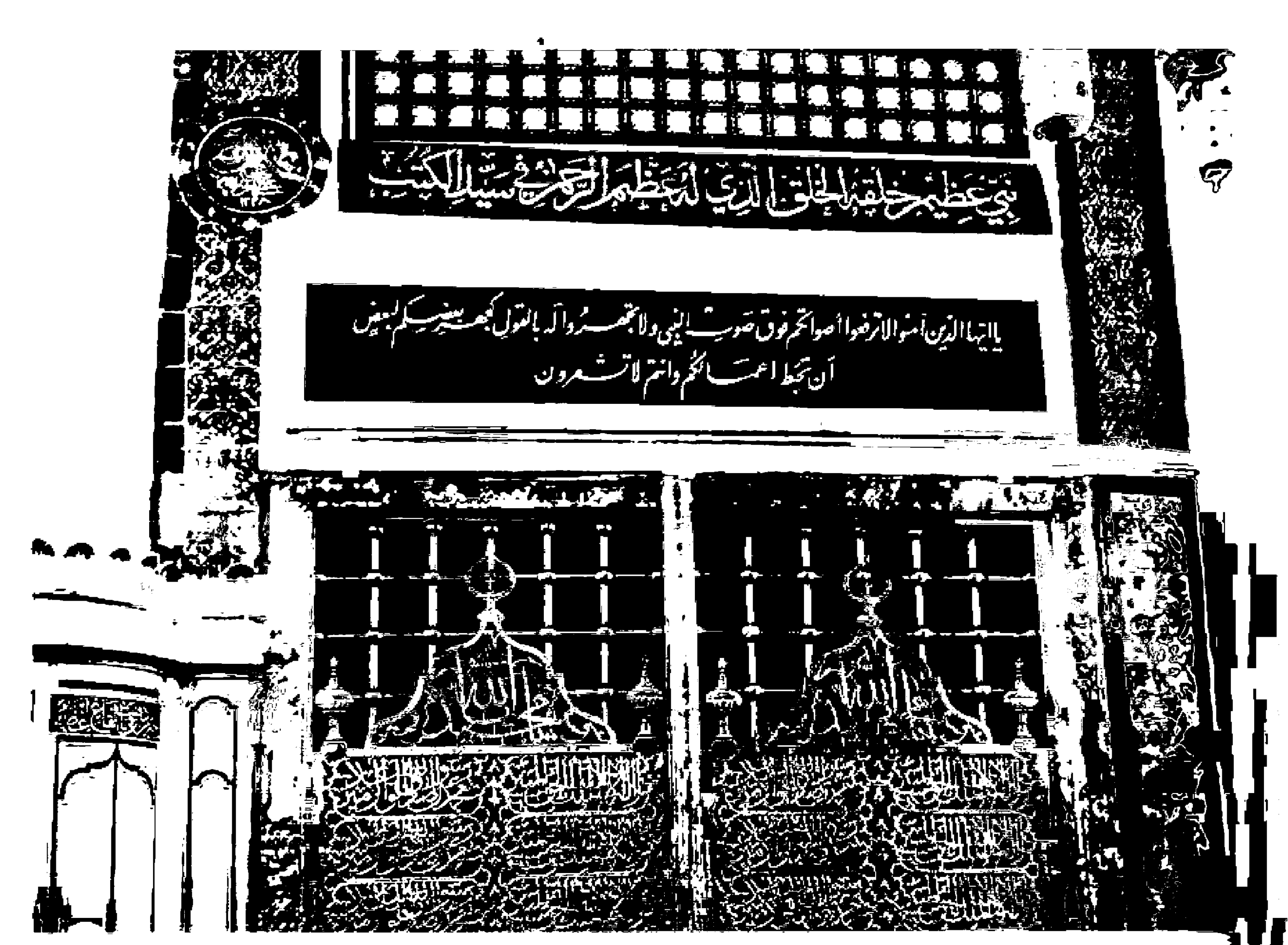
له المنة العظمى علينا ببعثه ... إلينا ومنا عالي الذكر والكعب

نبي عظيم خلقه الخلق الذي ... له عظم الرحمن في سيد الكتب

وأيده بالوحي والنصر والصبا ... وأملاكه والمؤمنين وبالرعب

وبالمعجزات الظاهرات التي نمت ... على القطر عدا بعد ما كل من نبي

وآتاه قرآنًا به أعجز الورى ... جميعًا على التأييد يا لك من غلب



المواجهة الشريفة ويرى البيت السادس عشر من القصيدة

مناجاة الرسول (ﷺ):

ألا يـا رسـول الله إنـا قرابـة وذريـة جئنـاك للشـوق والحـب
وقفنـا على أعتـاب فضلـك سـيدي لتقبيـل تـرب حبـذا لـك مـن تـرب
وقمنـا تجـاه الوجـه وجـه مبـارك علينـا بـه نسـقى الغمـام لدى الجدب
أتينـاك زوارًا نـروم شـفاعة إلى الله في محـو الإسـاءة والذنـب
وفـود وزوار وأضيافًـا حـضرة مكرمـة مسـتوطن الجـود والخصـب
وفي النفـس حاجـات وثـم مطالـب نؤمـل أن تقـضى بجاهـك يـا مُحْبي
توجـه رسـول الله في كل حاجـة لنـا ومهـم في المعـاش وفي القلـب
وإن صـلاح الديـن والقلـب سـيدي هـو الغرض الأقـصى فيا سـيدي قم بي

الصلاة على النبي (ﷺ):

عليـك صـلاة الله يـا خـير مـن تـلا كتابًـا منـيرًا جـاء بالفـرض والنـدب
عليـك صـلاة الله يـا خـير مهتـد وهـاد بنـور الله في الـشرق والغـرب
عليـك صـلاة الله ياخـير مـن دعا إلى الله بعـد الرفـق بالسـمر والقضـب
عليـك صـلاة الله يـا سـيدًا سرى إلى الله حـتى مـر بالسـبع والحجـب
وقـام (بـأو أدنى) فناهيـك رفعـة ؤمجـدا سـما حـتى أنـاف على الشـهب

السلام على النبي (ﷺ):

عليـك سـلام الله مـا سـار مخلـص إليـك الله والمصطـفى حسـبي

عليك سلام الله ما أسحر الصبا ... فحرك أرواح المحبي للقرب

عليك سلام الله ما بارق شرى ... وما غنت الأطيار في عذب القضب

عليك سلام الله ما حرك الحدا ... قلوبًا إلى مغناك بالشوق والحب

عليك سلام الله عد النبات والرمال ... وعد القطر في حالة السكب

عليك سلام الله أنت ملاذنا ... لدى اليسر والإعسار والسهل والصعب

عليك سلام الله أنت حبيبنا ... وسيدنا والذخر يا خير من نبي

عليك سلام الله أنت إمامنا ... ومتبوعنا والكنز والغوث في الخطب

وصلى عليك الله دأبًا وسرمدًا ... وسلم يا مختار والآل والصحب



المواجهة الشريفة ويرى في الركن الأيمن العلوي من الصورة البيت السادس عشر من القصيدة الغراء للإمام الحداد

العودة إلى مكة ثم حضرموت

مكة:

ورجع الإمام إلى مكة وأقام بها إلى شهر ربيع الأول، وخرج منها في أثنائه متوجهًا إلى جهته.

قال (رضي الله عنه): رجعنا من المدينة إلى مكة وجدناها أصفى، حيث قد تفرق الناس منها إلى أوطانهم ورجعوا إلى بلدانهم، وكان لنا المدد فيها أزهر وأنور، وإن كان في أيام الحج واجتماع الناس أوفر وأكثر.

وقال (رضي الله عنه): وعام حججنا رأينا في مكة المدد والفتوح كثيرًا في أيام الموسم، وبعد رجوعنا من ... إليها رأيناها أفرغ، فالحضور والخشوع في أيام الموسم أكثر وبعده أفرغ، وينبغي أن يطلب ذلك من ... الليل عند بقاء ثلث أو ربع من الليل، حيث ما في المطاف إلا واحد أو اثنان، فعند ذلك يكون ... والخشوع؛ لأنه إذا حصل التجلي الإلهي يقسم على من حضر، فإذا كان الناس قليلاً كثر لهم النصيب ... كثروا قل، كمن يقسم مالاً على الناس، فيقل إذ كثروا، ويكثر إن قلوا.



مكة في القرن الثالث عشر الهجري

وقال (رضي الله عنه): وأقبل علينا الناس كثيرًا، ومرادنا السلامة منهم، على طريقة سلفنا؛ لأن الظهور ... وأرسل إلينا السيد محمد شليه، قال للرسول: قل له يسلم عليك، ويشير عليك بعدم المجاورة، فقال له: ... له نية في ذلك، فقال: ولو عادك قل له زيادة. ونحن كنا عازمين على أن لا مجاور، وكنا نخف أنفسنا خوفًا ... أن تحصل لنا إشارة في المجاورة، ونحن عارفون أن المجاورة على هذا لا تنبغي، ولا تنبغي المجاورة إلا لأحد ثلاثة. وفسر (ﷺ) مراده بقوله: أحد ثلاثة حين قال: ولما طلب منا المجاورة يعني: - أهل الحرمين - قلنا ... مكة لا تصلح إلا لأحد ثلاثة، إما خامل[1] لا يُعرف أبدًا كالتراب، لو دحق لا يبالي، أو سائح في الجبال، ... الفارض، أو بحر لا يتكدر ولا يضيق من كثرة الناس وإقبالهم ولا يشغلونه عن الله، مع تبحره في الكتاب والسنة، وتحققه بالعمل، فيجاور في الحرمين، يأخذ مما فيهما من الخيرات، ويسلم مما فيها من العوائد. ... المتوسط فيشتغل، فيتعبونه بسبب أمور الدنيا وأحوالهم.

(١) خامل: أي مستور، لا يعرفه أحد.

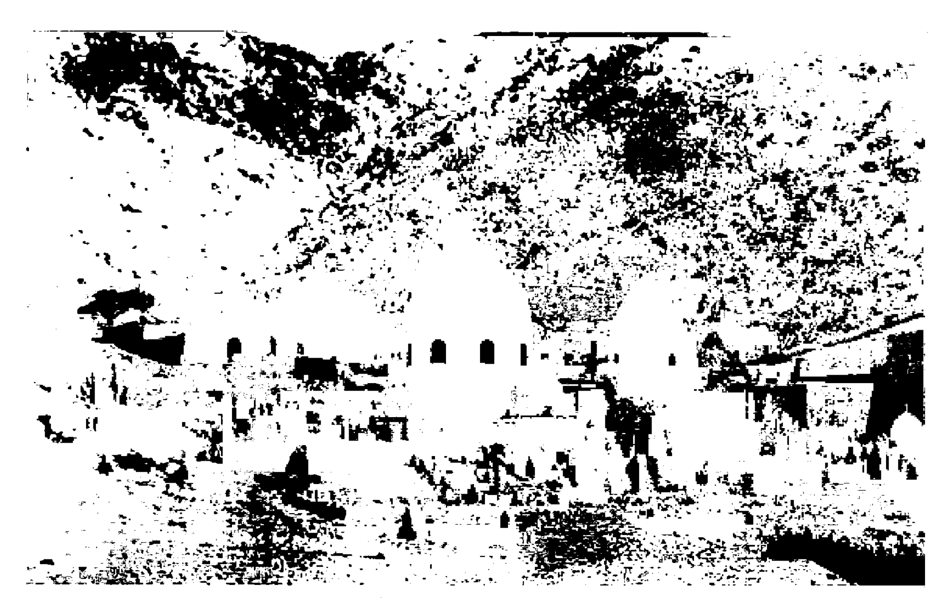
ومـرة أخـرى قـال: فأجبناه بأن المجاورة ليسـت لنا على بـال، ولا نويناها أصلاً لما رأينـا من أحوال أهل حرمين.

وقال (رضي الله عنه): قلنا لأهل الحرمين: لو مكثنا معكم لتشاكينا معكم إلى السلطان، لما نرى من أحوالكم.

وقال (رضي الله عنه): لا تنظر من الحرمين إلا إلى البيت الحرام والحجرة الشريفة، ولا تنظر إلى ما عداهما.

لكنـه قال أيضًا: ما أحسـن ذكر الحرمـين، ولو كنا إلا بجدة أو نحوها بالقرب مـن مكة لكنا نعتمر في كل شهر، ولكن أمر الله كان مفعولا.

وسـئل (رضي الله عنه): أيما أفضل المدينة أو مكة؟ فأجاب: أما مكة، فإن كان بالنسـبة إلى الله، فهي أفضل، وإن بالنسبة إلى إبراهيم والمدينة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فالمدينة أفضل.



مقبرة المعلاة بمكة المكرمة قديما

ومـن كراماتـه بمكة ما رواه الشـيخ حسـين بافضـل قال: دخلت على سـيدي يومًا، وهـو في خلوة مكة المشرفة، وبيده كتاب ينظر فيه، ولم يكن به عمى أبدًا!

قال السيد عقيل: وسمعت جماعة من أهل الحرمين يقولون: إن سيدي لما حج كان يستعير كتبًا، ويرون يقرأ فيها لنفسه.

عودة عن طريق اليمن:

كان (رضي الله عنه) يقول: لما حججنا وخرجنا من الحج إلى اليمن، تبعنا شخص يزعم أنه شريف، ووقع في قلبي غير شريف، وكان هناك - أحسـبه قال: ببندر المخا - رجل مجذوب من آل الأهدل الحسـينيين يقال: إنه يكشف بالخواطر، فقصاناه وأضمرنا في أنفسنا ثلاث خصال: إحداها:

هل تكمل لي أموري وشؤوني التي أنا بصددها من أمور المعاش والدين؟

وهل عادني أحج ثانيًا؟

وهل هذا الذي صحبنا شريف أم لا؟

فلما وصلنا إلى الرجل المجذوب نادانا من وراء الباب، وقال لنا: السيد الذي أنتم وإياه مجمر محـ وسوف يحج ثانيًا، والرجل الذي صحبه ليس هو بشريف. قال: فخرجنا، ثم بعد مدة كتب لنا ذلك صحبنا من بلده وقال: إني فتشت عن نسبي فوجدته غير شريف. وكان (رضي الله عنه) يقول: إني موعود بالحج ـ ولكنه أعجزنا الكبر وقلة الطاقة ولا عاد يكون ذلك إلا إن ظهر المهدي الموعود به في آخر الزمان.

ومرة قال: ما عاد يمكننا ذلك - يعني: عودة إلى الحرمين - إلا إن كان خرج المهدي في حياتنا وطب المجيء إليه لا بد ما نخرج لمبايعته.

وقيل له: إن الناس منتظرون ومتشوقون لوعدكم الذي أنتم موعودون به من العود إلى الحرمين، فق لا! ذلك قد مضى وقته، والوعد متوقف على شروط، ولا تمت، ألا ترى إلى العشرة من الصحابة، مع كو قد بشرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بالجنة، ومقطوع لهم بها، ما ركنوا إلى الوعد، وما زال بهم الخوف، وإنما ذاك أن رجـ كان يكاشف، فكاشفنا بأشياء وقعت صدقًا.

وكان كثيرًا ما يقول: لم يبق لنا نزوع قط إلا إلى الحرمين والاجتماع بأهل الذوق.

العودة إلى حضرموت:

قال (رضي الله عنه) بعد عودته بخمسين سنة: ولما وصلنا من مكة وتوصلنا إلى شبام، ما انمرت لنا الطريق مـ كثرة الناس، وقد قلنا: إن كنا أذن لنا في التنقل في الأرض، ما أخذنا معنا إلا واحدًا كما فعل الشيخ عـ العطاس، ولكن مع بعد تلك الحركة - أي: مسير الحج - ما وقعت لنا حركة إلا إلى هود، ومرادنا تـ الشهرة، ويفعل الله ما يشاء، ولا دخلنا بلدة إلا وفيها أناس من أهل الصلاح مرموقين، إلا في هذا الزمـ ما تلقى حتى من يواظب على الصلاة، وكان في بلدان حضرموت ناس مكاشفون، ويقال: إن في الهجرين مـ آل العفيف كلهم إذ ذاك يكاشفون، حتى أخدامهم، وما كاشفنا إلا ثلاثة.

روى جعفر الكثيري صهر الإمام عبد الله (رضي الله عنه) قال: لما جاء سيدي من الحج إلى تريم، طلعت معه البلد في بعض الليالي، وصلى في مسجد الشيخ أبي بكر السكران ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف. وكان بيـ الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي بجانب المسجد المذكور، وكان فيه السيد الصـ الولي المجذوب محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين، كان من أهل السر وله كرامات ومكاشفات. تو بتريم قبل الإمام بعدة سنوات. فأحس بنا في المسجد، فخرج إلينا، وطلب سيدي إلى بيته، فجئت معه

بيت، فلما جلسنا عنده قام هو وغاب عنا قليلاً، ثم رجع ومعه لحم كثير مغلي، كأنه شوي في الحال، وخبز حار، فقدمه لنا، فأكلنا منه، ولم يقل سيدي: من أين هذا؟ ولا هو أخبرنا من أين هو. فقال لنا سيدي: كلوا وتضلعوا من هذا اللحم فإنه ليس من طعام الدنيا.

قال السيد محمد بن زين سميط: لما رجع (رضي الله عنه) من حج بيت الله الحرام وزيارة النبي (ﷺ) أقام مدة بتريم لإرشاد الأنام بالدعوة إلى الملك القدوس المهيمن العزيز العلام، فهدى الضالين، وأنقذ الغاوين، وغير ذلك من تدريس العلوم النافعة، وتهذيب النفوس البعيدة الشاسعة، واجتمع إليه الخلائق من كل فج عميق، منهم طالب للعلم، ومنهم المتعطش لسلوك الطريق، ومنهم التائق لشهود العرفان والتحقيق، ومنهم الرامق إلى أن يكون له صحيب ورفيق وشريك له فيما أعطيه من المواهب الربانية والحقائق الإيمانية وكل علم دقيق، فنهض لهم وقام أحسن نهوض وقيام، حتى بلغهم السول والمرام، من أعلى رتبة بلسانه ومقاله وأفعاله وحاله.

وكان أكثر مجالسه ومدارسه بمسجد الهجيرة المشهور المأثور المعروف عند أهل تريم، حتى يقال: إنه من مساجد السبعة بتريم المأثورة التي لا تخلو عن رجال الغيب غالبًا.

وظل (رضي الله عنه) كثير النزوع إلى الحرمين الأكرمين، عظيم الشوق إلى المشاهد الشريفة، والمعاهد المنيفة، شديد التأثر بذكر تلك المآثر، كما هو مشاهد من أقواله وأفعاله، بل أكثر تغزلاته بها في نظمه، ويميل جدًّا إلى الأشعار التي فيها ذكرها أكثر من غيرها، لا سيما كلام الشيخ ابن الفارض، وقلّ أن يسمع بهاتيك المعاهد إلا ويحصل له الشجا والبكا.

قال بعض فقرائه: أنشدت عنده قصيدته الرائية الكبرى، فلما بلغت منها قوله (رضي الله عنه):

لمغنى قباها والكثيب ورامة وأحد وسلع والنقا والمآثر

بكى بكاء شديدًا، وتأثر تأثرًا كثيرًا، وقال لي: أتريد أن تطرح الملح على الجرح؟ أتريد أن تذكرنا تلك المرابع؟ أتظن أنا نسيناها؟ وإنما نتناساها! ثم قال: إن لله رجالاً يستجلبون الغفلة، وهي في حقهم رحمة.

ومن كلامه: أود أن أشتري ساعة غفلة أتروح بها فما وجدتها.

وقال بعض الصالحين من السادة آل أبي علوي: أشار علي سيدي بالحج سنة من السنين، فحججت، وزرت النبي (ﷺ)، فلما جئت إلى تريم بقي نفع الله به يسألني عن أفعالي في الحج والزيارة، وترددي في المزارات والمآثر، فحصل عنده الشجاء، فضرب على كتفي وقال:

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني شجونًا فزدني من حديثك ياسعد

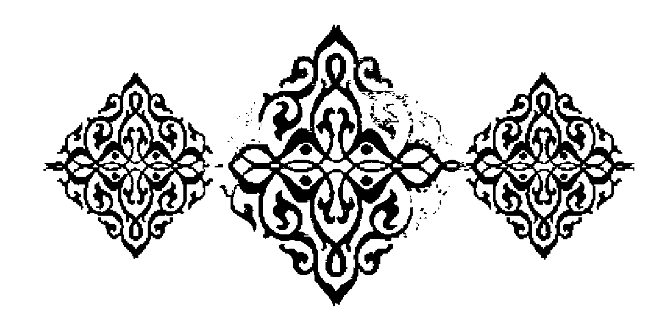
وكتب للشيخ الحسين بافضل، مضيفه في مكة:

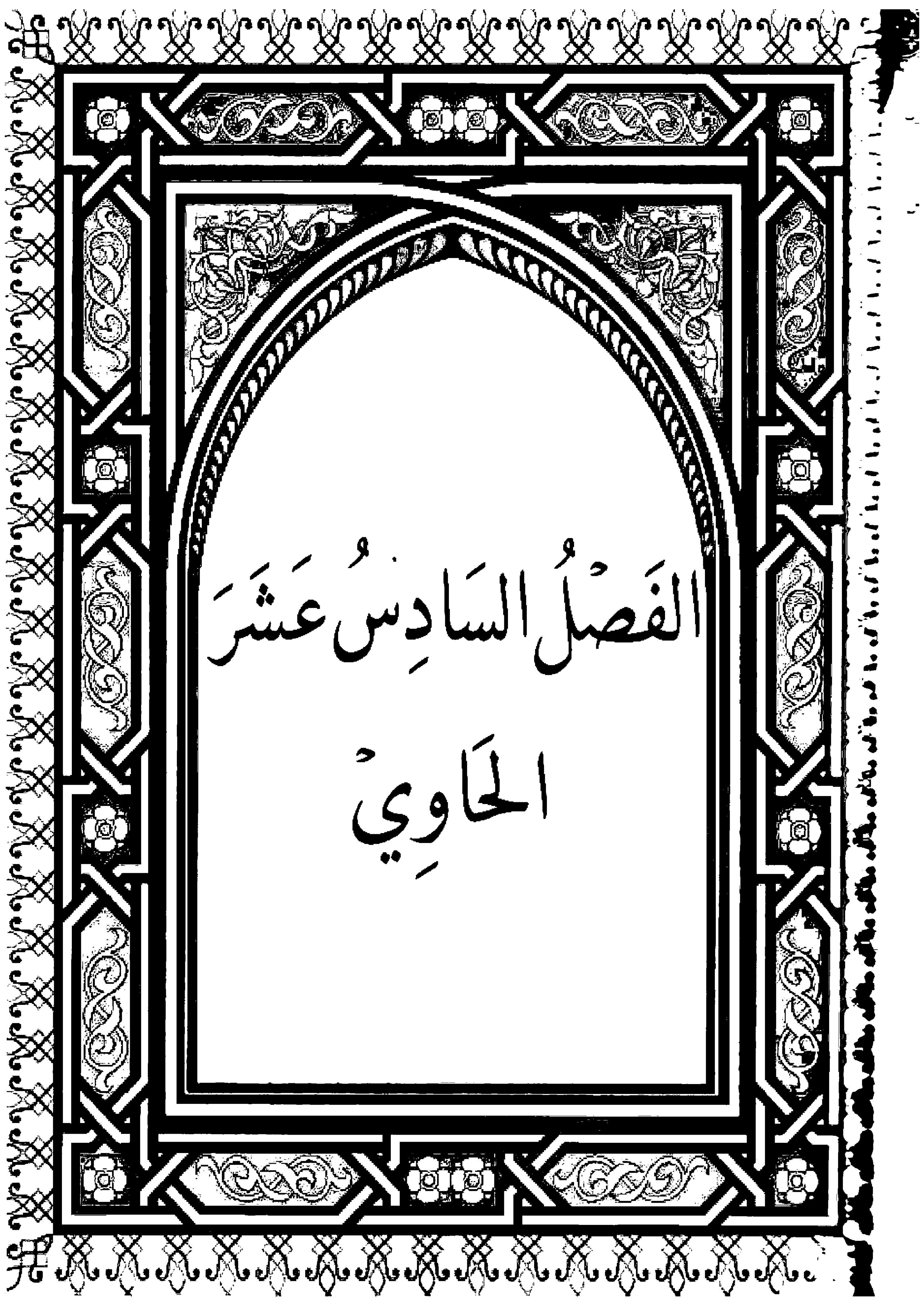
«وادعوا لنا بالمعاودة إلى تلك الأماكن، المشرقة عليها أنوار التجلي الخاص، فإنا لذلك مشتاقون ومتعطشون، لم يزدنا ذلك الورود إلا تعطشًا ونزوعًا.

وقد أظهرت المشاهدة من القلب أمرًا كان مستكنًا فيه، ثم لم يزل ظاهرًا لم يعد إلى ما كان عليه من قبل والرَّوحُ والراحة الكائنان حال اللقاء عادا بأنفسهما شوقًا وتوقًا، يحركان القلب ويزعجانه.

وتحت هذه الكلمات سرٌّ معنى ظهور الحق في الشجرة، وإشراق النور على الطور المندك.

وأنت تفهم الإشارة إلى ما تقصر عنه العبارة».





الفَصْلُ السَادِسُ عَشَرَ

الحَاوِي



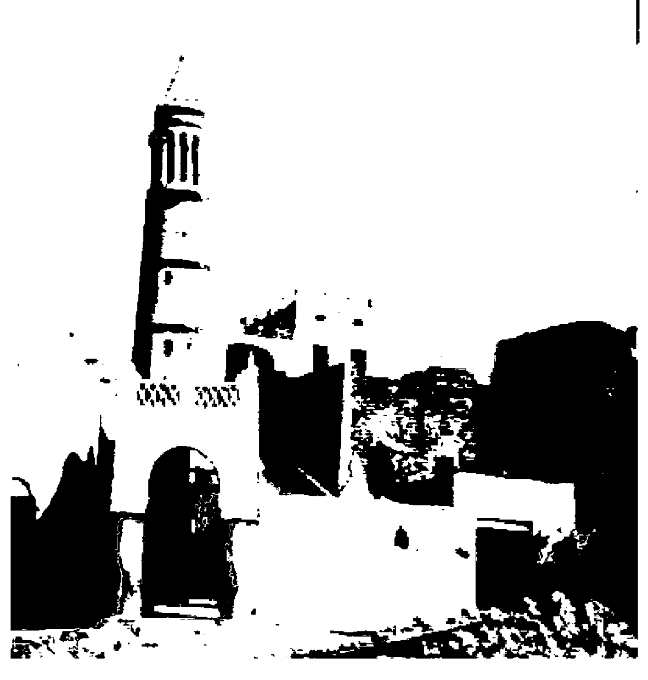
ذكـر الإمـام يومًا أمورًا من حياته الشـخصية، ودوّنها الشـيخ الشـجّار فيما دوّنه مـن كلام الإمام، قال: تكلـم (رضي الله عنه) يومًـا في معـنى ذلك، فقال: في نفـسي من أيام البداية أن لا أضع لبنـة على لبنة، ولا أتزوج لا على عربيـة، لتقـع راضية، وما معنا شيء لشراء الأشراف، ولكـن ما قدر الله إلا ما وقع، وفي بنائنا من عجائب ما لا يصدق به إلا مبوبة، جعلها الله على يد دامس[1]، وأمور الدنيا يحاسـب عليها من نواها، وإن يكن عنده شيء منها، ونحن خائفون من أن يحاسبنا الله عليها، لكنّا منطرحون له، وجاعلون أنفسنا في ع، ولا ندعي أنّا قائمون له بشكر، ولا مخلصون له في عبادة. وأول ما تأهلنا على امرأة عربية عند الهجيرة حقية، وما علم الوالد إلا بعد في آخر السنة، وكان ذلك في أولها وهي سنة ١٠٦١هـ، وكان مرادهم البركة، وعلقت ... ما هم هؤلاء القناتير؛ لأن بين ذلك الوقت وهذا الوقت مدة بعيدة، نحوًا من ٦٦ سـنة، قد تبدلت فيها سن، وتغـيرت أحوالهم، وقد ظهرت طبقات بعد طبقـات، وفي كل طبقة شيء غير ما في التي قبلها، وكانوا ركـين، أي: أهـل ذلك الزمان، إذا خطب الشريف عندهم فرحوا لأجل التبرك، وتعلقه ولد. وأتممنا بناء حاوي سنة ١٠٧٤هـ، وبقينا نتعهدها يوم الأحد، وفعلناها أشجابًا، والمحلة في السبير، وبنيناها بطين الإكليل، جو سيل كبير حصل في نجم الإكليل سنة ١٠٦٩هـ، وفعلنا لها أبوابًا سنة سافرنا الحج، وهي سنة ١٠٧٩هـ.

وفي مجلس آخر قال: كان نزولنا الحاوي (أي للاسـتيطان) سـنة ١٠٩٩هـ سنة ولد ولدنا الحسن، وكان ولادته الحاوي غرة رجب، وأول ما جلسـنا في زاوية الهجيرة سـنة ١٠٦١هـ، وبقينا ملازمين فيها إلى سـنة ١٠٧٣هـ، همنا أول هذه السـنة – أي: سـنة ١٠٦١هـ – أول تأهل لنا، ثم بقينا نتردد إليها، نبقى النهار فيها، ونغيب عنها سيل، ثم بنينا غرفة الحاوي سنة ١٠٧٤هـ نحل فيها أيام الخريف، ونأخذ زائد على أيام المحلة.

سـنة ١٠٩٩هـ ولد حسـن ابننـا في الحـاوي وأقمنا فيه، زيـارة زرناها إلى عينات، زرنا الشـيخ أبا بكـر بن قبل زيارة النبي هود والشـيخ سـعيد، وسني إذ ذاك ١٠ سـنة، وهي سنة ١٠٥٩هـ، وبعد ذلك بسنتين – وهي ١٠٦٠هـ – دخلنا الهجيرة في رمضان.

يكـون الإمام قد ابتنى بيته في الحاوي سـنة ١٠٧٤هـ، سكنه سنة ١٠٩٩هـ.

بتنى مسـجده الذي بجانب بيتـه المذكور، وقد كان سـجد صغير لجده لأمه السـيد الإمام العارف بالله ـين أحمد المنقـر باعلـوي؛ لأن بيتـه كان في ذلك ذ.. رحمه الله.



منزل ومسجد الإمام بالحاوي قديما ومنارة المسجد بناها أولاد الإمام

[1] ـمس: اسم احد المحبين للإمام الحداد.

ونصب نفسه (رضي الله عنه) للتدريس في المسجد المذكور بعد صلاة العصر كل ليلة، وبكرة يوم الخميس و...
وكان تدريسه في دهليز بيته المذكور، ثم إنه بدا له أن يدرمس هذين المدرسين في المحضرة أعلى الدار، فأ...
ثم رجع إلى التدريس في الدهليز، وقال: خشينا أن تحن علينا كما حن الجذع على النبي (ﷺ) لما فارقه إ...

وكان يقول: هممنا على أن ننصب لنا كرسيًّا نجلس عليه لدرس العلم، أي: كما فعل الإمام الغزالي، و...
عبد القادر، والشيخ الجنيد. وقلنا: إن كان في بلدة تريم يكون في مسجد آل أبي علوي، وإن كان خارج...
الحاوي يكون في الدهليز المذكور، ولكننا رأينا الناس على هذا الأمر العجيب الغريب من الإعراض ع...
تعالى وعن الدار الآخرة.

وفي رواية: إني رأيت أنه لم يسبقني إلى ذلك أحد من سلف آل أبي علوي (رضي الله عنهم).

وألح عليه جماعة في أن يوسع مسجده؛ لكون الناس يكثرون في بعض لأوقات بحيث لا يسعهم، فأبى...
ذلك وقال: العمر أقرب من ذلك.

وابتدأ حضرة الذكر في مسجد الفتح بالحاوي من حين ابتناه، واستمر أولاده في ذلك بعد وفاته، ليلة ...
وليلة الاثنين. وكان يخرج السبحة، خمسمائة حبة كبيرة من الصندل الأبيض، تدار بين الحاضرين مع قولهم
إلا الله حتى ينتهي عدد السبحة.

ثم لما جدد حفيده الإمام أحمد بن الحسن عمارة المسجد زيدت فيها خمسمائة أخرى من جنسها.

وكانت مدة سكناه الحاوي من حين ابتناه إلي أن توفي نحو ثمان وأربعين سنة، وكان في هذه المدة مأوى الصـ...
ومستغاث الخائفين، وملجأ الفقراء والمساكين، ومقصد الغرباء، وملجأ الطالبين والمريدين، تشد إليه ...
وتحط بسوحه الأثقال، قبلة النيات والمطالب، وكعبة الآمال والمآرب، فكم نشأ به من ناسك، وكم فتح لسا...
يقصده طالب أي مطلب إلا وفاز بالمطلوب، ولا أمه راغب إلا وظفر بالمرغوب.



مسجد ومنزل الإمام قديما والصورة معدلة بالحاسب الآلي لتبدو أقرب ما يكون من حالها أيام الإمام

وقد كان لبيت الإمام بالحاوي ومسجده شأن عظيم، فقد كان منارة من منارات الهدى، ومحلاً انتشر منه علم ليملأ مشارق الأرض ومغاربها.

وقد روى بعض الصالحين، بعد أن أخبر أنه رأى الرسول (ﷺ) منامًا أربع مرات على صورة الإمام الحداد: ـه رأى أيضًا كأن الإمام مقبور محل خزانة كتبه في دهليز مسجده بالحاوي، فأولها بأنها إشارة إلى أن ـسجد مظهر العبادة، وموضع الكتب مظهر العلم، والإمام هو الجامع بين العلم والعبادة.

وكان الحاوي مقصدًا للأكابر والعارفين، والأولياء المستورين، وأهل الأحوال واليقين، وأهل الغيب، ـغيرهم ممن لا يعلمه إلا الله.

فمن ذلك ما رواه السيد علوي ولد الإمام، قال: أخبرني رجل من أهل تريم، قال: خرجت يومًا خارج ـريم أريد شراء طعم لغنم كانت لي، فرأيت سيدي (رضي الله عنه) مقبلاً على فرسه، فتقدمت إليه وصافحته فعرفني، ـعرف أبي وجدي، وبقي يحدثني إلى أن ـصل إلى مكانه الحاوي، فلما وصل ـتودعت منه ورجعت، فتلقيت رجلاً ـملاً قصبًا يريد بيعه، فاشتريت منه ـ أردت، ولففته في ثوبي، فلما نظرت ـرجل قد غاب عني ولم أره أبدًا، ـعجبت لقرب عهدي به، وغيبته ـني في الحال، ثم لقيت سيدي بعد ـك بأيام، فقال لي: إنك ضيعت ـجل، يعني: الخضر. وكان يجيئه زوار ـ بلاد شتى.



مسجد الفتح بعد التجديد

قال الشيخ الشجار: وكنت يومًا أسايره خارجًا من البلد إلى الحاوي، وذلك يوم الثلاثاء خامس ربيع الثاني ـة ١١٢٣هـ، وكان قبله بنحو أسبوع وصل اثنان أخوان من بغداد، وهما من أولاد الشيخ محمد الرحبي، مفتي ـاد، وطلبا أن ينقلا شيئًا من القصائد من الديوان، فقال (رضي الله عنه) حينئذ: لا تخل أحدًا من الأغراب الذين ـون إلى عندنا، إذا حصل شيئًا من الرسائل أو من القصائد، يسافر به حتى تقابله بيدك، واكتب عليه: ـ مقابلة على يد فلان، واذكر اسمك واسم المصنف أو الناظم، وأن هذا من نظم فلان، أو تصنيف فلان؛ ـن معروف بتحصيل الكتب وأي شيء ينفع الكتاب المخلوط، وربما زاد حرف أو نقص حرف، أو زادت ـة أو نقصت أو غير ذلك، فقرؤوه على الخطأ ونسب ذلك إلينا ولم يعرفوه، فالحذر تترك أحدًا يكتب شيئًا ـافر به حتى تقابله، وتكتب اسمك على مقابلته، واسم المصنف أو الناظم.



مدخل المسجد حاليا

وقرئ على سيدنا نفع الله به. في شيء من مؤلفاته، فاتفق تقديم بعض الكلام وتأخير بعضه، فأمر بإصلاحه.

وقال: ومن عجيب مكاشفاته (رضي الله عنه) وبعد مرامي إشاراته، قصة محمد المغربي الذي كان ينزح على بئر زمزم، وقد جاء إلى حضرموت، ومكث عند سيدنا في الحاوي مدة، فكان ليلة - كما ذكر ذلك عبد الله شراحيل بمعناه في مجموعه، الذي جمعه في كرامات سيدنا - وهم في الراتب، وهو يفص رجلي سيدنا الحبيب، إذ شراه ظهره، فجعل يحكه، وقال: يا حبيب ظهري يشراني. فرفع سيدنا يده، وضرب على ظهره، وقال: هذا إبراهيم في ظهرك، فتريد أن نزوجك. فحين قال ذلك، أمر رجلاً كان حاضرًا، وقال له: سر إلى أختك، واستأذنها أن نزوجها بفلان. فسار إليها واستأذنها، فأذنت له في ذلك، وزوجها إيّاه بحضرة سيدنا، وزفه إليها، ومكث معها أيامًا، ثم جاء إلى سيدنا يطلب الإذن في المسير إلى الحرمين، فأذن له، فلما جاء يستودع مسافرًا، قال له: إن زوجتك حملت بولد، فإذا ولدته سميناه إبراهيم، فإذا بلغ يحج أحد عيالنا ويحج معه، فولم له كل ما معك من الدراهم، واجمع له ما قدرت عليه منها، ثم يجيئك بعد مدة حـ ويجيك من عندنا بكفنك، يكون هذا على بالك. فسافر وقد حفظ منه ما قال، وصار ذلك على باله.ثم و ـ زوجته ولدًا سماه سيدنا إبراهيم. فلما بلغ، وكان سنة ١١١٨هـ، حج السيد الحسين ابن الحبيب، فحج إبر ـ معه، وإذا بأبيه مجمع له ما قدرعليه، فدفعه إليه، وهو سبعين قرشًا، فجاء بها، وغرس منها نخلاً، وبنى ـ وتزوج منها. ثم إنه حج الثانية من حجاته مع حسين مرة أخرى، بعد الأولى بنحو عشر سنين، فأعطاه ـ لأبيه ملحفته التي يلبسها، وقال: ادفعها لأبيك، وقد معه خبرها (أي: كونها كفنه الذي عهد به إليه). ـ سمع أبوه بوصوله إلى جدة قادمًا، حزن حزنًا شديدًا، فهناه بعض أهل المدينة بقدوم ولده، فقال: فيم تهنيـ أتهنيني بالموت؟ فإنه جاء يبشرني بالموت. فلما قدم المدينة، وأقبل على أبيه يحييه، قال له: هات كفني ـ جئتني به من عند حبيبك. فدفع له الملحفة، فتمسح بها، وقال له: ليتني ما رأيت وجهك، ما كان تركتني ـ الرطب؟ وكان قد قرب إدراك الرطب. فمرض من يومه أو ثاني، والحاصل ما بقي إلا نحو ثلاثة أيام وتوفي.

وقال: ومن جملة مكاشفاته، نفع الله به: بشارته للسيد الحبيب أحمد بن زين الحبشي بابنه جعفر قبـ ـ يولد. وذلك أنه توفي للسيد أحمد ولد اسمه علي، وكان قد حفظ القرآن، وطلب العلم، وكان أبواه مشغوـ به، فحزنا لموته، فقالت أمه لأبيه: زر بنا السيد عبد الله، أريد ألازمه يدعو لي بولد مبارك يخلف علي ذ ـ

ـولد. فأتياه زائرين، وتكلمت له بما في نفسـها، فقال
هـ: اصـبري الآن، عادكما إلا جئتما، فإذا اخذتما كم
يوم أرسـلنا لكما. فلما مكثا المدة التي قال لهما، أرسـل
عمـا، فأتياه، فقال: سـيرا على بركـة الله، ونبشركما بولد
مبـارك سـمياه جعفرًا. فسـارا على إشـارته، ثـم بعد أيام
جاءت من السـيد أحمد ورقة، ذكر أن الشريفة حبلت،
ثـم بعـد ذلك أرسـل كتابًا آخـر، وذكر أنهـا ولدت ولدًا
سمياه جعفرًا.

ومـن جـاور عنده بالحـاوي السـيد أبـو الوفا محمد
عيسى الوفائي المصري، وستأتي ترجمته في الفصل الأخير.

وكان (رضي الله عنه) يـتردد إلى السـبير مـن وادي دمـون
المشـهور مكان أهلـه، وابتنى بيتًـا ومسـجدًا قريبًا من
مكان الشـيخ عبد الله بـن أبي بكـر العيـدروس الذي
بالوادي المذكور، وربما قطن به في بعض السـنين وقت
الخريـف، وقد كان أكثر ما يخرج إليه بكرة يوم الأحد
في لوقت، قل أن يترك ذلك إلا عندما كبر.



المنارة الجديدة

وابتـني أيضًا بيتًا ومسـجدًا صغيرًا ببيت جبير الشـهير، وقد
خرج إليه في بعض السنين، وقد يستسقي عندما يخرج بمن معه
عند حصل الجدب، يصنع مولدًا للنبي (صلى الله عليه وسلم) أو سماعًا أو نحو ذلك.



محراب الإمام بالضيقة



الضيقة بعد التجديد

عن السيد أحمد الحبشي قال: اجتمعت به فيها في بعض السنين مع السيد العارف أحمد بن عمر الهند... فقرأ لنا السيد أحمد خير مولد النبي (ﷺ) للشيخ ابن عربي، وكان لسيدي به مال ورثه من أهله وزاد... بالشراء، ولم يكن له كثير مال إلا ما كان من أهله، واشترى فوقه اليسير من غير تكلف، وإنما كان ... الفتوح الكثير فيصرفه في وجه الخير ومحاب الله ومراضيه من الصدقات والضيافات والهدايا والمواسـ... يعرج على شراء مال أو بناء بيت أو نحو ذلك إلا ما كان عن حاجة وستر، مع عدم التكلف والتقعر في ...

قال حفيد الشيخ أبي بكر بن سالم (رضي الله عنهم): كنت مرة بتريم في مكان سيدي عبد الله الحاوي، فحـ... جماعة من أهل تريم لحضور درسه صباحًا، فأبطأ بخروجه عليهم، فرجع منهم ناس إلى البلد، فلما حـ... للدرس سأل عمن خرج منهم ورجع، وقال: ما معنا للناس إلا ما تمثل به مع أهل زمنه الشيخ أبوبكر... سالم باعلوي نفع الله به:

ومن صد عنا حسبه البين ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

وقال أيضًا: كنت عند سيدي عبد الله بمكانه فوفد سيدي أحمد، أي: ابن زين الحبشي من بلده، ... له: هل معك كتاب تقرأ فيه الآن؟ فقال: ليس معي كتاب ولا غيره، وما جئت إلا لوحًا ممحوًا فاكتبوا فيه...

ومن العجائب ما رواه السيد عقيل باعقيل قال: صادفت درويشًا بمكان سيدنا الحاوي، قد خرج ... له، فقلت له: لماذا خرجت إلى هنا؟ قال: لزيارة سيدي بموعد منه.

فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: اجتمعت به سنة كذا في جبل عرفات، وقال لي: أخرج إلى عندنا، إلى ... فخرجت للوعد الذي تقدم. وذلك آخر عمر سيدي. وما حج نفع الله به، إلا أول عمره، ولم يكن اجتماعه إلا من قبيل الأمور الخارقة.



الباب المؤدي من الضيقة إلى البرحة ثم إلى المسجد بعد التجديد



الباب المؤدي من منزل الإمام إلى المسجد قبل التجديد

وروى بعض الثقات عن والده. وكان من أهل النور، وله حالة تشهد بذلك؟ أنه رآه رجل، وشم عنده رائحة ـيدي عبد الله وعرفه، فسألت عن ـث، فقال: إن اجتمعت به في وقتي ـ في مجلسي هذا وهو ببلدة تريم ـرجل ببلدة بعيدة عنها. وعن جماعة ـو: لقينا جماعة من أهل بيت ـس عند الكعبة فبقينا نتذاكر حول سيدنا الإمام عبد الله (رضي الله عنه) ـ أولئك النفر: إنا نراه ببيت ـس، في اليقظة والعيان، وقد ـعد ذلك مرارًا عديدة.



صحن المسجد بعد التجديد

قال السيد محمد بن زين بن سميط: وليس ذلك بالعجيب؛ لأن ذلك يتصور في عالم المثال، وهو حق، تمثل صحيح محقق عند الطائفة الصوفية والمحققين من أهل العلم (رضي الله عنهم) وهو ممكن، وجائز وقوعه ـغ وعقلاً، وإن كان ذلك يخرج عن طور العقل في بعض الوقائع. ويكفي في إزاحة الإشكال في ذلك ما ـع في النوم من الأمور التي يستحيل وقوعها، من حيث أنه يرى أنه بمكة والهند، أو نحو ذلك، وهو بتريم، غيرها ومن أنه قد يرى اجتماع الضدين في وقت واحد، وكون الاثنين في مكان واحد، وغير ذلك مما يطول ـه مع علمه بأن الله هو الخالق لوجود ذلك. وشهوده في النوم واليقظة وإن كان لكل من الموجودين اعتبار، ـ تحقق أنه وجود، وأن الله موجده. ومن عالم المثال تمثل الملائكة والجن، إذ هم أرواح مجردة عن الأشباح ـث مقطوع به لجريانه في وقائع لا تحصى وهو من أوسع العوالم. الله واسع عليم.

ـشاهده من الكتاب والسنة قوله تعالى في جبريل: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1] وما جاء أنه كان يأتي النبي ﷺ -أي: جبريل- في صورة دحية بن خليفة الكلبي، من أصحاب رسول الله (ﷺ). وقد حُكي عن تجزؤ ـيء وتصورهم في مكانين في وقت وحين واحد ما لا يحصى ولا يعد ولا يستقصى.

ـكر الشيخ عبد الله اليافعي في روضه وغيره من ذلك الشيء الكثير. وكذا غيره من أرباب التراجم ـقات (رضي الله عنهم) وجعلنا من أهل القبول والتسليم بكل ما جاءنا عن أهل الله، مؤمنين ومصدقين غير منكرين ولا معترضين عليهم، لوضوحه وصحته عندهم، رادين ومفوضين ما أشكل من ذلك إلى ـبه، عاملين بمقتضى قول سيدنا الذي هم هو، وهو هم، حيث يقول:

---

(1) مريم: ١٧.

وسـلم لأهـل الله في كل مشـكل لديـك لديهـم واضـح بالأدلـة



مسجد الفتح من الداخل بعد التجديد

ووقعـت في الحـاوي وقائع، وظهرت كرامات، وأكثر ما روي منها لا يسـتغرب ممن تكون مقاماته... الإمـام بكثير، إلا أنـه بروايتها عنه تظهر جوانب من حياة الإمام ومن حوله، وزوار الحاوي، يستأنس... القارئ ويستمتع بها.

فمن ذلك: ما روي عن أحد خدام الإمام قال: خلا بيت سيدي من الطعام فلم يبق فيه إلا ما يكفي... واحدة، فأخبرته بذلك، فأمرني بالذهاب لرجل في البلد أقترض منه شيئًا من الدراهم، فذهبت إليه، فاعتذ... فأخبرتـه، فقـال: ارجع واقترض من فلان، فرحت فاعتذر أيضًا، فرجعـت إليه، وقلت له: لا أعود أذهب... أحد أبدًا. فقال لي: إذن امض إلى مكان كذا. يشير إلى موضع في بيته. واحفر فيه تجد دراهم كثيرة، فخذ... قدر الحاجة فقط.

قـال: فمضيت إلى المحل الذي أشـار إليه، وحفرت فوجـدت دراهم كثيرة، فأخذت منها ما أمرني ورد... الطـين عليهـا، فأنفقت ما أخذته في بيته أيامًا حتى نفد، فذهبت إلى الموضع لآخذ منه، فلم أجد غير... فجئت إليه فأخبرته بما فعلت فتبسم، وقال: أتظن أنهم تاركوها لك؟ أو معنى ذلك. فعرفت أنها من خز... القدرة، وأنها من كراماته وخوارق عاداته وتصرفاته، ثم قال: قف واسـكن حتى يأتي الله بالفتح من عند... فسـكنت وليـس في البيـت شيء، فلما كان آخر النهار، وأنـا مهموم مغموم، وليس عنـده من ذلك هم... كان جالسًـا للتدريس وهو في غاية السرور والابتهاج، مع اتسـاع الدائرة وكـثرة النفقة على الأهل والفقر...


المحراب والمنبر حديثا

ـ أنا كذلـك إذ أقبل رجل يحمل
ـعـمًـا على جمل، وقصد بيته وقال:
ـ نذر له من بعض البلدان، فعند
ـ سكن خاطري.

ومن ذلـك ما يـروى: أن بعض
ـدة جاء لزيارة الإمـام، فوقف
ـ ولم يستأذن، فقـال له بعض
ـام: أتريـدني أن أسـتأذن لـك
ـ سيدي؟ فقال: لا، إلا خاطري
ـوي إليه. فما استتم كلامه حتى
ـ الإمام من أعلى الدار على ذلك السيد: اطلع إلى هنا.

وقال عبد الله شراحيل: كنت في بعض السنين عند سيدي، ومن عادتي أ لا أسافر إلا بإذنه فكثرت لدي ـوطر من جهة الأهل والوطن، ولم أتكلم بشيء فأشرف علي، نفع الله به. من أعلى الدار، وقال لي: سـافر ـك، فقد أشغلتنا بخواطرك.

وعن بعض مريدي الإمام (رضي الله عنه) قال: سـمرت في بعض الليالي ببيت سـيدي الذي ببلدة تريم، وسـيدي ـ متوطـن بمكانه الحاوي، وحـضر في ذلك المجلس أناس أهل مزح ودعابة، وكأنهم تكلموا بشيء من ـحش وسيدي لم يشعر بمجلسنا ذلك، ولم يطلع عليه إلا الله تعالى. فلما أصبحت دعاني سيدي، فجئت ـسعى، فلما وصلت إليه أمسـك بفخذي وجعـل يضربني بخف كان معه ضربات متعـددة، وهو يقول: ـرتم البارحة بمكان كذا، وقلتم في سـمركم كذا وكذا، وذكر جميع ما قلناه من أوله إلى آخره، وخجلت أنا ـيت، وعجبت من ذلك أشد العجب، حيث لم يطلع على ذلك إلا الله (تعالى).

عن بعـض المنورين من السـادة آل أبي علوي قال: تزوجت بامرأة من السـادة، ولـم تحمل لي إلى خمس ـ. فجاءت والدتها إلى سيدي، وكانت ابنة خاله، فقالت له: ادعو الله، أريد ابنتي تحمل بابن، فقال لها: إن ـلله تحمل، وتلد ابنًا، وأعطاها خيطين، وقرأ ونفث فيهما، وقال: أعصبي واحدًا على يد الزوج، والآخر ـن ابنتك، فحملت المرأة من تلك الليلة، وولدت له ابنًا، وهو ذا يعيش، وسنه الآن فوق الثلاثين سنة.

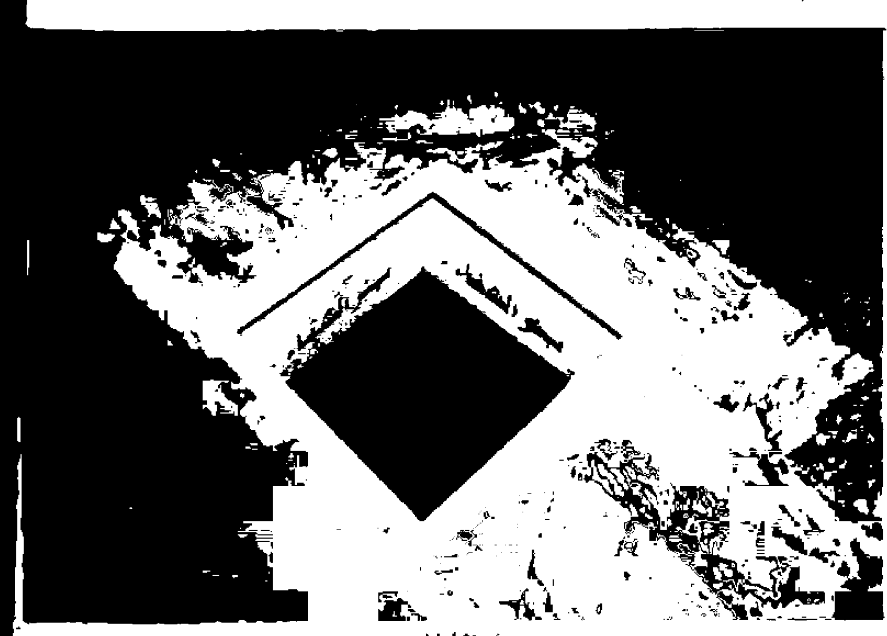
عنه أيضًا قال: سافرت سنة من السنين ومعي بنت، فمرضت، فخرجت أمها إلى مكان سيدي الحاوي، وشكت ـن مرضها، فقال لها: لا تجزعي، فإنك ستلدين بعد بابنة أخرى، تكون أبرك عليك منها، فعرفت عند ذلك ـتموت. ثم إنها توفيت، وجئت من سفري وحملت الزوجة وجاءت بابنة أخرى كما وعدها (رضي الله عنه).


مكان المسجد القديم والبئر

وعن عبد الرحمن بن عبد العظيم قال: ومن كراماته (رضي الله عنه) أن صليت معه التراويح سنة من السنين، وذلك ليلة الاثنين من شهر رمضان المعظم، وكان من عادته آخر وقته أن يصليها من أول الليل، فلما انقضت الصلاة، صافحته وقلت له: وهل أحد رأى الشهر؟ ولم يكن أحد رأى الشهر بتريم، فتبسم في وجهي وقال: نعم، الآن يأتيك خبره، إني سمعت التكبير في البلدان لما صليت التراويح، ولكنا تقيدنا بالشريعة، فما استتم كلامه إلا وقد ضربت البنادق بتريم من أجل الهلال، فحرت [...] ذلك، فقال: إن شئت أن ترى الأشياء ففارق الشهوة لله، وأقبل عليه بقلبك، واعبده في السر والعلانية.

وقد نقل عبد الله شراحيل: كنا ليلة عند سيدي بمكانه الحاوي، فقال لنا: إني أسمع صرير الماء من [...] ثِبي، أتسمعون شيئًا؟ قلنا: لا. فما لبثنا أن جاء المبشر بالسيل. وسماعنا ذلك كالمستحيل عادة لبعد [...] بين السامع والمسموع، وكذلك سماع التكبير في البلدان التي هي مظنة رؤية الشهر بها، وإنما ذلك من [...] الأمور الخارقة.

وعن بعض المنتسبين إلى الإمام قال: جئت مرة إلى عند سيدي، فحدث ليلة من الليالي أن تخلفت عن الضيفان في العشاء، وكان عادتي أن أتعشى معهم كل ليلة إذا أنا عنده، فلما جئت وأردت العشاء، وسيدي [...] أني معهم، إذا بسيدي خرج من بيته يريد بيت زوجته العيدروسية بالبلد، وكان من عادتي أسير معه إذا طلع البلد، فآثرت مسايرته تلك الليلة، وإن فاتني العشاء. فلما وصل إلى بيت الشريفة، نادى أهل البيت: أن أخرجوا لفلان عشاءً، فإنه ما قد تعشى. فتعجبت لأنه لم يسألني، ولم يدر أني تخلفت عن الضيفان، وإنما ذلك من باب الكشف.


بئر الشفاء



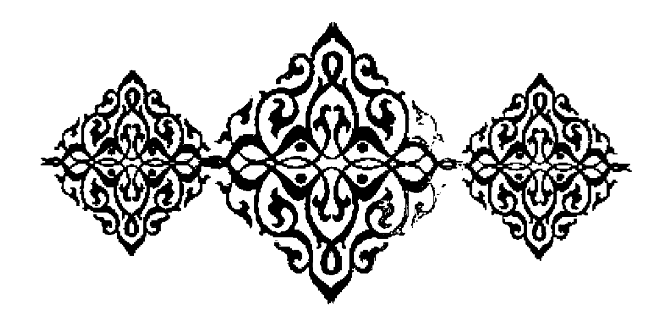
بئر الشفاء

وعن باشراحيل قال: بلغني أن ـر بن يماني الكثيري قال: كنت جالسًا يومًا عند سيدي في بيته وعنده رجل من أبناء الدنيا، وهو يحدثه ويؤنسه، ويصغى إلى قوله، فقلت في نفسي: كيف يؤنس مثل هذا، ويصغى إلى كلامه، وهو من أبناء الدنيا؟ ثم إني تألمت من هذا خاطر القبيح في جانب سيدي، صحت لذلك صيحة عظيمة، مر سيدي بإخراجي من مجلسه، فخرجت إلى الدهليز، فخرج ذلك الرجل هو وسيدي. فلما انصرف الرجل، دعاني سيدي فأتيت، فوضع يده بين كتفي وقال: أنت تقول في سرك: إني أصغي إلى كلام أبناء الدنيا، أما علمت أن بعض الناس من لا يحسن معه إلا ذلك؟ فكاشفني بما وقع لي فأردت أن أصيح ثانيًا، فزجرني عند ـك (رضي الله عنه).

وعنه قال: أخبرني عوض بن محمد شراحيل، وكان يخدم سيدنا الإمام عبد الله - نفع الله به. قال: انقطعت عني مكاتبات سيدي، فاستوحشت لذلك، وظننت أنه يجد علي في خاطره فما هو إلا أن وصلني منه كتاب، ـل لي: لا تظن أن انقطاع كتبنا عنك لوقوع شيء عندنا من جهتك، ونحن داعون لك.

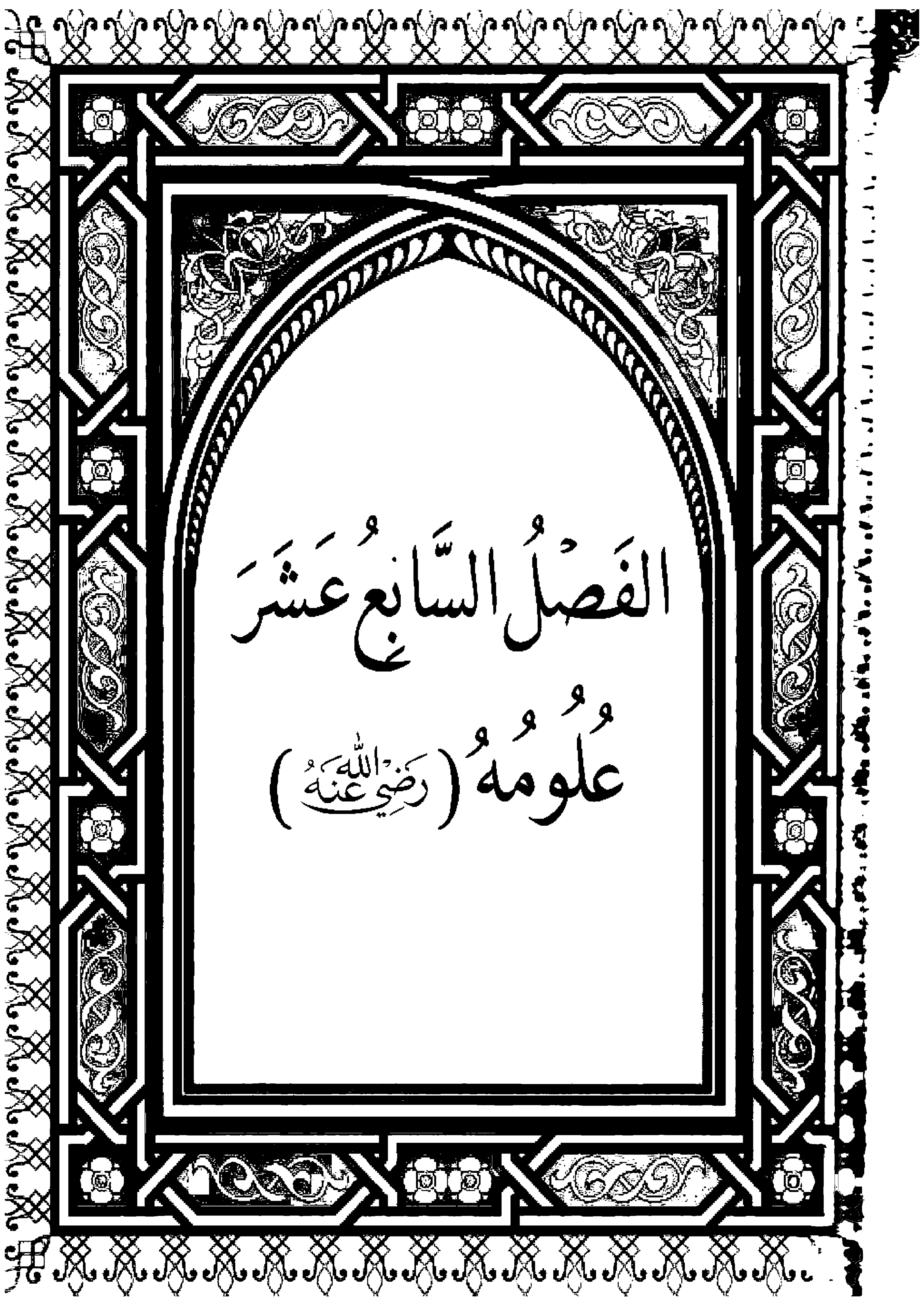
تجديد المسجد: وفي سنة ١١٩٩هـ جدد السيد الإمام أحمد بن الحسن بن عبد الله الحداد المسجد، ووسعه، جعل له منارة، وزاد فيه بركة.

وأعيد بناء المسجد وتوسعته حديثًا على يد السيد عيسى بن علوي الحداد، سليل الإمام، وكذلك تجديد ـيت، وكانت بداية العمل في ذلك سنة ١٤١٢هـ. وانتهى البناء وتم الافتتاح بحفل كبير سنة ١٤١٧هـ





حداد القلوب



الفَصْلُ السَّابِعُ عَشَرَ

عُلُومُهُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)


حداد القلوب

إن من العلوم ما هو كسبي، يحتاج إلى بذل الوقت والمجهود، والجثي على الركب بين يدي العلماء، ومنها ما هو وهبي يؤتيه الله من يحب من عباده المقربين.

وقد أوتي الإمام حظًا وفيرًا من كل منهما.

وقد قال الإمام الكبير، والعالم الجليل، الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور: ونحن إذا قال الحبيب عبد الله الحداد، ما عاد نلتفت إلى قول غيره، لأنه قال: إذا أشكل علينا شيء، أخذناه عن النبي (ﷺ) يقظة. وأكد ذلك الحبيب أحمد بن حسن العطاس، فقال إن الإمام الحداد أخبر أنه إذا أشكل عليه الحديث أخذه عن النبي (ﷺ) يقظة.

العلوم الكسبية:

قرأ الإمام في الفقه وسائر العلوم على الفقهاء المحققين والعلماء العاملين، مثل السيد سهل بن أحمد بن حسن، والسيد عبد الرحمن بن عبد الله باهارون، والفقيه محمد باجبير، والفقيه عبد الله الخطيب، وغير هؤلاء.

وقال عنه بعض السادة: إنه لم يزل مدمنًا على استماع الكتب النافعة، قل أن يفتر أو يمل عن ذلك، بل لم تزل رغبته تتجدد في ذلك، قرأ أولاً في الفقه كتبًا كثيرة وحققها تحقيقًا بينًا، وقرأ أيضًا في علم العربية وجميع الآلات.

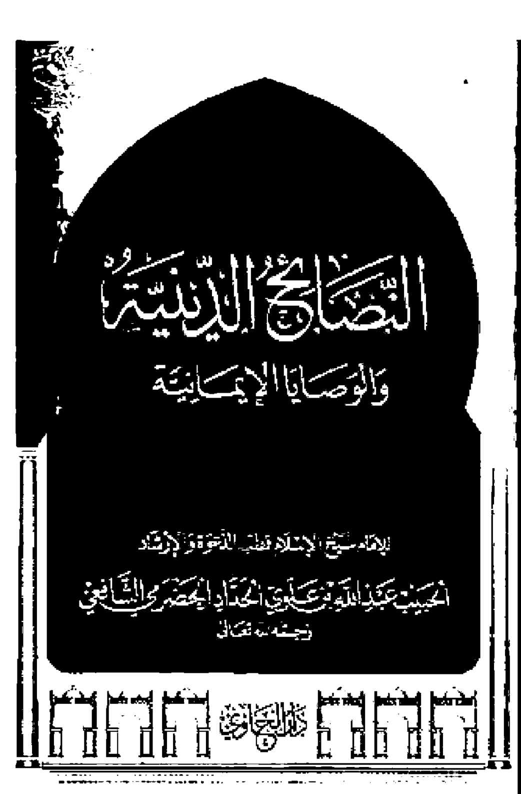
وقال الإمام (رضي الله عنه): ما نحسب أن كتابًا يوجد في حضرموت وغيرها إلا وقد طالعناه أو وقفنا عليه، أو سمعنا منه، أو سمعنا به.

وقال السيد أحمد بن زين الحبشي (رضي الله عنه): ما رأيت ولا سمعت بكتاب يوجد في أي من العلوم وعرضته أو ذكرته إلا وجدت سيدي قد رآه أو سمع به؟ لشدة تفتيشه عن الكتب وتطلعه إليها.

وكان (رضي الله عنه) يقول: قرأنا في فروع الفقه جملة صالحة، وأما علم التفسير والحديث فأمعنّا فيه النظر جدًّا، وأما علوم القوم فالعمر كله فيها، أما علم الاسم فأعطيناه موهبة من الله (ﷻ).

وقال (رضي الله عنه): مضى العمر كله في سماع كتب العلم، وما زال يحننا إليها حتى كأنا لم نسمعها.

قال الشيخ عبد الكريم الشجار في «تثبيت الفؤاد»: وذكر علم الحديث وأكثر، ثم قال: ما جمعنا كتب الحديث إلا



كتاب النصائح الدينية والوصايا الإيمانية، نشرته دار الحاوي، وأعادت طباعته وسائر المجموعة عدة مرات

لأجل المهدي[1]، فإنه لا يأخذ بفتاوى الفقهاء، إنما يأخذ بالكتاب والسنة ويدع ما عداهما، مع الاختلاف الحاصل بينهم؟ ولولا ما جرى عليه سلفًا من الأخذ بمذهب الشافعي كان أحببنا أن بمذهب مالك؛ لأن فيه مسائل إذا تأملتها رأيت أنها هي السنة؟ لأنه عالم المدينة، عمدته ما أجمع عليه المدينة. ولكن الشافعي مالكي؛ لأنه تلميذه أخذ عنه، ولكن لما تأخر عن مالك وقد أتقن مذهب وعثر على علوم وأحاديث أخرى لم يقف عليها، فخالفه في بعض المسائل، ثم جاء بعده الإمام أحمد حنبل، وتتبع مذهب الشافعي وحرره، فكانت المذاهب الثلاثة لذلك مذهبًا واحدًا.

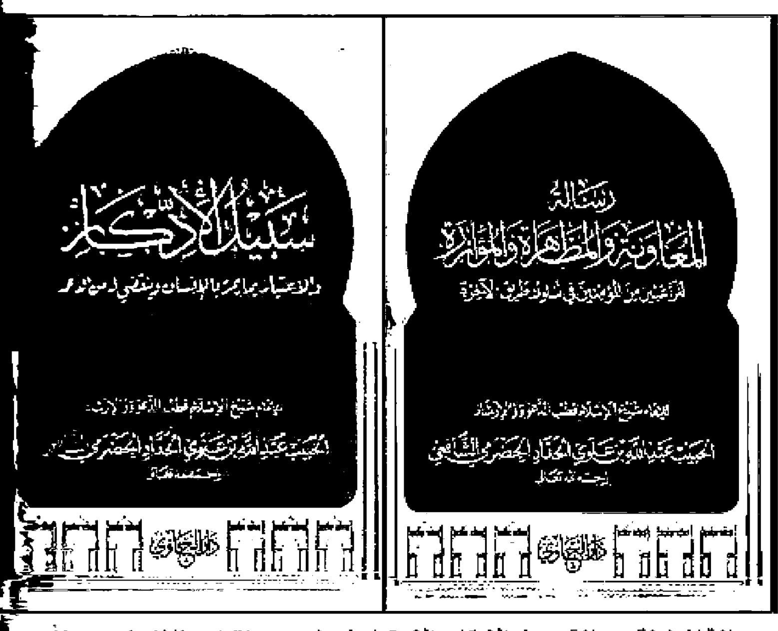
ولما قرئ عليه في كتاب أن اجتماع أهل المدينة على أمر يجعله سنة، قال: أما قلنا لكم: لولا أن كانوا على مذهب الإمام الشافعي لأخذنا بمذهب مالك، وذلك لأنه من أهل المدينة وأخذ بما اجتمع أهل المدينة. ولكنا نظرنا في ذلك فما رأينا بينهما كثير خلاف، ومذهب الشافعي مذهب مالك.

ولما ذكر شأن الصلاة قال: من رأى صلاة الإمام مالك بن أنس علم أنها السنة؛ لأن مسكنه المدينة من اقتدى بصلاة رسول الله (ﷺ) فهو على الاقتداء به. ويليه الإمام الشافعي؛ لأنه من مكة، فهو على الاقتداء، ولو كان الإمام مالك أقدم في السن. والحجاز محل الدين ومنه خرج وهو الأصل فيها، والإمام أخذ بالاحتياط، والإمام أبو حنيفة أخذ بالعلم.

وكان الإمام كثيرًا ما تُعرَض عليه مسائل، فيقول فيها بقول الشافعية، ويشير إلى أن له فيها قولاً آخر اجتهادًا، ولكنه لا يظهره، ويقول: وعندنا فيها رأي آخر، ولكن التمسك بمذهب الشافعي كاف.

ولم يترك الإمام علمًا إلا أخذ منه بالنصيب الوافي، حتى علم الطب له به دراية، وتُروَ عنه وصايا ومعالجات.

وقد قال الإمام يومًا تحدُّثًا بالنعمة: لله تعالى علينا مِنّتَان لا يمكننا أن نقوم بشكرهما:



رسالة المعاونة ورسالة سبيل الإدكار والاعتبار فيما يمر وينقضي للإنسان من الأعم

إحداهما: منحنا الله سبحانه علمًا واسعًا، لا نحتاج معه إلى علم كل من على وجه الأرض.

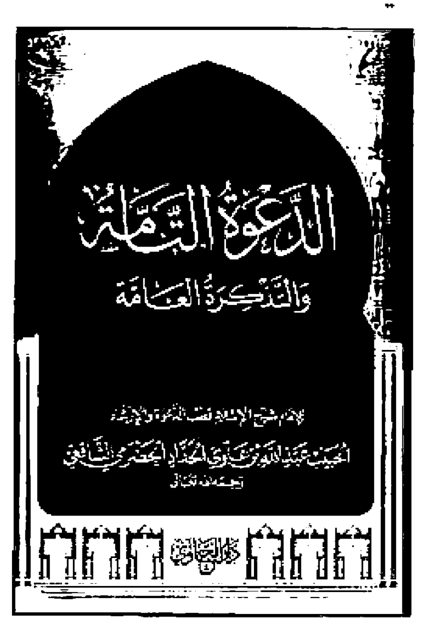
والثانية: أعطانا الله عقلاً كاملاً، لا نحتاج معه إلى عقل أحد.

---

(١) أي: لأجل أن يكون لدينا اطلاع واسع، يؤهلنا لنكون عونًا للمهدي إذا خرج ونحن على قيد الحياة.

ولم يكن الإمام ليصدر عنه مثل هذا الكلام، مع شدة تواضعه، إلا لأنه لم يكن يرى في أيٍّ من ذلك فضلاً لنفسه، ولكنه يرى مشيئة الله وفعله، فالله هو المعطي الوهاب، ولا معطي غيرُه، وفضله واسع، ومواهبه ليس لها حد.

وقال الإمام: إنه لم يبق في حضرموت كتاب إلا واطلع عليه، أو سمع بما فيه.



الدعوة التامة والتذكرة العامة

وكان الكتاب الواحد ربما يُقْرَأ في مجلسه عدة مرات، فلا يَمَلُّ منه.

وكانت له أسانيد وإجازات كثيرة، وكان يذكر سنده في الفقه إلى الشيخ بن حجر الهيتمي[1] أحد أئمة الشافعية المتأخرين، فيقول: حصل لنا من فقيه باجبير الإسناد في الفقه إلى ابن حجر على اثنين: أبيه، وأبي بكر بافقيه؛ فأخذ عن أبيه عن بافقيه، وهو أخذ الفقه عن ابن حجر.

وقد قال مخبرًا عن نفسه: نحن تطرفنا في كل علم، حتى إذا وقعت المذاكرة لا يبقى الإنسان جاهلاً بشيء منها، وما العلم الصحيح بعد معرفة كلام الله ورسوله، إلا علم التصوف، وأخذنا كثيرًا من علم الأدب، وأكثر الناس من تصانيف الفقه، والحديث أحسن.

وكان السيد الإمام أحمد بن عمر الهندوان (رضي الله عنه) يقول: إن السيد عبد الله الحداد مجتهد لا مقلد. وكان الحبيب عبد الله بن عمر خرد يقول: إن شئت أن تظفر بالعلم فعليك بمجالسه الشيخ عبد الله، فهو الحاوي لجميع العلوم.

وروي عن أحد كبار علماء الشام والمرجوع إليه في الفتيا في بلده أنه قال: ما على وجه الأرض اليوم أعلم من السيد عبد الله بن علوي الحداد.

وقال الإمام (رضي الله عنه): إن الله – وله الحمد – قد أحيا بنا علومًا قد أميتت.

وقال الإمام أحمد بن زين الحبشي: إن الإمام الحداد قد بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهو المجدد في هذه العلوم لأهل هذا الزمان.

والكلام في الاجتهاد ومراتب المجتهدين وأنواعهم يطول، والإمام الحداد لم ينسب إلى نفسه رتبة الاجتهاد ولكن نسبه إليها غيره، وقد وقعتُ على كلامٍ لإمام الحرمين الجويني في صفات الإمام المجتهد، فأحببت إيراده كمقياس يقاس عليه ما قيل عن الإمام الحداد.

---

[1] أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الهيتمي نسبة إلى قرية بالغربية بمصر، المكي لمجاورته بها حتى وفاته، الأنصاري الشافعي، المحدث، الفقيه، الصوفي. ولد سنة ٨٩٩هـ وحفظ القرآن، وقرأ من العلم بمسجد السيد أحمد البدوي بطنطا، ثم أكمل تعليمه بالأزهر الشريف. وأذن له شيوخه في التدريس والإفتاء وعمره دون العشرين. انتقل إلى مكة سنة ٩٤٠هـ. وجاور بها وصار إمامًا للحرمين، وكعبة للعلماء العاملين، إلى أن توفاه الله سنة ٩٧٤هـ ودفن بمقبرة المعلاة.

قال الإمام الجويني في صفات المجتهد:

١ـ أن يكون عالمًا بطرق الأدلة، ووجوهها التي منها تدل، والفرق بين عَقْلِيِّها وسَمْعِيِّها.

٢ـ وأن يكون عالمًا بقضايا الخطاب، ما يحتمل منه وما لا يحتمل، ووجوه الاحتمال، والخصوص، والعم والمجمل، والمفسّر، والصريح، والفحوي.

٣ـ وأن يكون عالمًا بأصول الفقه.

٤ـ وأن يكون عالمًا بالآيات المتعلقة بالأحكام من كتاب الله تعالى، ولا يُشترط حفظ ما عداها من الآي

٥ـ وأن يحيط من سنن الرسول (ﷺ) بما يتعلق بالأحكام، حتى لا يشذّ منها إلا الأقل، ولا نكـ الإحاطة بجميعها؛ فإن ذلك مما لا ينضبط.

٦ـ وأن يكون ذا دراية في اللغة العربية.

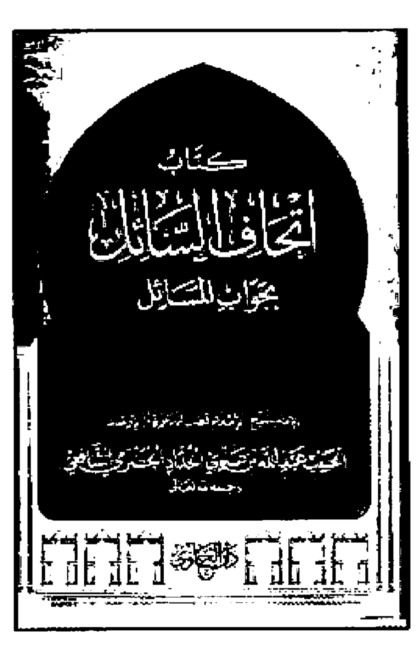
٧ـ وأن يكون عالمًا بمطاعن الأخبار المتعلقة بالأحكام، ولا يُشترط أن يجمع علم الحديث، بل يجو يحيط علمًا بما قاله أئمة الحديث في الأخبار المتعلقة بالأحكام.

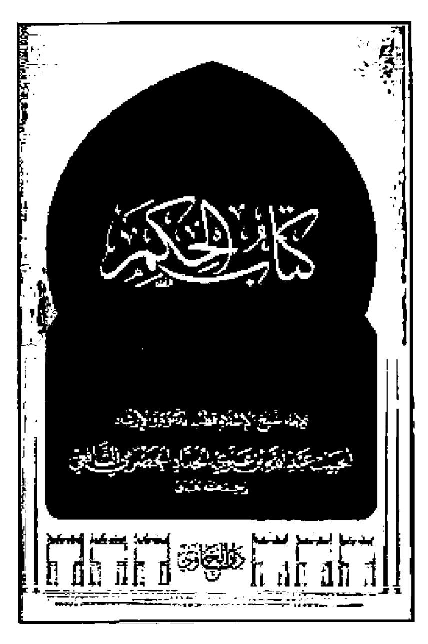
٨ـ وأن يحيط علمًا بمعظم مذاهب السلف؛ فإنه لو لم يحط بها، لم يأمن من خرق الإجماع في الفتو

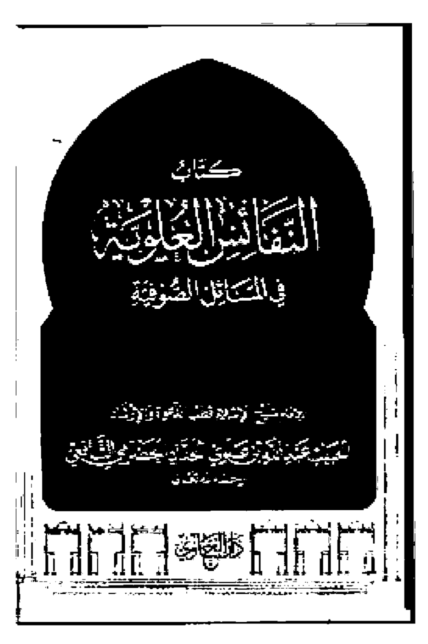
٩ـ وأن يكون ورِعًا في دينه.[1]

فإذا نظرنا للإمام الحداد، وجدناه كان كذلك، بل وأكثر من ذلك بلا أدنى شك.

وإن كانت هذه الأوصاف قد وجدت بكثرة في المتقدمين، فهي في المتأخرين أعزّ من الكبريت الأحم ومن هنا كانت الأهمية الخاصة لهذا الإمام العظيم، ومن هنا كان بحقٍّ شيخًا للإسلام، وقطبًا للدعوة والإرشـ







إتحاف السائل بجواب المسائل والحكم والنفائس العلوية

(١) كتاب الاجتهاد من كتاب «التلخيص» لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني. دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ، ص ١٢٤ ـ ١٢٧

وقال (رضي الله عنه): هممت في بدايتي على قراءة منهاج الطالبين للنووي على بعض الأشياخ صباحًا، فنمت تلك ليلـة، فرأيـت كأن والإمام النووي في درج زاوية مسـجد الهجيرة بتريم، أنا في أعلى الدرج وهو في أسـفله، كأنه يقول لي: لا تقرأ في المنهاج، أو قال: في الفقه.

هكذا كانت نصيحة هذا الإمام الكبير، المجمع على جلالته وعلو شـأنه، الذي يقول فيه الإمام: ما جاءنا في الشافعية بعد النووي مثله، ويقول: ما صنف في الفقه مثل المنهاج.

ولعـل الإشـارة في نهيـه عن قراءته، أنـه موضوع في فروع مذهب الإمام الشـافعي، ومعلـوم أن من قرأه حققه لا يزايله التقليد في المذهب، والإمام قد ارتفع عن التقليد في العلوم، فأخذها من معدنها الذي منه نبعت وإليه رجعت.

أما علم الحرف والجفر وأمثال ذلك، فإن الإمام وأكابر السـادة يتجنبونه ولا يهتمون به. وقد ذكر السـيد علوي بن أحمد بن الحسـن بن عبد الله الحـداد، في كتابه «المواهب والمنن»، كيف أن الشـيخ محمد المغربي، وهو من كبار علماء المغرب[1]، لما جاء إلى تريم تلميذًا للإمام، وأنزله الإمام بالحاوي، ورأى ما يتحمله الإمام من أثقال كبيرة لإكرام الضيف، وإغاثة المحتاج، والمسارعة في الخيرات، أراد إبلاغ الإمام أنه لديه من علم الحرف ما يمكنه به مساعدته، فقـال لهم ليصل الـكلام إلى الإمام: «إني مرادي أفعـل لكم وفقين: وفق يحبون ما أردتم يحصل لكم، ووفق يطرح في الوعاء الذي فيه الطعام، ويفتح من أسفل الوعاء، فيبقى يخرج منه منه الطعام، بلا نهاية ولا حد». فلما أعلموا الإمام بذلك قال لهم: «يترك لعبه! قد معنا وفق السماء».

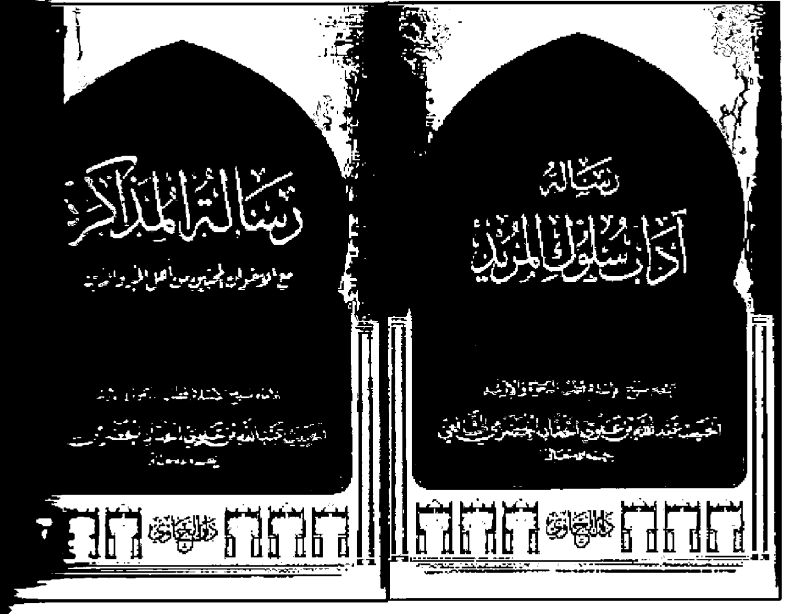
قال الشـجار: أنا وسـيدنا علوي والحسـن تعلمنا عند محمد المغربي علم الحرف. وقال السيد الحسن: إنا كنا تعلمنـا عنده، فهمت منه جميع ما يقول، فلما رآني علمت ما عنـده كثيرًا غلبت عليه الغيرة؛ لأنها من طبع المغاربـة، وقـال لي: «ارجع، لا عاد تتعلم مني، تريـد تنزفني؟» وبعض المرات يقـول بصوت عال: «تريد تخرج علمي؟ اخرج!» وكان ذلك و نحن صغار، بعد بلوغنا الست عشرة سنة. وإذا حضرت، لم يتكلم في هذا العلم، وإذا خرجت تكلم. فكنت أعلم الأخ علوي وأحمد الشـجار الإحسـائي، وقلت لهما: «اسـألاه عن كذا وكذا»، وأنا خارج الباب، بحيث لا يشـعر بي وأسـمع كلامه. فيسألانه، فأفهم ما يقول، حتى عرفنا جميع ما عنده. ثم نهانا الوالد عن الكلام في هذا العلم، فلهذا لم نتكلم فيه، ولم نعلم أحدًا به.

قال السـيد علوي بن أحمد: ورأيت بخط سـيدي الحبيب الحسن شيئا من ذلك من أيام طلبه على المغربي، وفق وأشياء عجيبة، في أوراق مجموعة بخطه (رضي الله عنه):

قال: وأخبرني الشـيخ الفاضل صالح بن محمد با نافع، تلميذ سـيدنا الإمام حسـن، وتلميذ والده الحبيب

---

[1] المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن (مخطوط) للحبيب علوي بن أحمد بن الحسن بن الإمام عبد الله الحداد. الجزء الأول ص ٥٠ - ٥١. قال الحبيب علوي: المغربي هذا غير محمد المغربي الذي ولده إبراهيم، الذي سكن الحاوي وبنى فيه.



رسالة آداب سلوك المريد ورسالة المذاكرة

عبد الله الحداد، لما جئنا بلده الصعيد سنة ١١٨٢، قال: إن سيدي الحبيب الحسن، نفع الله به، تجرّب أوفاق المغربي، فوجدها صحيحة، وإنه أمرني أن أطرح وفقًا على شيء، وأعطاني ست خماسي من دراهم حضرموت، معروفة، وقال: اطرح الست خماسي في وسط الوفق، في المكان الخالي. ففعلت ذلك، وإذا أصبحت، قال لي: هات الست خماسي، فأجيبها، وهكذا خمسة أو ستة أيام يفعل ذلك، وألحق الست خماسي، من غير أن أعلم من أين جاءت إلى الوفق. فقال بعد الخمسة أيام، وهو في المرس: هات الوفق وما على [...] فأتيت بذلك، فأخذ الذي فوق الوفق ورمى به من الخلفة التي عند الخزانة حق الكتب، ومحى الوفق. [...] «جربنا كلامه، ولا لنا حاجة بهذه الأشياء، وإنما طريقة آل أبي علوي العلم، والعمل، والزهد، والورع».

العلم الوهبي:

ذكر حديث: «**من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم**»،[1] يوما عند الإمام (رضي الله عنه) فقال: هو اللدني.

وقد أوتي الإمام من العلم اللدني البحار التي لا ساحل لها، منه ما يتعلق بأسرار العلوم الظاهرة، ومنه ما يتعلق بالعوالم الغيبيه، ومنه ما يتعلق بالحضرة الإلهية.

أما عن أسرار العلوم الشرعية، فقد روي عن الحبيب أحمد بن زين الحبشي: أنه سأل الإمام عن [...] الكسب الواقعة في علم الأصول، أي: كيف يكون العمل مخلوقًا لله، ولكنه يعتبر كسبًا للعبد يثاب [...] يعاقب عليه؟ فأجابه (رضي الله عنه): يا أحمد، إن الله أطلعني على مساقي الحق، فرأيت أصول أهل الأصول، [...] المسألة متصلة بالذوق، لا تنكشف حقيقة إلا في الدار الآخرة.

وقيل إنه لما قرئ عليه قوله (ﷺ): «**لا تخذوا قبري عيدًا**»،[2] ظل يتكلم عليه بأنواع العلوم من بعد صلاة العصر إلى قرب الغروب، ثم قال: إن عندنا علومًا لو أبديناها لأنكرتنا ثيابنا، فضلاً عن الناس.

وللأسف، فإن ما قيل في هذا اليوم ومثله لم يتم تدوينه.

---

(١) تفسير القرطبي، ٣/٣٦٤.

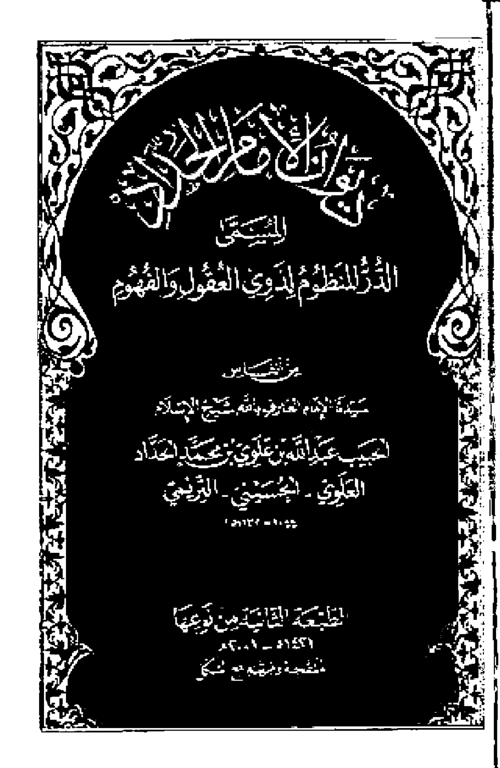
(٢) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، (٢٠٤٢).

وقال قدس الله سره: لو قبل أهل هذا الزمان العلم بإنصاف لصنفت كتبًا كثيرة على معنى آية من كتاب الله، إنها ترد على قلبي علوم لا أجد من يعيها.

وقال: عندنـا في هذه الآية ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (1) سـبعون علمًا، وعندنا في كل حرف من الفاتحة كذا وكذا علمًا.

وكان (رضي الله عنه) يقول: إن علمنا علم الجنيد سيد الطائفة، الذي إذا أراد الكلام فيه مع خواصه يضع المفاتيح تحت وركه، وهذا العلم الذي تصدينا للتدريس فيه وظيفة علماء الظاهر، حيث أعرضوا عن التدريس فيه، خشينا اندراسه.

ومن كلامه: إنا نسـمح عند المذاكرة والمشـافهة بالشيء من هذا العلم، وإن كان دقيقًا، ويحتاج إلى طول كلام، ما لا نسمح بمثله في المصنفات والمراسلات؛ لأن المذاكرة يعقلها ويعيها إلا من هو من أهلها.



ديوان شعر الإمام المسمى الدر النظوم لذوي العقول والفهوم

وسـمع (رضي الله عنه) يقول لبعض السـادة العارفين: رأيت في المنام أني جالـس بين سـيدي الشـيخ عبـد الرحمن السـقاف وابنه الشـيخ عمر المحضار، فتذاكرنا في شأن الولاية، فخطر لي تمني حال لشـيخ عمر المحضار، فقال الشـيخ عبد الرحمن: يا سـيد عبد الله، حال عمر لا يحتمله الزمن، لما غلب عليه من وصف الجلالـة، وقـد وهبك الله من العلوم والرحمـة ما هو خير لك ثم أمرني السـقاف أن أتكلـم، فتكلمـت بالعلـوم اللدنيـة، فبكى من كان حاضرًا من أصحابي، فقلت: يا هذا إني لم أتكلم من أجلك، ولا من أجل هـؤلاء الحاضرين، وإنما أنـا مأمور، ليَبْلُغَ بالمشرق والمغرب، ويسـمعه الروحانيون ومؤمنو الجن. ثم الأمر هكذا فتحققوا ما قلت، (يعني: في اليقظة).

وكان (رضي الله عنه) إذا تكلـم في شيء مـن الحقائق الدينية والمعارف الربانيـة ولم يحضره من يفهمه، يقول: إن لنا من أهل الغيب، يتلقونه منا.

وكان يقول: ليس مجلسنا خاصًا بكم، إنه لكم ولغيركم من خلق الله من الإنس والجن ورجال الغيب، يحضر منهم من شاء.

---

(1) سورة البقرة ٢٠١.

وكثيرًا ما اشتكى (رضي الله عنه) من إعراض أهل زمانه عنه وعن علومه، ومن عدم وجود المتأهل
العلوم العلوية.

فمن ذلك قوله: إن عندنا علومًا ما لقينا لها متلقيًا، إنما مثلنا كمثل رجل تاجر وسيع التجارة
بعض البنادر، فجاء الناس إليه للشراء منه، فأخرج لهم دنيء القماش أولاً، فلم يعطوا فيه قيمة
رأى منهم ذلك أمسك على بقية ما معه من الفاخر حيث لم يعطوا في الدنيء قيمة.

وقال أيضًا: الأمر يرجع إلى قدر وهو الأصل، وأسباب مكونة عنه، وحمد وذم، وثواب وعقاب مر
على الأسباب، ومن عرف هذه الأصول وذاقها سقطت عنه الإشكالات والاختلافات الواقعة بين
وأصبح على بحر تيار، إما على ظاهر اللجة، أو على السفينة، أو على الساحل. فقل لأقوام يتشدق
المنطق، ثم يعرّضون بالاعتراض علينا، يخبرونا بمراد هذه الأشياء، وما يؤول إليه ويترتب عليه، و
على شيء، وقد عفونا عنهم لله ولرسوله، وقد علم كل أناس مشربهم، ومن لم يعرف الله ويعرف
كما ينبغي فلا يمكنه أن يعرفنا أصلاً.

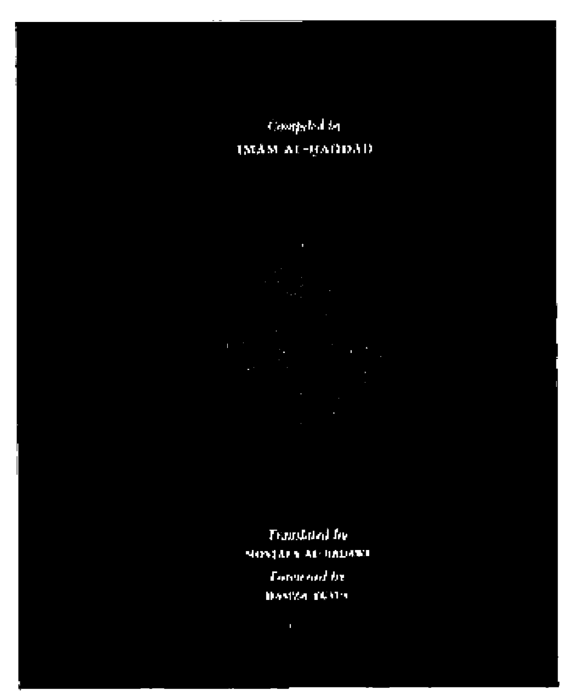
وكانت علومه وحكمته تظهر في كلامه وكتبه (رضي الله عنه) فكان يحب أن يوضح الأمور، ويضع كل شي
موضعه من الأهمية، ومن التقديم والتأخير، فكان يقول: كل علم له أصول، إذا ضبطها تكاد تنضبط
الفروع، ومن أراد أن يتبحر في فن، فليأخذ بأصوله لتتبعها الفروع.

وتكلم عن الميزان الدقيق بين العلم والعمل، فقال: إن الله تعالى يبغض العلم الذي يمنع من العم
ويبغض العمل الذي يمنع من العلم المهم. والعمل بلا علم سقيم، والعلم بلا عمل عقيم، وفرق بينه
وإن كان كل منهما آفة.

وتحدث عن المعاصي فأوضح أصولها بطريقة مختصرة يسهل تذكرها، فقال: أصول المعاصي ثلاثة:

- الكبر، وهو أصل معصية إبليس، حيث تكبّر على آدم، فقال: أنا خير منه.
- والحرص، وهو أصل معصية آدم، حيث حرص على الأكل من الشجرة.
- والحسد، وهو أصل معصية قابيل، حيث حسد أخاه فقتله.

وأوضح قيمة هذه الحياة الدنيا بنفس الطريقة الواضحة التي يسهل تذكرها، فقال: إياك أن تضع الـ
التي هي عدوة الله في قلبك، بل ضعها في رجلك كالحذاء، فإذا فقدت تكون حذاء بدل حذاء، وأهـ
الزمان تعلقوا بالدنيا جدًّا، فتفاخروا بها، وتحاسدوا عليها، فصارت لهم محبوبًا، ومن كانت هذه حالته
يوشك أن تكون هي معبوده من دون الله، وقد كان السابقون عرفوا الدنيا بالله، وهؤلاء عرفوه بالدني



الورد اللطيف والراتب مترجمة إلى اللغة الإنكليزية ومشروحة

ولما أخبر أن صبيًا يريد أن يحج، قال له، موضحًا كيف يوضع الأهم قبل المهم فتستقيم الأمور: لا تحج في هذا العام، وصحّح الأركان دينك التي هي عليك ألزم من الحج، فصحّح صلاتك، وزكاتك، وصومك، فإذا صححت هذه كما ينبغي فأتمها بالحج؛ لأن الحج إنما هو تكميل الأركان. قال الله تعالى للنبي (ﷺ) وأصحابه، بعد ما تمت حجتهم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فمن لا يصحح الأركان الأول، ولم يأت بها على الوجه الأكمل، ما يصنع بإتمامها قبل إحكامها؟

وكان لا يحب الخوض فيما لا فائدة منه، كمسألة القضاء والقدر، وأمثال ذلك، فكان يقول: قال سيدنا علي: القدر بحر واسع فلا تلجه. وقد سأل رجل بعضهم عن القدر، فقال للسائل: هل خلقك لما أراد أو لما أردت؟ قال: لما أراد. قال: فيستعملك إذًا فيما أراد، لا فيما أردت. ولا يحصل للداخل فيه إلا الاحتجاج للنفس على الرب.

وكان يظهر من كلامه عمق معرفته بالحكمة الإلهية في ترتيب الأشياء، فكان يتكلم عن نزول الأمطار وأسبابها ومعوقاتها، وحدوث السيول، وغير ذلك من تدبير الخالق لأكوانه. وقد تحدث الناس عنده ذات سنة عن قلة حصول الغيث لهم، مع كثرة دعائهم بذلك، فقال: إنما منعوا الإجابة لكثرة ذنوبهم، والأمر لا يتم إلا بالأمور الخلقية، وهي الأعمال الصالحة، والأمور الحقية، وهي القدرة الإلهية، جميعًا، وإذا حصلت التي من الخلق، حصلت التي من الحق، وأمور الخلق أجسام، وأمور الحق أرواح، فهل تستقيم أجساد بلا روح؟ ولما كان ذلك كذلك احتاج الخلق إلى الأكل والشرب، ولم تحتج إلى ذلك الملائكة.

وسئل منه (رضي الله عنه) الدعاء بالرحمة، وألح عليه في ذلك، فقال: ادعوا ربكم فإنه سبحانه يحب كثرة الرفعة (أي: الإلحاح على بابه)، ولعل المانع من ذلك ذنوب الناس، ولكن يرجى منه سبحانه أن يرحم المسيئين، لأجل البهائم والصغار، فإن كان أولئك ليس فيهم خير، فهؤلاء ليس فيهم شر، وأيضًا ليس كل المكلفين أهل معاصي، بل فيهم أهل الخير. وقد بلغنا أن البهائم كل يوم تشكو إلى ربها من بني آدم وتقول: منعت الرحمة بذنوبهم. فإذا أردتم الرحمة فأطيعوا ربكم، فإن الرب ما يرحم إلا أهل الطاعة، والطاعة ما تكون إلا فيما يخالف هوى النفس، وما ينفع القلب والدين من الأعمال إلا ما لم يكن للنفس فيه هوى، وخزائنه سبحانه كلها مملوءة، ولا بد من مطر في الدنيا كل ليلة من ليالي السنة، إلا إن كانوا مطيعين جعل الله الغيث حيث ينفعهم، وإن كانوا عاصين، قال تعالى: أخروه في الخزائن. وما بالناس إلا المداينات، ومظالمهم

بعضهم لبعض. وقد ورد أن البهائم إذا قحطت تدعو على بني آدم، وتقول: إن الله أخذنا بذنوبهم، فيه
ذنوب. ولم يمنعهم سبحانه إلا ليؤدبهم، فإن العبيد إذا لم يكونوا مستحقين، فالسيد الكريم يؤدبهم
لأنفسهم لا لنفسه، ليؤدبوا بذلك غيرهم، فإن الآدمي محتاج إلى الرزق، وإلا لجعلهم كالملائكة غير محتا
للأكل، وعدم الاحتياج إلى الشيء؛ إما لكون بنيته لا تقبله، كالملائكة، لا غذاء لهم في الطعام؛ و
الله تعالى لم يجعل فيه غذاء، وجعله في غيره، كالبر قوت للآدمي، والقصب قوت الدواب. وإنما قوت الملا
الذي يتلذذون به القرب، وهذا شأن الأرواح، كما أن الأكل شأن الأجسام، ولذة الأرواح في غير ما
الأشباح، ولا تلتذ الأرواح بما يلتذ به الجسم إلا من حيث المجاورة.

وكل ما يذكر من معاني القرب واللقاء، وكونه لا يشتاق إلى جنة، ولا يخاف من نار، ونحو ذلك مما قد
في كلام القوم، فكل ذلك من صفات الروح؛ لأنه لا يأكل، وإلا لاحتاج إلى أكل في القبور. أو كما ق

وقد يذكر في كلامه العلوم الباطنة، فيضع لها الحدود والقوانين. قال (رضي الله عنه): علوم المكاشفات غير محتا
لعلوم المعاملة؛ لأن معانيها صحيحة، إلا أنها تختلف باختلاف المجاهدات، ومن أمكنه مطالعة علم
به في دينه ومعاشه، وهي كتب الإمام الغزالي خير من التعرض للشتم. وقد طوى - أي: الغزالي -
المكاشفة، وقال: إنها لا تسطر في الكتب. وقد حوت كتبه ما في كتب غيره.

مؤلفاته

انتشرت مؤلفات الإمام الحداد في الأمة انتشارًا كبيرًا، وكان لها أثر بالغ في جذب القلوب إلى
وتهذيب النفوس، والإجابة عن التساؤلات التي كثيرًا ما تدور بأذهان طلبة العلم.

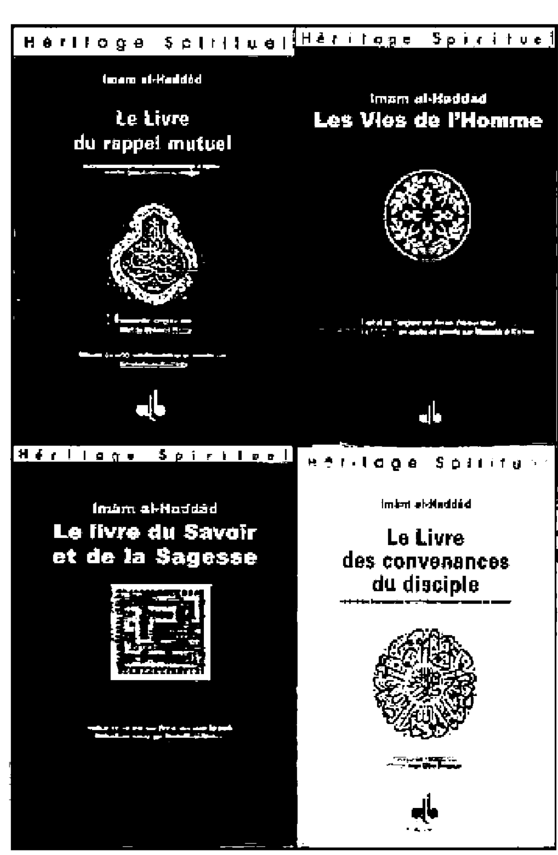
وقد أوتي الإمام وفرة العلم، والعقل والحكمة، وقوة الحفظ، فجاء قوله فصلاً، وبيانه شافيًا كافيًا.

وقد طبعت مؤلفاته مرارًا في مختلف بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وتُرجم بعضها إلى
الملايوية، والإنكليزية، والسواحلية، والتركية، والفرنسية، والهندية، والإسبانية.

وقد عُنِيَ بطبعها في القاهرة مفتي الديار المصرية السابق، وعضو جماعة كبار العلماء بها، الشيخ حس
محمد مخلوف العدوي، رحمه الله، وجزاه عن الإسلام خيرًا.

كان الشيخ حسنين عالمًا عاملاً، صالحًا، محبًا لله ورسوله وأهل البيت والعلماء، رأى اجتماع شَرَفَي
والنسب في السادة العلويين، وحُسن سيرتهم واستقامتهم على الطريقة المثلى، فسعى في خدمة مؤلف
واختصّ منها مؤلفات الإمام الحداد بزيادة عناية.

وكان (رحمه الله) يسهر الليلة تلو الليلة يراجع الكتب، ويطابقها بالأصول قبل طباعتها، فجاءت تلك الكت
التي أشرف على طباعتها في أحسن صورة، وأبهى حلة، وانتفع بها الجم الغفير من الناس، وأعيدت طب
عدة مرات، إلا أن هذه الطبعات نفذت بمجرد صدورها، فأصبحت عزيزة الوجود.



رسائل الإمام الحداد باللغة بالفرنسية ومنشورة بباريس بفرنسا بواسطة دار البراق

وقد أعيدت طباعتها في القاهرة، مجموعة في جزءين، تحت إشراف السيد علي بن عيسى الحداد (رحمه الله تعالى) وذلك عام ١٩٨٢م، وذلك إلى أن وفق الله القائمين على دار الحاوي منذ سنة ١٤١٢هـ بإصدار طبعات متتالية جميلة المظهر، محققة، فانتشرت في الحجاز والدول العربية.

ولقد بدأ الإمام الحداد في التأليف حوالي سنة ١٠٦٩ هجرية وذلك برسالة وجيزة سماها «رسالة المذاكرة مع الإخوان والمحبين من أهل الخير والدين»، وفيها تعريف لمعنى التقوى، وترغيب في سلوك طريق الآخرة، وتزهيد في الفانية. وهذه الرسالة مع صغر حجمها لها أثر عظيم في تنوير القلوب، وتحريك الهمم.

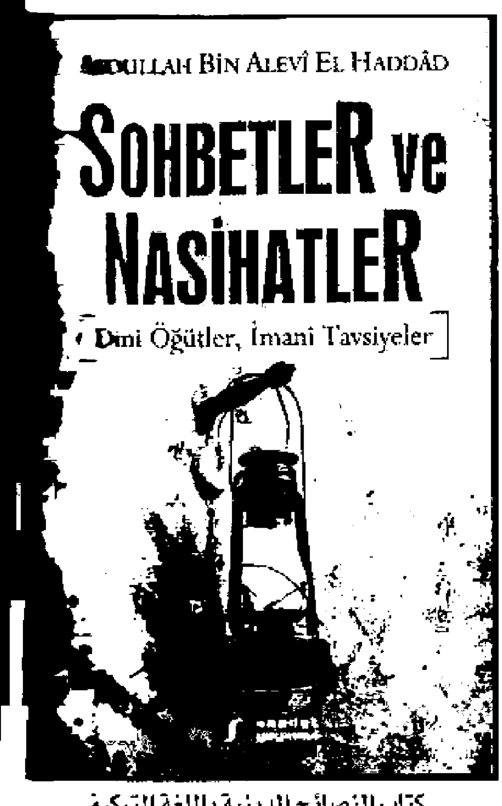
وفي رمضان من عام ١٠٧١ هجرية، أتم «رسالة آداب سلوك المريد»، وهي أيضًا وجيزة، وفيها كل ما ينبغي للمريد الالتزام به من الآداب والأعمال الظاهرة والباطنة.

والمريد هو الطالب لله والدار الآخرة، وقد قال عنه الإمام، في الفصل الأول من هذه الرسالة: اعلم أن أول الطريق باعث قوي، يُقذَف في القلب، يزعجه ويقلقه، ويحثه على الإقبال على الله والدار الآخرة، وعلى الإعراض عن الدنيا، وعما الخلق مشغولون به من عمارتها وجمعها والتمتع بشهواتها والاغترار بزخارفها، وهذا الباعث من جنود الله الباطنة، وهو من نفحات العناية.

والكثير من الناس، إذا ذكر لهم مثل هذا الكلام ظنوا أن معنى الإعراض عن الدنيا وطلب الآخرة هو إهمال ما على المرء أن يقوم به من عمل، ورعاية لأسرته، والقيام بواجباته الاجتماعية، وذلك فهم خاطئ؛ فمعنى الإعراض عن الدنيا ألا يتعلق بها قلبه، ولا تشغله عن ربه، وذلك مع الإحسان في العمل، وعدم التقصير في أيٍّ من الواجبات الشرعية تجاه الوالدين، والأقربين، والذرية، والجيران، وخلافه؛ ولذلك قال الإمام في نفس الرسالة: واعلم أنه لا يتعين على الإنسان، إذا أراد الدخول في طريق الله، أن يخرج عن ماله إن كان له مال، ولا يترك حرفته، ولا تجارته إن كان محترفًا أو مُتَّجِرًا، بل الذي يتعين عليه تقوى الله فيما هو فيه، والإجمال في الطلب بحيث لا يترك فريضة ولا نافلة، ولا يقع في محرم، ولا فضول لا يصلح الاستعانة به في طريق الله.

وقد ختم الإمام الرسالة ببعض أوصاف المريد، والظاهر أنها أوصاف أولئك الذين قطعوا شوطًا لا بأس به في هذا الطريق، وإلا فأنّى للمبتدئين أن يتخلّقوا بمثل هذه الأوصاف.

يقـول الإمام عن المُريد أن شـعاره الخشـوع والوقـار، ودثاره التواضع والانكسـار، يتبع الحق ...
ويرفـض الباطـل ويُنكِـره، يحب الأخيار ويواليهـم، ويبغض الأشرار ويعاديهم، لسـانه عـن كل ...
مخـزون، وقلبـه على تقصيره في طاعـة ربه محـزون، لا يداهن في الديـن، ولا يُرضي المخلوقين بسـخط
العالمين، يأنس بالوحدة والانفراد، ويستوحش من مخالطة العباد، لا تلقاه إلا على خير يعمله، أو عمـ...
يُـرجى خيره، ولا يُخشى شره، لا يؤذي مـن آذاه، ولا يجفو من جفاه، كالنخلة تُرمى بالحجر، فترمي بالرُّطب.



كتاب النصائح الدينية باللغة التركية

وفي إحدى رحلات الإمام إلى وادي دوعن، زاره الشـيخ العلامة عبـد الرحمن باعباد الشـبامي ومعه عدّة أسـئلة، فأجابه فيما سـمّاه «إتحاف السّائل بأجوبة المسَـائل»، وذلك سـنة ١٠٧٢ هجرية، وعمره حينئذٍ ثماني وعشرون سـنة، وأضاف إليهـا شرحًا لقصيدة عظيمة للإمام أبي بكـر العيدورس العدني.

أمـا كتاب «النصَائح الدينية والوصَايـا الإيمانية»، فهو أكبر كتبه حجمًـا، وأعظمها نفعًا. ألَّف ما يقرب من نصفه، أي إلى باب الحج، قبـل سـفره إلى الحجـاز، وقـرئ عليـه في مكـة، وفي الحـرم النبوي الشريـف، أمام المواجهة الشريفة، ثم شرع في إكماله بعد عودته إلى تريم، وأتمه في شهر شعبان من عام ١٠٨٩ هجرية.

وهو مؤلَّف جامع لكل الفضائل الظاهرة والباطنة، قال عنه الإمام:
مقصودنـا في كتـاب النصائـح أن يكون سلسًـا واضحًا، يفهمــه كل من نظر فيه له فهـم، ويكتفي بـ... يكتفي، وإلا يكن متشـوقًا إلى أبسـط منه (أي إلى ما هو أكبر وأكثر تفصيلاً منه)، وقد سماه بعضُهم ... الإحياء.

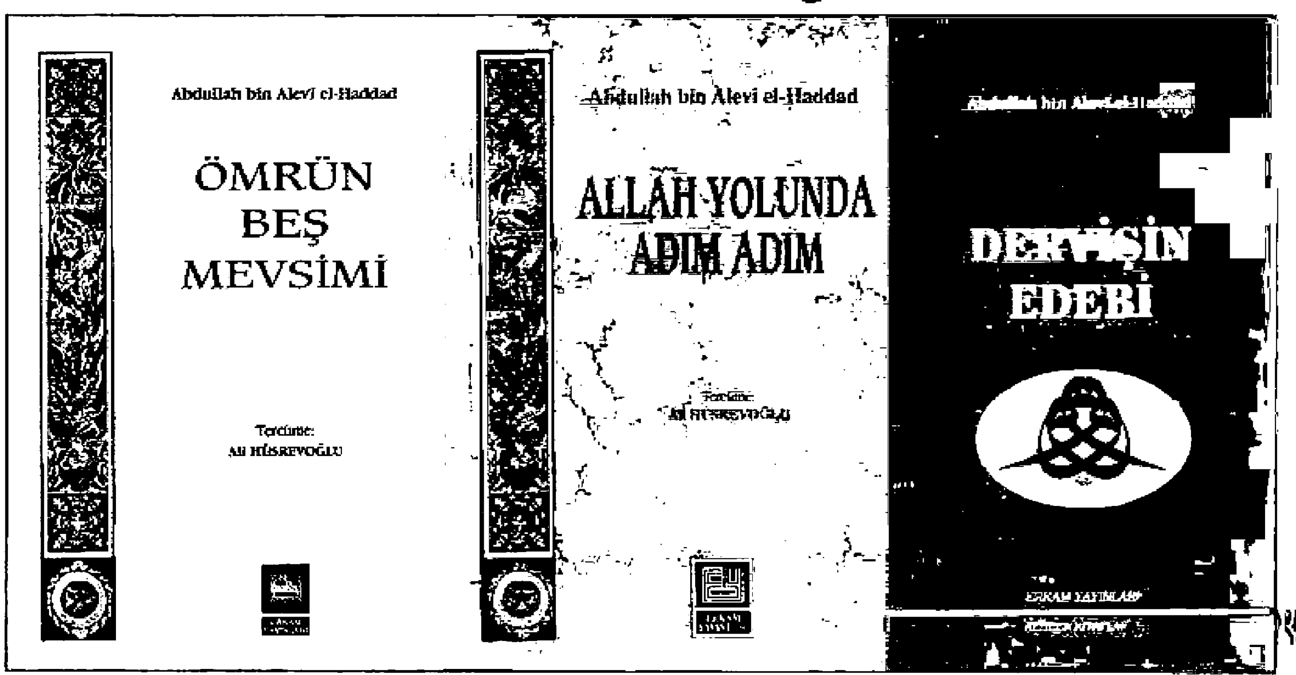
وقال الإمام: قال لنا بعض علماء الحرمين لما وقف على كتابنا النصائح: هذا الكتاب عين الإحياء. ... له: الأمر كما رأيت.

وقال الشـيخ حسـنين مخلوف (ﷺ)، في مقدمـة الطبعة التي صدرت بالقاهـرة عام ١٣١٨ هجرية: ... مؤلَّفًا واضحًا في عبارته، قويًا في أسـلوبه، محقَّقًا في بحثه، موفَّقًا في نقله، واضحَ الحجة، باهر المحجة، فيّ ... في البيان، يُدعِّم بحثه بآيات من القرآن، والأحاديث النبوية، والأقوال المأثورة عن الأئمة، وينتزع من دخـ... النفوس ووساوس الصدور كل شبهة، ويعالج كل نزعة، حتى لا يُبقِي مقالاً لقائل، ولا جوابًا لسائل.

ورُوِي عن السيد الفاضل عقيل باعقيل أنه قال: حججت سنة من السنين، وحج تلك السنة مفتي الشـ... والذي إليه الرجوع في جهته، فخرج أهل مكة في عراضه، واجتمع الناس إليه بـالحرم الشريف، فجئت ...

في جملتهم، فأول شيء سمعته منه أنه قال: ما على وجه الأرض اليوم أعلم من السيد عبد الله الحداد، وله كتاب النصائح عظيم القدر، وما من طالب علم في جهتنا إلا وقد حصّل له منه نسخة.

أما «رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة»، فقد تمت سنة ١٠٦٩ هجرية، وهي رسالة جامعة، جاء فيها بجملة ما يجب على المسلم الالتزام به من الفرائض، والسُّنن، والفضائل، والأخلاق، وما يجب عليه الاحتراز منه مما يُدخِل الخلل إلى عباداته ومعاملاته، والفصول الأخيرة فيها شرح لمقامات اليقين التسع.



رسائل الإمام الحداد مترجمة إلى اللغة التركية

في ذلك كتاب «سبيل الادّكار والاعتبار، بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار»، أتم تأليفه عند بلوغه السبع والستين من العمر، وذلك سنة ١١١٠ هجرية.

وقد صدَّر له الشيخ حسنين مخلوف (رحمه الله)، بقوله: وبعد: فإن من خير ما وقفنا عليه ووُفِّقنا إليه من آثار شيخ الإسلام، وحجة الأنام الإمام عبدالله بن علوي بن محمد الحداد العلوي الحضرمي الشافعي نفع به هذه الرسالة النادرة القيمة المسماة: سبيل الادّكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار، متضمنة بيان ما يعتوره من شؤون وأطوار في أعماره الخمسة التي:

أولها: تقلبه منذ البداية في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات قبل مولده.

ثانيها: مدة حياته من حين مولده إلى مماته.

ثالثها: مدة بقائه بعد موته في البرزخ إلى يوم البعث.

رابعها: مدة بقائه في المحشر بعد البعث إلى فصل القضاء.

خامسها: حياته بدار القرار في نعيم الجنان، أو سعير النيران.

وقد بين نفع الله به في كل عمر من هذه الأعمار ما للإنسان فيه من شؤون وأطوار، مستندًا إلى ...
ذلك من دلائل وآثار، بيانًا وافيًا سهلاً واضحًا، يشرح الصدور، ويشع فيها النور، ويهديها إلى الحق و...
ويقيها التردي في حمأة الظلمات والضلال المبين، وعقب كل عمر بخاتمة جليلة، تتصل به وتنبني عليه...

أما كتاب «الدعوة التامة والتذكرة العامة»، الذي تم تأليفه في شهر محرم من عام ١١١٤ هجرية: فهو عن ...
وكيفيتها، والدعاة وصفاتهم، وقد أوردنا شيئًا مما فيه مجملاً في فصل: «الدين والمجتمع»، وقد طبع بالقاهرة سنة ...

وقال الشيخ حسنين مخلوف في مقدمته: وهو كالنصائح: ذخيرة إسلامية ثمينة لا يستغني عنها ...
متعلم، ولا داعٍ إلى الله ومرشدٍ. ثم أعاد طباعته المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

وأما كتاب «الفصول العلمية والأصول الحِكَمية»، فقد أُلِّفَ على مدى سنين طويلة، وأظهر منه الإمـ...
يقرب من نصفه؛ استجابة لطلب السيد أحمد بن زين الحبشي، ثم أكمله أربعين فصلاً سنة ١١٣٠ هجر...
وفيه من الفوائد ما لا يستغني عنه الطالب الصادق؛ فقد أوضح الإمام فيه كما لم يفعله أحد ممن ...
الكثير من الأمور التي تُشكِل على طلبة العلم، ومنها على سبيل المثال: أنواع العلوم، وكيفية اختيار الأ...

وقد قدّم له الشيخ حسنين مخلوف (رحمه الله تعالى) قائلاً: الحمد لله الذي قدر فهدى، والصلاة و...
على نبي الهدى، وعلى آله وأصحابه، ومن بسنته اهتدى:

أما بعد: فقد قرأت للإمام الحجة، العالم العامل، الداعي إلى الله، قطب الدعوة والإرشاد، الحبيب، ...
عبد الله بن علوي بن محمد الحداد، رسالةً موجزةً في آداب سلوك المريد، أملاها في سنة ١٠٧١ هجرية، ثم ر...
أخرى تشتمل على «فصول علمية، وأصول حِكَمية»، فوجدت فيها علمًا غزيرًا، وإشراقًا ونورًا يستضي...
السائر، ويهتدي به الحائر، في بيان سلس سهل، وأسلوب رصين جزل، تشفي الصدور حقائقه، وتمتع النفو...
رقائقه، يروض العصيَّ الجامح، ويدنيه من مَهْيَع السلف الصالح، فما يكاد يتم قراءتهما حتى يستنير ...
بالهدى، ويُكشَف عن ناظره الغطاء، فإذا فكره سديد، وبصره حديد، وعمله حميد، وإذا هو يرتع في ريا...
زهراء، ومغان فيحاء، رفيقًا للذين سبقت لهم من ربهم الحسنى، فكانوا بالله عن الخلق أغنياء، وبإخلا...
العمل لله أصفياء، وبصدق الحال سعداء، وللسائرين إلى الله أدِلّاء.

أولئك هم سلف هذه الأمة، التي جعلها الله وسطًا بين الأمم، أخلصهم لوراثة رسوله المجتبى، وحمل أمـ...
دينه المرتضى، والدعوة إلى الحق والهدى، فكانوا أعلامَ الهداية، وأئمة الدين، وقدوة المتقين.

وكان من رحمة الله بهذه الأمة أن هيّأ لها على رأس كل قرن طائفةً منها، على غرار أولئك الأسلاف الهد...
يدعون بدعوتهم، ويجددون ما درس أو كاد من آثارهم، وينصحون لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين
وعامتهم، نصحًا بليغًا واعظًا، حتى يبقى الخير فيها إلى ما شاء الله أن يبقى.

ومن هؤلاء حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (رضي الله عنه) المولود في القرن الخامس الهجري، وصاحب الرسالتين
الإمام عبد الله بن علوي الحداد (رضي الله عنه)، المولود في القرن الحادي عشر. (ا.هـ).

وقد جمع السيد أحمد بن زين الحبشي ما يقرب من المئة وسبعين من الإجابات على أسئلة متنوعة أرسلت ـ الإمـام على مر السـنين وأجاب عليهـا في مكاتباته، وأطلق الإمام على هذا الكتـاب «النفائس العلوية في ـسائل الصوفية».

وللإمام الحداد «المجموعُ» المحتوِي على مكاتباته، وديوانِ شعره، ووصاياه، وحِكَمِه.





رسالتي آداب سلوك المريد وسبيل الإدّكار باللغة الإسبانية

وقـد طُبِـعَ كلٌّ منهـا على حـدة، المكاتبات في جزءَيـن كبيريـن، والديـوان في عـدة طبعـات، ـوصايا والحكم في مجموع رسـائله مع سـائر ـرسائل في جزءَين طُبِعَا بالقاهرة.

والوصايـا ثمانيـة، أولهـا: سـنة ١٠٧١ هجرية ـخرها: سنة ١١٠٧ هجرية، وبعضها غير مؤرخ؛ ـلها ما كتبه للسـيد أبي الوفا بن محمد الوفائي ـصري، ومنها ما كتبـه لأخيه عمر بن علوي حداد.

وأما «الحِكَم»، فهي مجموع من كلامه العجيب يبلغ ما يقرب من العشرين صفحة.

وقد شرحها الشيخ العلاّمة المحدث محمد حياة السـندي المدني صاحب الحاشـية على صحيح البخاري. ـ شرحها الحبيب العالم طه بن عمر بن علوي ابن أخي الإمام الحداد. ولا يزال الشرح الأول مخطوطًا بدار ـكتب المصرية، وأما الثاني فالظاهر أنه فُقِد.

ـأما ديوان شـعره المسـمّى: «الدُّر المنظوم لذوي العقول والفهوم»، فهو بحر لا ينضب من العلوم والمواعظ ـقائـق والدعـوات، وقد أودع فيه الإمام الكثير من حكمته، وكان لا يُظهِـر القصيدة التي يُلهَمُها إلا بعد ـرور أيـام على نظمها، فـإن ثبتت في ذاكرته، علم أنه مـأذون بإظهارها، وإن نسي بعضهـا أو كلها، علم أنه ـ ثَمَّ إذْنٌ فلم يُظهِرها.

ـلا تـزال قصائد الإمام تُنشَـد في مشـارق الأرض ومغاربهـا؛ وذلك لما فيها من تحريـك للقلوب والهمم، ـحب لله ورسـوله، وشـوق إلى الحرمـين الشريفين؛ ولما فيها من النصائح والمواعـظ، والتحذير من المهلكات ـمور المبعدات، ولما يُشْتَمُّ منها من عبير العوالم العلوية والحضرات الربانية.

ـقـد شرح بعـض القصائـد الحبيب أحمد بن زين الحبشي – جزاه الله خـيرًا – وأكبر هذه الشروح شرح ـعينيّة»، وقد طبع في مصر وفي الشام، وأخيرًا في سنغافورة.



وللإمام الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط شرح على الرائيّة سماه «منهل الوراد».

وله شروح على قصائد أخرى للإمام، منها: اللامية وأحبتنا بنجد.

وللحبيب علوي بن أحمد شرح على قصيدة: وصيتي لك يا ذا الفضل والأدب.

وللحبيب محمد بن زين بن سميط شرح على قصيدة: يا رب يا عالم الحال.

وشرَحَ السيد علي بن عيسى الحداد، رحمه الله تعالى، حفيد الإمام، قصيدةَ: أحبتنا بنَجْدٍ والصفيح شرحٌ طبع في سنغافورة سنة ١٣٩٧ هجرية.

وقد جمع السيد الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد أوراد الإمام وصلواته في كتيب سماه «وسيلة العباد إلى زاد المعاد» طبع طبعات عديدة.

كما طبع «الورد اللطيف» و«الراتب الشهير» كل على انفراد في كينيا، والباكستان، وبريطانيا، وأخيرًا في مصر.

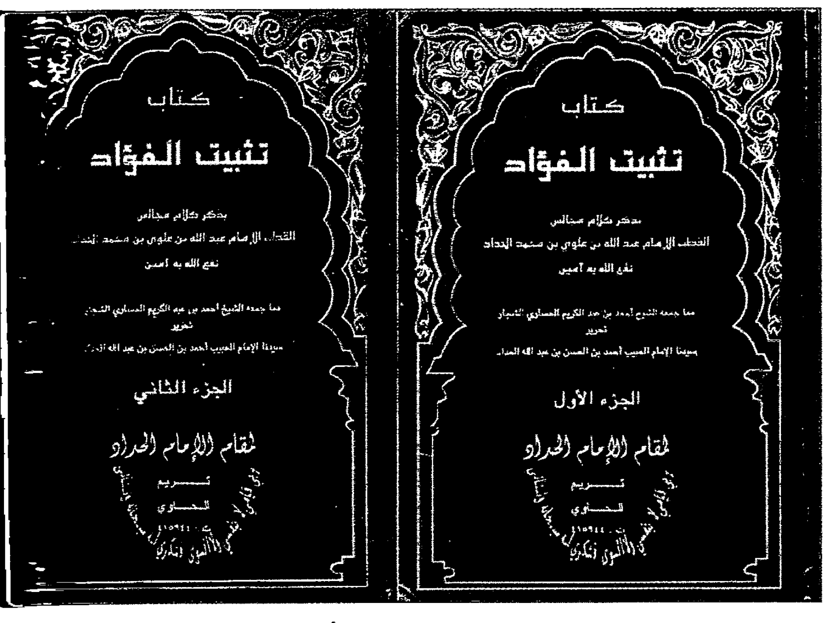
وقد شرح الورد الكبير، والورد اللطيف، والراتب الشهير، العلاّمة الشيخ عبد الله باسودان.

وكذلك شرحهما السيد العارف بالله الحبيب فضل بن علوي جمل الليل العلوي، وطبع شرحه بإسطنبول سنة ١٣١٧ هجرية، ثم في القاهرة سنة ١٣٨٠ هجرية.

وهناك شرحان للحبيب علوي بن أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد طُبِع أحدهما، وهو الكبير، في صفحة، في سنغافورة.

وللإمام تخميس على القصيدة المضرية للإمام البوصيري، وهذا التخميس ليس في ديوانه المطبوع، ونُشر في كتاب «سبيل المهتدين في ذكر أدعية أصحاب اليمين»، للحبيب عبد الله بن علوي العطاس، وقد طبع ثلاث طبعات كلها بالقاهرة، آخرها سنة ١٣٩٩ هجرية.

أما كتاب «تثبيت الفؤاد بذكر كلام القطب الإمام عبد الله بن علوي الحداد»، فهو مجموع كلام الإمام الذي دونه الشيخ أحمد الشجار، وقد طبع بالقاهرة سنة١٩٨١م، تحت إشراف الحبيب علي بن عيسى الحداد، رحمه الله تعالى، وأعيدت طباعته بسنغافورة سنة ١٤٢٠هـ.



رسالتي آداب سلوك المريد وسبيل الإذكار باللغة الإسبانية

قوله في شرح بعض الآيات والأحاديث

قال الإمام الحداد: لو قَبِل مني أهل هذا الزمان العلم بإنصاف لصنفت كتبًا كثيرة على معنى آية من كتاب الله، إنما ترد على قلبي علوم لا أجد من يعيها.

وقرأ يومًا في حلقة القرآن في رمضان في سورة المعراج، ثم قال للشيخ أحمد الشجار: لو سُئِلتَ عن غريب هذه السورة، أكنت تجيب بديهة من غير مراجعة؟ فأجابه: لا، ولا غيرها. فقال: لولا تغيُّر الزمان لوضعنا كتبًا في مثل هذه الأمور، ولكن كيف وقد تغير قبل اليوم بزمان، وما عليهم إلا أن يقيموا حروفه.

ولكن على الرغم من غزارة درايته بهذه العلوم لم يؤلف الإمام شيئًا في علوم القرآن، ولا في علوم حديث النبوي الشريف، وما له إلا تعليقات مقتضبة في شرح بعض الآيات والأحاديث وردت متفرقة في بعض مؤلفاته، وفي كتاب «تثبيت الفؤاد»، فأحببنا أن نجمع شيئًا منها، لما فيها من فوائد.

قال (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[1]: لم يقل نبيض وجوهًا ونسوّد وجوهًا؛ لأنه أحال ذلك إلى أعمالهم، لأن أعمالهم هي التي بيضتها وسودتها، والله (سبحانه وتعالى) بعد أن أعلمهم أنه خالق للخير والشر أحالهم إلى أعمالهم، ولو شاء لخلقهم بيضًا وأدخلهم الجنة، أو خلقهم سودًا وأدخلهم النار، والإيمان بالقضاء والقدر واجب، والاحتجاج به بدعة.

وقال: العمل القليل مع الإحسان خير من الكثير بلا إحسان، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2] أي: حال العمل، فينظر كيف عملكم له للمطالبة بالإحسان ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ إلى آخر الآية؛ للمجازاة عليه بما وعدكم به إن أحسنتم فيه، ولا تكتب الملائكة إلا ما كان مصحوبًا بالإحسان، والقراءة مع العجلة لا تكتب، وكذا الصلاة، والدعاء لا يكتب.

ولو خاطبت مخلوقًا واستعجلت في الكلام أعرض عنك، فكيف بالخالق؟

والملائكة في هذا الزمان من حيث النظر لا من حيث العلم يتحيرون في طاعة أهل الزمان، إذ لا فيها إحسان فيكتبونها حسنة، ولا هم لم يفعلوا شيئًا منها فلا يكتبون شيئًا، إلا إن كان فيها داعية رياء فيكتبونها سيئة.

وقيل: إن فاعل الطاعة، مع عدم الإحسان، أحبُّ إلى الشيطان من التارك لها أصلاً؛ لأن التارك أمره ظاهر، ويسلم من التعب فيها، والفاعل بلا إحسان أتعب نفسه، وأُعجِب لظنه أنه فعل طاعة.

---

[1] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٦ و١٠٧).

[2] ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وصدور أهل الزمان تضيق عن الحق؛ لأنهم لم يألفوا إلا الغفلة؛ لأن مجالستهم مع بعضهم بعض تذكر متذكر منهم، ومال قلبه إلى الخير، رأى أنه زاد على أقرانه فأُعجِب أي بنفسه ورجع من حيث فعلى قلوبهم شياطين تمنع دخول الخير إليها، والموعظة لا تصل إلى القلب إلا بيد مَلَك، فإذا أراد أن يـ إليه، صادف الشيطان قاعدًا عليه.

فَأَحْسِنْ؛ فالقليلُ مع الإحسان خيرٌ من الكثير بلا إحسان. دُرّةٌ واحدة خير من عشرين جِمْل وَدَعٍ

وقال: إن الله سبحانه يستحي أن ينزع نعمة من شاكر، ولذلك قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ ... حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]

وقال في قوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[2]؛ أي: ماء القناعة والزهد. والزاهد في الدنيا، المتجرد أخف تعبًا وأكثر راحة من غيره، إلا أن ضعيف اليقين إذا أرسل الله على يد أحد من الخلق شيئًا تعلق به، ويرى أنه هو المحسن إليه، ولا يمتد نظره إلى المحسن الحقيقي، ولا ينفعك أحد إلا بعد أن يضع ... قلبه ما وضع. والحركة مع السلامة من منّة الناس، ما هي إلا بركة إن لم يكن فيها إثم.

وقال: (قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وهو: لا إله إلا الله ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[3]. و... الهمة ترفعها إلى أن تبلغ بها إلى الحق (ﷻ).

ولما سُئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ... أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ... تُنسَىٰ﴾[4]، أجاب: اعلم أن للمفسرين في بعض معانيها اختلافًا يكاد أن يكون لفظيًا، ونحن نذكر ... الأصح والأوضح - إن شاء الله تعالى - مع غاية الإيجاز.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾؛ أي: عن القرآن والهدى، فلم يؤمن به، وهذا حال من ... وجحد، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ في الدنيا، إما بالحرص الشديد عليها، فلا يزال في ضنك وإن كان متسع الصورة، وإما بالقلة المصحوبة بضيق الصدر وعدم الصبر.

وفي البرزخ، بما يصعب عليه من أنواع عذاب القبر، ومن ضيق اللحد، وتعذيب الملائكة إياه، وتسليط الحيوانات المؤذية، إلى غير ذلك.

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ (سورة الجن: ١٦).

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) طه: ١٢٤-١٢٦.

وفي الآخرة، بأكل الضريع والزقوم، وشرب الحميم والغساق، خالدًا مخلدًا في النار، نسأل الله العافية!

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾؛ أي: أعمى القلب والبصر.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ أنكر عمى البصر الحادث عليه، وأما عمى القلب، فإنه لم يزل فيه. ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾؛ أي: في الدنيا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾؛ أي: أعرضت وتعاميت عنها.

﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾؛ أي: تترك في العمى وسوء الحال وأليم العذاب والنكال.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الإيمان، ويعصمنا من الزيغ والضلال، والحمد لله على كل حال.

وكتب الإمام في إحدى وصاياه مشيرًا إلى ما ورد في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[1] فقال: وإذا وصلت إلى بيت الله الحرام، ونظرت إليه بعيني رأسك، فليكن قلبُك ناظرًا إلى رب البيت. وللحج ظاهر وباطن، فظاهره شريعة، وباطنه حقيقة، ولا تشغلنك إحداهما عن الأخرى، تكن جامعًا. واعلم أن لله في باطنك بيتًا وهو القلب، وقد أمر إبراهيمَ نفسك، وإسماعيلَ عقلَك، أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود حوله من الملائكة والروحانيين. فمن لم يكن له إبراهيم ولا إسماعيل فهو جاهل أحمق تُصلَى به النار. وكل من كانا له، ولم يمكّنهما من تطهير ذلك البيت حتى يصلح للطائفين والعاكفين فهو من خلفاء الشياطين، ومثله العالِم الغافل الذي لا يعمل بمقتضى علمه وعقله.

وقال في مكاتباته، تعليقًا على قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2]: والمعاهدة المشار إليها هي أنهم أقروا له بالوحدانية في عالم الذر لمّا استفهمهم فقالوا: بلى! فكان الاستفهام عن الربوبية، التي يندرج تحتها الإخلاص في الوحدانية، والقيام له بوظائف العبودية؛ فإن المربوب عبد، والعبد مملوك، والمملوك شأنه الخدمة لمالكه. وإنما مدح الله بالوفاء طائفة من المؤمنين، ولم يجعل مدحه عامًا في أهل الإيمان، فضلاً عمن عداهم من العباد؛ لعسر القيام بمقتضى هذه المعاهدة، وقلة من يقوم بها على وجهها من الناس، فقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟...﴾ الآية، فافهم، والله أعلم.

وسئل عن الحديث القدسي: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته خير ما أعْطِي السائلين**»،[3] فقال:

(1) البقرة: ١٢٥.
(2) الأحزاب: ٢٣.
(3) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، ٢٩٢٦؛ البيهقي في شعب الإيمان، واللفظ له، ١/٤١٤، (٥٧٣ – ٥٧٤).

الذي يظهـر أن المـراد حال المسـتغرق في الذكر، الذائب فيه، المسـتهتَر به، الذي صار شـغله وديدنه، و... يكـثر الدعاء في خـلال ذلك، لم يفته بذلك شيء مما يحـل للداعين المكثرين من الدعاء، بل يُعطى أفضـ... يعطاه السائلون؛ لأنه مشغول بالله تعالى وبذكره، ليس بالأغيار ولا بالحظوظ.

وأما أن الإنسان في حال دعائه يعدل عن الدعاء إلى الذكر ويترك الدعاء، فلا أرى لذلك وجهًا ولا أستحـ... ولا أقول إنه المراد من الحديث؛ لأن الدعاء من الأذكار، وفيه من الافتقار إلى الله تعالى والخشوع له و... بين يديه ما ليس في غيره من العبادات، ولذلك ورد «**الدعاء مخ العبادة**»[1].

وفي حديث: «**ولكن وسـعني قلب عبدي المؤمن**»[2]، قال: أي وُسْـعُ المعرفة، وحمل الأمانة، وُسْـعَ ... لا جِـرْم. والقلـب لا يضيق بكثرة المعلومات وإن كـثرت، وإنما تضيق أماكن الفراغ بما يكون ... مـن الأجـرام.

وقال عن حديث جبريل لمّا سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان[3]، الإسلام مجرد عمل فقط، والإ... مجرد علم وتصديق، والإحسان مشترك بينهما.

والأول في الجوارح، والثاني في القلب، والثالث فيهما.

والأول ظاهر الثاني، والثاني باطنه، والثالث خالصهما وهو الغاية من الإيمان والإسلام، إذا اجتمع ... إحسانًا.

وقوله: «صدقتَ»، يُشعِر بأن بينهما معرفة سابقة.

وفي قـوله: «أن تشـهد»، أي تعتقـد عن اعتقاد في القلب ويقـين في الباطن، لا إيمـان المنافقين، وإيـ... باطل، وإيمان العوام ناقص.

وفي الحديـث حـثٌ على طلب العلم، وتكرار المعلم على المتعلمين ليرسـخ حفظهم، وعلى تخصيص ... الحاضرين بالخطاب.

وفي حديـث: «**الجار قبل الدار**»[4]، قال: أي إذا أردت نـزول دار، فانظر فيها، واختر مجاورة أهل الصلا... والستر والصيانة، ولا تجاور معروفًا بالفساد والتطلع على العورات؛ فربما يطّلع على عورتك، ويشرف عيـ... وعلى أهلك. فاختبر حال الجار أولاً قبل نزولك في جواره.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ٣٣٧١.

(٢) أورده الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلًا...

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي (ﷺ) عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ٥٠. صحيح مسلم، كتاب الإيـ... باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ٨.

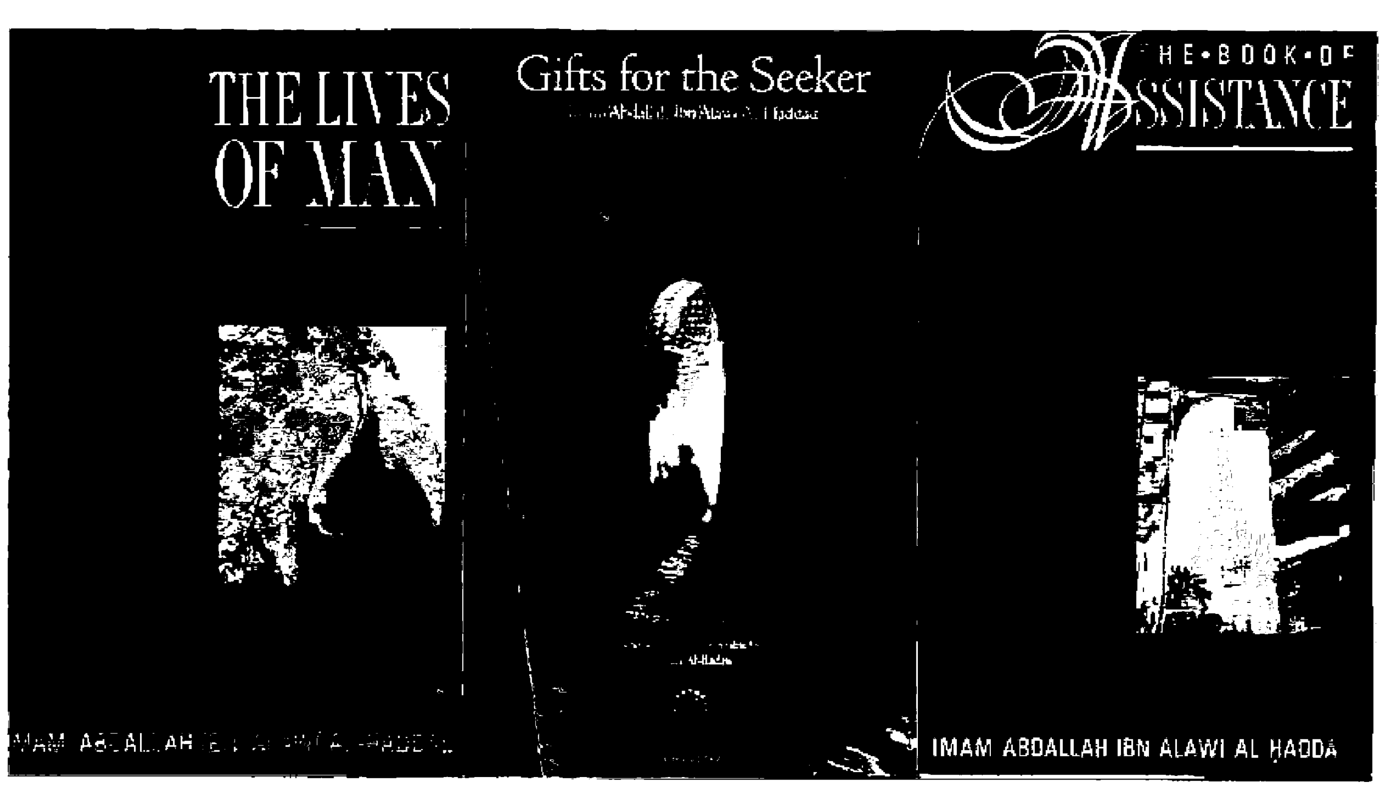
(٤) الطبراني في المعجم الكبير، ٤٣٧٩.

وقريب من ذلك ما قاله في حديث: «**والله لا يؤمن من لا يأمن جارُه بوائقَه**»[1]، إذ قال: البوائق التطلع إلى عوراته، والاستشراف في بيته من غير إذنه، ونظره إلى أهله، واحتقاره، ونقل كلامه، وخون أمانته.

وفي حديث: «**اطلبوا الحوائج بعزّة الأنْفُس**»[2]، قال: أي اطلبوها بعزٍّ ولا تطلبوها بالتضعضع؛ لأن التضعضع ليس من أخلاق المؤمنين.

وفي حديث: «**من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**»[3]، قال: هو من يستدين ونيته إن تيسرّ له أدّى وإلا ترك.

وفي حديث: «**أعدى عدوِّك زوجتُك التي تضاجعك، وما ملكت يمينُك**»[4]، قال: أي لأنه يقع منهم بلايا، وفي الحال أنهم يوقعونك في طلب الدنيا إن لم يكن معك شيء.



رسالة المعاونة وإتحاف السائل وسبيل الإدّكار مترجمة إلى اللغة الإنكليزية

وقال: الجوع المستعاذ منه في الحديث «**أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع**»[5]، هو: الجوع الاضطراري، الذي يشغل الخاطر كثيرًا، حتى تتغير عليه حوائجه وأحوال دينه ودنياه، وغير ذلك من المضار الدينية والدنيوية. وأما الجوع الاختياري: فهو محمود؛ فقد كان (ﷺ) يجوع الثلاثة أيام أو أكثر.

---

(1) والله لا يومن! والله لا يومن! والله لا يومن!» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جار لا يأمن جاره بوائقه» قالوا: وما بوائقُه؟ قال: «شره». صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، (٥٦٧٠).

(2) الأحاديث المختارة للمقدسي، ٢٨.

(3) البيهقي في السنن الكبرى، باب ما جاء في جواز الإستقراض وحسن النية في قضائه، ١٠٧٣٧.

(4) الديلمي في مسند الفردوس، (٥٢٤٨).

(5) سنن أبي داود، (١٥٤٧)؛ سنن النسائي، (٥٤٦٨)؛ سنن ابن ماجة، (٣٣٥٤)، باب التعوذ من الجوع.

وفي حديث: «**إذا دخل رمضان صُفّدتْ الشـياطين**»[1]، قال: أي ما عدا الشـيطان الكبير وهو إبليس -
يـرد فيـه نص؛ ولـو كان كذلك لما تعرض لهم يوم بـدر حيث أخبر الله عنه بقـوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ﴾[2] الآيـة، ووقعـة بدر كانت في رمضـان. وحظ أعوانه من الإغواء أكثر منه؛ فإنه ما له من
إلا الوسوسة، فيوسوس له في الأمور المذمومة، والمصفدون هم المردة منهم.

وقيل لبعضهم: أينام الشيطان؟ قال: لو نام لاسترحنا ساعة.

وفي حديث: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[3]، قال: هذا يدخلها بالنية و
يعني القاتل وهذا يدخلها بالنية فقط.

بخلاف ما إذا استسلم أحدهما وقتله الآخر فالمقتول يسلم، ويبوء القاتل بالإثم، كما قصّ الله في ابْنَيْ

وفي حديث: «**إذا التقى المسـلمان فتصافحا وتكاشرا (أي تباسـما)، قسـمت بينهما مائة رحمة، تسـ
وتسـعون لأكثرهما بِشْرًا، وواحدة للآخر**»، قال: فالفضل المذكـور للأكثر بِشْرًا إذا كان لله وللدار الآخرة
لأمور الدنيا، فإن الدنيا جميعها ساقطة.

وفي حديـث: «**يُنصَـب لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته**»[4]، قال: يختلف الغدر، فغدر في حق
وغدر في حق رسول الله (ﷺ)، وغدر في حق الخلق على حسَب أحوالهم وغدر في حق نفسه.

وفي حديث: «**من احتكر على المسـلمين طعامًا ابتلاه الله بالإفلاس والجُذام**»[5]، قال: إما الجذام الظـ
أو محْـقُ البركـة؛ لأن الجذام: المَحْقُ، فيمحق ويفلس من الدنيا مع إفلاسـه أيضًا مـن الدين؛ لأن الغالب
يفعل ذلك أحد إلا افتقر قبل أن يخرج من الدنيا.

وقـال: معـنى «**اجعل القرآن ربيع قلبي**»[6]، كما في الدعاء؛ أي: بأن يعمـل في القلب من الأنوار والعلوم
كما يعمل الربيع في الأرض.

وفي حديـث: «**مـا جلس قوم..**»[7]، يعني أن المجلس لا يخلو أن يكون معمورًا بحرام وفضول في الغفلة
فـإذا لـم يحصل ما يُكفّر عن ذلك، كان عليهم تِرَةٌ وحسرة على فعلهـم. (أي إن ذِكر الله والصلاة على
تمحو ما يمكن أن يكون قد أصابه أهل المجلس من إثم، فإن غفلوا عنها ندموا يوم القيامة).

(١) سنن الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، (٦٨٢)؛ ابن ماجة، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، (١٦٤٢).

(٢) الأنفال: ٤٨

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب وإن طائفتان، (٣١)، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، (٦٦٧٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، (١٧٣٨).

(٥) سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب الحكرة والجلب، (٢١٥٥)؛ مسند أحمد، (١٣٥).

(٦) صحيح ابن حبان، (٩٧٢)؛ مسند أحمد، (٣٧١٢ - ٤٣١٨).

(٧) «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم تِرَة، فإن شاء الله عذبهم، وإن شاء غفر لهم». سنن الترمذي، كتـ
الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، (٣٣٨٠).

وقال في حديث: «**الناس معادن**»[1].

إذا كان هذا يجري في العمُوم، ففي الخصوص أَوْلى. فمن عمل في صغره شيئًا من مكارم الأخلاق المحمودة ـرعًا قبـل أن يعلـم كونـه محمودًا ولم يصدر منه عن قصد، فهذا دليـل على طيب معدنه، فإذا كبر.. كان من ـث في زيادة وغاية. ومَن عمل في صغره خلاف ذلك على الوجه المذكور، دلّ ذلك على خبث معدنه، وكان في ـر في زيادة من الخبث، وغاية من الشر.

فمثال الأول: من ظهر من أول نشـأته يحب الإحسـان وصلة الأرحام وغير ذلك، فلما كبر، كثر منه ذلك ـد معه تمكنًا.

ومثـال الثـاني: من هو من أول بُـدُوِّه متعلق بحب الدنيـا، ومنهوم بجمعها مع تكـالبه عليها، ولم يسـمح حرج شيء منها، فهذا كلما كبر ازداد شُحًّا وقساوة ونحو ذلك.

وقـال في حديـث: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحـرب**»[2]، أي أعلمته أني محارب له، وذلك لأن الولّي لا ـصر لنفسه، فيكون الله سبحانه هو الذي ينتصر له.

وفي حديـث: «الملـكان يناديان كل صباح، ينادي أحدهما: «**اللَّهُمَّ أَعطِ مُنْفِقًا خلفًا، والآخر ينادي: اللَّهُمَّ ـط ممسـكًا تلفًا**»[3]، قال: هذا فيمـن لم يُخرِج الزكاة، فيمنع حق الله الواجـب، أو لا يتصدق مع قدرته على ـ بل يبخل عن ذلك، ويخبئ المال وينميه، ويحرص عليه، ويحب زيادته.

وفي حديـث: «**غَيْرتان إحداهمـا يحبها الله، والأخرى يُبغِضها الله، ومخيلتـان إحداهما يحبها، والأخرى ـضها الله**»[4]، فالغيرة في الريبة يحبها الله، والغيرة من غير ريبة يبغضها الله.

ـخيلـة إذا تصـدق الرجل يحبها الله، والمخيلة من الكـبر يبغضها الله، والمخيلة روضة يجدها المتصدق ـسـه عند الصدقة، يفرح لكونه وُفِّق لذلك، وعندما يُسأل فيرد السائل يرى في نفسه انقباضًا إن كان هو ـر بأخلاقه ضد ذلك، أي ضد تلك الروضة. وكذلك المخيلة في الجهاد، يفرح إن وُفّق لذلك.

ـس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، ـون من خير الناس أشر الناس كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه». صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته ـت للسائلين، (٣٢٠٣)، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، (٣٣٠٤)؛ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ـ خيار الناس، (٢٥٢٦).

ـحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، (٦١٣٧).

ـ من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللَّهُمَّ أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللَّهُمَّ أعط ممسكاً تلفًا». صحيح البخاري، كتاب ـة، باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى إلى آخره، (١٣٧٤)؛ مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، (١٥١٥).

ـسند أحمد، ٤/١٥٤؛ صحيح ابن خزيمة، (٢٤٧٨)؛ الطبراني في المعجم الكبير، (٩٣٨).

وفي حديث «**الرجل يحب القوم ولمّا يلحق بهم**»[1]، قال: أي يحبهم ويتشبه بهم، ولم يبلغ درجتهم. فلا ... في ذلك من التشبه، وهو أنك إذا سمعت عنهم أن أحدهم يصلي الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ... ومثل ذلك مما لا يكاد يدخل في قوة البشر، فتقوم من الليل ما تيسر، فهذا تشبُّه بهم في صلاتهم.

وأما من نام الليل كله حتى يكاد يفوت صلاة الصبح، ويعتل بالمحبة لهم: فقد احتج بعض الناس ... فأجابه بعض الصالحين بأن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم، وهم مخلدون في الشقاء، ما نفعهم ذلك ... تشبههم واقتدائهم بهم.

وقال في حديث «**رُبّ أشعثَ أغبرَ ذي طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبَرَّه**»[2]، هو فقير قانع ... ولا يريد خلاف ذلك، ذو تقوى، مؤدٍّ لحق الله فيما أمر أو نهى، ذو ورع، لا يأكل إلا حلالاً. وأما فقير ... طمرين لا يبالي من أين يأكل، من حلال أو حرام: فما فضيلته؟ فالحاصل أنه لا فضل إلا مع التقوى و... لا بشرف الآباء ونحو ذلك.

وقال في حديث «**الرجل يطيل السفر أشعثَ أغبرَ..**»[3]، إن هذه الصفات المذكورة في الحديث ... يقتضي إجابة الدعاء، إذ ورد أن دعاء المسافر مستجاب. و«كم من أشعثَ أغبرَ ذي طمرين لا يؤبه ... أقسم على الله لأبَرَّ قسمه»، ولكن مع أكل الحرام لم تنفعه تلك الأشياء في حصول الإجابة، وإذا لم يُستجب دعاؤه لذلك، فكذلك صلاته.

وفي حديث «**يشيب ابن آدم وتشب منه خصلتان، الحرص وطول الأمل**»[4] قال: هذا خاص بمن ... في قلبه من صغره كلما كبر ازداد حرصه عليها. وأما من عاش في صغره بالزهد ونحوه فبالعكس من ... ودليل ذلك من الحديث الآخر: «**يموت المرء على ما عاش عليه**»[5]، أو ما معناه، أن صاحب الدّين والزهد ... الدنيا كلما كبر ازداد زهدًا فيها وتقللاً منها، وصاحب الدنيا المحب لها كلما كبر ازداد ضعفًا وعجزًا ... وعن التمتع بها، وفي قلبه تعلق بها، ورغبة فيها، وطلب لزيادتها.

وفي حديث: «**ماء زمزم لما شُرِبَ له**»[6]، قال: يعني من شربه لمرض، شفاه الله، أو لجوع، أشبعه الله ... لحاجة، قضاها الله؛ أي: لأنها في الأصل للاستغاثة، أغاث الله بها اسماعيل (عليه السلام). وقد جربه الأئمة ... المطالب فوجدوه صحيحًا مِن خبره عليه الصلاة والسلام، ولكن يحتاج لنيّةٍ وإخلاصٍ، ما هو لكل ...

---

(١) جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء مع من أحب». صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، (٢٦٤٠)؛ سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء ... مع من أحب، (٢٣٨٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب، باب فضل الضعفاء والخاملين، (٢٦٢٢)، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب البراء بن مالك، (٣٨٥٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (١٠١٥).

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في قلب الشيخ شاب على حب اثنتين،(٢٣٣٨ - ٢٣٣٩). ولفظه: يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان الحرص على العمر والحرص على المال.

(٥) لفظ الحديث في صحيح مسلم، ٢٨٧٨؛ ومسند أحمد، ١٤٥٤٣؛ وسائر الكتب: "يبعث كل عبد على ما مات عليه".

(٦) سنن ابن ماجة، كتاب الحج، باب الشرب من زمزم، (٣٠٦٢)؛ البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب زيارة البيت كل ليلة من ليالي منى، (...

وفي حديث: «**ان الله حمى أمتي أن تجتمع على ضلالة**»(١) قال: يعني أنهم لا يجتمعون كلهم عليها، بل لا بد من قائم على الحق ولو قليلاً وما ورد أنهم السواد الأعظم لعله لم يصح؛ لأنه لم يبقَ في زمن بني عباس مَنْ لم يَقُلْ بخَلْقِ القرآن الكريم إلا القليل أحد يُظهِره ويدين به، وأحد يظهره ولا يدين به. ظهوره وخفاؤه بسبب ملوكهم، فالناس على دين ملوكهم، يعني يظهرون ما يكون عليه ملوكهم، إما أنه كذلك، وإما تقيةً وخوفًا.

وفي حديث: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»(٢)، قال: إذا كان واجدًا فلا ينبغي أن يقترَّ على ـه، إلا إن كان بنيَّة زهدٍ وكان من أهله، وفي الحديث: «**إن الله يحب أهل البيت الخَصِب**»(٣)، أي في المعيشة ـ كان هناك شيء بغير إسراف.

وفي حديث: «**وخالق الناس بخلق حسن**»(٤)، قال: أي لا تَجْفُ على الناس، ولا تشح عليهم، ولا تنكر ـيهم، ولا تكن ثقيلاً على الناس، ولا عتابًا على الناس، حتى أهلك وأولادك. وقال: بحسن الخلق يُستجْلَب حبّ الأخيار، ويُكتَفى شر الأشرار.

وقيل له: التعرض للنفحات الوارد في الحديث، وهو قوله (ﷺ): «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات، ألا ـعرضوا لها**»(٥)، بماذا يكون؟ فقال: بالدعاء والجلوس في الأوقات المرجو حصولها فيها، والانتباه، وعدم ـوم إذ ذاك، فإذا وردت النفحةُ عليك وأنت نائم فما يقال لك متعرض.

وقال في الدعاء الوارد في الحديث: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من التردِّي، والهدم، والحَرق**»(٦)، إن هذه الأشياء ولو ـ فيها شهادة إلا أنها لا تأتي إلا بغتة، ويكون حينئذ بغير استعداد. وما جاء بغتة يُشْكِلُ وَيَعسُر، وربما ـض وهو غير راضٍ، وذلك مشكل.

وقال في حديث: «**إذا لقيتم المصرّين على المعاصي فَلْقَوْهم بوجوه مكفهرة**»(٧)، أي المجاهرين بها، المتظاهرين ـ بلا مبالاة، ولا يجاهر ويتظاهر بها إلا مَن لا خوف معه من الله ولا حياء، فلتُبغِضْهم وتُعادِهم ما لم ـ فتنة.

ـنن الترمذي،كتاب الفتن، باب في لزوم الجماعة، (٢١٦٧)؛ سنن أبي داود، كتاب الملاحم والفتن، (٤٢٥٣)؛ بلفظ: «**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة** ـ»، وابن ماجة، كتاب الفتن، (٣٩٥٠). بلفظ: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم**».

مجمع الزوائد، ١٣٢/٥، ١٣٣.

ـمع الصغير للسيوطي،

ـنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فب معاشرة الناس، (١٩٨٧).

ـبراني في المعجمين الكبير، (٥١٨) والأوسط، (٢٨٥٦).

ـنن النسائي، كتاب الإستعاذة، باب الإستعاذة من التردي والهدم، (٣٣٣١، ٥٥٣٢، ٥٥٣٣)، سنن أبي داود، كتاب...، باب في الإستعاذة، (١٥٥٢).

ـيمي في مسند الفردوس، (٢٣٠) بلفظ: «تقربوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، والقوهم بوجوه مكفهرة، والتمسوا رضا الله بسخطهم، وتقربوا إلى الله ـ عد عنهم».

وقـال في حديـث: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سـمع**»[1]أي مِن صِـدْق وكَذِب، ومن نافع وتـ
فينبغي إذا أراد كلامًا أن ينتقيه، فلا يحدث إلا بما فيه نفع مؤمن، أو دفع ضر عنه.

وقال في حديث: «**من تصدَّق فقد فكّ لِحَي سـبعين شـيطانًا**»[2]يعني خالف صفات الشياطين، فشيـ
يأمـره بالبخـل، وآخر يخوفه الحاجة، وآخر يأمره ويؤخره عن ذلك، إلى سـبعين شـيطانًا من هذا القبيل، فـ
تصدّق، فقد خالف جميع هذه الدواعي.

وفي حديـث: «**لو لم تُذنِبوا لخلق الله قومًا يذنبون فيسـتغفرون فيغفر لهم**»[3]، قال: يعني أنك لا تتف
ذلـك أي الذنـب ولا تنكـر وجـوده في الكون، فلله في خلقه حِكَـم، ولو لم يكن مـن الحِكَم في ذ
ليكون الناس درجات بعضهم فوق بعض.

ومن أنكر وجوده أو تقصَّد فعله فهو عاصٍ فاسقٍ، وهو كمن يتقصد شرب السُّم.

وفي حديث: يؤذن لهم أي أهل الجنة في مقدار جمعة[4]، قال: إن كان من جُمَع الآخرة فما هو إلا بعد سـ
آلاف سنة؛ لأن اليوم من أيامها ألف سنة، وإن كانَ من جُمَع الدنيا فقريب، وهذا الإذن عام لخاصة المؤمـ
وعامتهم، وإنما يتميز الخاصة عن العامة بقرب المجلس، وأحوال الكرسي.

وتجليه تعالى لكل مؤمن على قَدْره، كما ورد أن الله يتجلى لأبي بكر خاصة، كما يتجلى لغيره عامة.

والقول بعدم إرادة الجنة أو عدم الخوف من النار من شطحات الصوفية التي اعترضوا عليهم فيها؛ ف
إذا أرادوا النظـر فـلا بـد لهم من الجنة، ولعلـه إنما المراد من قولهـم ذلك: إنما نعبدك مجـرد امتثالٍ لأمـ
وانقياد لعبوديتك، لا غير ذلك من طلب ما تهواه النفس، أو فرارًا لما تنفر منه، والله أعلم.

وفي حديـث: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم من أيام الآخرة**»[5]، قال: أي فقراء كل صـ
يدخلون الجنة قبل أغنيائها بذلك القدر.

وفي الحديـث الذي ذكـر فيه أبواب الجنة الثمانية[6] قال: هذه الأبـواب الكبار التي تكون على حائط
حائط سورها، يُدخَل منها إليها، وإلا فلكل بيت باب.

والنار سبع طباق، إذا دخل من باب طبقة إلى أخرى ينزل حتى الهاوية.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (٥).

(٢) مسند أحمد، (٢٣٠١٢)؛ البيهقي في السنن الكبرى، (٧٦٠٨) الطبراني في المعجم الأوسط، (١٠٣٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالإستغفار توبة، (٢٧٤٩).

(٤) صحيح ابن حبان، (٧٤٣٧).سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، (٢٥٤٩)؛ سنن ابن ماجة، باب صفة الجنة، (٤٣٣٦).

(٥) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، (٢٣٥٣، ٢٣٥٤)، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب منـ
الفقراء، (٤١٢٢).

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة، (٣٠٨٤).

والجنة إذا دخل من باب وأراد الآخر ارتفع. وكل منزلة أعلى من منزلة.

ولأي شيء كانت أبواب النار سبعة؟ قيل: لأن القلب يُعَدُّ في أبواب الجنة دون النار. والإنسان إنما يرجو من فضل ربه.

وقوله: القلب يعد في أبواب الجنة فتصبح أبواب الجنة ثمانية، أي لقولهم: إن لا إله إلا الله محمد رسول الله سبع كلمات، وللعبد سبعة أعضاء، وللنار سبعة أبواب، فكل كلمة من هذه السبع تغلق بابًا من الأبواب السبعة، عن كل عضو من الأعضاء السبعة.

وأما القلب: فهو محل الإيمان، فلا تناسب بينه وبين أيٍّ من أبواب النار.

وسئل عن معنى الزيادة في العمر الواردة في بعض الأحاديث[1]، فأجاب: قد صحّ أن العمر لا يزيد ولا ينقص، كتابًا سابقًا، وقد اختلف العلماء (رحمهم الله تعالى) في معنى الزيادة، فذهب بعضهم إلى ظاهر الحديث، وقال: تكون الزيادة والنقص مشروطة بأسباب، مثاله: أَجل فلان كذا وكذا، فإن فعل كذا، زيد له كذا. وكذلك يقال في نقصه فإنه قد ورد. وقال بعضهم: وهو ابن عباس (ﷺ): إن للإنسان أجلاً في الدنيا من مولده إلى موته، وأجلاً في البرزخ من موته إلى بعثه، وكل مسمى، فإن أطاع الله تعالى، زِيْدَ من أجله البرزخي على أجله الدنيوي، وإن خالف وعصى، نقص من أجله الدنيوي فزيد على أجله البرزخي، فلم يكن زيادة من خارج، ولا يبدل الكتاب السابق. وهذا هو الصحيح عندي. وقال بعضهم: معنى الزيادة الواردة البركة تكون في عمره، حتى يزن عمره القصير عمر غيره الطويل، من غير أن تكون زيادة حسية. والمطلوب من طول العمر، إنما هو اتساعه لتتسع دوائر العمل الصالح، وقد حصل ذلك لهذا العبد الموفق، وكان طولاً حقيقيًا وزيادة معنوية؛ فتأمل هذا الجواب وخذه بحقه.

وسئل عن حديث «المرء مع من أَحب»[2]، فقال: اعلم علَّمك الله تعالى أن الحديث فيه ترغيب وترهيب؛ حيث يكون الإنسان مع من يحبه سواء كان من الأبرار أو الفجار. فكيف حال من يحب الدنيا الملعونة، حيث يصير معها؟ ثم إن المعية الحاصلة بالمحبة تحصل مطلقًا، ولكن لا يصح وجود المحبة إلا بموافقة المحبوب فيما يأتي ويذر، حسب الاستطاعة. والمحبة دعوى لا تثبت حتى تقوم بها بينة الموافقة، فالذي يدعي محبة شخص وهو مع ذلك يخالفه في أغراضه ومراداته التي يقدر عليها، ولا يوالي من يواليه، ولا يعادي من يعاديه، يقضي العقل بتكذيبه، نعم لا يُشترَط لحصول هذه المعية المساواة للمحبوب في جميع أحواله؛ فإن ذلك يقتضي المماثلة فيما يستطاع مماثلته، فقد علمت أن المحبة لا تصلح بدون الموافقة أبدًا.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، (١٩٦١)، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، (٥٦٣٩، ٥٦٤٠).
(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، (٢٦٤٠)؛ سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء أن المرء مع من أحب، (٢٣٨٧).

وسئل عن حديث: «من عرَف نفسه عرَف ربه»، فقال: اعلم أن هذه الكلمة حديث يروى عن رسول الله ﷺ وقد تضمنت على إيجازها من المعارف والعلوم شيئًا كثيرًا، وهو الذي أُيِّد بجوامع الكلم (ﷺ)، ثم اعلم أن لهذه الكلمة معاني كثيرة نقتصر منها على ذكر معنيين بأوجز عبارة:

قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2].

المعنى الأول: من كون المعرفة بالنفس طريقة المعرفة بالحق: أنك إذا نظرت إلى نفسك، وإلى عجزها وافتقارها، وقصورها وانقهارها، وأنها لا تستطيع أن تجلب نفعًا لنفسها، ولا تدفع ضرًّا عنها، تعلم بذلك أن لها ربًّا وخالقًا، هو المنفرد بإيجادها وإمدادها، والقائم عليها بما كسبت، والمجازي لها بما عملت، له الغنى المطلق والوجود المحقق.

قيل لبعض العارفين: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم؛ يعني بذلك: أنه قد يعزم على الأمر ليبرمه فيُنتقَض، ويعزم على نقضه فيُبْرَم، فاستدل بذلك على كونه مربوبًا، وأن أمره في يد غيره، ذلك هو الله العزيز الحكيم.

المعنى الثاني: أنك إذا نظرت إلى نفسك، ورأيتها مائلة إلى الشر والباطل، ومعرضة عن الخير والحق، وراغبة في التمتع بالدنيا الفانية، وغافلة عن الآخرة الباقية، مجبولة على التمتع بالشهوات، والدخول تحت رق العادات، علمت أنه لا ينجيك من بأسها، ويعصمك من فتنتها، إلا الخالق لها، القادر على إصلاحها، وهو الله (تبارك وتعالى)، فعند ذلك تفزع إليه، مكتفيًا به، معتمدًا عليه، فإذا علم سبحانه من قلبك صدق الفرار، وصحة الرغبة في الخلاص أفاض عليك الأنوار، وكاشفك بمصونات الأسرار، وألقى على النفس الأمارة بالسوء، المقارِنَة للشر والأشرار من الطمأنينة والانقياد للحق، والنفرة عن الباطل، والرغبة في ملازمة الخير ومرافقة الأخيار، ما تقرّ به عين القلب ويمحى عن وجوده كل ما يَشْغَل عن سلوك سبيل القرب. فعند ذلك تعرف لطف مولاك (عَزَّوَجَلَّ)، وعنايته بك، ورحمته عليك، وحسن نظره إليك، وأصل هذه المعرفة معرفتك بشؤم النفس الحامل لك على التفزُّع إلى الله تعالى. فتنبه لما أشرنا إليه، وتأمله حقه، واقنع بهذه اللَّمعة؛ فإنها من العلم المكنون المتلاطمة بحاره[3].

وفي حديث: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **ثلث القرآن، والزلزلة نصف القرآن، والكافرون ربع القرآن**»[4]، قال الإمام: إن هذه أسرار لا يُطَّلَع عليها إلا بنور النبوة.

---

(١) فصلت: ٥٣

(٢) الذاريات: ٢١.

(٣) هذه إشارة إلى ما أخرج الديلمي في مسند الفردوس (٨٠٢) عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغِرّة بالله عز وجل».

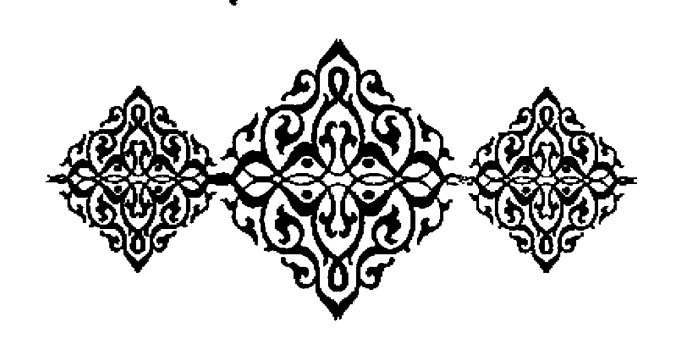
(٤) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت، (٢٨٩٤).

وفي حديـث: «**يـأتي زمانٌ الصابر فيهـم على دينه كالقابض على الجمر**»(١)، قال: أي يعسر التمسـك بالدين حينئذٍ، وأكثر ما يشتد على المتمسك بالدين والعلماء العاملين والصالحين.

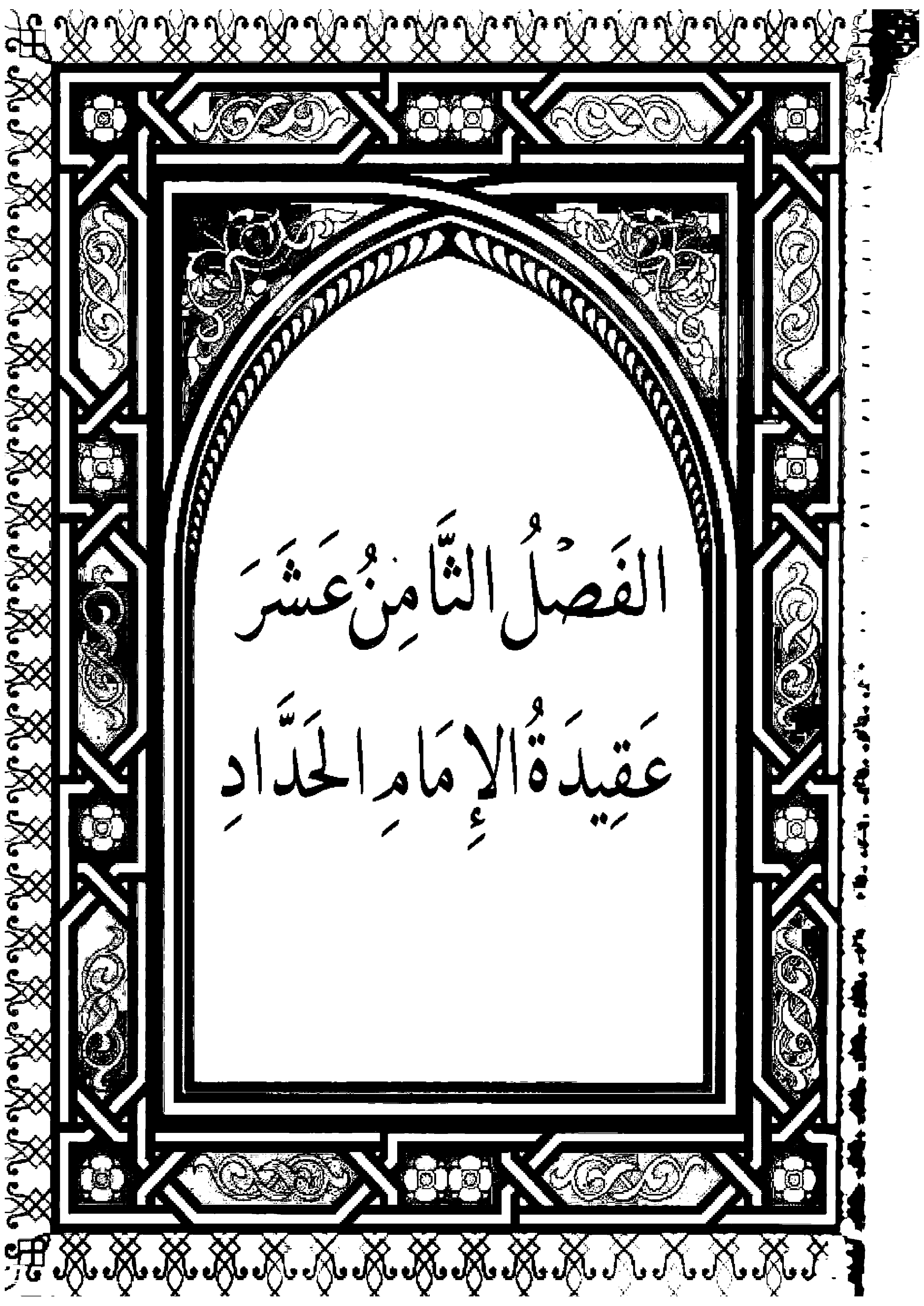
وفي حديث: «**يقول الله لأهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(٢)، قال: أي إنهم ما بقي فيهم داعية للمعصية، إنما عملهم كله صالح.

وقال في حديث: «**الدين النصيحة**»(٣)، أي إنها داخلة في جميع أجزاء الدين.

وقال: ما جاء في الحديث من أن فاطمة (ﷺ) أتته (عليه الصلاة والسلام) بكسرة خبز، وقالت: خبزت خبزًا فما طابت نفسي حتى آتيَك بهذه الكسرة، فقال (عليه الصلاة والسـلام): «**أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث**»(٤)، قال: إنه (عليه الصلاة والسـلام)، كان يتنقل في بيوته التسـعة، كل ليلة في بيت، ويخرج أيضًا إلى خـارج المدينة، ويصوم ويجوع، ولا يعلمون به، وكلُّ موضع يجيئه يظنونه قد أكل في الموضع الآخر، حتى إنهم طلبوا يومًا معرفة كونه صائمًا أم لا، فأطعموه، فأكل، فعرفوه أنه مفطر.



(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ٧٣، (٢٢٦٠).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس...، (٢٨٤٥)، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، (٤٠٢٥)؛ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، (٢٤٩٤).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (٥٥).
(٤) البخاري في التاريخ الكبير، (٣٨١)؛ البيهقي في شعب الإيمان، (١٠٤٣٠)؛ الطبراني في المعجم الكبير، (٧٥٠)؛ المقدسي في الأحاديث المختارة، (٢٥٩٦).



الفَصْلُ الثَّامِنُ عَشَرَ

عَقِيدَةُ الإِمَامِ الحَدَّادِ

عقيدة الإمام الحداد هي عقيدة أهل السُّنّة والجماعة، وهي التي حررها الإمام أبو الحسن الأشعري (رحمه الله).

وقد أورد الإمام الحداد في كتاب «النصائح الدينية»، نص عقيدته في التوحيد، وجعله الشيخ حسنين مخلوف، مفتي الديار المصرية السابق (رحمه الله) رسالةً مستقلة، وجعل لها شرحًا مختصرًا. كما أورده الحبيب حمد مشهور الحداد (رحمه الله) بلفظه في كتاب «مفتاح الجنة»، وما ذلك إلا لكونه خلاصة عقيدة أهل السُّنّة لجماعة.

قال الإمام الحداد في النصائح الدينية:

خاتمة الكتاب في عقيدة وجيزة نافعة إن شاء الله تعالى على سبيل الفرقة الناجية، وهم أهل السُّنة لجماعة، والسواد الأعظم من المسلمين.

لحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد: فإنا نعلم ونعتقد، ونؤمن، ونوقن، ونشهد:

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله عظيم، ملك كبير، لا رب سواه، ولا معبود إلا إياه.

قديم أزلي، دائم أبدي، لا ابتداء لأوّليته، ولا انتهاء لآخريّته.

أحد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

لا شبيه له ولا نظير، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

وأنه تعالى مقدس عن الزمان والمكان، وعن مشابهة الأكوان، لا تحيط به الجهات، ولا تعتريه الحادثات، ستوٍ على عرشه على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً يليق بعز جلاله وعلُوِّ مجده وكبريائه.

وأنه تعالى قريب من كل موجود، وهو أقرب للإنسان من حبل الوريد، وعلى كل شيء رقيب وشهيد.

حي قيوم، لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم.

بديع السموات والأرض، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

نه خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

وأنه تعالى على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، لا يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير.

يعلم السر وأخفى، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب، ولا يابس، إلا في كتاب مبين.

وأنه تعالى مريد للكائنات، مدبر للحادثات.

وأنه لا يكون من خير أو شر، أو نفع أو ضر، إلا بقضائه ومشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يـ
ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يحركوا في الوجود ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا عنه.

وأنه تعالى سميع بصير، متكلم بكلام قديمٍ أزلي، لا يشبه كلام الخلق.

وأن القرآن العظيم كلامُه القديم، وكتابه المنزل على نبيه ورسوله محمد (ﷺ).

وأنه سبحانه الخالق لكل شيء، والرازق، والمدبر، والمتصرف فيه كيف يشاء، ليس له في ملكه منازِع
مدافع، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، لا يُسْأَل عما يفعلُ وهم يُـ

وأنه تعالى حكيم في فعله، عدل في قضائه، لا يُتصور منه ظلم ولا جور، ولا يجب عليه لأحد حق. و
سبحانه أهلك جميع خلقه في طرفة عين لم يكن بذلك جائرًا عليهم، ولا ظالمًا لهم؛ فإنهم مِلْكُه وعبـ
وله أن يفعل في مِلْكِهِ ما يشاء وما ربك بظلام للعبيد.

يثيب عباده على الطاعات فضلاً وكرمًا، ويعاقبُهم على المعاصي حكمة وعدلاً.

وأن طاعته واجبة على عباده، بإيجابه على ألسنة أنبيائه (عليهم الصلاة والسلام).

ونؤمن بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله، وبملائكة الله، وبالقدَر خيرِه وشرِّه.

ونشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله، أرسله إلى الجن والإنس، والعرب والعجم، بالهدى ودين الحق ليُـ
على الدين كله ولو كره المشركون.

وأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده.

وأنه صادق أمين، مؤيَّد بالبراهين الصادقة، والمعجزات الخارقة.

وأن الله فرض على العباد تصديقَه وطاعته واتّباعه.

وأنه تعالى لا يَقبل إيمانَ عبد وإن آمن به سبحانه حتى يؤمن بمحمد (ﷺ)، وبجميع ما جاء به وأخبر
من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ.

من ذلك: أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى عن التوحيد والدين والنبوّة.

وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل الطاعة، وبعذابه لأهل المعصية.

وأن يؤمن بالبعث بعد الموت، وبحشر الأجساد والأرواح إلى الله.

وبالوقوف بين يدي الله.

وبالحساب.

وأن العباد يتفاوتون فيه إلى مُسامَح ومُناقَش، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب.

وأن يؤمن بالميزان، الذي توزن فيه الحسنات والسيئات.

وبالصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم.

وبحوض نبينا محمد (ﷺ) الذي يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وماؤه من الجنة.

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء، ثم الصدّيقين، والشهداء، والعلماء، والصالحين، والمؤمنين.

وأن الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد (ﷺ).

وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد، حتى لا يخلّد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأن أهل الكفر والشرك مخلّدون في النار أبد الآبدين، ولا يُخفَّف عنهم العذاب، ولا هم يُنْظَرون.

وأن المؤمنين مخلّدون في الجنة أبدًا سرمدًا، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمُخْرَجِين.

وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بأبصارهم، على ما يليق بجلاله وقدس كماله.

وأن يعتقد فضل أصحاب رسول الله (ﷺ) وترتيبهم، وأنهم عدول خيار أمناء، ولا يجوز سبُّهم ولا القَدْح في أحد منهم.

وأن الخليفة الحقَّ بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان الشهيد، ثم علي المرتضى، رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. (ا.هـ)

وقد سئل الإمام الحداد يومًا، إن كان الاعتقاد الحق منحصر في عقيدة الأشعري، وما خرج عنها فهو ضلال؟ فأجاب: عقيدته هي الحق، وما خرج عنها فيه حق وباطل، وإنما فاق غيره؛ لكونه قال آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وفوض الأمر إلى الله.

والإمام يفضّل مذهب السلف في التسليم والتفويض، وعدم الإقدام على تأويل ما تشابه، فيقول: (خذ في كل ما يشكل عليك في حق الله ويوهمك فيه شيئًا بالتسليم، واتركه على ما هو عليه، مع التنزيه له سبحانه عن صفات الحدث.

قد جاء في القرآن والسُّنّة كثير مما يوهم ذلك ولكن للسلف فيهما طريقين: التسليم، والتأويل مع التنزيه. وأين الرب سبحانه من صفات خلقه؟ ففي وصف أحد الملائكة من الأمور ما تعجز العقول عن إدراكها، فكيف بالباري سبحانه.

ومما ينبغي الإيمان به، مع عدم الخوض فيه، إيثارًا للسلامة، مسألة القضاء والقدَر، وهي مسألة كثر فيها الكلام، وخرجت منها البدع والفتن.

وقد سأل أحدُ علماء الزيدية الإمامَ الحداد عن عدة مسائل، منها هذه المسألة، فأجابه بما هو عقيـ
السـنة والجماعـة، فقال: (اعلم وفقك الله أن مذهبنا، والذي نعتقـده ونَدِينُ اللهَ به، أنه لا يكون كـ
خير وشر ونفع وضر إلا بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته. فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومذهبنـا هـذا برزخ بين مذهبين: أحدهما مذهب الجبرية، القائلين: بـأن العباد مجبورون على
ويَذَرون، مقهورون مضطرون في كل حال، تضاهي أفعالهم أفعال الناسي والمُكْرَه، بل أفعال المجنون و
وهذا المذهب يُعرف بطلانه ببديهة العقل، ولو لم يدل دليل على كونه باطلاً.

والثاني مذهب المعتزلة، القائلين: أن أفعال العباد الاختيارية خلْقٌ لهم، وأنهم إن شاؤوا فعلوا وإن شاؤو

وأما ماهية الكسب الذي نقول به، فهو شيء يعرفه الإنسان من نفسه؛ إذ لا يعزب عن عاقل، الفرق
أفعاله الاضطرارية والاختيارية، وأنه في الاضطرارية منها مجبور، وفي الاختيارية غير مستقل.

والذي ذكرنـاه مـن مذهبنا أولاً، يجب عندنا اعتقاده والإيمان به، ولا يتم الإيمان بدونه. وهو: أن كل
أي شيء كان لا يكـون إلا بقضـاء الله ومشـيئته، ومـع ذلك فنحن نحـب المطيع، ونثني عليـه، ونحض
التشـمير في الطاعـة، ونحذره الوقوع في المعصيـة، ونقول بإثابة الله له، ونُبغِض العـاصي، وننهاه عن المعصـ
وندعوه إلى الطاعة، ونقول بمعاقبة الله له، ونقيم الحدود، ونرفع المظالم إلى الولاة، ونأمر بالمعروف وننهى
المنكر، ونعد قول العاصي منا إذا قال عندما يقال له: لم عصيت؟: «هذا بقضاء الله وقدره»، من أعظم الذنو

والرضا بقضاء الله واجب عندنا، ومحله أن يرضى بأفعاله جملة، وأنها فضل وعدل.

ومن الرضا عندنا سكون القلب عند ورود المصائب في الأنفس والأموال، وحصول الشدائد من المخـ
والفاقات.

والرضا بالمعاصي معدود عندنا من كبائر الذنوب.

ورُوي عنـه أنـه قال: (مسـألة القضاء إنما هي اعتقاد في الباطن لا مسـألة احتجـاج بها وإظهارها، ومـ
أظهر ضل، فتُعتقد ولا تكون في الأعمال.

أليس تحريك يدك باختيارك؟ فهذا هو الكسب والاكتساب.

ولا يظهرها ويتكلم بها للعامة إلا من أراد أن يَضِل أو يُضِل.

وقد قيل: إنها مسألة غامضة، لا تتضح إلا يوم القيامة.

وقالوا: الرضا بالقضاء أن تفعل ما يَرضى الله به ظاهرًا، وترضى بما يقضيه باطنًا، فهذا هو الحق والصواب
وما كان غير ذلك فهو باطل.

وماذا وقع للعامة من قولهم في كل ما فعلوه هذا مقدّر علينا، فإذا جاء ما فيه هواهم وغرضهم، قالوا ذلك، وإذا جاء خلاف ذلك، ضاقوا به ذرعًا، وقامت عليهم القيامة.

وقال (رضي الله عنه): رُبّ مسخَّرٍ للقضاء والقدر مأجور في الشرع، ورُبّ مسخر له مأزور في الشرع.

وكُلُّ أحد مسخَّرٌ للقضاء والقدر، ولكنه لا حجة لأحد لأنه لا جبر.

وكل الأشياء من القضاء والقدر لا من الأسباب، والأسباب مظهر لها. ومنه طول العمر بالبِر.

وقال: الناس كلهم يخدمون القضاء والقدر؛ لأنهم يسعون في تنفيذه، ويُعرَف تخصيصه بظهوره عليهم، ولو قلت لشخص: سر إلى البلد الفلاني لتموت فيها لأبى، ولكنه يسير لقصد حاجته، وقد قُضِي أجلُه فيها، فيموت بها، وكل يسعى في نفع نفسه، فيصير النفع لغيره بسببه، وينتفع بعضهم من بعض، ولا أحد قصد إلا نفع نفسه.

وأشار الإمام إلى أن مسألة القضاء والقدر سر لا مطمع للعقل فيه، وأنه إنما يعلمه المؤمن مشاهدةً في الآخرة، فقال: يكفي الإنسان بعد الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ذكر الوعد والوعيد عن الخوض في مسألة القضاء والقدر؛ لأن فيها إشكالاً لا ينحَلّ إلى يوم القيامة، وكل من تكلم في حلها زادها إشكالاً، فلا مطمع في حلها.

ورُوي عنه أنه ذكر ارتباط الأسباب بالقضاء، واحتجابه فيها، فقال: لله أسرار وحكم في ترتيب الأسباب، وارتباط منافعها بعضها إلى بعض، واحتياج البعض منها إلى البعض. وهذا عالم الأسباب، جميع أموره تتوقف على الأسباب، وهو موضع قوله ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا.﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [1]، أما عالم الأمر: فهو شيء آخر، ولا حكم فيه للأسباب، ولا للكاف والنون، ولا احتياج إليها.

وقال: الأشياء من القضاء والقدر لا من الأسباب، والأسباب مظهر لها. ومنه: طول العمر بالبِرّ، وقِصَرُه بالفجور.

والأسباب وما تعلق بها من القضاء والقدر، فإذا بَرّ وطال عمره، أو فجر وقَصُر عمره.. فهو مقضيٌّ عليه بفعله، ومقضيٌّ عليه أن يحصل له من العمرين ما حصل.

وقال: إنه مكتوب في اللوح المحفوظ وقوع كل شيء مع سببه، أن كذا يقع بكذا، وكذا بكذا، وعلى هذا.

والعالم من أوله إلى آخره مدبر على أيدي الملائكة، لا على أيدي بني آدم، حتى بنو آدم مدبَّرون بالملائكة، حتى إن الإمام الغزالي ذكر أن في باطن الآدمي سبعة ملائكة يدبرون غذاءه، هذا يدفع القوت إلى المعدة، وهذا يستخرج الفضلة منها، وهذا يدفع الدم إلى الكبد، وعلى هذا التدبير. هذا في السُّفليّ من العالم.

[1] عبس: ٢٥ إلى ٣٢.

وفي العلويّ هذا يسوق السحاب، وهذا يحمل الماء. وإنما تدبير أمر الأرض وأحوال الدنيا بأيدي ـ
لإقامة أمر الله وأحكامه.

وإذا أردت أن يجري الله بك، على العادة، من لطفه وكرمه، فَاجْرِ أنتَ على العادة من طاعته وعبدته
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وإذا أراد الله أمرًا سبَّبَ له أسبابًا، وظهر سبحانه بالأسباب.

ولا يظهر بالقدرة في الدنيا، إنما يظهر بالقدرة في الآخرة، فالقدرة في الدنيا تابعة للأسباب، وفي ـ
الأسباب تابعة لها.

والقدرة في الدنيا خافية في الأسباب، والأسباب ظاهرة بها.

وفي الآخرة القدرة ظاهرة، والأسباب خافية فيها.

ويجعل سبحانه لكل أمر سببًا غير سبب الآخر؛ ليعلم الناس وُسْعَ قدرته تعالى.

وقد ذكر الإمام في عقيدته ترتيب الخلفاء بعد الرسول (ﷺ)، وبعض مقولاته في هذا الشأن مد ـ
في كتاب «تثبيت الفؤاد»: منها: أنه لما ذُكِرَتْ الخلافةُ، قال: أما أبو بكر: فبالإجماع عليه، وأما ـ
فبالوصية من أبي بكر، وأما عثمان: فبالإجماع عليه بعد الشورى، وأما سيدنا عليّ (رضي الله عنه): فبمبايعة ـ
بدر والمهاجرين والأنصار، وأما معاوية: فبتسليم الحسن بن عليّ له ومبايعته، وغيرهم إنما هو بالسيـ
والظلم والتعدي.

وقال: الذين بايعوا سيدنا عليًا من أهل الحديبية نحو مائة رجل، ومن أهل بدر واحدٌ، والمهاجر
والأنصار، ولم يتخلف عن بيعته من الأنصار سوى رجلين أحدهما كان صغيرًا.

ثم قال: إنما مرادنا من ذكر ذلك؛ ليكون في بالكم؛ فربما تسمعون فيما يأتي بأشياء من هذا القبيل ـ
تنكرونها، محسنين الظن بأصحاب رسول الله (ﷺ)، فالله الله بحسن الظن في الصحابة، ونوصيكم بـ
كثيرًا، استوصوا بحسن الظن فيهم. وما كان لنا مطالعة في ذلك إلا لمّا وصلوا الزيدية إلى الجهة احتجت
المطالعة فيها، فطالعنا فيها بقدر الحاجة.

وكتب إلى عَالِم الزيدية إجابة على سؤاله: اعلم أن الذين باشر عليٌّ (كرّم الله وجهه)، قتالَهم بنفسه في ـ
خلافته بعد أن خرجوا عليه ثلاث طوائف:

الأولى، أهل الجمل: الزبير وطلحة وعائشة (رضي الله عنهم) وأهل البصرة. خرجوا عليه بعد أن بايعوه، يطالبون بـ
عثمان (رضي الله عنه)، ولم يكن (رضي الله عنه) قَتَلَهُ ولا أمر بقتله ولا رَضِيَهُ، ولكنه قَبِلَ البَيعة من قَتَلَتِهِ، ولم يسلّ
لأمر رأى فيه صلاح الدين واجتماع المسلمين في ذلك الحين، فلم يفطن له الخارجون عليه.

الثانية، أهل صِفِّين: معاوية وعمرو بن العاص وأهل الشام، ولم يبايعوا عليًا، فخرجوا عليه يطالبون ـدم عثمان.

الثالثة، أهل النهروان، وهم الخوارج. وقد بايعوه وقاتلوا معه، ثم خرجوا عليه ينقمون تحكيم حكمين يوم صفين.

وما قاتل (رضي الله عنه) أحدًا من هذه الطوائف إلا بعد أن دعاهم إلى الاجتماع والألفة والدخول في الطاعة، فأبوا.

وكلهم بغاة عندنا، ومنازعون، وخارجون بغير حق صريح وصواب واضح.

نعم من خرج منهم وله في خروجه شبهة فأمره أخف ممن خرج ينازع في الأمر ويطلبه لنفسه.

والله أعلم بنيّاتهم وسرائرهم، وسلامتُنا في السكوت عنهم، تلك أمة قد خلت.

وقال علماؤنا في شأن الزبير ومن معه ومعاوية ومن معه: إنهم اجتهدوا.. فأخطأوا، فلهم عذر.

وعلى كل حال: فغاية من خرج على الإمام المرتضى، من أهل التوحيد المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة، أن ـكون عاصيًا، والعاصي عندنا لا يجوز لعنه بعينه.

وليس الخروج على الأئمة عندنا كفرًا، بل لا يجوز عندنا لعن أحد إلا إذا علمنا أنه مات كافرًا، وأن ـحمة الله لا تناله بحال، كإبليس. ومع ذلك، فلا فضيلة في لعنِ مَنْ هذا وصْفُه ويجوز عندنا لعن العاصين ـفاسقين والظالمين عمومًا.

وأما الحسن والحسين (عليهما السلام): فهما إمامًا حقٍّ، قد استُجْمِعَتْ فيهما شرائط الإمامة، وكملت أهليتهما لها.

فأما الحسن: فبايعه أهل الحَلِّ والعَقد ممن كان في طاعة الإمام علي، وذلك بعد مقتله، فلما سار إليه معاوية بجموع أهل الشام بقصد حربه، وسار هو إليه بجموع أهل العراق، فحين تقارب الفريقان نظر ـحسن نظرَ الرحمة والشفقة إلى الأمة، لِيُتِمَّ الله ما قال جده فيه: «إن ابْني هذا سيد، وإني أرجو أن يُصلِح الله ـين فئتين عظيمتين من المسلمين»، الحديث، فعند ذلك خلع نفسه وبايع لمعاوية، على أن يكون له الأمر ـبعده في شرائط اشترطها.

ـمات (رضي الله عنه) قبل معاوية، فجعل معاوية الأمر إلى ولده يزيد، فبايعه الناس طوعًا وكرهًا.

وأبى الحسين (رضي الله عنه) أن يبايع، فبعد ذلك كتب إليه أهل العراق أن يصير إليهم، ليملّكوه عليهم فأجابهم ـلك، وسار يقصد العراق. فكتب يزيد بن معاوية إلى عامله بها، عبيد الله بن زياد، يحثه على حرب ـحسين والوقيعة به، فقام بذلك ووافقه أهل العراق عليه بعد أن بايعوا الحسين ودخلوا في طاعته بزعمهم، ـ هنالك شهيدًا في طائفة من أهل بيته (عليهم السلام).

والذي قتله والذي أمر بقتله والذي أعانه على ذلك عندنا من الفاسقين المارقين، عاملهم الله بعدله أجمع

وليس يزيد عندنا بمنزلة معاوية، فإن معاوية صحابي، ولم يكن يترك الفرائض وينتهك المحارم
يزيد، فيزيد فاسق بلا شك؛ لأنه كان يترك الصلاة ويقتل النفس ويزني ويشرب الخمر، وحسابه على الله

وقد تحدث الإمام ذات مرة عن بني العباس وبني أمية، فقال: إن محمد بن عيسى أخا الشيخ أحمد
عيسى قاتل بني العباس، وكانت إذ ذاك شوكتهم قائمة، وإذا قهروا أحدًا من بني فاطمة لا يستأصلونهم كـ
أمية، بل يجعلونهم عندهم في بيوتهم مع أهلهم.

ولما علم عبد الله بن عمر بقتل الحسين بَكَىَ، حتى خرج الكحل من عيونه مع الدمع، ثم قال: أما و
حدثكم أبو هريرة بأنكم ستقتلون ابن نبيكم وتخرِّبون بيت ربكم لكذبتموه وقلتم ما صدق أبو هريرة
وها أنتم فعلتم ذلك.

فقيل عندئذٍ للإمام: ألم يكن معاوية، وهو صحابي، عهد إلى ابنه بالخلافة، ففعل هذه المنكرات؟

فقال (رضي الله عنه): إنه قيل: إن معاوية لما عهد له بها قال: إني تفرّست فيه خيرًا، فإن صدقت فراستي فيه فذ
وإلا فتلك من محبة الطبع، محبة الوالد لولده، وأنا أسأل الله ألا يطيل بقاءه. فلما بان على خلاف ما ظنّه
لم تطُلْ مدتُه، ومات مقتولاً قِتلةً قبيحة. إلى أن قال: ينبغي للإنسان أن ينطوي باطنه في أصحاب النبي ﷺ
على المحبة وحسن الظن بهم، ولا يسيء ظنه فيهم، حتى يصير من الذين جاؤوا مِن بعدهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ
بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] الآية. وأما يزيد، وابن زياد، والحجاج
ونحوهم: فلا لهم حرمة الإسلام، ولا لهم شيء حتى يُذكَروا.

وقال (رضي الله عنه): لو أن الخلافة صارت بعد عثمان أو بعد معاوية إلى بني هاشم، ولم تصر إلى بني أمية كـ
لم يبقَ لغيرهم مجدٌ ولا فضلُ، ولكنَّ لله تعالى في ذلك مُرادًا. وهو سبحانه يحب أن يتشارك عباده
الفضل والمجد، ولولا ذلك.. لكان مختصًا بهم ومقصورًا عليهم، وليس لغيرهم منه شيء؛ لأن فيهم ا
والرسالة، وفيهم الحسب، ولكن الله أراد ذلك؛ ليتفرق في جميع قبائل العرب، ولهذا لا تخلو قبيلة
مناقب وفضائل، كثرت أو قلت، ولو خصلة واحدة، ليستر ذلك ما فيهم من المذموم.

وقد ذكر صاحب تثبيت الفؤاد جملة من أقوال الإمام الحداد في الخلفاء الراشدين، وفي الشيعة، وفي الخو

منها: أنه ذكر الخلفاء الراشدين وأثنى عليهم كثيرًا، ثم قال (رضي الله عنه): من تأمل أحوال الخلفاء ممن له فر
ومعرفة تامة رأى طريقة أبي بكر وعثمان واحدة، إذ يغلب عليهما الحياء والشفقة. وطريقة سيدنا عمـ
وسيدنا علي واحدة، وهما على الضد من ذلك، القوة والشدة، أي في دين الله.

(1) الحشر: ١٠

وقال (رضي الله عنه): ينبغي للإنسان ألا يتعمق في مطالعة الكتب التي فيها ذكر ما وقع لسيدنا عليّ من الحروب كجمل وصفين وغير ذلك؛ لأنها توغر الصدور.

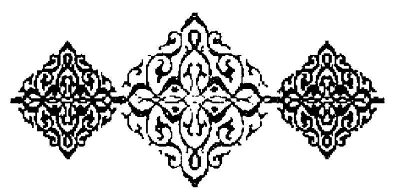
ثم ذكر أن بعض الزيدية سأله: لأي شيء قدَّمتم على أبيكم علي ابن أبي طالب غيرَهُ؟ قال: فقلنا لهم: هو ـي قدَّم غيرَه وفضَّلَه على نفسه، فقدمناه نحن أيضًا وفضلناه؛ لتقديمِهِ له وتفضيله، اقتداءً به، فقالوا: إنما ـث تقية، فقلنا: إنا لسنا مثله في قوته وشجاعته وصولته، فإذا فعل ذلك للتقية، فمَن أقوى منه أو مثله في شجاعة والقوة؟ فالتقية التي وسعته تسعنا نحن أيضًا.

وذكر (رضي الله عنه) أهل الرفض، فقال: إنهم أهل باطل، لا يُذْكَرون ولا يعوَّل عليهم في شيء، وإن كان عندهم ـير من الحق، فإنهم خلطوه في الباطل، فلا يبقى له أثر. وما اعتقدوا أن سيدنا عليًا أوْلى بالخلافة؛ فإنه ـو وَلِيَ بعد النبي (ﷺ)؛ لما كان منه إلا مثل ما كان لَمَّا وَلِيَ في وقته، أي من المنازعة التي حصلت له، ـ الاختلاف، وأحكام البغاة؛ لكونه مقدرًا عليه ومقضيًا. ولكن سيدنا أبا بكر رضي به الناس، ومنهم ـيدنا عليّ؛ لسابقته، وحصوله مع النبي (ﷺ) في الغار، ولكونه صلى بالناس في حياته (ﷺ). وهو أوصى بها ـي الخلافة باجتهاد لعمر، وعمر جعلها في أهل الشورى، الذيْ يجتمعون عليه من أحد ستة، وهو أي سيدنا ـي منهم، ويكفيه فضيلة ما لَهُ من الفضائل والمزايا وإن تأخرت خلافته؛ فإن ذلك أيضًا زيادة في فضله. ـ كان (ﷺ) إذا بعثه في سرية يقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾[1] الآية.

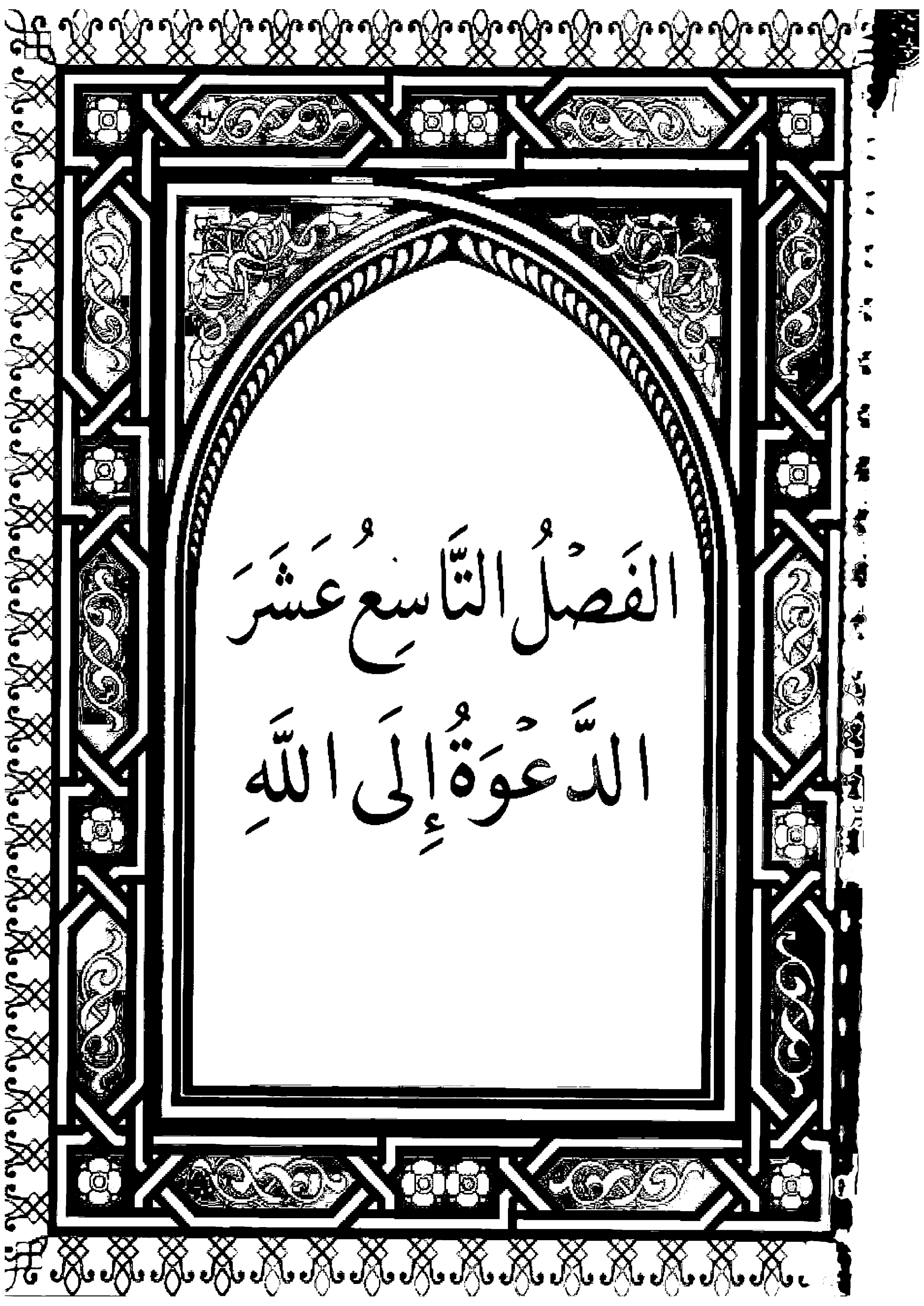
وقال عمن فيهم غلو من الشيعة: وسبب تسميتهم بالرافضة أن جماعة من أوائلهم أتوا إلى سيدنا زيد بن ـ أخي الباقر، الذي تَزْعُم الزيدية أنه إمامهم، وأخذ عنه أبو حنيفة، فقالوا: يا زيد، نكون عسكرًا معك ـ من عاداك، ولكن لا نتبعك إلا أن تتبرأ من أبي بكر وعمر! فقال: إنما أتبرأ ممن تبرأ منهما. فقالوا: ـ نرفضك! فقال: اذهبوا، أنتم الرافضة. فسمُّوا بذلك من حينئذ. وسَمَّوا الزيدية بذلك؛ لأنهم ثبتوا معه، ـ على مذهبه.

وقد كتب الإمام إلى أخيه الحامد بالهند، قائلاً: وأفحش منه وأفظع وأشنع ما بلغنا من ظهور مَنْ يتظاهر ـض الشيخين، الصدِّيق والفاروق (رضي الله عنهما) ويدين بالرفض المذموم شرعًا وعقلاً؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعلى الرغم من ذلك؛ فإن الإمام الحداد لا يكفر أحدًا من أهل القبلة، ويرجو لهم النجاة، وأن تشملهم ـة الله الواسعة، ويشملهم في دعائه للأمة، ولا يترك من الأمة أحدًا إلا ودعا له بالصلاح والسَّلامة في ـ والآخرة.



(1) الأنبياء: ٨٩.



الفَصْلُ التّاسِعُ عشَرَ

الدَّعْوَةُ إلى اللهِ




قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]

فالدعوة إلى الله شأن الأنبياء والرسل ومَن تبعهم من العلماء ولذلك قال النبي (ﷺ): «العلماء ـرثة الأنبياء»[2].

قال الإمام الغزالي (رضي الله عنه) في «الإحياء»: ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق الوراثة لتلك المرتبة.

وكان الإمام عبد الله الحداد مِن خير مَن آلت إليهم تلك الوراثة. وقد قال عنه السيد أحمد بن زين حبشي: «برز شيخنا عبد الله نفع الله به لنفع الخاص والعام، ولم يتصدَّ للدعوة إلى الله تعالى لأحد من ـئف الناس دون أحد، بل دعا جميع الناس إلى الله (عز وجل)، خاصّهم وعامّهم، من الأولياء والعلماء، وسائر ـؤمنين والمسلمين، من الملوك والأمراء وأتباعهم وأعوانهم، باطنًا وظاهرًا، بحاله ومقاله، وما ذاك إلا لما وهبه ـ من كمال الوسع، وأيده به من رسوخ القدم في الشريعة، والطريقة، والحقيقة».

كان كلُّ شيء في حياة الإمام ـحداد دعوةً إلى الله، فكان كما ـنا يدعو بكلامه، ودروسه، ـتبه، وأخلاقه، وأفعاله، ـه هداته، وعباداته، وما كان ـ إلا لاتساع علمه، وتمكنه ـسوخه، وعمله بما يعلم، ـحققه به، وكونه لم يهمّ بقول ـفعل إلا كان خالصًا لوجه ـ تعالى، لا تشوبه شائبة من ـرض ولا أهواء.

المحضرة حيث كان الإمام يلقي دروسه بالحاوي

ـبيّن الإمام بذلك أن أول ضرورة دراسةُ كتاب الله (عز وجل)، ثم السُّنةِ الشريفة، ثم بعدها علم التصوف، ـمقصود به هنا ما بينه الإمام الغزالي في «الإحياء»، والإمام الحداد في مؤلفاته، وهو الإخلاص في العبادات، ـعاملات، ومعالجة أمراض القلوب. وقد قال السيد الإمام عبد الله العيدروس: الإحياء مغناطيس ـلوب يجذبها إلى حضرة علاّم الغيوب.

ـقال الإمام الحداد: سبحان الله، كلام الإمام الغزالي يكفي من غيره، وغيره لا يكفي منه.

---

[1] فصلت: ٣٣.

[2] سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٢)؛ سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، (٣٦٤١).


باب المحضرة قديما

وقال: في كتب الإمام الغزالي خاصيّة، وهي أنها تجلب القلوب إلى الحضور مع الله بالخاصية لا بمجرد العلم.

وقال الإمام: ينبغي أن يطّلع (أي طالب العلم) على أوائل العلوم، ليحصّل من كل علم حظًا. وأما التبحر: فلا ينبغي إلا في العلم بالله، وصفاته، وملائكته، واليوم الآخر.

وكان يحث أهل العلم من السادة على المطالعة في الكتب النافعة، وعلى تخصيص الأوقات لذلك، وترتيب المجالس لنفع الناس.

وقال الإمام: أركان الدين عندنا وقواعده أربعة: البخاري في الحديث، والبغوي في التفسير، وفي الفقه المنهاج، ومن الكتب الجامعة "إحياء علوم الدين". هذه القواعد التي عليها البناء، وطالعنا كتبًا كثيرة، ولم نَرَ أجمع منها والوقت قصير، والقواعد هي التي عليها البناء وهي العَمَد. وما مذهبنا إلا الكتاب والسُّنة.

وكان (رضي الله عنه) يحث طالب العلم على التفكر والتأمل في معاني ما يقرأ من كتب، ثم بعدم التسويف [illegible] العمل بما يظهر له من معنًى؛ فإن المعاني تزداد وضوحًا مع العمل. وقد قال لمن يقرأ عليه: ليَعِرفْ أحد[illegible] اللّفظ أولاً، ثم المعنى، ثم يعمل.

وقال لبعض من كان يقرأ في «منهاج العابدين»: إن هذه الأشياء لا تظهر إلا بالتكرار والتأمل، ثم الاستعم[illegible] فطالِعْهُ مرةً أو مرتين أو أكثر، وتأمل ثم اعمل. وإلا كنت كالذي يعرف الدواء، وهو مريض، فلا يستعمـ[illegible]

وكان قد أمر السيد زين العابدين العيدروس أن يجعل في منزله مجلسًا، يقرأ فيه في «البخاري» و«الإحـ[illegible] ضحى يومي السبت والأربعاء، فلما مرض الإمام انشغل السادة بمرضه وتوقفت المجالس، فلما بد[illegible] شيء من التحسن استأذنوه في استئناف المجالس، فقال: إن شاء الله؛ لأن مرادنا أن تكونوا على [illegible] سلفكم وأجدادكم من اعتياد القراءة والتصدي لها، ولا تنقطع من بيتكم هذه العادة بالكلية.

ولم يكن يسع الإمام الحداد مع ما أُعطِيَهِ من علم أن يتأخر عن الدعوة إلى الله، كيف وهو [illegible] في كتاب «الدعوة التامة والتذكرة العامة»: ومن قصّر عن الدعاء إلى الله وإلى دينه، من المتأهلين [illegible] التمكن، فإنه داخل تحت عموم الوعيد الوارد في حق من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى، وفي [illegible] وعيد شديد، وعذاب وبيل، وذم من الله بليغ.



مكان جلوس الإمام بالمحضرة

وكان (رضي الله عنه) يكلم الناس على قدر عقولهم ويدعو كلاً منهم إلى الله بما يناسب حاله وعلمه، ولا يكلف أحدًا ما لا يطيق.

وقد قال عن درجات الدعوة إلى الله: إن الدعوة ألسنةٌ خمسًا:

١ـ أن تدعو العامة بلسان الشريعة إلى الشريعة.

٢ـ وأن تدعو أهل الشريعة بلسان الطريقة إلى الطريقة.

٣ـ وأن تدعو أهل الطريقة بلسان الحقيقة إلى الحقيقة.

٤ـ وأن تدعو أهل الحقيقة بلسان الحق إلى الحق.

٥ـ وأن تدعو أهل الحق بلسان الحق إلى الحق.

ومعنى ذلك أن يدعو العوام، من العصاة والمخلطين والمقصرين، إلى الالتزام بأوامر ونواهي الشرع، وإقامة الفروض والمحافظة عليها، فإذا فعلوا ذلك، وثبتوا فيه، صاروا من أهل الشريعة، فيدعوهم حينئذٍ إلى الطريقة؛ أي: إلى الإخلاص والإحسان في العمل بالشريعة.

والطريقة عند الإمام الحداد هي: مخالفة النفس بالرياضة.

والرياضة عنده صنفان: رياضة الشهوات، ورياضة الأخلاق.

فالأولى: تكون بالصيام، وقيام الليل، والزهد.

والثانية: وهي الأصعب، تكون بأن تَصِلَ من قطعك، وتُعْطِيَ من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ولا تحسب لنفسك أبدًا، وسائر ما جاءت به الأخبار عن النبي (ﷺ).

وسوف نذكر طرفًا من لسان الطريقة المسمى طريقة أهل اليمين.

وأما الدرجتان الأخيرتان فهما لأهل الله خاصة.

وقد ذكرنا كيف بدأ الإمام التدريس في مسجد الهُجَيرة حين جاءه من يريد القراءة عليه والانتفاع بعلمه.

وقد نفع الله به الناس في رحلاته، فقد ذُكر عنه أنه قام برحلات إلى شبام، وسيؤون، وحريضة، والهجرين، ودوعن، وتكررت زياراته لدوعن ثلاث مرات، على ما ذكره تلميذه الشيخ محمد بن ياسين باقيس الدوعني.

وفي كل مرة أخذ عنه خلقٌ كثيرون.

وكان لكلٍّ من زياراته أثر بالغٌ في هذه الجهات.


المحضرة بعد تجديدها

وقد عدّدَ الشيخ باقيس الكثيرَ من علماء دوعن الذين أخذوا عن الإمام أخذًا تامًّا، ثم قال إنه اختصر في ذلك، وإلا لاحْتَاج إلى مجلدات.

كذلك، لمّا خرج إلى الحج، انتفع به أهل الحجاز وأهل اليمن، واعترف العلماء والصالحون بفضله، وجلسوا منه مجلس المتعلم، والْتَمَس الكثيرُ منهم القراءة عليه. يقول صاحب المشرع الروي: ورحل إلى الحرمين الشريفين سنة ألف وثمانين، وأدى النُّسكَيْن، وما دخل بلدًا إلا انتفع أهلُها بمقاله، واقتدوا بأفعاله وأحواله، وهبَّت على قـ... رياحُ العناية.

ولما رجع الإمام من الحج، استأنف مجالسَه ودروسَه بمسجد الهُجَيرة، إلى أن ابتنى منزله بالحاوي... ضواحي تريم، وابتنى بجانبه مسجده، فلما تمّا انتقل إليهما سنة ١٠٩٩ هجرية. وكان درسه في هذا ... بعد صلاةِ عصرِ كلِّ يوم، وفي دهليز بيته بكرة يوميّ الخميس والاثنين.

يقول صاحب «غاية القصد والمراد»: وكان مدة سكناه الحاوي من حين ابتناه إلى أن توفي نحو ... وأربعين سنة، وكان في هذه المدة مأوى الصالحين، ومستغاث الخائفين، وملجأ الفقراء والمساكين، ومـ... الغرباء، وملجأ الطالبين والمريدين.

وكان مجلسه لا يخلو ممن يقرأ في «إحياء علوم الدين».

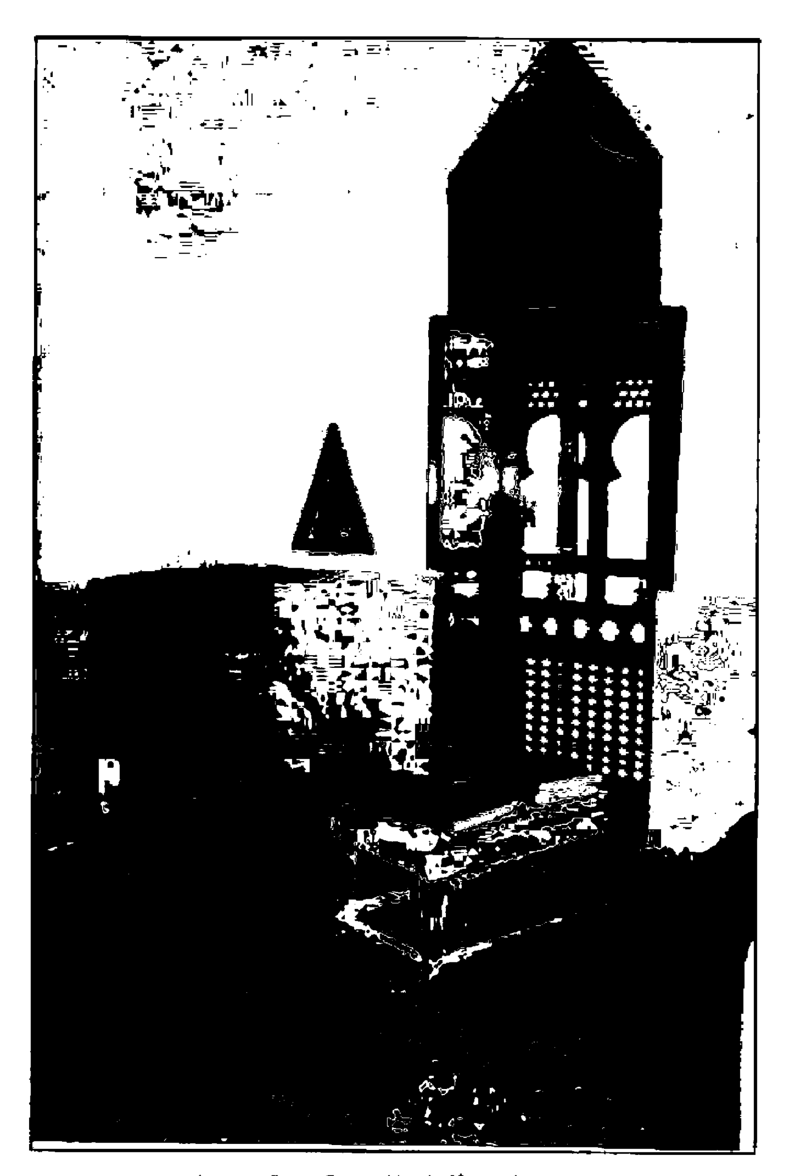
ومما كان يُقرأ عليه «منهاج العابدين»، و«الأربعين الأصل»، للإمام الغزالي، وتفسير القرآن للإمام ... و«صحيح البخاري»، و«الرسالة القشيرية»، و«شرح الحِكَم» لابن عباد الروندي، وهذه أمثلة مما ورد ... وإلا فلم يخلُ مجلسُه من أيٍّ من أصناف العلوم وأدواتها.

واستمر ما بين الهجيرة والحاوي ما يقرب من الستين سنة، بلا انقطاع.

وتخرج عليه عدد لا يحصى من العلماء والأئمة والأكابر.

وقد ترك الإمام للناس بعد وفاته كتبه ليُنْتَفَعَ بها، وسيرته ليُقْتَدَى بها، وخلَّف ذريّة وتلاميذ قـ... بالدعوة بعده. وقد سرى علمُه، وسرُّ أسلوبِه في الدعوة في ذريته، وفي تلاميذه وفي ذريتهم. وعلى رأس ... الأئمة الأعلام من تلامذته السيد أحمد بن زين الحبشي، والسيد عمر بن عبد الرحمن البار، والسيـ... الرحمن بلفقيه الذي أطلق عليه الإمام لقب «علامّة الدنيا»، والسادة محمد وعمر بن سميط.

أما من قام بعده من ذريته: فسوف نتحدث عنهم فيما يأتي من الكتاب.



مكان جلوس الإمام بالمحضرة بعد تجديدها

الدعوة بالقلم

كتب (رضي الله عنه) ينصح أحد العلماء من أئمة المساجد:

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ نعم المولى ويا نعم النصير. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير.

من عبد الله بن علوي الحداد علوي إلى الأخ المحب في الله، الصالح الموفق إن شاء الله، أحمد بن عبد الله وزير، أبقاه الله في طاعته، ونظمه في سلك خاصته.

أما بعد، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بلغني كتابكم وفهمت ما فيه، وذكرتم أنكم تزوجتم، فنعم ما فعلتم. بارك الله لكم وبارك عليكم.

ومـا ذكرتـم أنكـم كلّفتم أنكم تدعوا لإمام الزيديـة في الخطبة، فبعض الشر أهـون من كله. وبـ
الدعاء له كبير محظور، ولكن المحذور إعطاء الزكاة لهم يحكمون فيها بخلاف حكم الله ورسـوله. فيـ
بـل يجـب ألا تُسـلّم إليهم، إلا بشرط أن يضعوها حيـث وضعها الله. فإذا علمت هـذا، فلا وجه لترك
الجمعة بسبب الدعاء لأهل البدعة، بل لو أمّ الناس مبتدع لم يجز ترك الجمعة إلا بشروط. وقد كان
الصالـح يصلـون خلف ولاة الجور والفِسْـق والابتداع، ويُدعى لهم على المنابـر في أيامهم، ولم ينقل
أحـد منهـم إنكار ذلك. نعم بلغنا عن بعضهم إنكار الدعاء للظالم بالبقاء والتمكين. قال: لأن من
بذلك فقد أحب أن يُعصى اللهُ في أرضه. وأما الدعاء لهم بالصلاح والهداية، فلا بأس به، بل هو مستحـ

وعلى الجملـة فاسـتشراف هـذه الطائفة الطاغيـة إلى هذه الجهـة والتفاتهم إليها مفسـدة عظيمة. و
عميمة، وداهية دهيا، ومصيبة عظمى. فيحق لكل مؤمن أن يتوجه إلى الله، على نعت الاضطرار والافتقـ
دفع شرورهم، ورد ما يصدر منهم من البغي عليهم، وانعطاف ما يجيء منهم من الأذى عليهم.

وهـذه الأزمان لا يُسـتغرب فيها الفـتن والمحن. وقد ابتلي بأعظم من هذا البـلاء صدور الأئمة و
الأول من هذه الأمة، حتى قُتل الإمام الحسـين، وطيف برأسـه برهة من الأيام، وهتكت نساؤه وأطفاله.
قبله سـمّوا السـبط الحسـن، وتقطعت كبده من السـم، ومات به. ومـن قبله قُتل أمـير المؤمنين علي
طالـب، ولُعـن على المنابر في أكثر أيام بني أمية. ولقد أُخفي قبره خشـية أن ينبـش. ورُميت الكعبة
بالحجـارة وحرقـت بالنار، وقُتل بالقرب منها ابن الزبير (ﷺ). وسَـيّر يزيد بن معاوية - قبحه الله - جيـ
من الشـام لحرب مـن بالمدينة المشرفة، فدخلوهـا، وقتلوا بها خلقا كثيرًا، نحوًا من سـبعة آلاف، وفيهـ
الصحابة ثلاثمائة، وجاسـوا خلال الديار، وفجـروا بالأبـكار، حتى إنها ولدت من الزنا نحو ألف. وتعـ
الصلاة في المسجد النبوي ثلاثة أيام، وراثت الدواب على المنبر الشريف. ولا يحصى ما جرى في هذا

فلنا أسوة بأئمتنا إن ابتلينا... إلى آخر المكاتبة.

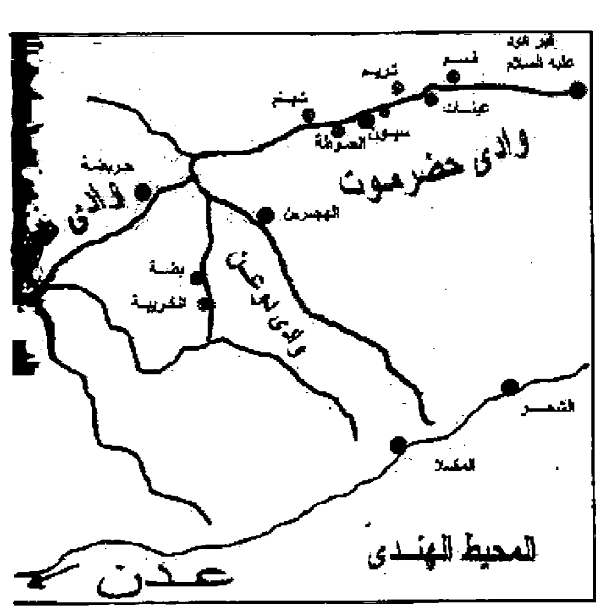
كتب (رضي الله عنه):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله الذي أدار رحى الوجـود على قطـب هو إفاضة الجـود على كل موجـود محدود، حـتى يحين الأجـل المحدود، ويسحب الفناء ذيلا على أهل التوحيد والجحود.

وصلى الله وسلم على من خصه بالمقام المحمود، سيدنا محمد وآله وأصحابه الذيـن عرّفهم حين وصفهم بقوله:

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.



خريطة حضرموت تظهر فيها الأماكن التي زارها الإمام الحـ

من عبد الله بن علوي الحداد علوي إلى المحب المستجيب، الصادق المنيب، المستشرف لنيل المعارف، المستهدف لإفاضة أنوار اللطائف، ذي القلب المستنير، أحمد بن الهادي باقشير، نظمه الله في سلك أحبابه، الذين أهلّهم لسماع خطابه، وفهم أسرار كتابه، ودعوة عباده إلى بابه. إن ربي سميع الدعاء.

أما بعد، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحية من عند الله مباركة طيبة، تغشاكم أنوار بركاتها، وتهب عليكم نسمات نفحاتها.

وأنتم عندنا كما تحبون، ونحن لكم داعون بحصول الاصطفاء والاختصاص، واللحوق بالخواص. فأعينوا على ذلك بإدمان القرع، وإحكام الأصل والفرع، فإن الأصل هو: الإيمان، والفرع هو: العلم النافع والعمل الصالح.

وقاطع نفسك، ووال قلبك. وإن أشكل عليك الفرق بينهما، فاسمع أن النفس من طبعها الميل إلى المتاع العاجل، والقلب من شأنه إيثار النعيم الآجل.

فشمّر في القيام بمقتضى الأمر، وجانب كل ما يوجب الوزر؛ وتحقق بالعجز والفقر، وتدرع بالجد والصبر؛ وداوم على الذكر، ولازم الشكر. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

بدا لك سرٌّ طال عنك انكشافه ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن كشف عينه ولولاك لم يطبع عليك ختامه

والسلام.

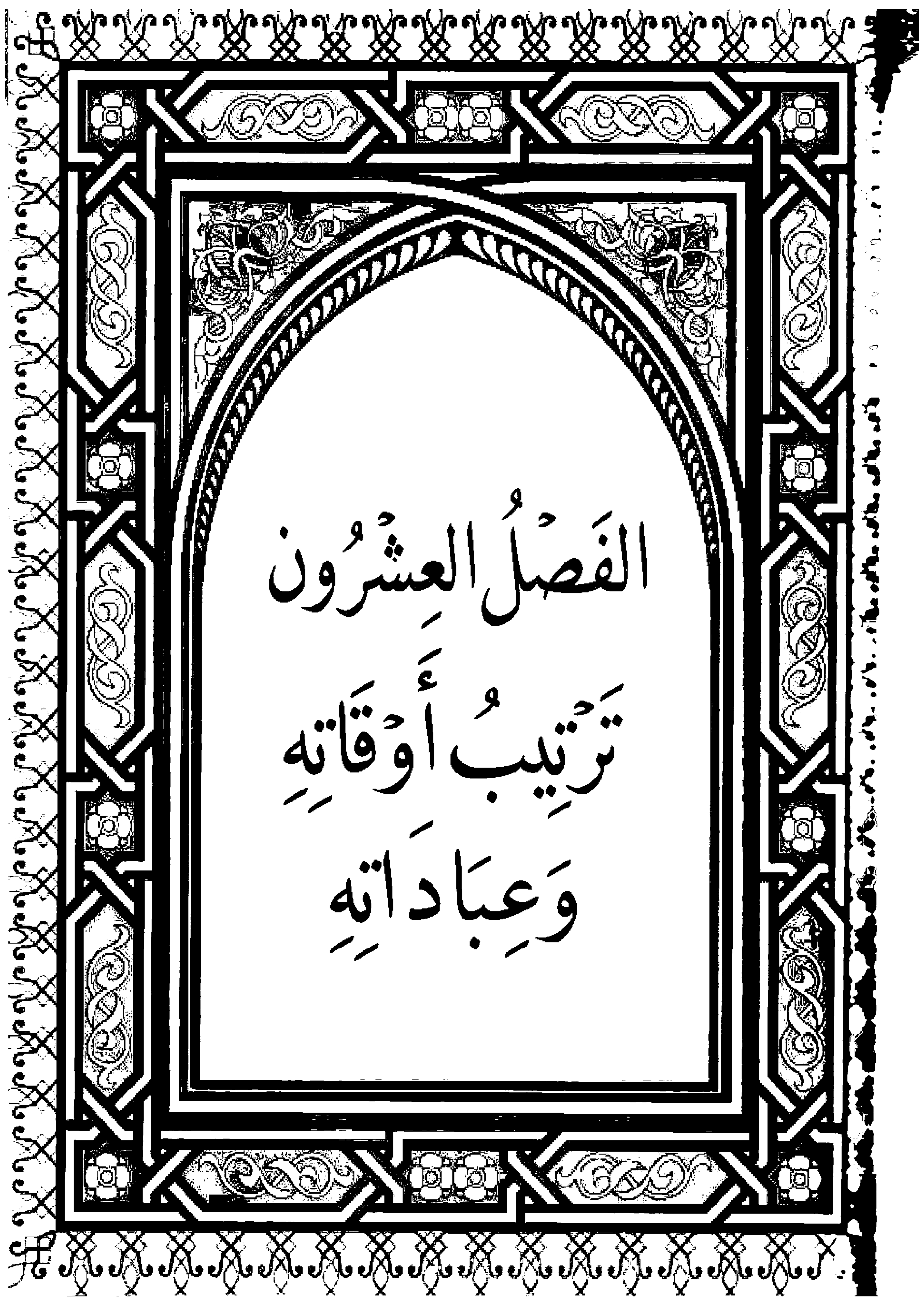
إلى رجل كان في طريقه إلى الحج وأرسل إليه خطاب من الشحر كتب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ):

من عبدالله بن علوي الحداد علوي إلى المحب في الله، المبتغي في حبه ما عند الله، الشيخ علي بن عمر بن عقبة، زهّده الله في الدنيا الفانية الحقيرة، ورغّبه في الآخرة الباقية الخطيرة، وأحسن له العاقبة في جميع الأمور.. آمين.

إلى أن قال: وحاصل الكتاب يرجع إلى أنك لم تزل متهالكًا على الدنيا، متهافتًا عليها تهافت الفراش على النار. فلك الخير، ما أحمقك وأجهلك وأقل وعيك للنصائح، وأبعدك عن موافقة من تحب أن تكون معهم، وفيهم محسوب، وإليهم منسوب! وأعني بهم أولياء الله وأصفياءه الذين نبذوا الدنيا وراء ظهورهم، وعوّلوا على الله في جميع أمورهم، وأخرجوا حب ما سوى الله من قلوبهم وصدورهم.

فتضرع إلى الله واستجر به في طوافك بالبيت، واطرح نفسك عليه، لعله أن يتفضل عليك بتصفية قلبك وغفران ذنبك، فإن الله لا يبتلي العبد بمحبة غيره إلا عقوبة له على ذنوب بارَزَهُ بها... إلى آخر المكاتبة.


حداد القلوب



الفَصْلُ العِشْرُون
تَرْتِيبُ أَوْقَاتِهِ وَعِبَادَاتِهِ


جلاء القلوب

لم يُعرَف عن الإمام الحداد (رضي الله عنه) أنه صلى أيًا من الصلوات الخمس منفردًا، ولا في غير أول الوقت، ولا يستعجل في صلاته، ولا ترك قيام الليل.

وكان يبالغ في النّهي عن الكلام أثناء انتظار الصلاة، ويُنكِر على من يفعل ذلك إنكارًا شديدًا، وينهى أصحابه أن يكلموه حين خروجه للصلاة، ويقول: فإنا نخرج للصلاة باجتماع وحضور وقطع الهمّ عما سواها.

ويقول: ما شُرِعت النوافل قبل الصلاة إلا ليحصل فيها اجتماع القلب على الله، حتى يدخل الصلاة بحضور وإقبال على الله.

وكان يقول: لا يُطالَب العبد في العبادات بإقامتها في الباطن حتى يقيم صورتها الظاهرة، فإذا أقامها وحسنها فامضِ معه في الباطن، ولا يمكن إقامتها باطنًا إلا بمقدمات ورياضات وترك الخوض في شيء في فعلها، ولولا فضل الجماعة ما صلينا صلاتنا هذه، ولَكُنّا نصلي في خلوة.

وكان (رضي الله عنه) يركع ركعتي الفجر في بيته بعد الأذان، ويبقى فيه إلى أن تقام الصلاة كما كان يفعل رسول الله (ﷺ) فإذا سلم من ركعتي السُّنة، قال: **اللّهُمَّ رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ومحمد النبي (ﷺ) أعوذ بك من النار**[1] ثلاث مرات.

ثم: **اللّهُمَّ إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وترد بها أُلفَتي، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكّي بها عملي، وتبيض بها وجهي، وتلهمني بها رشدي**»[2].

ثم يقول: «**يا حيُّ يا قيوم لا إله إلا أنت**»، أربعين مرة.

وقد يأتي بهذا الدعاء: اللّهُمَّ بحق الحسن وأخيه، وجده وأبيه، وأمه وبنيه، نَجِّني من الغم الذي أنا فيه. يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك، يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين.

وكان يخرج إلى الصلاة عند سماع المؤذن، ويقول: **اللّهُمَّ إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق الراغبين إليك وبحق ممشاي هذا إليك، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا، ولا رياء ولا سمعة، بل خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[3].

ثم يسلم على الحاضرين.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، (٣٤٢٠)؛ أبو داود، (٧٦٧)؛ النسائي، كتاب الصلاة، باب بأي شيء تستفتح صلاة الليل، (١٦٢٥).

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٣٠، (٣٤١٩).

(3) سنن ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، (٧٧٨).

ويجيب للإقامة قائلاً: «أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض، اللَّهُمَّ أتمها وأدمها، واجعـ صالحي أهلها. ربِّ اجعلني مقيم الصلاة».

«ربِّ أعوذ بك من وسوسة الصدر، وشتات الأمر، وعذاب القبر»[1].

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[2].

«اللَّهُمَّ آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين»[3].


مدينة تريم

وكان يصلي الإشراق أربعًا، يقول بعدها: اللَّهُمَّ بك أحاول، وبك أصاول، وبك أقاتل، وعليك أتوكل، فتقبل منّي.

ثم يقول: «ربِّ اغفر لي، وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم»[4] أربعين مرة.

وكان يصلي الضحى ثمانيَ ركعات.

أما سُنّة الظهر القبلية فكان يصليها أربع ركعات، بتسليم واحد، ثم يقول بعد السلام: اللَّهُمَّ صلّ على محمد وعلى آل محمد. اللَّهُمَّ إنك تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلّم حاجتي فاعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي.


سبحة الإمام الألفية التي كان يعد بـ تهليلات حضرة الذكر الجهرية و... منها الآن خمسمائة حبة

اللَّهُمَّ إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي، وأسألكْ يقينًا صادقًا، حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبته عليّ، ورَضّني بما قسمته لي.

وكان يكرر هذا الدعاء بعد سُنّة العصر وبعد سُنّة العشاء القبلية.

ويقال: إنها كلمات آدم التي تلقاها من ربه فدعا بهن فتاب عليه.

وكان يقول بعد صلاة الظهر: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين، مائة مرة، ويهلل ألفًا، وفي شهر رمضان يهلل ألفين، فيكون المجموع ستين ألفًا، فيكملها سبعين ألفًا في السادس من شوال».

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب.....، (٣٥٢٠).

(٢) المؤمنون: ٩٧

(٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رجلًا جاء إلى الصلاة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، فقال حين انتهى إلى الصف: «اللَّهُمَّ آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين». فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة.. قال: «من المتكلم آنفًا؟» قال: أنا يا رسول الله. قال صلى الله عليه وسلم: «إذن يُعقَر جوادك، وتستشهد في سبيل الله». صحيح ابن حبان، (٤٦٤٠)؛ مسند أبي يعلى، (٦٩٧).

(٤) سنن أبي داود، (١٥١٦)؛ سنن ابن ماجه، (٣٨١٤). (١٠٠مرة في كل الروايات)

وكان يصلي بعدية الظهر ركعتين، ونادرًا ما يصليها أربعًا.

وكان يصلي سُنّة العصر أربعًا بتسليمتين، ثم يأتي بدعاء آدم كما تقدم، ثم يقول: إلهي تَمَّ نورك فهديت ـك الحمد، وعظم حلمك فعفوت فلك الحمد، وبسطت رزقك فأعطيت فلك الحمد؛ ربنا وجهُك أكرم ـجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيّتك أفضل العطايا وأهناها؛ تُطَاع رَبَّنا فتشكُر، وتُعصَى ربنا فتغفر، تجيب المضطر، وتكشف الضُر، وتنجي من الكرب، ولا يجزي بآلائك غيرُك؛ تباركت وتعاليت يا ذا جلال والإكرام.

وكان يقرأ بعد صلاة العصر «حزب البحر» المشهور عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ثم يقول بعده: «**سبحان ـه وبحمده، سبحان الله العظيم. لا إله إلا الله. اللَّهُمَّ ثبِّت علمها في قلبي، واغفر لي ذنبي وللمؤمنين ـؤمنات. وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى**، ثلاث مرات، ثم يقرأ آية الكرسي، ثم يأتي بدعاء كرب: **لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ـبُّ العرش الكريم**»[1].

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»[2].

ثم يأتي بدعاء الإمداد بالقوة: «**اللَّهُمَّ يا رب يا قدير يا قوي يا متين (ثلاثًا) أسألك بقدرتك وبقوتك أن ـني في جميع قواي وجوارحي، الظاهرة والباطنة، بقوة من قوتك وقدرة من قدرتك أقدر بها وأقوى على ـام بما كلفتني به من حقوق ربوبيتك وندبتني إليه منها، وفيما بيني وبينك، وفيما بيني وبين خلقك، ـ التمتع بكل ما خولتني من نعمك التي أبحتها لي في دينك، ويكون كل ذلك على أصلح الوجوه وأكملها ـسنها وأفضلها، مصحوبًا بالعافية والقبول والرضا منك يا أرحم الراحمين**».

ثم يقول: «**أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ـ ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا**»، سبع مرات.

وكان لا يصلي سُنَّة المغرب القبلية ويقول: لا نأمر بفعلها ولا ننهى عن تركها.

وكان يقول بعد السُّنة البَعْديّة: يا مقلّبَ القلوب والأبصار ثبِّت قلبي على دينك.

وكان يصلي صلاة الأوّابين عشرين ركعة بعد سُنّة المغرب، ثم صار في آخر الأمر يصليها أربعًا بتسليمة ـة، ثم يقول بعدها: حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، سبع مرات.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب (٥٩٨٥)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب دعاء الكرب، ٢٧ـ).

(2) سنن الترمذي، (٣٥٠٥).

وأما صلاة العشاء: فكان يصلي قبل السُّنة القَبْلية ركعتين بنيّة الرضا، وتسمى صلاة الرضا. يقرأ في كل ركعة منها آيةَ الكرسي وسورة الإخلاص ثلاثًا، ثم يصلي ركعتي السُّنة القَبْلية، ويأتي بعدهما بد... المتقدم ذكره.

ثم يقرأ سورة الواقعة، ويفرغ منها عند إقامة الصلاة.

وكان بعد صلاة العشاء، يصلي السُّنة البَعْديّة ركعتين، يقرأ فيهما سورتَي السجدة والمُلك، ويقول بعد... جزى الله محمدًا (ﷺ) ما هو أهله، عشر مرات.

ثم يصلي أربع ركعات بتسليم واحد، لما ورد أنها كمثلهن من ليلة القدر.

وأما يوم الجمعة: فكان كثيرًا ما يصلي الفجر في المسجد الجامع، ويعتكف إلى صلاة الجمعة؛ طلبًا لفضل التبكير. وكان يصلي السُّنة القَبْليّة أربعًا بتسليمٍ واحدٍ، ثم يقول ما سبق من دعاء آدم.

وكان يقرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها، وسورة طه في الجامع قبل الصلاة. فإذا فرغ من الصلاة... يليها من التسبيح والتحميد والتكبير، قرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين سبعًا سبعًا، ثم يقول: يا غني يا حميد، يا مبدئ يا معيد، يا رحيم يا ودود، أغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، ثلاثًا.

ثم يكرر بعد ذلك: يا كافي يا مغني يا فتاح يا رزّاق.

ثم يقول: سبحان الله العظيم وبحمده، مئة مرة.

وكان الإمام (رضي الله عنه) يفتتح دعاءه بالحمد، والاستغفار، والصلاة على النبي (ﷺ). ويدعو بالأدعية المأثورة ويتحرّى من الدعاء ما كان جامعًا، ثم يختتم الدعاء بالصلاة على النبي (ﷺ) والحمد، ثم يقول: اللَّهُمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجِرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللَّهُمَّ.. إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾(١) إلى آخر آية الكرسي. ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾(٢). ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(٣) ثم يقرأ الإخلاص والمعوذتين.

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) آل عمران: ١٨

(٣) آل عمران: ٢٦.

ثـم يزيـد في صلاة الصبح والعـصر والمغرب: لا إله إلا الله وحده لا شريـك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشر مرات).

وبعد الصبح والمغرب: اللَّهُمَّ أجرني من النار (سبعًا).

ويقـول السـيد علوي بن الإمام الحداد: إنه لم يطّلـع إلا على البعض من أوراد والده، وأن والده كان يأخذ فيهـا مـن وقت السَّـحَر إلى الصبح، ثـم من بعد صلاة الصبـح إلى الضحى، وكذلك في المسـاء من بعد صلاة العشاء إلى وقت النوم.

وكان يبتدئ المسبعات قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، ويقرأ قبل المغرب سورتي الشمس والليل والمعوذات.

وللإمام من الأوراد الورد الكبير المسمّى «مفتاح السعادة والفلاح في أذكار المساء والصباح».

وهو الذي شرحه العلاّمة عبد الله باسـودان (ﷺ). وله «الورد اللطيف» و«الراتب الشـهير»، ولكل منهما عدة شروح. و«الورد الكبير» و«الورد اللطيف» يجمعان الأذكار النبوية التي تقال في الصباح والمساء.

وأما الراتب: فيُقْرَأ في جماعة بعد صلاة العشاء، وقد يقرأ في المهمات.

وللإمام أيضًا حزبا «الفتح» و«النصر»، وهما مما يُقْرأ بعد صلاة الصبح.



مكان حفظ سبحة الإمام بالضيقة بمنزله بالحاوي

وكلهـا أوراد نبوية عظيمة الشـأن، ولها أثـر جليّ واضح في قرب من يقرؤها.

ومـع ذلـك؛ فقد قـال الإمام: إنا لـم نظهِر مـن أورادنا إلا القليل، وما أخفيناه أكثر.

وكان (رضي الله عنه) لا ينـام إلا قليـلاً، وكان نومـه خفقات. وكان من عادتـه تأخير الوِتْـر إلى قريب الفجـر، وكان الغالب ينام قليلاً بعد صلاة القيام، ثم يتوضأ للوِتر الصبح.

وكان إذا قـام من الليل يمسـح النوم عن وجهـه، ويأخذ في أدعية الاستيقاظ، ويقـرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1] إلى آخر السورة، ثم يأخذ في عمل القهوة التي اعتادها بنفسه، وكان ذلك دأبه حتى أعجزه الكبر، فاستعان بغيره في فعلها.

وكان قبل شرب القهوة يرتب فواتح جامعة:

إحداها: في صلاح أمور المسلمين.

(1) آل عمران: ١٩٠

وأخرى: ترجع إلى الأموات، وخصوصًا الأسلاف منهم.

والأخيرة: تتضمن الدعاء بقضاء الحاجات، الخاص منها والعام.

ثم يقرأ آية الكرسي ويتخللها باسم (يا قوي) مائة وست عشرة مرة.

ثم يتوضأ بإسباغ بعد القهوة، ويدعو ربه، ثم يأتي بركعتين خفيفتين، ثم يشرع في صلاة الليل فيطيل القيام، ويختم صلاة الليل بالثلاث ركعات المعلومات، وقد يفصلها وقد يجمعها، ولا يكاد يترك القنوت في الركعة الأخيرة منها.

يقول السيد أحمد بن زين الحبشي: وكان أكثر ما رأيته في صحبتي إياه، وزيارتي لنبي الله هود عليه السلام، يصلي ثلاث عشرة ركعة، مع كمال حضور، وتمام فهم وخشوع، وحسن استكانة وخضوع، ودوام تضرع واستغفار ورجوع.

ويطيل الدعاء عَقِيبَ كل ركعتين، مع سؤال الرحمة والاستعاذة من العذاب. كما نقل من صلاة النبي ﷺ ويقول: كنا نراه نفع الله به كثير الأذكار، وخصوصًا لا إله إلا الله، بحيث لا يفتر عنها قط، ويسرد منها الأعداد المعدودة، والألوف المعقودة، وكان يدخلها في خلال كلامه، فربما خاطب أحدًا وأتى بها عشرًا مدة إجابة المخاطب بالكلمة والكلمتين.

وكان الإمام كثير الصيام، سيما في الأيام الفُضلى كالإثنين والخميس، والأيام البيض، وعاشوراء، وعرفة والست من شوال، إلى أن أعجزه الكبر.

أما في رمضان: فقد قال لأحد أصحابه ناصحًا: إن رمضان شهر عمل، فاترك فيه العلم يكون في غيره، فإن رمضان لمجرد العبادة. ألا ترى كيف يترك الناس فيه التدريس، إلا إن كان بعد العصر، تذكرة للأصحاب إذا جلست معهم، فاجتهد فيه في العمل وتنظيف الباطن.

وكان لا يُظهر من أعماله إلا ما كان ضروريًا ليكون قدوة للآخرين، ويقول: (إنَّا لا نظهر شيئًا من أعمالنا بالقصد وإن كنا بحمد الله لا نخشى الرياء، ولكن كما قال الصدّيق: ﴿۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾[1]

وكان يقول: قد عملنا بجميع السُّنة النبوية، ولم نغادر منها شيئًا قط، سوى تبقية الشَّعر على الرأس.

وقد فعل الإمام ذلك في نهاية عمره، وترك شعره حتى وصل إلى شحمة أذنيه كما كان يفعل المصطفى (ﷺ).

وقال (رضي الله عنه): ما تركنا غسل الجمعة لا حضرًا ولا سفرًا.

(١) يوسف: ٥٣.


مكان حفظ سبحة الإمام بعد تجديد المنزل

وكان الإمام بعد الفراغ من الأذكار التي تعقب صلاة العصر يفتتح الدرس قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. نويت التعليمَ والتعلُّم، والنفع والانتفاع، والمذاكرة والتذكير، والإفادة والاستفادة، والحث على التمسك بكتاب الله وسنَّةِ رسوله، والدعاء إلى الهدى، والدلالة على الخير، ابتغاء وجه الله ومرضاته وقربه وثوابه (تعالى).

ثم يقول: بسم الله، ويبتدئ إذ ذاك أحد طلبة العلم بالقراءة عليه في الكتب من الحديث والتفسير والتصوف والسِّيَرِ والمناقب وغير ذلك من العلوم.

وتستمر القراءة عليه إلى اصفرار الشمس، فإذا انتهت القراءة قال: الله أعلم وأحكم.

ثم يختم الدرس بقراءة الفاتحة بنية إصلاح أمور المسلمين، ويدعو قائلاً: اللَّهُمَّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون علينا مصيبات الدنيا، ومتِّعْنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا[1]. وهو الدعاء المأثور عن النبي (ﷺ)، أنه كان يختم به مجلسه.

وكان (رضي الله عنه) كثير الزيارة لسيدنا هود (على نبينا وعليه الصلاة والسلام)، وقبره (عليه السلام) معروف بحضرموت، وقد زاره الإمام ثلاثين مرة، كلها في شهر شعبان.

وكان يسير بجميع مَن عندَه من القرابة والفقراء والزائرين، ويمكث غالبًا ثلاثة أيام من اليوم الثاني عشر من شعبان، إلى مغرب ليلة النصف.

وكان يحث على هذه الزيارة ويوصي بها ويقول: إن من زار النبي هود، وصنع مولدًا للنبي محمد (ﷺ) هناك، فإن عليه سَنَة طيبة جميلة.

وفي طريقه إلى زيارة سيدنا هود (عليه الصلاة والسلام)، يمر على عينات، فيزور الشيخ الكبير أبا بكر بن سالم، والشيخ أحمد بن الفقيه المقدم، ثم إذا وصل شِعب النبيّ هود (عليه الصلاة والسلام) اجتمع السادة والأولياء، وصارت حضرات واجتماعات ومجالس.

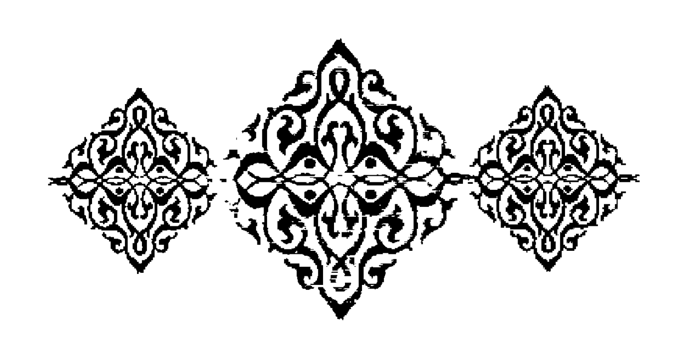
---

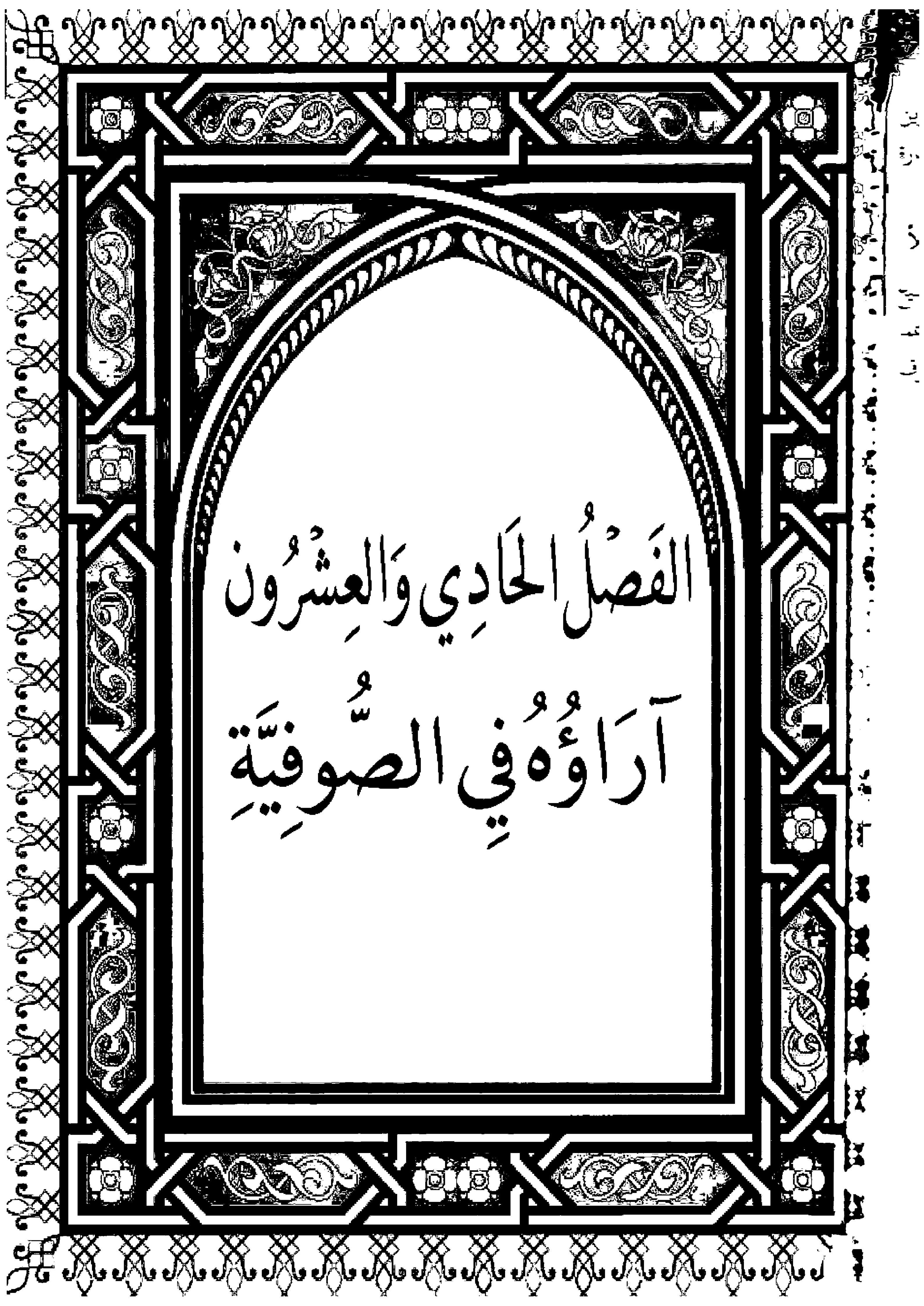
(1) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٨٠، (٣٥٠٢).

وكان يزور مقبرة بشّار بعد صلاة العصر كل جمعة، وكذلك بعد عصر الثلاثاء، ويقول: كنا أولاً مقتصـ
على زيارة الجمعة فقط، فرأى بعض أصحابنا الفقيه المقدم في المنام فقال له: قل للسيد عبد الله الحد
الجمعة فقط لا تكفي، فرتبنا زيارة الثلاثاء لذلك.

أما في بداياته، وقبل أن يظهره الله ويلتف الناس حوله، فكانت زياراته أكثر من ذلك، وكثيرًا منه

وكان يبتدئ في الزيارة بالفقيه المقدم ومَن حوله، ثم السيد عبد الرحمن السقاف ومَنْ حوله، ثم
أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط، وبجانبه السيّدُ أبو بكر السكران، ثم الشيخ
المحضار ومَنْ حوله، ثم الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ومَنْ حوله، ثم يجلس هناك قليلاً ثم ينصر





الفَصْلُ الحَادِي وَالعِشْرُون
آرَاؤُهُ فِي الصُّوفِيَّةِ

سُئل الإمام الحداد (رَحِمَهُ الله) عن المريد والصوفي والتصوف، فأجاب في إحدى مكاتباته:

المريـد: من تمخضت فيـهُ إرادة وجهِ الله والدار الآخرة، بجميع حركات سرائره وظواهره، لمعاده ومعاشـه. وهذا أمر عظيم إذا صح واستقام، فتأمله.

أمـا الصوفي، فهو كمـا قال بعض العارفين: الصوفي مَن صفا من الكدر، وامتلأ من العِبَر، واسـتغنى بالله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمَدَر.

وأما التصوف، فهو كما قال بعضهم أيضًا: التصوف هو الخروج من كل خُلُق دنيّ، والدخول في كل خلق سَنِيّ.

وقد وقع خلاف كثير من أهل الطريق في التصوف ما هو، والصوفي؟ وهذا الذي ذكرناه من أحسنه وأجمعه.

فمـن صُفِّيَـتْ أعمـالُه وأقواله ونيّاته وأخلاقه من شـوائب الرياء، وأخلصها عن كل شيء يسـخط المولى، وأقبل بباطنه وظاهره على الله وعلى طاعته، مع الإعراض عما سواه، وقطع العلائق الشاغلة عن التجرد لهذا الأمـر، من أهل ومال وشـهوة وحـظ وهوى ونفس، وكان جميع ذلك مقرونًا بالعلم، واتّباع الكتاب والسُّـنة، وهَدْيِ السلف الصالح، فهو الصوفي الكامل، والله أعلم.

وأما أولئك الذين يدَّعون الانتماء للتصوف، وما معهم إلا شيء من مظاهره، خالٍ عن سـلوك نهجهم في المجاهدات، وعن التحقق بالمقامات: فأولئك يسميهم الإمام بالمُتَمَصْوِفين، ويصفهم بالجهل، ويقول عنهم: إن منهم من هو مُغيّر للدين، قائم بالبدع، ظاهر بالدعاوى، بعيد عن الحق.

وقد بيّن الإمام في كتاباته، ومنها رسـالة «إتحاف السـائل بجواب المسـائل» شـيئًا من علـوم الصوفية، في معرض التحدث عن معاني كلمة لا إله إلا الله، فقال:

علم التوحيد على قسمين:

أحدهمـا ظاهر، وهو: الذي يُعلَـم بالدليل والبرهان، ويجب على كل مؤمن أن يعلم ويعتقد منه ما لا يصح إيمانه بدونه.

و«المتكلـم» هـو: الذي يعتني بتحرير هذا العلم، والذّب عنه، والفحص عن أدلته وبراهينه، فيفضُلُ عامة المؤمنين بذلك، وفضيلته إن كانت إيمانًا وعلمًا، وإلا كانت صورة فقط.

والثاني باطن وهو: ما لا يُدرَك بدون الكشف والعَيان، وذلك ميراث التقوى، ومعنى الهداية التي هي ثمرة المجاهدة، وهو سر بين العبد وبين ربه، وقد يتفاوض أهله في أشياء منه فيما بينهم. ولهم (رضي الله عنهم) الغَيرة التامة على أن يقـف على شيء منـه مَنْ ليس مِنْ أهله، حتى كان الجنيـد (رضي الله عنه) إذا أراد أن يتكلم فيه مع أصحابه.. يغلق البـاب ويجعل المفاتيـح تحت وركه، وذلك رحمة منهـم بالمؤمنين؛ فإن الواقف على هـذا العلم من غير أهله: إمـا أن ينكـره، فيكون عند الله من المكذبين بما لم يحيطوا به علمًـا، وإما أن يصدق به، فيفهمه على غير الوجه المراد منه، فيتعثر في أذيال الخطأ.

واعلم أنها قد توجد من هذا العلم تلويحات في كتب المحققين كـ"الإحياء" و"القوت"، وإنما سمحوا تشويقًا للمريد الصادق، وفي بعض المواضع لتوقف حصول الفائدة من علم المعاملة الذي هم بصدده على ذكر ذلك، وإلا فهم أشح شيء بإيراده، أما ترى الإمام الغزالي (ﷺ) حين يشرف على بحاره المتلاطمة يقول: ولنمسك عِنان القلم.

وتارةً يقول: هاهنا سِرٌّ فلا نتجاوزه.

وأُخرى: هذا من علم المكاشفة، وليس من غرضنا ذكره في علم المعاملة... إلى غير ذلك.

بعض كلامه في النفس والروح

يقول في إحدى مكاتباته مثلاً: وبيان ذلك أن الإنسان مركب من روح لطيف وجسم كثيف.

فالروح مستعدة بالقوة، لما هي عليه من اللطافة والخفة، إلى الالتحاق برتبة الأملاك الروحانية.

والنفس، التي هي لطيفة الجسم، مستعدة بالفطرة، لما هو عليه من الثقل والكثافة، إلى الهبوط في حضيض العوالم الشيطانية.

وأول ما يبدو على الإنسان مقتضيات الهوى، فإن أجابه هوى إلى أسفل السافلين، وإن أعرض عنه دعته دواعي الرقي، فإن أجابها رفعته إلى أعلى عليين.

ولا يمكن فقد الداعيين، وإن وجدا معًا كان الإنسان معهما في محل المجاهدة، وهو مع الغالب، فأيهما تجرد له فله حكم الذي قام به، ملكيًا كان أو شيطانيًا.

فاعتبر واذّكر واعرف قول القائل:

دواؤك فيك فهل تبصر ... وداؤك منك وما تشعر
أتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

فأي جوهر أو جسم في العالم الملكوتي يشتمل على مثل أو قريب مما اشتمل عليه الإنسان، وهو الوسط بين العالمين، وخير الأمور أوساطها.. فلله الحمد على ما وهب ومنح.

ويخاطب الروح في إحدى قصائده فيبصره بما حل به من تردي في عالم الدنيا:

يأيها الجوهر المحصور في ... مخلَوق غرضِ التغيير والكدرِ
صدف مثبط في حضيض الحظ ... في لذة البطن والمنكوح والنظر
همته تقوده شهوات فيه جامحة ... حتى تزج به في لجّة الخطر

ثم يسأله إن كان يرتضى لنفسه الاستمرار على هذا الحال، أسير الجسم وعبدا له:

يـا أيها الروح هـل ترضى مجاورة   على الدوام لهـذا المظلـم الكـدر؟

ويذكره بأصله في العوالم النورانية القدسية:

فأيـن كنت ولا جسـم تسـاكنه   ألست في حضرات القدس فادّكر

تأوي مع الملأ الأعلى وتكرع من   حيـاض أنس كما تجـني من الثمر

إلى أن قال (رضي الله عنه):

لا تقنعـنّ بـدون العـين منزلـة   فالخبُّ مـن يكتفي بالظل والأثر

مشيرًا إلى أن السالك لا يقنع وسكن قبل الوصول إلى مراتب الشهود، فلا يكتفي بعالم الظلال والأشباح.

العوالم

ويتكلم (رضي الله عنه) عن العوالم المختلفة فيقول: الملأ الأعلى هو عالم الغيب، ويشتمل على حقائق الأشياء وأرواحها. وعالم الشهادة، ويشتمل على هذا العالم وعلى صور الأشياء وأجسادها، وهو مع العالم العلوي بمنزلة الظل من الشخص.

ثم إن العالم العلوي يكون في مقابلة عالم آخر لطيف، وهو أسفل من العالم الذي هو عالم الشهادة.

فالحركات القائمة بالأجسام والقلوب، ما كان منها صالحًا تصعد به الملائكة إلى العالم العلوي، ويكون فيها معنى شريف، وما قام بها من الحركات غير الصالحة تنحطّ إلى العام الأسفل، ويدعى سِجّين، ويكون فيه معنى قبيح.

أما هذا العالم الذي هو عالم الشهادة، فالأشياء فيه مستورة، غير ظاهرة ولا منشورة. (أي إنها في العوالم الغيبية تظهر منشورة على حقيقتها، سواء كانت قبيحة أو مليحة).

وهكـذا إذا تكلـم الإمام في الغيبيات، كان ذلك باقتضاب، مشـيرًا إلى القواعـد الكلية، التي من يفهمها يمكنه فهم، بل استنتاج التفاصيل.

علاقة العلوم المختلفة بالعوالم

يقـول الإمـام الحـداد (رضي الله عنه) في بيان أنواع العلـوم ودرجاتها: الأمور الإلهية السـماوية، أعظم وأعز من الأمور الأرضية السـفلية، وكل ما قـرب إلى العلو زاد على ما دونه، ولذلك زادت السـماء الدنيا على الأرض أضعـاف كثـيرة مضاعفة حتى صارت فيها كحلقة درع ملقـاة في فلاة، ثم هي في الثانية كذلك، ثم هما في

الثالثة كذلك وهكذا إلى السابعة، ثم هي وما دونها في الكرسي كذلك، ثم الكل في العرش كذلك و... وكل ما هو إلى العلو كان أعز وأعظم، ولذلك عظمت علوم الصوفية، وعزت على ما سواها؛ لأنها من ... وهي علوم إلهية سماوية والعلوم الأرضية دونها فيما ذكر، كعقود الأنكحة وغيرها، ولكن من لزم ... الأرضية بحيث استقام عليها ولم يخالفها في شيء، أفضى به ذلك إلى العلوم الإلهية السماوية. ولما كان ... العلو أعز وأعظم من مجرد السفل، كان الناس في جميع الأشياء درجات، بعضهم فوق بعض، بنسبة بعض إلى بعض في الاستعلاء والتسفل.

بعض كلامه في الجذب والسلوك

يقول الإمام (رضي الله عنه): لا يصلح لاصطفاء المولى إلا من قطع قلبه عن الالتفات إلى السوى، ولن ينتهي التفات القلب إلى غير الله إلا بأحد أمرين:

- أحدهما نور يُقذف في القلب، وهو نور العناية ومنى التخصيص، والقوم يسمونه جذبًا.
- والثاني الرياضة الماحقة للرسوم والماحية لكل خلق مشؤوم، وهذا هو السلوك.

وكل من عند الله.

فإذا انقطع القلب عما سوى الله وصل إلى الله؛ لأنه لا يخلو من نور أو ظلمة، وهما ضدان لا يجتمعان. واستنارة القلب إنما تكون بحب الله وقربه، وظلمته إنما تنشأ عن الجهل به وحجبه.

ويقول (رضي الله عنه) شعرًا في قصيدة نظمها حين بداياته:

وأرتوي من شراب القوم في زُمَرٍ ... مـن عارفين وأقطاب وأوتاد
وأُوقد النور في مصباح واضحةٍ ... نـور على نـور من فتح وأوراد
نور السلوك ونور الجذب قد جمعا ... فأشرقا بين زهّاد وعبّاد

الإعتراض على الصوفية

وكان الإمام يقول: علوم المكاشفات غير مخالفة لعلوم المعاملة؛ لأن معانيها صحيحة، إلا أنها تختلف باختلاف المجاهدات.

وقد كثر كلام الناس على مر العصور في الصوفية والتصوف، واعترض البعض عليهم، وكان اعتراضهم من شقين:

الأول: الاعتراض على ما يظهرونه من حقائق، وما يتلفظون به من ألفاظ توهم في رأي البعض الحلول والاتحاد.

والثاني: الاعتراض على بعض أعمالهم بأنها لم تَرِد في السُّنّة النبوية الشريفة.

أما بالنسبة للنوعية الأولى من الاعتراض: فإن الإمام قد قال: كلام الصالحين إما وارد، وإما قد أداره متكلم على قلبه، وكل ذلك صواب، ولا سبيل إلى مخالفته.

وهذه قاعدة عامة يقتضيها حسن الظن بالصالحين وتقيدها عدة أقوال للإمام، منها: كلام الأكابر يحتاج ى تأويل، ولا يزال يردده ويتأمله حتى يظهر له.

وبدهي أن ما يظهر من المعنى لكل أحد يكون بحسَب فهمه وعلمه، وكذلك لأن ما فيها من معنًى يكون بحسب مقام قائلها وحاله الغالب عليه حين قالها، فكما قال الإمام حين ذكر أمامه قولٌ لأحد الصوفية: إن كلام الصالحين يؤخذ للاعتبار فقط، ولا يكون هذا لكل الناس، بل ربما يكون لبعضهم، بل ربما اختص به القائل؛ لأنه جرّب هذا من نفسه، ولا يكون لغيره ولا يعمم، إلا إن كان كلامَ الله ورسوله، وإذا ورد في العموم.

والعبارة كثيرًا ما تقصر عن حمل مثل هذه المعاني، وقد تخرج في صورة يُفهَم منها غير المقصود.

قال الإمام: ومعاني المحبة تلطُف وتجلُّ جدًا عن إمكان التحدث بها؛ لأن العبارة لا تأتي على معانيها، ولا يمكن التعبير بالمعاني عنها بحال؛ لأنها لا تدركها العبارة، ولهذا ترى أهل المحبة لما أدركوا من معانيها ما يجل وصفه، ولا يمكن كشفه، واحتاجوا بسبب ذلك إلى التنفس والتروح إنما يعبرون عنها بقوالبها التي هي صورها، والمعاني أرواح قائمة لها، فلما عجزوا عن التعبير بالمعنى عبروا بالقوالب والصور، وذلك كتغزلهم بليلى، وسُعدى، ولُبنى، وهند، ودَعْد، وغير ذلك.

وقد أزال الإمام الإشكالَ الذي ينتج عن تأويل مثل هذه الأشياء في أقوال وأشعار الصوفية، فقال: كل ما يكون من أمور الغزل فيُحمل على مخاطبة النفس للروح، ولا يحمل على الأمور الإلهية؛ لأن أمرها عسر غامض، لا يكاد يفهمه إلا أكابر الصدّيقين، ولا تطيقه القوى البشرية.

وقال: لا تتعدى في تنزيل ما تسمعه من الغزل نفسَك، بل تنزله على روحك أو على الكعبة؛ لأنه لا خطر في ذلك، ولا تتجاوزه إلى النبوة، فضلاً عن الملائكة، فضلاً عن الأمور الإلهية؛ فإنَّ حَدَّ ما ينتهي إليه علم الملائكة، سِدْرَة المنتهى، فيجدون أمر الله عندها ولا يتجاوزونها.

وقال: إذا تكلم المخلوق بوصف المخلوق، فاللائق به أن يكون في المخلوق.

وقال: إذا شكا المحب الجور من محبوبه، فالجور إنما هو منه لا من المحبوب؛ لأنه أي المحب يطلب منه في نفسه، وهو أي المحبوب ما يعطيه كل ما يهواه. احفظوا ذلك.

وسمع يومًا شيئًا من نظْم الإمام السُّوْدي فيه غزل، فقال: يذكرون أشياء ما يعرفونها، وهم بَراءٌ منها يعني

ما يشبه ذكر النساء والخمر فيدل هذا أن هناك شيئًا آخر، ولهم خمر وراح غير ما يعرفه الناس، ولا حرج على من تغزل، وإنما نخشى أن يستنزل به الضعفاء.

وصاحب الحال معذور فيما يقوله، لكن تخشى عليه في آخر أحواله أن يغلط بشيء من أمور الدعوة.

والإمام نفسه قد استعمل مثل هذه الألفاظ في قصائده، فعلى سبيل المثال نجد أنه قال في إحداها:

أنا مشغول بليلى ... عن جميع الكون جملةْ
فإذا ما قيل من ذا ... قل هو الصب المولَّهْ
أخذته الراحُ حتى ... لم تُبَقِّ فيه فضلةْ
راحُ أنس راح قدس ... ليست الراحَ المُضِلَّةْ

فبيّن فيها أن الراح هنا راح أنس وقدس، وليست الراح الدنيوية التي هي أم كل رذيلة.

وقد ذكرها في قصيدة أخرى فقال:

راحُ اليقين أعز مشروب لنا ... فاشرب وطب واسكر بخير سلاف
هذا شراب القوم سادتنا وقد ... أخطا الطريقة من يقل بخلاف

موقف السادة العلويين من كتب الحقائق المجردة

إن موقف السادة العلويين عمومًا ممن يتكلم عن الحقائق أن يحسنوا الظن بهم، ولا يجيزوا قراءة مؤلفاتهم

ويذكرون قصة العيدروس الأكبر، الذي لم يعرف عنه أنه انتهر ولده السيد أبا بكر العدني، إلا يوم رآه يطالع في «الفتوحات المكية»[1]. وإذا قال لهم قائل: نطالع في هذه الكتب، فما فهمناه أخذناه، وما لم نفهمه تركناه، قالوا له: إنما نخشى عليك مما تظن أنك فهمته، وقد فهمته على غير وجهه، أما ما لم تفهمه فليس منه خطر.

وهم كذلك يخشون على المريد أن يظن أنه بقراءة هذه الكتب والتشدق بما فيها من ألفاظ قد أصبح صوفيًا محققًا، وقد وقع في هذا الكثير من الناس فضلّوا، والشأن كل الشأن في التحقق بحقائق الصوفية وليس في التشدق باصطلاحاتهم.



حضرة السقاف بمسجده بتريم كما لا زالت تقام إلى اليو

وكما ينصح السادة العلويون ذويهم باجتناب هذه الكتب والحذر منها، ينصحونهم بقراءة مؤلفات الإمام الغزالي ودراستها والعمل بها.

(١) «الفتوحات المكية» للشيخ محيي الدين بن العربي، وضع فيه أمورًا كشفية وأحوالًا ذوقية. والشيخ محيي الدين بن عربي، المعروف عند الصوفية بالشيخ الأكبر، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، والحجاز، ثم استقر بالشام، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨ هجرية.

يقـول الإمـام الحداد: هذه الأشـياء ذوقية ولا يُسـلَّم لصاحب الذوق إلا فيما يوافق الشرع الصريح، ولا سلَم، ولا أحسـن، ولا أجمعَ من كتب الإمام الغزالي، لا في الشريعة، ولا في الطريقة، ولا في الحقيقة، ويدع م أشكل عليه.

والمراد بذكر هذه الأشياء الحزم حتى يَحْذَرَها الإنسان، كالبحر أول ما يدخله إلى الركبة مثلاً، ثم الوسط، ثم إلى القامة، ثم يغرق.

ودليل هذه الأشياء في القرآن، لكن لأهلها، ومن هو في القاع ما يجيء له ما في السماء.

وقد ذكر الإمام ذات مرة أن للعقل رؤية كما أن للعين رؤية، وتكلم في ذلك قليلاً، ثم قال: وهذه الأمور كلها فيها القرب من جانب، والبعد من جانب، ولا فيها شيء من الحلول والتشبيه، واسمعوا عنا: السعيد في ش هذه العلوم يُمِرُّها ولا يدري بها، وإنما يُمِرُّها للتبرك ولا يتفكر فيها، فإن التفكر فيها ضلالة، فاحفظوا هذه عنّا، وانقلوه؛ فربما تدركون أحدًا؛ أي: ممن يتفكر فيها.

الكلام في الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عمر بن الفارض


مسجد الشيخ محيي الدين بن عربي بسفح جبل قاسيون بدمشق

وكان أكـثر ما وقع من اعتراض على مؤلفات الشيخ محـيي الدين بن عربي، وأشـعار الشيخ عمر بن الفارض[1]، وسـوف نـورد كلام الإمام حداد عنهمـا بشيء من التفصيل، حتى يتبين موقفه منهما بوضوح.

سأله بعضهم عمن ينكر على ابن عربي فقال: هو جدير بالإنكـار عليه، ولكـن ممن فوقه، لكـن النفـس تميـل إلى كلامه، وتنفر مـن الكلام الذي فيـه دواؤها، وبه يحصل لها شـفاؤها، وهو كلام الإمام الغزالي؛ لأن من طبع النفس أنها تنفر عما ينفعها، وتميل إلى ما يضرها.

وكان يمدح «رسالة القدس في مناصحة النفس» لابن العربي، ويأمر أحيانًا بمطالعتها، ويقول: ما في كتبه أصح منها، ولا أسـلم من الشـبه، ولا أبين للصواب، إلا أنه لما قرأها عليه الشـيخ الشـجار، قال له بعد أن ...: لا تعد تمر نظرك فيها؛ لأن كلامه مظنة الفتنة، وإن كان في نفسه في غاية الاستقامة.

ولما ذُكـر ابن عربي في أحد مجالسـه، قال: شرط العارف أن يمضغ بكل أضراسـه ورحاه وشـقيه، كابن عربي يتكلم في الحقائق مع مبالغته في تعظيم الشريعة، ومعرفته في كل علم؛ فإن من كان مثلاً يعرف الحِرَف

[1] الشيخ عمر بن الفارض الملقب بسلطان العاشقين، ولد (رحمه الله) بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ، وتوفي بها سنة ٦٦٣هـ، ودفن بالقرافة بسفح جبل المقطم، وله ديوان شعر مشهور، أولع به الصوفية في مشارق الأرض ومغاربها منذ أنشأه وإلى اليوم.

كلها فهو حيك وصبان وخرّاز وغير ذلك، جامعًا للجميع، فيجيئه واحد ما معه منهن إلا واحدة في عليه، فكيف ينكر على من هو أعرف منه في فنه فضلاً عن غيره؟ وعقيدته وفعله في غاية الاستقامة كلامه، وكلامه أقرب إلى السلامة من كلام ابن الفارض؛ لأنه ما يذكر حقيقة إلا ويذكر لها عشر كلمات الاستقامة. والحاصل: أن الضعيف لا ينبغي له أن يتعرض للبحور؛ لئلا يغرق فيها.


قبة سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض بسفح المقطم بالقاهرة

وقال في مرة أخرى: إنه تقدم له زهد وصلاح، فيسلم له أمور الدين والآخرة، وكذلك ابن الفارض والسهروردي، وأمثالهم من المتكلمين بالحقائق.

وأما ابن الفارض: فإن الإمام كان يترنم بأشعاره منذ صغره.

وكان ديوانه يُقْرَأ عليه من أوله إلى آخره، كلما فرغ منه أمر بإعادته، وذلك عشية كل يوم ثلاثاء، إلا أنه يأمر القارئ أن يتجاوز التائيّة الكبرى؛ لكثرة ما فيها من الحقائق التي يصعب إدراك معناها، وذلك رأيه أن: كلام ابن الفارض أسلم خطرًا من كلام ابن عربي، لأن هذا نظم فيه تسامح وسلاسة تغطي م

وظاهر هذا الكلام التعارض مع ما قاله من قبل، من أن كلام ابن عربي أقرب إلى السلامة، إلا أن أنه مَن يسمع شعر ابن الفارض لا يقف عند مُشْكِله، ولا يتفكر فيه كما هو شأن المستمع للشعر عادة. من هذا الباب أسلم.

أما إن توقف عنده، وتفكّر فيه: فحينئذ يكون كلام ابن عربي أسلم؛ لما يورده من شواهد من النصوص الشرعية

وقد قُرئ عنده في ذات مرة بشيء من شعره، فقال: به أشياء تظهر لهم بعد الرياضات والمجاهدات، ولا من معرفة العلم؛ لئلا يتغير اعتقاده من ذلك؛ لأن للشيطان فيها مجالاً، ولذلك لا بد فيها من موافقة الشرع الصريح الذي هو الأصل.

وقال في غزله: كل هذا مليح، ويُنَزَّل على الروح وعلى الجنة، لا على الحقيقة الإلهية خالق الكل.

وقال عنه: إن عمره خمس وخمسون سنة؛ لأن أهل الأحوال الغالب أنها ما تطول أعمارهم، بل تأخذهم الأحوال

وقال عن كلامه: هو كلام قلب حيّ في جسم ميت.

ولما ذكر ابن الفارض مع ابن عربي قال: فنهما واحد، إلا أن ابن عربي الغالب عليه الصحو، وابن الفارض الغالب عليه الاستغراق.

ولما سئل: هل كان السادة متعلقين بكلام ابن الفارض؟ قال: نعم؛ لأنه نظم، والنظم سهل ولا عسر فيه، وأين الحقائق الإلهية من يقين الموقنين، فضلاً عن وهم الموهومين؟

وهذه الأشياء المشكلة تُنَزَّل على الروح والنفس الزكية، أو ما أورده القائل، فإن الإنسان قد يذهل في أمور الدنيا فيشطح، فكيف بأمور الآخرة؟

وأكثر ما يطلقون في تغزلهم على الروح المحمدية والمقامات العلية؛ لأنه (عليه الصلاة والسلام) مخلوق، والخطر في المخلوق سهل وإن عظمت منزلته (عليه الصلاة والسلام) مع الغاية في تعظيمه واحترامه.

ومن اعترض عليهم، فإنما الشيطان لَقِيَ له مجالاً في قلوبهم فلبّس عليهم، وألقى عليهم ما هو سبب في الاعتراض.

وقد اتضح مما سبق موقف الإمام الحداد، والسادة العلويين من كتب الحقائق، أما ما لا يملّون منه: فإنه ذلك العلم الذي يواجه كل إنسان بما فيه من نقص، ويطالبه بالإصلاح.

وقد سئل (رضي الله عنه) عن كلام ابن الفارض، هل كان السادة متعلقين به؟

فقال: نعم؛ لأنه نظم، والنظم سهل ولا عسر فيه. وأين الحقائق الإلهية من يقين الموقنين، فضلاً عن وهم الموهمين؟ وهذه الأشياء المشكلة تنزل على الروح والنفس الزكية أو ما أراده القائل. وكم حد المخلوق؟ ولا حد فيها، فالإنسان قد يذهل في أمور الدنيا فيشطح، فكيف بأمور الآخرة؟ وأكثر ما يطلقون في تغزلهم على الروح المحمدية والمقامات العلية؛ لأنه (صلى الله عليه وسلم) مخلوق، والخطر من المخلوق سهل، وإن عظمت منزلته (صلى الله عليه وسلم) مع الغاية في تعظيمه واحترامه. ومن اعترض عليهم فإنما الشيطان لقي له مجالاً في قلوبهم فلبس عليهم وألقى عليهم ما هو سبب في الاعتراض.

وكان الإمام يمدح شعره ويقول: في نظمه فصاحة وملاحة ورقة، كأنه كان متمرنًا عليه.

قال السيد شيخ بن حسن الجفري: لما تزوج بأختي - يعني: الإمام (رضي الله عنه) - كان في بيتنا مدة مديدة وكنت أرقبه لا يكاد ينام الليل، بل يبيت يدور، وربما ترنم بشيء من كلام سلطان العاشقين أبي حفص ابن الفارض؛ لأنه (رضي الله عنه) كان مغرمًا بكلامه لما فيه من تهييج الهمة وتحريك العزيمة.

وكان الإمام يقول: سبب تعلقنا به أن السيد أحمد بن هاشم الحبشي كان يحفظ منه كثيرًا، وينشد لنا به، فتعلقت به، وهو مثير للهمة.

وذكر (رضي الله عنه) ابن الفاوض يومًا عندما قرئ عليه شيء من قصائده فقال: هو كلام قلب حي في جسم ميت.

وقال عنه: إن عمره خمس وخمسون سنة؛ لأن أهل الأحوال الغالب أنها ما تطول أعمارهم بل تأخذهم الأحوال كالشيخ أبي بكر السكران وابنه الشيخ عبد الله، عمره نحو خمس وأربعين سنة، وغيرهم.

وقال (رضي الله عنه): كل من الصالحين إنما يستعظم ما وهبه الله ولا يرى ما وهب لغيره وإن كان الكل حقًّ...
قال بعض الصالحين في ابن الفارض وأمثاله: إنهم ملؤوا الدنيا زغاريط بلا شيء؛ لأن لكل من الروح و...
تيهان، إلا أن تيهان الروح بحق وتيهان النفس بباطل، كما فعل فرعون.

قال الشجار: كل تائية ابن الفارض الكبرى مشحونة بأحوال الحقيقة التي يصعب إدراك معناها... سيدنا - نفع الله به - لا يقرؤها في الملأ مع كثرة ما يقرأ عليه الديوان كله من أوله إلى آخره، كلما فرغ... أمر بإعادته، وذلك عشية كل يوم ثلاثاء، ويأمر القارئ بتجاوز التائية الكبرى.

ولما أنشد بين يديه شيئًا من نظمه فيه غزل، قال: كل هذا مليح، وينزل على الروح وعلى الجنة... الحقيقة الإلهية، خالق الكل.

وقال مرة أخرى: إذا تكلم المخلوق بوصف المخلوق، فاللائق به أن يكون في المخلوق.

وقال (رضي الله عنه): كل ما يكون من أمور الغزل فيحمل على مخاطبة النفس للروح، ولا يحمل على ... الإلهية؛ لأن أمرها عسير غامض، لا يكاد يفهمه إلا الأكابر الصديقون ولا تطيقه القوى البشرية.

هكذا كان الإمام حريصًا في فهم معاني قصائد أهل الأحوال ويوصي الناس بالحرص وعدم الش... تفهم هذه المعاني.

قال مرة: التغزل في الله ورسوله لا يجوز ومن فعل ذلك يكاد يكفر، وإنما هو في الروح والنفس... كان من ذكر المطل والخلف والجفا ونحو هذا، فهو تغزل في النفس؛ لأنها موضع القساوة وما كان من... الوصل وذكر اللطافة والأنس ونحو ذلك، فهو في الروح.

وسمح (رضي الله عنه) شيئًا من كلام ابن الفارض فيه غزل فقال: هذه الأمور لما كانت في أوصاف المخ... أنكرها عليه بعض الناس ظنوا أنه يريد بها الخالق، وهذا خطأ منهم؛ لأنه لما كان ذلك في وصف ... تبين أنه ليس في الخالق، فإذا صرح المخلوق بالمخلوق، بالمخلوق أحق.

وقال الإمام الحداد لرجل يوصيه بمطالعة كتب الإمام الغزالي: أكب على مطالعة كتب الإمام الغز... فإنها في الكتب كالخضار في الطعام، بل أعلى منه، ذلك أن الطعام إذا لم تشتهه في وقت تركته إلى وقت ... وهذه لا يُستغنَى عنها بحال؛ لأنه جمع فيها الشريعة والطريقة والحقيقة ومواريث السلف، وإذا جاء عند... الحقائق حد لها حدودًا وشرط لها شروطًا؛ ليتحقق من أرادها أنه من دخل إليها من غير بابها أنه ضالٌّ م...

وقد رأى بعضهم بعد ما صُنِّفَ «الإحياء» الشيطانَ وهو يحثو على رأسه التراب، فقال: ما بالك؟ ق... صُنف في الإسلام كتاب أخشى أن الناس يتبعونه! وعلوم الحقائق هذه رأيتها كالنار المحرقة أو ك... المغرقة، إذا دخلها الإنسان إما غرق وإلا احترق.

وأما النوعية الثانية من الاعتراض: فكثيرًا ما تكون موجهة للمخلطين ممن ينسبون أنفسهم إلى طريق صوفية.

ولنذكر - على سبيل المثال - الخلوة التي يقول بها الصوفية، ومعناها اعتزال الناس مع الجوع والسهر صمت ومداومة الذكر. وفائدتها: مداواة بعض أمراض القلوب، كما قال الإمام: الملل من ذكر الله، وكثرة سوم، وكثرة الأكل، وكثرة الكلام، كل هذه الأشياء أمراض في القلب ينبغي معالجتها والتداوي منها.

وكما ذكرنا في الفصل الحادي عشر، فإن الخلوة الأربعينية لم يعد يأمر بها أحد من السادة، وقد نهى مام الحداد عنها كثيرًا من المريدين الذين كانت أنفسهم تدعوهم إليها، فمنهم: من استجاب، ومنهم: من يفعل فتعرض للأخطار؛ ذلك لأن لكل شيء شروطًا، وللخلوة شروطًا كثيرة، إن لم تتوافر صارت وبالاً ى صاحبها.

يقول الإمام: ينبغي أن ينقص كل ليلة لقمة حتى يصل إلى حد لا يتغير عليه عقله فيه فيلزمه.

وأقوام يدخلون الخلوة على غير هذه المقاصد، بل يقصدون أمورًا أخرى، فلهذا تتغير عليهم عقولهم؛ هم إذا اشتد عليهم الجوع قد يسمعون أصواتًا وأشياء، فيفزعون ويتغيرون منها، ولو أخذوها بشروطها حقوقها لما حل بهم ما حل.

ومن هنا، كانت الحاجة للشيخ العارف المتمكن الذي يرى بنور الله، ويستطيع أن يرشد السالك لما معه، ويجنبه ما يضره.

دعاء سقوط التكاليف

ومن بعض ما يحدث أيضًا ادعاء البعض أنهم وصلوا إلى الله، فلم يعودوا بحاجة إلى القيام بالتكاليف الشرعية.

وقد تعرض الإمام لأحد هؤلاء فكتب إليه كتابًا أوضح له فيه حقيقة هذا الأمر، وأزال عنه تلبيس سيطان فرجع إلى الحق، وتاب إلى الله.

هذا الكتاب لا مثيل له في شرح هذه المسألة.

يصلح لأن يكون رسالة منفردة قيّمة تبين للسالكين حدود الله وحكم الشرع، وتنير لهم السبيل بما زيد عليه من الوضوح، فهذا هو كتاب الإمام بنَصِّهِ:

بسم الله الرحمن الرحيم

بنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، وهيّء لنا من أمرنا رشدًا.

الحمـد لله ذي القـوة المتين، الذي لم يجعل للشـيطان اللعين سـلطانًا على عباده الخـواص، الذين ...
بالإيمان والتوكل والإخلاص.

فالإيمان هو الأصل، وهو صدق التوحيد مع رسوخه وثباته، والتوكل والإخلاص من أجلّ فروعه، و...
ثمراتـه، ومـا تحقق عبـد بهذه المعاني الشريفة، وبـنى على قواعدها قولَه وفعله إلا صار الشـيطان يفرق
يخاف من ظله.

ومـن لـم يتحقق بهذه الأوصاف فللعدو بقلبه إلمام، وحولَه تَطْواف، وكل من عَرِيَ عنها، وخَلِيَ منه...
فارقه دينه، وارتحل عنه إيمانه ويقينه، وصار الرجيم وليه وقرينه، ومن يكن الشيطان له قرينًا فساء ق...

وقـد يدنـو اللعين مـن نفس المتقي وقلبه، في حـين غفلته عن ربه، ولكن تدركـه على القرب إمـ...
التذكر والتذكير، فإذا هو سميع بصير، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ
ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾(١).

وقد يَفِيض هذا المدد من الله على عبده، بواسـطة مَلَك الإلهام، وقد يكون بواسـطة بعض عباده ...
نصبهـم لإرشـاد الأنام، وراثـة منهم لمتبوعهم الإمام الأعظـم، والنبي الأكرم، والرسـول الأفخم، حبيبـ...
محمدِ بن عبدالله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

مـن أقـل العباد، الفقير إلى الله الجواد، عبدالله بن علوي الحداد علوي الحسـيني، إلى أخيه في الله، محـ...
ابن أحمد بانافع الهجراني، أخرجه الله من ظلمات ليل الجهل والحيرة، إلى ضياء نهار الهُدى والبصيرة، وكحـ...
بإثمِدِ نورِ الهداية حدَقَة عينِ قلبهِ؛ حتى يهتديَ لما اختُلِف فيه من الحق بإذن ربه، والله يهدي من يشـ...
صراطٍ مستقيم.

وليس في الدين إشكال، والهُدى أحمى جانبًا من أن يشتبه بالضلال، ولكن الشيطان عدو مبين، وهـ...
غالب على الإنسـان المخلوق من سـلالة من مـاء مهين، فإن ثبّته مولاه وهداه، ووفقـه وأعانه على امتثـ...
به أَمَرَهُ واجتناب ما عنه نهاه.. ظفر بالسـعادة وفاز بالحسـنى وزيادة، وإن وَكَلَه إلى نفسـه، وحوله وقوته، ...
الهلاك أسرع إليه من طرفة عين، فيَهْلِك من حيث يرجو النجاة. لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

وفي هذا المعنى قال قائل:

مـن حيث يرجـو جاءه مـا يتقي ... يـا ويح من بالمـاء أضـحى يَشْرَقُ

وقال غيره:

إذا لم يكن عـون من الله للفتى ... فـأول مـا يجـني عليـه اجتهاده

(١) الأعراف: ٢٠١.

اللَّهُمَّ اعصمنا واحفظنا من كل ما يُسخِطُك علينا، بحولك وقوتك، واهدنا ووفقنا لكل ما يرضيك عنّا، بفضلك ورحمتك؛ فإنا عاجزون عن جلب النفع لأنفسنا، ودفع الضرّ عنها، من حيث نعلم بما نعلم، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم، فوحقك ما بقي بأيدينا إلا الاعتصامُ بك، والاعتمادُ عليك، والتفويض إليك، فإن عذَّبت فبعدلك ولك الحجة، وإن رحمت فبفضلك ولك المنة، سبحانك لا نحصي ثناء عليك، ولا نقول إلا ما يرضيك، ولا نعترض عليك في ملكك، ولا ننازعك في سلطانك، وقد رضينا بك ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيك رسولاً.

سبحان ربِّنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً.

جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا.

رب إن الهدى هداك وآيا ... تك نور تهدي بها من تشاء

أما بعد: فاعلم يا محمد أنه كان يبلغني عنك من الإقبال على الله وعلى طاعته، ومن الإعراض عن الدنيا وأهلها، ما أستغرب وجود مثله في هذا الزمان المبارك، الذي عز فيه وجود المقبلين على الله؛ لاشتغال أهل الزمان بعمارة الدنيا وجمع حطامها، وكنت أحبك لذلك، وأقول بتعظيمك وإجلالك، إلى أن بلغني عنك بالاستفاضة أنك قد خلعت العذار، وهدمت الجدار، ووقعت والعياذ بالله في ترك الفرائض من الصلاة والصيام، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولو بلغني عنك الانهماك في المباحات، والتساهل بترك شيء من النوافل المقربات، لكنت أعد ذلك من المصائب في حقك؛ لأن السالك الصادق لا يزال في مزيد من المعرفة والعبادة إلى أن يخرج من الدنيا، وذلك علامة صدقه، فإذا ظهر عليه أثر من التقصير دلّ ذلك على وقفه أو على فتوره، كما قال أبو سليمان (رحمه الله): لو وصلوا ما رجعوا، يعني إلى الكسل والراحات المباحات، فكيف بمثل هذا الأمر الذي ينحط به فاعله عن درجة العوام ويقدح في أصل الإسلام.

وبيان ذلك: أن الأمة قد اجتمعت، سلفًا وخلفًا، على أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلف، الذي هو البالغ العاقل، إلا بالموت، أو بزوال العقل. وقد سألت عن عقلك فأخبرت أنه لا بأس به.

وإذا ترك المسلم شيئًا من التكاليف، نُظر، فإن كان تركه عن جحود، فهو مرتد؛ أو عن كسل، استتيب، فإن تاب وإلا قتل. وفي هذا تفصيل محله كتب الفقه.

وقد ظهر لي أنك لست عند ذا ولا عند ذاك، ولكن للشيطان لعنه الله تلبيسات تشبه الحق، وهي الباطل المشؤوم، يلبّس بها على السالكين لطريق الله، فمن عصمه الله منهم لم يلتفت إليها، وضرب بها وجه اللعين، ومن تخلفت عنه العناية الإلهية منهم اغتر بها، فتورط ورطات الإلحاد والزندقة.

فمن تلبيساته: أن يقول للسالك: إن التكاليف طريق إلى الله، وأنت قد وصلت إليه، فما تصنع به

ومنها: أن يقول له: أنت في عين الجمع على الله، وفي العبادات المتنوعة ما يجلب التفرقة.

ومنها: أن يقول له: إن التكاليف تليق بأهل الغفلة؛ لتقودهم إلى الحضور مع الله في بعض الأحيان، من كان عاكفًا بقلبه على الحضرة القدسية على الدوام: فهي في حقه حجاب.

ومثل هذا كثير يقع للسالكين.

ولا ينبغي لك أن تقول: أنا مقبل على الله، ومشتغل به، فكيف يُمَكِّن الشيطان من إغوائي؟

فاعلم أنه عام الإغواء، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ...وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِ والحفظ من اتّباعه على ضلالِهِ هو للخاص ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[1].

وتأمل ما جرى لأبيك آدم حين أكل من الشجرة، ولسيد المرسلين حين أدخل في قراءته ما ليس منه ولست أكرم على الله من الأنبياء المعصومين.

وقد سمعتَ أولاً عن الأولياء المحفوظين، فاسمع عن الإمام المُجمَع على ولايته وقطبانيته، سيدي عبد القادر الجيلاني، في واقعة وقعت له مع الشيطان، وذلك أنه رأى في بعض سياحاته نورًا قد ملأ الأفق، وفيه صوت يقول: يا عبد القادر أنا ربك، قد أسقطت عنك التكاليف! فقال الشيخ: كذبت يا لعين! وأعرض عنه، فما زال ذلك النور يضمحل حتى برز منه الملعون، وقال لسيدي الشيخ: إنك قد ثبت، وإلا فقد فتنتُ قبلك سبعين من أهل الطريق.

ونحن نكشف عوار هذه التلبيسات المذكورة، بكلام وجيز من الحق، المؤيد بالكتاب والسنة وكلام أئمة الطريق.

أما قول الشيطان للسالك: إنك قد وصلت إلى الله، فخرجت عن عهدة التكاليف: فاعلم أن خُطور مثل هذا الخاطر يدل على عدم الوصول؛ لأنه من الباطل الذي يُحفَظ الواصل من مثله، بل ربما دل خُطوره على عدم السلوك رأسًا.

وبيان ذلك أن السالك لا بد وأن يكون له بصيرة في العلم، بحيث يعلم أن الشارع لم يرخّص في ترك شيء من التكاليف للمكلَّف. وما أبعده عن طريق الله إن قدّم وسواس الشيطان على قول الشارع، الذي لا ينطق عن الهوى، وعلى التنزيل، فمراتب الوصول غير متناهية، وإنما يقال: «وصل»، على معنى: أنه انهتك حجاب قلبه الذي يحجبه عن ربه. ولا وصول للواصل إلى ما لم يصل إليه من منازل القُرْب إلا بالملازمة والمواظبة على الأمر الذي هو سبب في الوصول إليه، وليس ذلك إلا الفرائض والنوافل، ولو لم يكن من

(١) الإسراء: ٦٥

التكاليف إلا كونها سببًا في حصول الوصول.. لكانت تجب المحافظة عليها كذلك، وللشفقة على العامة أن يقتدوا به أو يظنوا به السوء، كيف وتَرْكُها يدل على المقت والطرد والسلب والبعد.

ولو صدر ذلك من أكمل الكمّل، لكان يهوِي من أعلى درجات الصدِّيقية إلى أسفل دركات الزندقة.

وقد شنّع المحققون على من يقول بإسقاط التكاليف عن الواصل، فبلغنا عن الجنيد (رضي الله عنه) أنه قيل له: هل يبلغ أهل المعرفة إلى حد تسقط معه الحركات من أعمال البر؟ فقال: إن هذا عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً ممن يقول هذا، ولو عشت ألف سنة لم أترك ذرةً مما أنا عليه من أعمال البِرّ.

وقيل لأبي علي الروذباري: إن قومًا يتركون التكاليف ويزعمون أنهم وصلوا، فقال: نعم ولكن إلى سقر.

وقال الإمام الغزالي: قَتْلُ واحدٍ ممن يقول هذه المقالة وما أشبهها أنفع للإسلام من قتل ألف كافر.

وما بلغنا عن أحد، ممن له أدنى قدم في طريق الله، أنه ترك شيئًا من الفرائض لغير عذر شرعي، بل قد عتب العارفون على من يقتصر من العارفين على الفرائض ويدع النوافل، وقالوا: إن المدد والمؤيد محبوس عنه، وممنوع منه.ذكر ذلك صاحب «العوارف» وغيره.

ولن يفارق السالك الواصل في شيء من الأمور إلا في أمرين:

الأول: حصول الكشف.

والثاني: القيام بالفرائض والنوافل مقرونًا باللذة والراحة، كما قال (ﷺ): «**أرحنا بها يا بلال**»[1]؛ وقال: «**جُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة**»[2]. والسالك يقوم بوظائف العبودية مع المشقة والمجاهدة، ومن قال بغير هذافليس من أهل الطريق، ولا عنده من الذوق والتحقيق.

وإنما مثل الذي يقول بسقوط التكاليف عن الواصل، كمثل الذي يغرس شجرة ويتعاهدها بالسقي حتى تثمر، فإذا أثمرت، أخذ الثمرة الأولى، وقطع الشجرة من أصلها، فلم يبق بيده ثمرة ولا شجرة، ولو أنه استبقى الشجرة، ولم يزل يسقيها، لنمت وأعرقت، ودامت ثمارها وكثرت.

ومثله أيضًا: كمثل عبدٍ وقف على باب مَلِك للخدمة، فلم يزل يرتقي بأدبه وحسن خدمته حتى صار من جلسائه، فلما حصل في مجلسه جعل يحرق أثواب الملك ويوسخ بها فراشه، ألا يستوجب الطرد والعقوبة؟ ولو أنه عقل لكان يزيد أدبه وخدمته الملك في حضرته أضعافًا مضاعفة على ما كان عليه من قبل.

وأما قول اللعين للسالك: إنك قد صرت في عين الجمع، والعبادات المتنوعات تخرجك عما أنت فيه: فاعلم وفقك الله أن الجمع عبارة عن تجلي نور الحق لقلب عبده، وهذا لا يكون على الدوام، وأكثر ما يرد هذا الوارد على أهل الله وأحدهم في صلاة أو تلاوة أو ذكر، كما بلغنا عن الإمام علي بن الحسين أنه احترق بيته وهو يصلي فلم يشعر.

(1) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، (٤٩٨٥ - ٤٩٨٦).
(2) سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، (٣٩٣٩ - ٣٩٤٠).

وقطعت رجل أحدهم وهو في الصلاة فلم يُحِس.

وفي العبادات وتنوعها كالصلاة من القيام والركوع والسجود وغير ذلك سر لطيف، وهو: أن م
الصفات والأسماء الإلهية متنوعة، ويكون كل نوع من المعاملات الدينية قالبًا لمظهر من المظاهر الر
فلا يستوفي العارف جميع المظاهر الإلهية حتى يقوم بجميع أنواع العبادات.

وقد قال المحققون: من كان له مع الله حالٌ يَفقِده في حال المعاملة، ويجده إذا تركها فهو مخدوع ممكور
وإن مشى على الماء وطار في الهواء، ومن وجد حاله مع الله في العبادات وفَقَدَه في العادات فهو غير متمك

وبيان ذلك: أن حركات المحقق وسكناته، في ظاهره وباطنه، كلها عبادة؛ لأنه لا يدخل في شي
المباحات إلا بنيّة صالحة.

هذا حال صاحب البقاء، وهو بَعْدَ الفناء.

وقد يستغرق الفاني في حال فنائه بربه فلا يحس بنفسه ولا بشيء من الكائنات، وهذا الوارد إذا ور
يبقى طويلاً، فإن اتَّفق فوات شيء من المكتوبات بسببه، فقد كانوا يقضونه إذا أَفاقوا، كما بلغنا عن
ابن خيثم أنه سمع قارئًا يقرأ فخرّ مغشيًا عليه فمكث ثلاثة أيام، فلما سري عنه قضى ما فاته من الص
وصاحب هذا الحال لا يأكل ولا يشرب، وإنما يكون كالثوب الملقى.

وأما من ظهر له شيء من الحقائق فتلف بسببها عقله، فصار فاقد التمييز كالأطفال والمجانين، فغ
معدود من أهل الكمال، وإياه يعنون بقولهم: من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه.

ومن الكمال عند أهل الكمال أن لا تشغلهم العبادات عن العادات، ولا تحجبهم عن المعبود؛ فقد
منهم من يسهر ويطوي الليالي والأيام المتتابعات الكثيرات، ولا يؤثر ذلك فيهم شيئًا.

ومثل الذي يدَّعي أن العبادات تورثه الحجاب عن الله، كمثل الذي يقول: إن المَلِك متى خدمته وتأدب
بين يديه، حجبك عن مشاهدته، فهل شيء من الحماقات أعظم من هذا؟

وكان (عليه الصلاة والسلام) يقوم من الليل حتى تورمت قدماه.

ونودي بالصلاة في مرضه الذي مات فيه، فأمر بماء يوضع له ليتوضأ، فأغمي عليه، ثم أفاق، فأمر
فأغمي عليه، ثم أفاق، فأمر به، ثم أغمي عليه، فلما أفاق، أمر أبا بكر أن يؤم الناس.

وقد كان (عليه الصلاة والسلام) يحب أن يعمل بالعمل من البر فما يمنعه إلا مخافة أن يفرض علي
هكذا روي عنه.

فما أشفقه علينا، وأرحمه بنا، وأحرصه على هدايتنا، وإنقاذنا من عذاب الله، صلى الله عليه وسلم، وجز
عنا أفضل ما جزى نبيًا عن أمته.

ولنختم هذه الرسالة بذكر شيء يسير من أفعال هذه الطائفة وأقوالهم وأحوالهم الدالة على تعظيم الشريعة، على المحافظة على نوافلها فضلاً عن فرائضها وأنهم كانوا معروفين بذلك، مشهورين به من سائر الطوائف.

فمن ذلك ما بلغنا عن أبي يزيد أنه قصد إلى زيارة رجل يذكر بالصلاح فانتظره في مسجد، وخرج الرجل فتفل نخامة في المسجد، فرجع الشيخ ولم يجتمع به وقال: لا يؤمن على أسرار الله من لم يحافظ على آداب الشرع.

وقال: هممت أن أسأل ربي أن يكفيني مؤنة النساء، ثم قلت: إن رسول الله (ﷺ) لم يسأل ذلك، فتركته، فكفاني الله مؤنتهن، حتى لا أبالي أستقبلتني امرأة أم حائط.

وسجَنَ السلطانُ ذا النون، فأدخلت له امرأة صالحة طعامًا يعلم حله على يد السجان، فردَّه واعتذر إليها بوصله على يد ظالم.

وكان يقول: للعارف ثلاث علامات:

- ألا يطفئ نور معرفته نور ورعه.
- وألا يعقد باطنًا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم.
- وألا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارمه.

وكان إبراهيم بن أدهم يحرس بستانًا لبعض الأغنياء فخرج صاحب البستان إليه، وقال له: هات شيئًا من الفواكه الحلوة، فجاءه بشيء حامض، فقال له: أنت البستاني منذ زمان، ولا تفرق بين الحامض والحلو؟ فقال: يا هذا، إني لم أذق من فاكهة بستانك شيئًا.

وكان إبراهيم الخواص به داء الإسهال، فكان كلما أحدث توضأ، فاتفق أنه توضأ في ليلة أكثر من سبعين مرة وفي آخرها قام ليتوضأ فخرجت نفسه وهو في الماء.

ورُئي الجنيد وفي يده سبحة، فقيل له: مثلك يحمل السبحة؟ فقال: طريق وصلنا به إلى الله لا نتركه.

ودخل عليه إنسان وهو في الموت، فسمعه يختم القرآن، فقال: يا شيخ في مثل هذا الحال تقرأ؟ فقال: ومن أولى بذلك مني، وهو ذا تُطوى صحيفتي؟

وقال الجنيد: لو أقبل مقبل على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان الذي فاته أكثر من الذي حصل له.

ومر رُوَيم في بعض شوارع بغداد وهو عطشان، فاستسقى من بعض الدور، فخرجت إليه صبية بماء، فلما شرب قالت: صوفي يشرب بالنهار! فلم يفطر بعد ذلك حتى خرج من الدنيا.

وسُئل صاحب للشبلي: كيف كانت محافظته على الشريعة؟ فقال: أشار عليَّ أن وضئني للصلاة، وهو في النزع، وقد أُمسك لسانه، فنسيت أن أخلل لحيته، فأخذ بيدي فأدخلها في لحيته.

ولما حضرت الوفاة خيرًا النسّاج سمعوه يقول: قف عافاك الله حتى أصلي، فإن الذي أُمرتُ به يفو... والذي أمرتَ به لا يفوتك، ثم قام للصلاة فصلى، فلما سلَّم خرجت روحه.

رحمهم الله ورحمنا بهم، ورزقنا متابعتهم، والاهتداء بهديهم، وجمع بيننا وبينهم في دار كرامته.

وهذه يا محمد نصيحتي لك، وقد أديت فرضًا فرضه الله عليّ، فإن سمعت وأطعت، وقبلت النصح وتر... ما أنت عليه، وقضيت ما فوَّتَّهُ من الصلاة والصيام، وانشرح صدرك لذلك فأبشر؛ فقد أحسنت إلى نفـ... وعسى الله أن يغفر ما سلف، وما ذلك على الله بعزيز.

وإن تماديت في الجهالة، وأبيت إلا الإصرار على البطالة، والعكوف على الضلالة، فعلى الله حسابك و... إيابك،

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

والسلام على من اتبع الهدى.

أشعار الصوفية

كان الإمام الحداد يتذوق الشعر ويقرضه، وكانت تنشد في حضرته قصائده، وقصائد أسلافه من الس... العلويين، وقصائد المديح النبوي، كقصائد الشيخ البوصيري والشيخ البرعي، وقصائد أهل الأحوال، كـ... الفارض والسودي وبامخرمة. وكانت عادته في مجالسه يتكلم بعض الشيء لإيناس ضيوفه، ثم يأمر من كـ... عنده من المنشدين بإنشاد قصيدة أو قصيدتين، وذلك مع إدارة القهوة عليهم والبخور.

ولما دار الحديث يوما في المجلس حول الحج والزيارة والتشوق إلى هذه البقاع المباركة، أمر الإمام تلميذه شجّار بالإنشاد من قصيدة:

«قل لأحبابنا بسوح المقام»، وهي الميمية الكبرى، وأن يبدأ من وسطها، والقصيدة مائة بيت واثنان، والبيت الذي بدأ عنده البيت التاسع والعشرون، وهو قوله:

فدَعِ العجزَ والتكاسل واسلل … صارم العزمِ يا له من حسامِ

واقطع القاطعات من كل وهمٍ … واعتياد يشيرُ للإحجام

ثم قال (رضي الله عنه): لا تخلو أبيات من هذه من زحاف بالنسبة إلى هذا البحر؛ لأن ما لنا كثير نظم فيه، وعادتنا إذا اطلعنا على ركة في بعض القصائد بعد ما أنشأناها كذلك لا نتكلف إصلاحه، وربما فعلنا ذلك بقصد. قال: وفيها أشياء ما توجد في الرائية، من فصاحة وغيرها، ولو شرح هذه الأبيات عالمٌ منصف، خليٌّ عن الحسد والمنافسة، أتى فيها بجميع مناسك الحج، ولا ينافس الإنسان إلا أصحابه.

ويُفهم من هذا أن الإمام إذا أُلهم بقصيدة، ثم لاحظ فيها شيئًا من الخلل فيما بعد، يتركها على ما هي عليه، معتبرًا أن إصلاح ما بها إنما هو ضرب من التكلّف. وكذلك يشير إلى أنه قد يتعمّد إدخال شيء من ذلك على بعض القصائد.

وذكر كرامات الأولياء في أحد المجالس، ثم تطرق إلى الشيخ الذي كاشف ابن الفارض، وأمره أن يسافر إلى مكة، قال: وكذلك البقال - وهو عامي يبيع البقل - لما رأى ابن الفارض قال له: ما يُفتح عليك إلا في مكة، قال: وأين أنا من مكة؟ فقال له: هذه مكة! فالتفت فرآها. ولكن تقدمت هذه رياضات ومجاهدات.

وتحدث (رضي الله عنه) عن تنزيه الحق (تعالى)، فقال: إذا أردت أن تنفي الجهة في حقه تعالى، وتعلم أنه غير محتاج إلى جهة، فأثبت حدوث العالم، فإذا ثبت فلا خفاء في ذلك، فأين كان قبل وجود الموجودات؟ وأين يكون عند قيام الساعة، وعندما يطوي السموات والأرض بيمينه فيعدمهما؟ فيُعلم غناه عن الجهة، فأين كان قبل ذلك وبعده؟ وقد يغلط في لفظ الشمال في حق الله سبحانه من يقول: له شمال، وإن كان قد جاء في بعض الأحاديث. ثم كلتا يدي ربنا يمين، اليمين الكبرى بها فضله، واليمين الأخرى بها عدله، فلا يوصف بشمال.

وكذلك يقال: فوق الفوق، وفوق التحت، ولا يجوز أن يقال: تحت التحت؛ لأنه فوق كل شيء. والأمور التي لا تدركها العقول كثيرة؛ منها ما هو في الوجود، ومنها ما هو في القدرة لم يبرزه الله سبحانه. ولا يعرف الإنسان منها إلا ما يألفه، فيقيس عليه ما يقرب منه، وأما ما لا يعرفه ولا يألفه طبعه، فلا يعرفه أصلاً، ويرى ما عاداه محالاً، وما لم يره أو يعلمه لا يمكنه أن يتعقله، فخل الخوض في الحق. انظر إلى الملائكة، إنما غذاؤهم الذكر، ولو قيل: حي لا يأكل ولا يشرب، ولا ينام! يقال: ما هذه الحياة، وكيف تكون؟ ويستبعده.

وكـذا الجنـة حيث يقال: طولها كذا، وعرضها كذا وصفتها كذا، فإذا اسـتبعد، يقـال له: نعم إذا كان ذ...
هذا العالم الضيق. وهنالك عوالم شتى، منها ما هو في الوجود ومنها ما هو في القدرة.

وقال: النظم تحن إليه الأرواح أكثر مما تحن إلى النثر، بشرط أن يكون السامع مجردًا عن الهوى؛ لئلا ...
الأشياء على أغراضه.

وذكر له (رضي الله عنه) أن لابن عربي نظمًا، فقال: لكن يرتفع في نظمه، وآخرون وإن كان معهم حقيقة يتـ...
في نظمهم؛ لقوله (ﷺ): كلموا كل إنسان بما يعلم، أتريدونه... إلخ[1]، وهذه الأشياء من علوم الحقائق يستحـ...
بهـا؛ لكونهـا لا تتعلق بعمل ولا حكم، ومن حق النظـم أن يكون في وعظ أو تذكير، أو حث على خيـ...
تحذير من شر، أو تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة.

وقال: الغزل حجر الأسـاس يبنى عليه النظم، ولا يحسـن النظم إلا بالتغزل، وقد جرت به عادة ...
ولا بد فيه من ذكر أوصاف النسـاء. ولما كان العشـق إنما يعرف بالنسـاء، حتى جرت العادة بالتغزل فـ...
جرت عادة الصالحين أيضًا في قصائدهم بالتغزل بهن، وإن كان مقصدهم غير مقصد غيرهم.

قال الشـجار: وأمر (رضي الله عنه) في بعض الأيام منشـدًا ينشـد، وكان ذلك في مسـجده الأوابين، فأنشد بخـ...
ابن الفارض، وكان السـيد الجليل أحمد بن زين الحبشي حاضرًا، فقال سـيدنا: أثبت لنا ما فهمت من معـ...
القصيدة وما في معناها لنرى كنه فهمك. فتناول الورقة من يدي والقلم، وكتب هذا – وهذا المنقول معـ...
خطه: الحمد لله، مما فهمناه من كلام سيدنا: مدار المعنى المقصود في كلام أمثال ابن الفارض لأهل المعنى ...
سر قـوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ إلخ، وفي نحو قوله في الخمرية: شربنا على ذكر الحبيب مدامة، يـ...
إلى ظاهـر التوحيـد وباطنه، وذوقهم فيه، واتصافهم به، فإذا أخذ ذلك دسـتورًا ظهـرت، وظهر غالب ...
(انتهى).

والخمرية من أكثر قصائد ابن الفارض انتشارًا، وقد سميت هكذا لأن الناظم يقول فيها:

شربنـا على ذكـر الحبيـب مدامة	سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها	هلال وكـم يبـدو إذا مزجت نجم

ويقول العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي (رضي الله عنه) في شرح البيت الأول: قوله: «شربنا»، أي معـ...
السـالكين في طريق الله تعالى؛ وقوله: «على ذكر الحبيب»، أي المحبوب، وهو الحق تعالى. و«ذكره»، تذكره بعـ...
نسـيان الغفلـة عنه، وحجاب التباعد منه. وقـد يراد بالذكر الذكر باللسـان، أو بالقلب والجنان. زمن ...

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٧) قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكـ...
الله ورسوله؟

أشربة الفاسقين أنهم يشربون على السماع والطرب بأنواع التلاحين، فجرى على سنتهم من قلب أعيان الوجود،[1] والكشف عن حقائق الكرم الإلهي والجود، وأشار إلى أن ذكر الحبيب عنده من أقوى أسباب الطرب. وقوله: «مدامة»، أي خمرة، والمعني بها هنا شراب المحبة الإلهية، الناشئة عن شهود آثار الأسماء الجمالية للحضرة العلية، فإنها توجب السكر والغيبة بالكلية عن جميع الأعيان الكونية. وقوله: «سكرنا»، أي غبنا لذة وطربًا عن كل ما سوى الحقيقة، واتصلنا بغيب غيبتنا من ممتد هاتيك الرقيقة. وقوله: «بها»، أي بتلك الخمرة المذكورة، والنشأة المطلقة المحصورة. وقوله: «من قبل أن يخلق الكرم»، يعني أن سكره المذكور سابق في الحضرة العلمية قبل ظهور كل مقدور. وقال في شرح البيت الثاني: قوله: «لها»، أي لتلك المدامة المذكورة، من حيث إنها محبة إلهية كما ذكر، وهي عين المحبة الأزلية، ظاهرة في مظاهر الآثار الكونية، شمس «يحبهم» ظهور نورها في بدر «يحبونه»، من قوله تعالى ﴿يحبهم ويحبونه﴾، وذلك الظاهر عين الباطن، هو المشرق على جميع المواطن، وهو خمر الوجود الحق والخطاب الصدق... إلى آخر ما قال. وقد فسر البدر على الإنسان الكامل، العالم المحقق العامل، الذي هو الكأس الذي تتجلى فيه شمس تلك المدامة، فيشربها المريد الصادق، وفسر «إدارتها» على أنها نشر أسمائها وصفاتها الحسنى، والهلال هو نفس البدر المذكور، إلا أنه محتجب بظهور صورته التي تستر بقية النور، كما تحجب الأرض نور الشمس عن البدر فيظهر هلالاً، وأما النجم فهو نفس البدر ولكن إذا التفت عن نور الشمس ليتوجه إلى غيره، فتمزج المدامة بغيرها، ويكون حينئذ نجم هداية يهتدي به السائرون في الظلام[2].



قبر الشيخ عمر بن الفارض

ويظهر عند قراءة مثل هذا الشرح ومقارنته بكلام الحبيب أحمد بن زين السابق الفرق الواضح بين منهج السادة العلويين ومنهج غيرهم من الصوفية، فالحبيب أحمد بن زين يتكلم في نفس الحقائق والمعني، ولكن عن طريق الإشارات والتلويح، فيشير للقارئ بمفتاح فهم الأبيات فقط، وهو أن المعنى يدور حول ظاهر التوحيد وباطنه وتذوق الصالحين لذلك، ثم يسكت ويترك لذي الفهم أن يفهم، ولا يفتح لمن لا يصل فهمه لمثل هذه المعاني باب سوء الفهم وسوء الظن.

(1) فجرى (أي الناظم)، على سنتهم (أي القوم)، من قلب أعيان الوجود (أي الإشارة إلى أن كل مظهر سفلي له حقيقة علوية ما هو إلا ظلها المقلوب، فسكر الفسقة ما هو إلا الصورة السفلية المقلوبة للسكر العلوي، وهو السكر الحقيقي، أي استغراق الأروح في أنوار تجليات الحق).

(2) شرح ديوان ابن الفارض، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الجزء الثاني، ص ١٧٤.

وقد ذكر الإمام هذه الخمرة العلوية القدسية في بعض قصائده فقال:

أخذته الراح حتى لم تبق فيه فضلة
راح أنس راح قدس ليست الراح المضله

وقال في أخرى:

لله روح خالط الحب كلها ومازجها حتى صبت للصبابة
وخامرها خمر الغرام فأصبحت وأمست على حب الحبيب مقيمة
يظن بها من ليس يدري بشأنها بأن بها سكر الخمور الأثيمة

تم ذكر كايف يهيج السماع الأشواق، ويستثير الشجون، فقال:

لها أبدًا شوق إلى خير معهد خير عهد في العصور القديمة
يذكرها العهد القديم سماعها لترجيع تال للمثاني الكريمة
ورنة أذكار وصوت مسبح ونغمة حاد بالمطايا المجدة
وتلحين شاد بالأغاني الرقيقة به وتغريد ورق فوق أغصان دوحة

فذكر العهد القديم والظاهر أن المراد به؛ كما في قصائده الأخرى، يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وذكر سم... آيات القرآن، ورنة الأذكار، وأصوات المسبحين، ونغمة الحادي، رتغريد الطير. وهو من الآيات الكو... وفيه نوع آخر من التسبيح. وصوت الشادي بالأغاني الرقيقة، وكل هذ، تثير ذكرى هذه الأيام التي كانت ... الروح في أعلى عليين، قبل أن تظهر في الأرض، كما قال (رضي الله عنه):

ياأيها الروح هل ترضى مجاورة على الدوام لهذا المظلم الكدر
فأين كنت ولا جسم تساكنه ألست في حضرات القدس فادكر
تأوي مع الملأ الأعلى وتكرع من حياض أنس كما تجني من الثمر

وأنشد منشد بحضرته (رضي الله عنه) في مسجد الأوابين يوم عشر من صفر سنة ١١٢٦هـ بقصيدة ابن الفارض (رضي الله عنه)

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

فقال للمنشـد: أتحسن أن تشرحها؟ ثم قال: الكلام في الأعمال ومعاملات النفوس ورياضتها أسلم، وإلا معلوم الحقائق أن من غلطَ في التضييق فيها، غلط فيها لإخراجها لغير أهلها، والاختصار والإيضاح أولى، اختصرت ما فيه النفع.

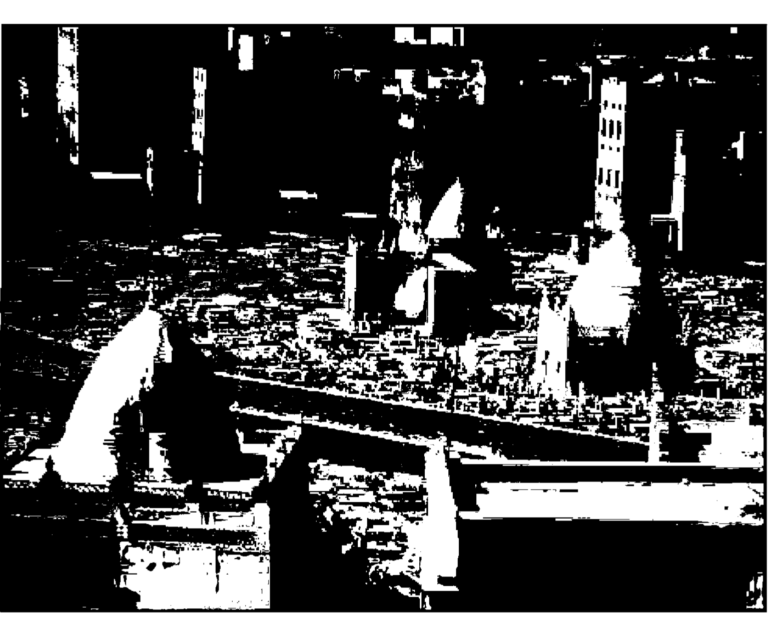
وسـمع (رضي الله عنه) شـيئًا من نظم السـودي فيه غزل، فقال: يذكرون أشـياء ما يعرفونها، يعني: ما يشـبه ذكر نسـاء والخمر، وهم براء منها، فيدل هذا على أن هناك شـيئًا آخر، ولهم خمر وراح غير ما يعرفه الناس، ولا حـرج على مـن تغزل، وإنما نخشى أن يسـتنزل به الضعفاء، وصاحب الحال معـذور فيما يقوله لكن يخشى عليه في آخر أحواله أن يغلط بشيء من أمور الدعاوي.

وقال (رضي الله عنه): إن بامخرمة قصد إلى السودي واجتمع به، وكان إذ ذاك قد حصل فى حضرموت قحط شديد، فأنشأ السودي فيه هذه القصيدة، مكاشفًا له: غريب مطرت بلادك.

وقال عن بامخرمة: والشيخ قد يفعل قصائد على ألسنة العامة، يطلبون ذلك منه. وقال: في كلامه حكم، وهو على هيئة كلام العامة، فإنه عالم صوفي صاحب رياضة ما هو صوفي جاهل.

وذكـر يومًا (رضي الله عنه) كلامه وما فيه مما يشـكل، فقال: يترك على ظاهـره؛ فلو كان من كلام الأئمة المحققين المقتـدى بهـم أول له تأويـلاً يليـق، وأما كلامه فيـترك على ظاهره، فإنـه يتعاطى أمورًا لا تليـق بالكمل من الصالحين، إلا أنه محفوظ بنور العلم، وكلامه إنما هو وارد، وكان من أهل العلم والصلاح، إلا أنه مخرّب[1] في طريقة الصوفية. والشاعر ما يؤاخذ بقوله، فإن كان عالمًا لا بد أن يقصد أمورًا محمودة.

وذكر (رضي الله عنه) يومًا السـودي وبامخرمة، وقيل كان وقتهم صالحًا، كثير الخير والأخيار، فقال: كان في وقتهم سـحاب يمطـر عليهـم، وأمـا الآن فكما قال الجنيـد لما قيـل له: ألا تفعل السـماع؟ فقال: مع من؟ فقيل لنفسـك، فقال: مع من؟ وهذا لأن الأشياء إنما هي في أوقاتها ومع أهلها.


قبر الشيخ عمر بامخرمة بمقبرة سيئون وهو المسطح السقف في وسط الصورة بلا قبة تعلوه

وسمع (رضي الله عنه) أن بعض السادة يقول: وددت أن القيامة قامت وانظر إلى مقام الإمام ابن الفـارض ومقام الشـيخ عمر بامخرمـة، أيهما أرفع؟ فقال: لو قال: مقام السـودي وبامخرمة، أيهمـا أرفـع؟ أما ابـن الفـارض، فمقامه أرفع منهما.

[1] أهل التخريب في مصطلح الصوفية: هم الذين لهم أمور مخالفة في ظاهرها للشريعة يدفعون تعلق الناس بهم واعتقاد الصلاح فيهم.

وقال (رضي الله عنه) لبعض المنشدين: ما فيه ذكر النساء وأوصافهن أنشده في محاضر الأعراس، وما كـ غزل ونحوه في مجالس الضيافات، وما فيه ترغيب في خير أو مدح للنبي (ﷺ) وما جرى هذا المجرى مجالس الأخيار.

وقال (رضي الله عنه) لبعض المنشدين: لا تقصر عن أن تحفظ لعبد الرحيم البرعي؛ لأن نفوس الناس تحـ إلى نظمه، لكونه يمدح نبيهم، أي: فتميل بذلك أرواحهم إلى ذكره، تطرب أسماعهم وأسرارهم إلى مد والثناء في الحقيقة إنما هو له تعالى ولنبيه، وما عدا هاتين الحضرتين فكلهم خدام، إلا ما بين خادم ر وخادم وضيع. وفي مكاشفة للشيخ عبدالقادر الجيلاني (رضي الله عنه) فإنه قال: وقفت على أبواب الله كلها فر كلاً منها عليه تزاحم شديد، إلا باب الفقر رأيته خاليًا.

قال الشجار: وقال (رضي الله عنه) يومًا: أنشد فأنشدت بقصيدة ابن علوان: «ألا عرج أضاء لك السـ وبعدها بقصيدة سيدنا:

الله لا تشهد سواه ولا ترى … إلاه في ملك وفي ملكوت

فلما فرغ منها، أنشد الإمام هذا البيت:

الله أعظم من إشارة عارف … والله أكبر من إشارة عالم

وهذا البيت أيضًا:

عباراتنا شتى وحسنك واحد … وكل إلى ذاك الجمال يشير

ثم قال: إن الحوت إذا غار عنه الماء هلك، وعكسه الضب إذا وقع في الماء مات، وذكر النظم المقو ذلك وهو:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها … فكم تلبث النفس التي أنت قوتها

ستبقى بقاء الضب في الماء أو كما … يعيش ببيداء المفاوز حوتها

فقال الشجار: قولكم: الله أكبر غار بحر الحوت. هو إشارة إلى ماذا؟ فتبسم ضاحكًا، وسكت قليلاً ـ قال: ولما تجلى الحق لموسى كيف كان حاله؟ إلا خر صعقًا، والجبل صار دكًا. وأهل الحق يرمزون في النـ ويشيرون فيه إلى أسرار وأمور تقع في خواطرهم ولا يمكنهم التصريح بها، ولكنهم يتنفسون بمثل ذ ويتسلون به[1].

(١) المفهوم من السياق أن بحر الحوت هو عالم الدنيا الذي تعيش فيه الأجسام والأنفس ولا تستغني عنه، فإذا أخرجت منه ماتت، كالحوت إذا أخرج من الماء. وكون البحر غار، أي تراجع وبَعُد حتى اختفى، إشارة إلى حال الفناء حين يفقد السالك إدراكه لكل العولم عدا عالم الروح والأنوار.

وسئل عن السماع فقال (رضي الله عنه): إنما ننكره إذا صدر من غير أهله، على غير الوجه المطلوب منه، ومع مداومة عليه، واتخاذه عملاً، وعلى هذا الوجه حتى من يقرأ القرآن ويذكر الله على غير وجهه مذموم حاله، بالأشغال ونحوها، والشيء المنهي عنه قد يكون لذاته وقد يكون لعارض، فإذا فعل الشيء على وجهه، عرف الحكم من كونه مباحًا أو منهيًّا عنه، أو مندوبًا إليه، أو كما قال.

قال الشجار: وأمرني سيدنا أن أنشد وكان ذلك ضحى يوم الجمعة ثاني ربيع الأول سنة ١١٢٤هـ، فكان مما أنشدت به قصيدته: محب ليس يدري من يحب... إلخ.

فقال (رضي الله عنه): هذه الأبيات التي أولها، إذا هبت، وإن سجعت، وإن مرت، وإن عرضت، هي معنى ما ذكرناه في التائية:

يذكرها العهد القديم سماعها   لترجيع تال للمثاني الكريمة

أي: الروح، إلى آخر الأبيات[1].

ثم قال - نفع الله به: إن الإنسان ما زال محجوبًا بكثافات نفسه، وعوارض جسمه، فحجبه كثيرة (أو قال: كثيفة) ولا يمكنه أن يلتذ بما يسمعه من الأصوات الموزونة، والنغمات الطيبة. ومعرفتها من علم الموسيقى. ومن خرج من ذلك بالمجاهدة والرياضة، لم يزل يترقى في معرفة الأشياء، حتى يطلع ويعرف ما لم يكن يعرفه أولاً، وحينئذ ربما سمع دوران الأفلاك، ويحصل له فيها من اللذة ما يستغرقه، ويذهله عن شهوة الأكل؛ لأن لذلك لذة يجدها الروح، حجب الإنسان عنها بشهواته الحسية، ولأي شيء يسكر الإنسان عند سماع شيء من تلك الأصوات؟ لأن فيها بعض لذة له حينئذ، ولا نسبة بينها وبين لذة الفلك، فإن حصل له شيء من الأمور الإلهية فيحصل له من اللذة والاستغراق شيء عظيم، لا يقاس بلذة الأفلاك. وفي هذه الأشياء ترق وتنزل؛ ولهذا لما أراد الله تعالى أن يبلغ النبي (ﷺ) غاية الكمال لم يزل يرقيه ويطلعه على الموجودات شيئًا فشيئًا حتى بلغه إلى درجة التكلم معه، وأهّله لسماع كلامه مشافهة مع قرب، وتنزل لموسى (عليه السلام) حتى أسمعه كلامه من الشجرة، فانظر الفرق بين الأمرين الإلهيين، ولا تنظر بين النبيين، وإن كان كل منهما في مرتبة عالية.

وعلى هذا التنزل والترقي ما وقع لإبراهيم الخليل(عليه السلام) من رؤية الكوكب ثم القمر، ثم الشمس ثم التوجه للحضرة الإلهية، حضرة الذي فطر السموات والأرض.

وقال الشجار: وأمرني (رضي الله عنه) أن أنشد، وذلك بعد صلاة العصر يوم الثلاثاء ٢٨ ربيع أول، من السنة المذكورة في مسجد الأوابين فأنشدت بقصيدته التي أولها:

يا قل لأحبابنا يا قل لجيرتنا   يا قل لخيرتنا من جملة الناس[2]

---

[1] العهد القديم هو يوم ألست بربكم.

[2] في نسخة الديوان المطبوعة: من سائر الناس.

فقال - نفع الله به: إن في خاطري أن أسأل عن هذه القصيدة، وكنا نظمناها منذ أيام، ولا بقي معت... عنها، فاتفق أن أنشدت بها، وهذا منك ما هو مكاشفة، إنما هو نور التوفيق.

وكان السيد الجليل، أحمد بن زين الحبشي حاضرًا، فقال له: اكتب ما ظهر لك وفهمته من معنى ... القصيدة، وأرناه لنرى كنه فهمك.

فتناول النسخة من يدي حينئذ، وكتب تحتها ما فهمه، وأسمعه سيدنا فاستحسنه.

وهذه صورة ما كتب: (وقد أوردنا الأبيات المعنية مع شرح الحبيب أحمد بن زين ليتمكن القارئ ... تنزيل الشرح عليها).

قوله: قل لأحبابنا: من نحبه ويحبنا. والجيرة: المجاورون في الأمور، والأحوال، والديار. والخيرة: من يختار وينتخب

أنتم وسائلنا أنتم مقاصدنا   أنتم ذخائرنا للبؤس والبأس

والوسائل: جمع وسيلة، وهي الواسطة. والمقاصد: جمع مقصد ومقصود. والمدخر: لغير الملائم المعد للبؤس وللبأس يسمى ذخيرة، والجمع ذخائر.

لا أوحش الله منكم يا أحبتنا   فإنكم أنسنا منُّوا بإيناس

ثم طلب من الله المنفرد بالعطاء والكرم ألا يوحش منهم، لكونهم أنسه. ثم طلب المن بالإيناس ممن ذ... ينير السرائر، التي هي محل السر، ويميط الهم والوسوسة عن الصدر، الذي هو صدر البدن ورئيسه، بانشراح بنور السريرة، فلا يبقى فيه غير الحق الجلي.

إذا ذكرناكم نارت سرائرنا   وانكنس الصدر من هم ووسواس

وأزعج النفس عن أوطان غفلتها   والقلب يخنس عنه شر خناس

فتنزعج النفس عن غفلتها، بتجافيها عن دار الغرور، ورجوعها إلى ربها بالرضا، فحينئذ يبطل كيد الشيطان لضعفه في نفسه، وما قوّاه في المؤمن إلا غفلة النفس، فلا يبقى لوساوسه شر، ولا استباح القلب لانزعاجه ورجوعه إلى ربه، وإذا ذهبت الشياطين جاءت الملائكة بخواطر الخير ولوامعه وطوالعه، للمجانسة حينئذ لطهارة القلب للملائكة بالأصل.

ويدنو الملَكُ الميمون يُلهمه   خواطر الخير والمرؤوس كالراس

والميمون: هو المبارك. والملك: هو المرسل بالخير، الذي لا يقبل إلا الخير من الخير. والمرؤوس التابع كالرأس المتبوع.

وتصعـد الروح ترقى نحو معهدها　　من عالم الأمـر في رَوحٍ وأنفاس

كمثـل حالتها من قبـل مهبطها　　بهيكل الجسم في حنيسٍ وأحراس

وصعود الروح يرقي القلب بخلوصه عن القيود الجسمية، والصفات البشرية، والصور الهيكلية، في روح وتروحن، ونفس الانطلاق، فإذا صدر الروح وترقى إلى معهده الأصلي الأمري، ورجعت النفس إلى حالها الأصلي، الذي قبل نزولها إلى تدبر الجسم والانقهار والانفعال لمطالبه، الطالبة بحالها لتدبيره، وحفظها إياه بفعلها به، فإذا رجعت الروح إلى ربها، لقيته وتبوأت حضرة عنديته، وسعدت لواردات حضرته القدسية.

لله لله مسعودٌ بواردة من حضرة　　القـدس لا بالغافـل النـاسي

ومسـتقيم على الأوراد يعملهـا　　لربـه مخلصًـا يبـني على سـاس

وذلك لا يستقيم إلا للمستقيم، المتوجه إلى الحضرة الربانية، بإقامة العبادة الخالصة، وتحقيق التقوى، واجتناب الشبهات، وملاك ذلك هوان الحظوظ العاجلة والأمور الفانية على القلب.

ومتـقٍ ورعٌ عـن كل مشـتبهٍ　　بعـد الحـرام على منهـج أكياس

والزهد في هذه الدنيا الغرور هوا ل　　مِلاك للخير فاشرب منه بالكاس

ثـم الصلاة على الهادي وعترته الـ　　بيـت المطهر من رجـس وأدناس

وصلى الله على من هدانا به، محمد وآله وعترته وعلينا معهم وسلم. اهـ

قال الشجار: وأمرني (رضي الله عنه) أنشد، فأنشدت بقصيدة:

«على ريم وادى الرقمتين سلامي»، وفيها ذكر المهدي، وذلك في مسجده الأوابين، يوم الثلاثاء ١٣ صفر سنة ١١٢٨هـ، فقال - نفع الله به: هذه الأخبار التي وردت في المهدي، وتقريب وقوعها، بمعنى أنها واقعة لا محالة وإن بعدت، ولما ذكر النبي (ﷺ) من أمر الدجال وقرب فيه وبالغ في قرب خروجه، ظن من سمعه أنه خارج في وقتهم؛ بسبب تقريبه لهم، وكذلك ما أخبر الله تعالى من قرب الساعة وتفصيل ذلك وتقريبه، في أخبار الله تعالى على قدره لا على قدر الخلق.

والأبيات التي تشير إلى المهدي هي الآتية:

ومنـا إمـام حـان حـين خروجـه　　يقـوم بأمـر الله خـير قيـام

فيملؤهـا بالحـق والعـدل والهدى　　كمـا ملئـت جـورا بظلـم طغـام

إذ قـام قمنـا والموفـق ربنـا　　بنصرتـه إن راث حـين حمـام

وإلا فنرجـو أن يقـوم بنـصره　　فـروع مـن البيـت المصـون نوامي





قبر الشيخ عمر بامخرمة بسيئون وهو المسطح السقف بلا قبة تعلوه

وأنشـدت بها أيضًا بين يديه بأمره يوم الثلاثاء في دار آل فقيه ٢٤ محرم سـنة ١١٢٩هـ فقال - نفع الله به - لأحـد الحاضرين: أسـمعت ما فيها من البشـارة بالمهدي؟ وقد بشر به من قديـم، ولكن أمر الله على قدر، والزمان قد كثر فيه الظلم وتفحش، وسـنة كثر الخريف (أي المطر) قلنا: لولا أن في الخبر تتقدمه فتن لقلنـا: إنها من سـني المهدي، ولكنه خارج ولا بد، وإذا ظهرت الشـمس، ذهب الظـلال، (أو قال: الظلام) وناس يتمنونه ويدعون بخروجه، كل ذلك لأجل الدنيا، ولو كان يعطي الناس حق الناس ما كان عادلاً، بل جائرًا، وإنما هو يقسم بيت المال بين الناس بالسوية، ولا يعطي أحدًا حق أحد. ولا أحسن من سؤال العبد مـع ملازمـة أمور التوحيد، الخاص للخصـوص، والعام للعموم. والمهدي جامع بـين القطبية والخلافة، كـ سـيدنا عـلي، على مقتضى الظاهر والباطن، وهو مجدد لهذا الديـن، ومعنى التجديد تقرير أمور من الدين بين يدي الناس طال بها العهد حتى اختلف فيها اجتهادهم، فيقررها على الوجه الحق، لا إنه يخترع من الكتاب والسـنة أمـرًا لم يكن. قيـل: فيحتاج إلى إلهام من الحق يعرف به الحق من الباطـل أو تقرير الصواب؟ قال: لكن كشـف الأولياء لا يعمل به في الشرع، قيل: فالمهدي؟ قال: أما المهدي فيلزم العمل بقوله؛ لأنه مقرر مـن الشـارع، وعلومه كلها وهبية، يفتح الله عليه معاني الكتاب والسـنة، فيقـرر الله الأحكام الشرعية على تحمل وجوهها، وعلى الوجه المحبوب عند الله وعند رسوله، وهذا هو علم أهل البيت النبوي؛ كما قيل لسيدنا علي (رضي الله عنه): هل خصكـم رسول الله (ﷺ) بعلم دون غيركم؟ قال: لا، إلا فهم في كتاب الله.

ولما قرأت بحضرته قصيدته التي فيها ذكر القطب منشدًا بها، ووصفه وهو قوله:

إن شئت تعرفه وتعلم وصفه — بطريقة الإجمال فاسمع سائلي
هو سيد متواضع متخشع — ورع تقي زاهد في العاجل
الشرع سيرته الحقيقة حاله — ومن العبودة بالمقام الحافل
بر رحيم بالخلائق كلهم — يرعى الوجود بعين لطف شامل
ممتد من بحر البحور محيطها — خير الأنام بعاجل وبآجل

فقال - نفع الله به: هذا وصف جامع لصفات القطب حتى يعلم الواقف عليه أن من خالف ذلك لم يكن قطبًا إلا إن كان بالمعنى الأعم؛ لأن القطب: السيد في كل طائفة. وهذا الوصف إنما هو القطب الذي هو أفضل زمانه من الأحياء ولو علت درجات أحد منهم - أي: الأحياء - ولا يقوم في مقام القطبية إلا ظاهر، فإن لم يكن فيه أهلية للظهور يستنيب أحدًا فيه أهلية للظهور.

فقلت له: أيكون القطب المتقدم أفضل من المتأخر؟ فقال: لا يشترط، فقد يكون في المتأخر مزايا لم تكن في المتقدم لاختلاف الأزمان، ولا يكون في كل زمان إلا واحد، وما ذكر من جماعة في زمان واحد أنهم أقطاب فلعل أن يكون كل واحد منهم قطبًا في جهة.

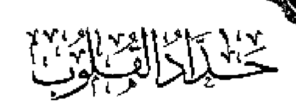
وقال (رضي الله عنه): يقال: من أحسن نعم الله على الإنسان في الدنيا ثلاث: أن يرى ولد ولده، وأن يأكل من غرس يده، وأن ينشد بين يديه بشعره، وقد حصلت لنا كلها بحمد الله.

وقال: الراح والكاس ونحو ذلك مما يذكر في كلامهم المراد به اليقين.

وأنشد الشجّار أيضًا بقصيدته: «الناس في ضيق وفي حرج»، فلما فرغ من إنشادها، قال - نفع الله به: لسان الآن غير اللسان في ذلك الوقت فيختلف اللسان، وإن كان اللسان الحسي واحدًا. فلسان الحال، ولسان الوقت، ولسان الداعي، وأمثال ذلك، فربما يتكلم في البداية، وفي النهاية بكلام آخر، وربما تكلم في وقت بكلام يستحسنه، ثم يكرهه في وقت آخر، وربما أنكره كل ذلك لاختلاف الألسنة المتقدم ذكرها، أو كما قال بمعناه.

وعندما أنشد بقصيدته: «يا جيرة الحي.. عليكم سلام»،

قال (رضي الله عنه): هذا مثله من نداء النفس للروح وخطابها معه، ويفعل ذلك المتغزل لحصول النظم، ويذكر نعمان وهو المكان الذي أخذ الله فيه العهد على بني آم، ليعرف وهم السامع عن ظن كون ذلك في الحضرة الإلهية أو النبوية، وهو دون ذلك إذا ثبتت، وهو دونها لتنزهها عما يوهمه الغزل.

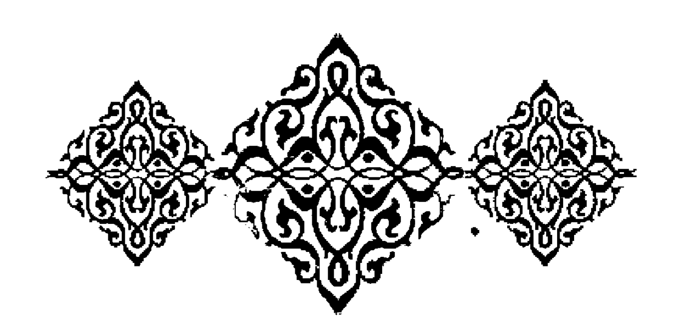


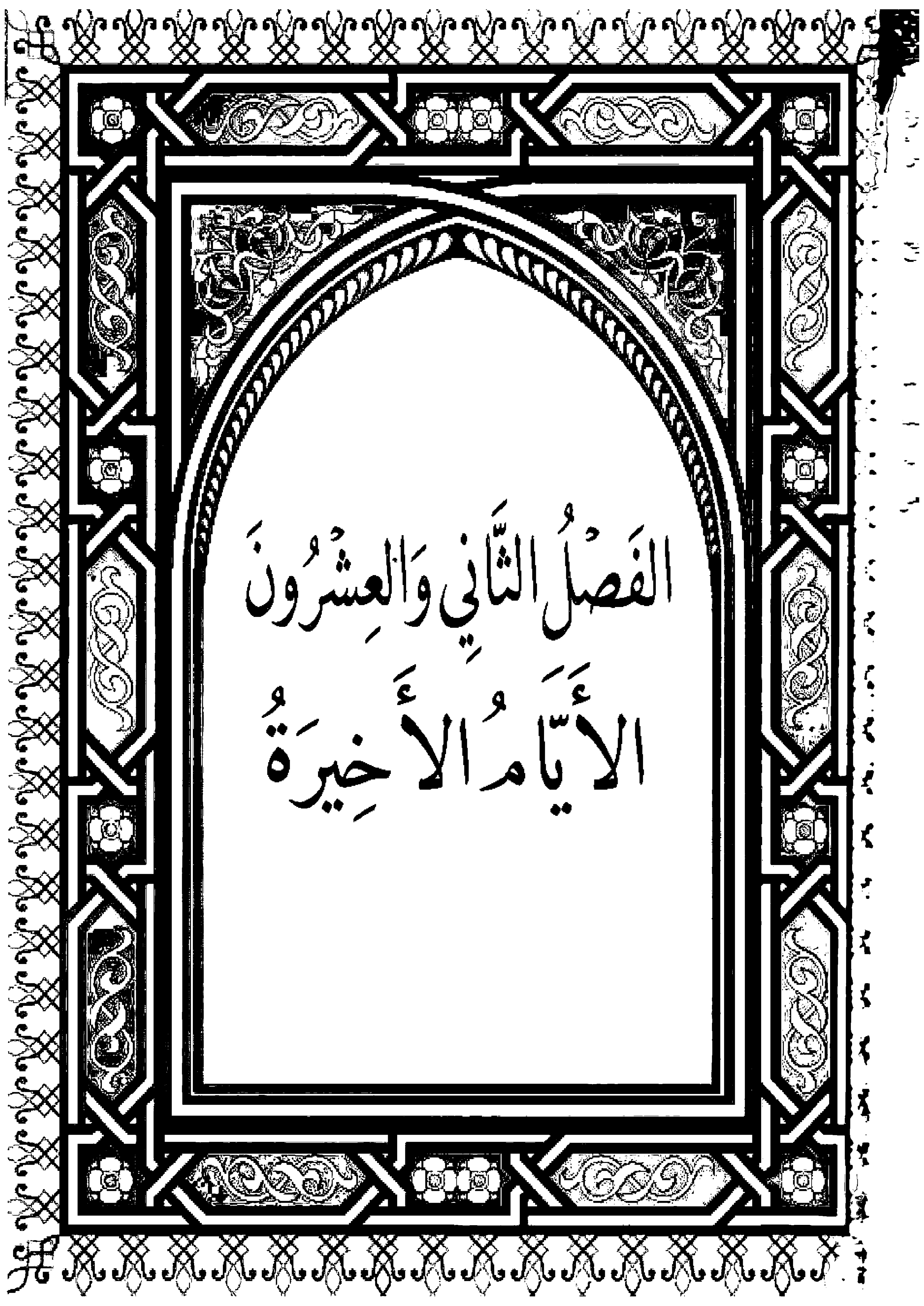
ومرض الإمام سنة ١١٣٠هـ، ومرض الشيخ الشجار بالحمى، وجاء بعض الناس لعيادة الإمام، فقال للشجار: أتطيق تنشد؟ هات ما تيسر ولو سبعة أبيات، فأنشد بقصيدة الإمام: «الجيران لنا بالأبطحية»، فلما انتهى قرأ الفاتحة وخرجوا.

وجاءه بعد أيام ناس يهنئونه بالعيد، فأمر المنشد فأنشد بقصيدة للشيخ عبد الرحمن باكثير فيها مدح وفيها تهنئة بالعيد:

إنا نهنيكم بعيد أكبر　　　　مع جملة الأهلين والأبناء

وأنشد منشد بين يديه بقصيدة يمدحه بها، فقال: نحن ما نستثقل من هذه الأشياء؛ لأن ما وقع طرحناه في بحر النبي (ﷺ) لأن النبي (ﷺ) منبع الفضائل كلها، وهو الممدوح بها كلها، فكل من مدح بعد بفضيلة فإن مدحه يعود إلى النبي (ﷺ) لأنه السبب في حصولها، والشيطان منبع الرذائل كلها، فكل من ذم برذيلة فذمه عائد إلى الشيطان؛ لأنه السبب في حصولها، وناس يكرهونها؛ أحد كذبًا ورياء، وأحد من نفسه. وقال الإمام الشافعي (رحمه الله): من عرف نفسه لم يضره المدح.





الفَصْلُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ

الأَيَّامُ الأَخِيرَةُ



الإشارات:

قال عبد الله بن صالح باكثير: حدثني سيدي ووالدي: أن بعض الناس قال لسيدي الإمام عبد الله بن علوي الحداد يومًا: يا سيدي كيف نكون بعدك إذا أنت مت؟ فقال له: اسكت، أنت تموت قبلنا، فسكت رجل.

ثم إن سيدي (رضي الله عنه) حصل عليه مرض أشرف منه على الهلاك فخيف عليه منه، فكان بعض السادة يقول: إن سيدي لا يموت من مرضه هذا فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: إن فلان صحيح معافى، وقد قال سيدي: إنه يموت قبله، فكان في الأمر كذلك، عوفي سيدي من مرضه، والرجل مات بعد ذلك بمدة، وقبل موت سيدي بمدة طويلة.

وقد مرض الإمام مرضًا شديدًا قبل مرض وفاته بسنتين، وتذكر ذلك ولده الحبيب حسين بعد وفاته، قال للشيخ الشجار: لعل هذه السنتين هما اللتان أعطاهما لحسين بافضل لما استوهب له من أعمارهم، لكل من أصحابه أعطاه شيئًا، وإن سيدنا أعطاه هاتين السنتين، فعاش حسين المدة التي وُهبها. وإن مرض سيدي الأول هو مرض الموت، ثم رد الله تعالى عليه تلك السنتين كرمًا منه، ورحمة للعباد، فعاشهما سيدنا الحمد لله. قال الشجار: ويشهد لما قال السيد حسين كون المرض في المرتين (بدأ) بسابع وعشرين رمضان، أنه تزايد إلى ثامن ذي القعدة، ثم جعل يخف المرض في الأول قليلاً قليلاً إلى أن برئ منه، وفي الثاني جعل يتزايد كذلك إلى لية ثامن من ذي القعدة، ثم انتقل فيها، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وعن جماعة أن الإمام (رضي الله عنه) قال: رأيت ليلة توفي السيد علي بن عبد الله العيدروس ببندر سورت[1] كأنه توفي رجل عظيم القدر عالي المنزلة فتوفي في تلك الليلة بعض السادة بتريم فتعجبت في نفسي وقلت: ما كان ظني أنه بهذه المنزلة التي رأيت، ولكنه في الإمكان وقوع ذلك، فجاء الخبر بعد بوفاة العيدروس تلك الليلة، فعرفت عند ذلك أنه الذي رأيت.

قال السيد أحمد: كنت إلى جانب سيدي عبد الله ليلة أو يومًا فالتفت إليّ قائلاً: الذي يظهر أن السيد علي مات بسورت، وأمرني أن لا أتكلم بذلك حتى جاء الخبر بذلك ظاهرًا.

وقال (رضي الله عنه) بعد موت السيد علي المذكور: رأيت في المنام كأني والسيد علي في منزل، أنا في طرف منه والسيد علي في الطرف الآخر. فتوفي سيدي بعده بسنة وقليل، وكان المنزل الذي رأى هو المدة التي بين وفاتيهما.

ولما توفي السيد علي بن عبد الله العيدروس. وكان قبل وفاة الإمام بحو سنة قيل له قبل وفاته بأشهر: أطال الله بقاءك، فقال: ما عاد بقاء، السيد علي بن عبد الله منتظرني.

(1) مدينة بالساحل الغربي للهند.

وأخبر بعض أخدامه قال: قلت لسيدي: إن فلانًا (يعني: بعض الموسرين بالحرمين أو اليمن، عـ الاعتقاد فيكم، ويقول: قل لسيدي إن تطلبوا مني شيئًا فلكم الفضل والمنة، فقال لي وكنت مسافرًا: ـ منه شيئًا من المسك، فأعطاني منه جملة، فجئت به إلى سيدي فأمسكه واحتفظ به فلما مات، جعـ في حنوطه، وعرفنا أنه ما طلبه وأمسكه إلا لذلك.

واستشاره بعض أولاده في مرضه. وكانت زوجته حاملاً، بماذا يسمي المولود؟ فقال: عبد الله، فعرف ـ ذلك أنه اطلع على انتقاله؛ لأنه الغالب في العادة أن لا يسمى في الجهة باسم أبي الوالد وهو حي. وكذلك بعـ خواصه قال له: سم ابنك عبد الله، وما لبث بعد ذلك إلا يسيرًا ومات.

وقال السيد عقيل باعقيل السقاف: هممت بالسفر إلى الحج سنة من السين، فجئت مستشيرًا لسيـ وكان من عادته إذا استشرته في المسير إلى الحج يستحسن ذلك مني ويستصوبه، ويزين ذلك. فلما كـ تلك السنة. وهي التي توفي فيها. قال لي: إذ أردت المسير أو الحضور، ولم أدر حتئنذ ما الحضور فعزمت ـ المسير، فلما جئت للاستيداع وقلت: الله لا يجعل ذلك آخر العهد بكم. قال لي: إلى متى العمر؟ ما ـ الثماني والثمانين سنة عمر، وليس الأمر إلي ولا إليك، وإنما هو إلى الله (ﷺ). فاستودعت منه تلك ـ وسافرت، فتوفي في شهر ذي القعدة من تلك السنة وهي سنة ١١٣٢هـ، وأنا إذ ذاك بمكة المشرفة. وحصـ عندي من الألم والتعب بمفارقته ما الله به عليم، وقلت في نفسي: كيف يكون الحال إذا وصلت إلى تر ورأيت قبره، وأنى لي أن أقوى على ذلك؟ وما ظننت أني أحتمل رؤية قبره. فلما رجعت ووصلت عند قبـ حال وصولي أخذتني سنة وغلبة نوم فكلما قرأت في سورة يس المعظمة، غلبني النوم ولم أدر أين وصلت ـ قراءتي فيها، حتى كررت ذلك مرارًا، مع شدة شوقي إلى الأثر بعد المؤثر، وليس ذلك وقت نوم، فعرفت ـ تلك رحمه من الله تداركني بها، وعناية من سيدي لكوني لا أقوى على شهود قبره أول وهلة. وهذا شبيه ـ وقع للصحابة. رضوان الله عليهم. في واقعة بدر وأحد كذلك من الشدة والتعب، والهم والحزن، فأغشـ الله بالنعاس أمنة منه.

وقال: زرت مرة قبره، فرأيت نورًا ممتدًا من السماء متصلاً بقبره، فبقي وذهبت ولم يذهب.

ليلة ٢٧ رمضان:

وذكر أيضًا السيد علوي بن شيخ البيتي، من أهل الخريبة من دوعن، أنه رأى وهو في طريق صنعاء مقبـ منها إلى حضرموت، وذلك ليلة ٢٧ من رمضان، وهي ليلة يوم ابتداء المرض، كان الحبيب عبد الله توفي وكأنه موضوع في محفة، ورجال حاملين المحفة طائرين بها إلى السماء، فكتم الرؤيا ولم يحك بها إلا يو الثلاثاء ٧ ذي القعدة وهو يوم وفاته فإنه لم يبلغهم الخبر بوفاته إلا يوم الجمعة ١١ ذي القعدة، ومن العجيـ أن اتفقت له هذه الرؤيا حين ابتدأ بالإمام المرض، وإخباره بها يوم وفاته.

ولقد عرف الإمام الحداد بشدة تمسكه باتباع السنة النبوية في كل صغيرة وكبيرة حتى قال عنه السيد حمد بن زين الحبشي: كانت جميع حركاته وسكناته، في عباداته وعاداته، مقيدة بالكتاب والسنة واتباع رسول (ﷺ)، لا يرى خارجًا عن سيرة الاتباع قط، لا ظاهرًا ولا باطنًا، في قيامه وقعوده ودخوله وخروجه مجيئه وذهابه، وحضره وسفره وسكونه وتقلبه، وأخذه وعطائه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، وصلاته صيامه، وتعطره ولباسه، وخلقه وعشرته.

وكان الإمام يقص شعر رأسه على طريقة السادة العلويين فلما أطلقه حتى غطى شحمة أذنيه كان ذلك بذانًا بوفاته، فقد كانت تلك السنة الوحيده التي لم يكن قد أتى بها بعد.

قال (رضي الله عنه): قد عملنا بجميع السنة النبوية، ولم نغادر منها شيئًا سوى تقية الشعر على الرأس - يعني: وفرة - لأنه (ﷺ) كانت له وفرة إلى شحمة أذنيه.

وقد وصف الشيخ الشجار الأيام الأخيرة للإمام الحداد (رضي الله عنه) في كتابه، مبتدئًا من شهر رجب من سنة فاته، وقد نقلنا منه الآتي بشيء من تلخيص وتقديم وتأخير.

قال جزاه الله خيرًا:

١٧ رجب:

وطلع (رضي الله عنه) البلاد يوم ١٧ رجب سنة ١١٣٢هـ مدعوًا عند ابن أخيه، السيد عمر بن علي الحداد لما عن دعوة لختم ولده أحمد حين ختم القرآن. وكان هذا مجلسًا حافلاً، ولما ذكر تشوقه إلى الحج، أمر بإنشاد صيدته:

قل لأحبابنا بسوح المقام..

لما كان فيها ترحيل منازل سفر الحج وبعد الفراغ والبخور خرجوا، وبقي سيدنا يسلم على أهل البيت، خرج إلى داره التي في البلد ثم خرج لصلاة الظهر في مسجد باعلوي، وبعدها أنشد المنشدون وأدير بخور والقهوة. ثم جاء الخاتم ومعلمه والمتعلمون، وقرأ الخاتم ما يعتاد قراءته، ثم قرأ المعلم ما يعتاد أيضًا، دعا سيدنا بالحاضرين، فلما ختم الدعاء، عادوا للنشيد والبخور والقهوة إلى أن صلوا العصر، وكان جمعًا عظيمًا حافلاً ولم يكن هناك كلام ينقل، غير أنه قال: لم نحضر لختم فيه قبل هذا. وبعد صلاة العصر أمر سيد أحمد بن زين الحبشي أن يقرأ قراءته في «شرح السنة» للامام البغوي، فقرأ إلى نحو وقت قيام سيدنا مجلس القراءة المعتادة كل يوم بعد العصر، ثم قرأ الفاتحة وصافحوه وتفرقوا.

٢٧ - ٢٨ رمضان:

ولم يزل سيدنا (رضي الله عنه) مواظبًا على عوائده كلها من حضور الصلوات وترتيب الأوراد، ومجالس القرآن في

البكر والعشيات، إلى عشية يوم الخميس ٢٧ من شهر رمضان سنة ١١٣٢هـ، وقد حصل معه بعض الألم...
ذلك يعاوده ويعتاده، وسيأتي ذكره من لفظه هو، فما خرج لصلاة عصر ذلك الخميس المذكور ولا للقراءة...
أمر أن يقرؤوا على عادتهم في حضوره، وهو عند الخلفة من الغيلة[1]، يسمع قراءتهم، وكانت قراءتي في...
اليافعي ووقفي على قصيدة اليافعي فيه التي أولها: قفا حدثاني فالفؤاد عليل، قرأتها فقط، ولم أزد عليها...
انقضاء القراءة قال نفع الله به: ما قرأت كثيرًا، قلت: اكتفيت بالقصيدة وحدها لعدم حضوركم...
ثم خرج لصلاة العشاء ليلة الجمعة، وتراويحها، ودخل بعد أن ابتدؤوا في الذكر ولا خرج لصلاة الجمعة
بل لما كان وقت طلوعه إلى البلاد قال لي: اطلع، ما بايقع لنا طلوع؛ لأنه أشغلنا احتباس راقة الظاهر...
أرى لذلك سببًا هل هو من يبس أو غيره، وقد يحصل لي ذلك ولكن في وقت يسير ويزول، في هذه...
طال قليلاً، ولا أستر من العافية، وقد قال النبي (ﷺ): «**ولكن عافيتك هي أوسع لي**»[2]. وخشيت من ...
الجلوس، ويحصل بسببه ألم ولكن كما قال الشافعي[3] فادعوا لنا بالعافية. ومضى أولاده إلى صلاة الجمعة
وجلسوا بعدها في الدار مجلسه المعتاد مع قراءة القرآن على عادته في رمضان نحو جزئين ثم خرجوا و...
العصر بالحاوي ولا خرج لها، وقرءوا بأمره على العادة في الكتب المعتادة في شهر رمضان، وقرأت القصيدة
التي أولها:

من بان عن ربع من نهواه والطلل

وهو يستمع كالأمس، وخرج لصلاة العشاء، ثم بعدها وبعد صلاة السنة أشار إليهم لصلاة التراويح بالتنحنح، وهكذا عادته كل ليلة، ثم دخل، وهذه الليلة - أعني: ليلة السبت ٢٩ رمضان - هي ليلة ختم مصلى الحاوي، وما ترك الحضور وهو يمكنه.

الأحد ٣٠ رمضان:

وبعد صلاة العصر يوم الأحد ٣٠ رمضان دعاني وطلعت عنده في الغيلة، وصافحته، وقبلت يده الشريفة وهو مضطجع على سريره، ويده حارة كالمحموم، وسألني: كيف أنت؟ وتحادثت معه ساعة، سأل عن قراءتي ووقفي، وأي باب انتهيت إليه من «الإرشاد»، وسأل عن الباب الأخير الطويل في «الترغيب والترهيب»، وقد تأخر تمامه، وظنناه يتم قبل هذه المدة، ثم قال: امض احضر القراءة، وكانوا إذ ذاك في حال القراءة، وهم يقرؤون في المصلى على عادتهم يوم كان يحضر في شهر رمضان وفي ست شوال، وفرغت من قراءته آخر يوم من الست، ولسؤاله وكلامه هذا نفع الله به معنى عجيب، يفهمه الحاذق اللبيب، ولهذا دعاني إليه من مجلس القراءة وكانوا إذ ذاك في حال القراءة.

---

(١) الغرفة.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ١٣: ١٨١؛ والدعاء، ١٠٣٦.

(٣) لم يذكر الإمام ما قاله الشافعي رضي الله عنهما.



ليلة العيد:

ولا خرج (رضي الله عنه) لصلاة عَشاء ليلة العيد، وأشار إلى أولاده بشهودها، وتخلفت عنها لتخلفه، وخف عنه ذلك اليوم ما يجد من سبب الراقة، ثم عرض له وجع آخر في الجنب، وسألت ابنه سيدي الحبيب حسن: هل به حمى؟ قال: لا، يده حارة فقط، وقد يكون ذلك، وكنا مجربيه إذا مشى أو ركب، أو نزل من الركوب أحس بيده حارة.

يوم العيد:

وجاء إليه (رضي الله عنه) ضحى يوم العيد السيد زين العابدين وأخوه السيد شيخ، معاودين وعائدين، فجلس معهما مجلسًا فسيحًا، وكنت حاضرًا ذلك المجلس المنور، فقال لهما: سبب ذلك بعد تقدير الله فيما ظهر في التقصير في بعض الأمور كالتأديب[1]، وذلك أن خرجت إلى السادة آل فقيه[2]، ليلة الأربعاء سادس عشرين شهر رمضان، وقد كان النبي (ﷺ) يترك أمور الدنيا في هذه الأيام، يعني العشر الأواخر، وكان (ﷺ) يعتكف فيها، ولا يبيت فيها عند أحد من نسائه كعادته لكنه فعلنا ذلك استمرارًا على إجراء الحقوق والقيام بالجبر[3] من غير داعية لشيء، ولا عاد معي طلب لشيء، ولو كانْ مع الإقامة بذلك استعمال. قال هذه الكلمة مزحًا وبسطًا معهما.

وقد خرجت ليلة ختم الحاوي وصليت العشاء والركعتين بعدها، ولكن مع الحرقة الحاصلة أحس بلكز في الكلوة، فما أمكنني المقام وأنا عازم إن تنشطت رجعت، ولكن ما ينبغي أن يكلف الجسم عمل الهمة وقد قالوا: همة العاقل أقوى من جسمه، وجسم الجاهل أقوى من همته.

وتقدم قوله: القوى ضعفت فلا يمكنها تساعد الإنسان على ما يريد، فربما نهم بالأمر لا تساعدنا عليه القوى، فالهمة قوية، والقوى ضعيفة، والروح أقوى من الجسم، وإذا قوي الروح حصل للجسم قوة - أي: روحانية - وإذا حصل على الروح ما يوجب الانقباض، انهدم الجسم، واللاكز قد يحصل لي، لكن أداويه بزبادي وغيره، فيصح ولا يحس به أحد، وهذا فيه زيادة على ذلك ولكن الحمد لله حيث العافية حاصلة لا شيء زيادة، وقد رأى العيال في بعض كتب الطب عندهم أنها علة خفيفة وقد كنت حكيت لكم الرؤيا التي رأيت فيها السيد علي بن عبد الله وهي: أني رأيت كأني وردت عليه، وهو في مجلس مستطيل، وهو في طرفه الشرقي، وأنا في طرفه القبلي، بيني وبينه مسافة، وكنا جئنا لسبب يوجب الاجتماع، كالعزاء ونحوه، ومعنا من الصغار كثير جاؤوا في جرتنا - أي: تبعتنا - وقد كنت قبل وفاته أظن أني وإياه متقاربون في الوفاة، فلما رأيت ما بيني وبينه من المسافة في المجلس، قلت: هذا يكون مسافة مدة ما يساويه في الوفاة.

---

(1) وهذه عادة الكبار من العارفين يتهمون أنفسهم.
(2) حيث له زوجة عندهم في البيت المذكور.
(3) أي: جبر الخواطر.

وكانت المدة ما بين وفاته ووفاة السيد علي نحو سنة و١٩ يومًا. ثم قال: والحمد لله، وقد ذكرنا لكم ... من آل باعلوي، كالسيد عمر بن أحمد عاش ٩٥ سنة. وعند جماعة آخرين عمروا، وذكر عمر كل واحد ...

وأقول: وذكره لهذه الرؤيا والمعمرين من السادة يشير إلى أنه يتوفى من هذا المرض.

وبحر إشاراته (رضي الله عنه) إلى وفاته كانت منه سنة ١١٢٨هـ، كما قدمنا ذكرها، فلا نعيده وذلك لغزر ... علمه، وكتمه الأسرار، وستره للمغيبات، وحفظه الشؤون الإلهية.

وقد ذكر لي ابنه الحبيب الحسين (رحمه الله). غير مرة، قال: مرض الوالد فيما سبق أيام صغري مرضًا ... أشفقنا عليه، فكنت يومًا والكريمة بهية (رحمها الله) جالسين عنده إذ قال: كان السيد عمر بن أحمد ... مرضًا شديدًا، خيف عليه منه وكان ذات يوم عنده ابن وبنت له يحبهما كثيرًا، فجعلا يدعوان له، ويقو... اللَّهُمَّ زد في عمره من أعمارنا، اللَّهُمَّ زد في عمره من أعمارنا، ويكرران ذلك كثيرًا، فصحّ من ذلك ... وعاش عمرًا طويلاً، وكان يرى أن ذلك زيد له من عمريهما. وقال: وأملى عليّ الوالد قصيدته: يا رحمة ... حين أنشأها في مرضه، فقال عند ختمها: يارب واختم بخير، إذ حان حين المسير فتعبنا من ذلك، و... بعد من الله بالعافية، فأصلحها: إن حان حين المسير.

وقال له السيد زين العابدين: ما الذي يناسبكم من الزاد؟ فذكر سيدنا ما يناسبه حينئذ، وذلك قبل ... يشتد عليه الألم كثيرًا، فقال: يناسبني الرطب كثيرًا، حتى لم أدع كل ليلة عند العشاء من أخذ حبتين ... ثلاث، وكان الوقت ذلك الحين وقت الرطب. فقال السيد زين العابدين: أيناسبكم التين؟ فقال: لا ... حار، وأرى الصغار يتولعون به، فأعطهم إياه، وإلا ففيه عندنا هذه السنة كثرة، ثم أمر بالقهوة، وبعد... بالبخور وبعده الفاتحة، ودعا بدعاء كثير. ومما دعا به: اللَّهُمَّ، إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة. ... نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، اللَّهُمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا وحولنا وقوتنا. اللَّهُمَّ متعنا بالعافية ومن علينا بدوام العافية. اللَّهُمَّ إنا نستحفظك ونستودعك أدياننا، وأنفسناء وأولادنا، وأهلينا وأصحا... وجميع من معنا وما معنا.

اللَّهُمَّ اجعلنا وإياهم أجمعين في حفظك، وكنفك، وأمانك، وجوارك.

اللَّهُمَّ أصلح أمور المسلمين.

اللَّهُمَّ ارحم المسلمين، واسقهم الغيث والرحمه برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

ثم بقي الناس يتحرون أوقات الدخول عليه - نفع الله به - ويطلبون ذلك، وهو يعتذر، لا سيما والوقت وقت معاودة وعبادة.



٣ شوال:

وقد وعدهم عشية الأربعاء ثالث شوال بعد صلاة العصر، فاجتمعوا لذلك ثم أُعلم بهم، فأذن لهم في ـخول عليه، وكان غالب كلامه في ذلك المجلس في شبه كلام أهل الحقائق، وكان أول من صافحه بعض ـشيبان من السادة، فقال له: الله الله في الدعاء بالعافية واللطف، وفعل الله كله فضل وعدل، وما جاء من ـه للعبد يكون على قدره تعالى لا على قدر العبد، فينبغي أن يتنبه لذلك من كل الوجوه، أو من بعضها، وما ـحن إلا من جهة الرحمة بكم والشفقة عليكم.

وهذا ونحوه كلامه إلى أن فرغ منه، ثم أمر بماء ورد فأدير به عليهم، ثم قرأ الفاتحة ودعا: اللَّهُمَّ اقسم لنا ـن خشيتك. الدعاء المشهور، حتى بلغ: ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا ـن لا يخافك ولا يخشاك ولا يرحمنا، اللَّهُمَّ أصلح أمورنا وأمور المسلمين واسقنا الغيث والرحمة، وول علينا خيارنا، واصرف عنا شرارنا، ثم ختم الدعاء، وكلما صافحه إنسان مستخلفًا بعد المجلس، سأله من هو؟ فإذا ـل: فلان. دعا له بخشوع ورحمة وتحنن، حتى صافحه آخرهم رجل، فأوصاه بمال رجل من أقاربه قد مات، ـما يتعلق به، وكأنه استثقل أن يتعرض فيه، وقال: عسى أن يكون فلان رجلاً آخر قريبًا له، ولكن ـ قلنا له فاعتذر، فقال سيدنا: إنما هو قضاء حاجة، ما في ذلك من طمع، والكلام ما ينفع في ذلك، وما ـطلوب إلا العمل والنصيحة، وما ذكر الله القول مجردًا، ولا على مجرد القول عمل عند الأكابر، ومن كان ـر ده إلا الأكل والاستيلاء ولو على مال يتيم بالظلم، فلا تعده شيئًا، وقد أوحى الله إلى بعض الأنبياء وأظنه ـود (عليه السلام): أن حبّب إليّ عبادي، فقال: كيف أحبّبهم إليك؟ قال: تذكرهم نعمائي. ثم انقضى هذا المجلس.

ليلة ٤ شوال:

قال الحساوي: وقد رأيت ليلة رابع شوال، وذلك حين اشتد بسيدنا المرض، وكنت قد نمت على وضوئي ـتيت بأذكار النوم، كأني جالس في الصف الأول من مصلى الحاوي، وهو ملآن من الناس، والصفوف ـتضايقة جدًّا، منتظرين لخروج سيدنا الحبيب - نفع الله به - يصلي بهم صلاة العشاء ليلة الجمعة، فبينما ـس جلوس إذ جاء طائر يشبه الغراب يطير، فجاء حتى وقع على كتفي الأيسر، ومكث ساعة، وعييت ـ ثقله، فلما أحسّ أني عييت طار ووقع في الأرض بين يدي لحظة، حتى رأى أني استرحت من ثقله، فطار ـقع على كتفي الأيمن، وبقي ساعة، حتى عييت منه، ثم طار ووقع في الأرض بين يدي، وإذا به قد انقلب ـتزًا وله خرطوم طويل كخرطوم الفيل معوجًا، وإذا له صوت يسمع كصوت الذي يتكلم، فتسمعت له، وإذا ـ يتكلم بكلام عربي فصيح، فقلت له: أو تعرف أسماء الناس؟ فقال: نعم، فقلت له: ما اسمك أو ما اسم ـ الرجل؟ - لرجل كان حاضرًا أشك في أيهما كان - فقال: محمد بن فلان، فسماه باسمه واسم أبيه وجده ـت له: من أنا؟ فنظر إليّ وظننت أن يقول: فلان الفلاني (أي أحمد الحساوي) أو فلان بن فلان (أي أحمد

ابن عبد الكريم) فقال: أنت أحمد الشجار، وما أُعرَف في حضرموت بهذا اللقب، وإنما في الحسا فقط. حضرموت الحساوي، فقلت: أترى أني أحملك إلى الحبيب يكلمونك ويعجبون منك؟ فسكت قليلاً ثم قال: ما أقول لك إلا ما بأحد حاجة! ثم أردت مفارقته، فقلت: أدع لي بصلاح القلب والدين والجسم. فقال: أصلح الله قلبك ودينك وجسمك. فعند هذه الكلمة انتبهت، فظهر لي من تأويلها معنيان:

أحدهما: أن كلام ما لا يتكلم كالطير، إنه هول عظيم.

والثاني: أن غراب البين مشعر بالوفاة، ولا أهول ولا أبشع من وفاته (رضي الله عنه) على ما سمعت من ذكر وصف بعض الحال، وركوبه على كتفي حتى أعياني مرتين، مما يحقق ما يخصني من زيادة العنا بوفاته، المبين في قوله نفع الله به: أكثر ما أنا خائف إلا على فلان - يعنيني - لمحبته وغربته؛ يعني: من ألم التعب لفراقه، وشدة الحزن على المصيبة به، هذا ما ظهر لي من تعبير هذه الرؤيا.

٥شوال:

ودخل عليه (رضي الله عنه) السيل زين العابدين وقت الاصفرار يوم الجمعة خامس شوال، فجلس مستنداً إلى الجدار مستقبلاً القبلة، في الطرف النجدي من الغيلة، متوشحًا بشمط، وليس من عادته لبسه، إلا تلك الساعة، فكلمه وآنسه، وأثر العافية باد عليه، فقال نفع الله به: ما أظن بي إلا حرارة، وأوصيناهم يدورون كِرْزَام[1]؛ لأنه في غاية من البرودة، وقد قطعوا نخلة لأجل ذلك، فعله بعض الخلفاء.

أقول: هو هارون الرشيد، لما أصابته الحرارة في بعض أسفاره، وقد مرّ على نخلتي حلوان، اللتين يضرب بهما المثل في طولهما وطول الصحبة وفي اتحاهما، فقطعت إحداهما، وأطعم كرزامها، فما لبثت الأخرى بعدها أن ماتت. وللعرب فيهما أبيات كثيرة من الشعر، في أمثلة تضرب في طول صحبتهما، والتعجب من موت الأخرى بعد صاحبتها، وكانتا من غرس الأكاسرة. ثم بقي السيد زين إلى أن غربت الشمس، ثم قرأ سيدنا الفاتحة، وبعدها سورة قريش، والكوثر، والإخلاص، ثم دعا:

اللّهُمَّ اقسم لنا... إلى أن قال: ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك، وكررها ثلاثًا... اللّهُمَّ أصلح لنا أمورنا، أصلح لنا قلوبنا وأجسادنا، اللّهُمَّ طهر منا باطن الروح وظاهر الجسم، واحفظنا من جميع الآفات، ونجنا من الأهواء، والتبعات، وجد علينا بفضلك وقربك، واجعلنا من خالصي أهل المحبة من حزبك، ثم ختم وقام السيد زين ولما صافحته قائمًا، قال: بارك الله فيك، ووفقك لطاعته، وجعلك من عباده الصالحين، وأرجو أن يستجيب الله دعاه، هذا وغيره؛ لأن دعاه نفع الله به مقبول عنده، والله سبحانه لا يخيب من رجاه.

(١) الكرزام: جمّار النخلة.



٨ شوال:

وكل يوم بعد ذلك يجتمعون بعد صلاة العصر، ويطلبون عليه طريقًا، وعدهم نفع الله به. عشية الاثنين، من شوال فحشدواد واستثقل من كثرتهم، وأراد أن يعتذر منهم، ثم أمر بدخولهم وهو متكلف لهم، فدخلوا صافحوه، وكلم كل واحد بكلام يخصه، ولكنه بقي مضطجعًا فوق السرير، ومكثوا عنده قليلاً، وأمر أن ينشد بقصيدة مختصرة، ثم بعدها قرأ الفاتحة، وقال: قولوا لهم: بالقلوب أي: بلا مصافحة، فخرجوا من غير مصافحة، ودعا للجميع وطلب كما هي عادته، وصافحته أنا وحدي فقط، قال: كيف أنت بخير؟ وكلما اتفقت - أي: التقيت - به في هذه الأيام في شكواه هذه، قال هذه الكلمة.

١٢ شوال:

ودخلت عليه (رضي الله عنه) يوم الجمعة ١٢ شوال، وهو في السطح الشرقي وعنده السيد زين العابدين، فبقي يتكلم ساعة، ويهون مرضه هذا كثيرًا بالنسبة إلى مرضه الأول، فقال: أين مرضنا الذي عام العام - أي: عام ١١٣٠هـ من هذا؟ ذاك حمى مطقة، وهذا إنما اشتد بسبب الانحسام.. ونحو هذا الكلام.

ثم قال له الأولاد: عسى تقوم مع السيد زين نتقهوى في الغيلة، فقال: مليح، وعاد شيء غير القهوة؟ قالوا: عدها يعلم الله ما يكون، فقال نفع الله به: إن كان شيء غيرها هاتوا قسمي إلى هنا، وإن قل فإنا نتبارك بكم أكثر مما تباركون بنا، فعندما قال هذه الكلمة أخذت السيد زين العبرة، فبكى وخشع كل من سمعها رضي الله عنه ما أحسن أخلاقه وأطيب معاشرته، ومحادثته وما أعرفه بربه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وقرأ الفاتحة ودعا وخرجوا إلى المحل المذكور.

ودخل عليه (رضي الله عنه) هذا اليوم جماعه من السادة، فرادى ومجتمعين، كالسيد سقاف بن عبد الله استأذن وحده في الدخول، ولم أعلم له زيارة لسيدنا قبلها وقد أرسل مرة فيما سبق، هو والسيد محمد بن سقاف العيدروس أرسلا يسأذنان سيدنا في زيارته، فلم يأذن لهما؛ استنكارًا لمجيهئما الآن مع عدم اعتيادهم الزيارة من قبل فأذن للسيد سقاف في هذ، المرة؛ لكونه مستودعًا وداع آخرة، وأعطاه قميصًا، وجعل يوصيه: الله الله في التوالي مع إخوانك والعيال وتعاونوا على البر والتقوى، ومثل ذلك، ثم قرأ الفاتحه، واستودع منه وخرج.

وعشية هذا اليوم كنت أجني رطبًا من النخلة العشدلية، فلما أحس بي، ناداني ثلاث مرات بحنانه وشفقته: يا حاج، وكانت هذه مناداته لي فلبيته، فقال: ذا من عليك يا حاج؟ قلت: ما علي من أحد، وبقي يقول في نفسه، وأنا أسمع: يا حويج من ذا عليك؟ يا حويج من ذا عليك: يا حويج من ذا عليك؟ ثلاثًا، فعرفت من هذا أنه يترثى لي من أمور ستعرض لي، والله المستعان وما رأيتها إلا بعد فراقه من أمور لا تحكى في حضرموت وفي الحساء، لو أخبرت بها الناس، لعجبوا وعلموا أن مصادمتي لها من باهر كراماته، وخوارق

عاداتـه (رضي الله عنه) حـتى إن حضرموت لم أطـق أرى موضعًا كنت آلف منه الجلوس فيـه، أو كنت أمر معه وأود الفرار منه بسرعة.

فهذه مقدمة لبعض تلك الشؤون، وأما في الحساء، فأمور كثيرة رأيتها من إشاراته (رضي الله عنه) ونفع به. وقد صدر منه (رضي الله عنه) إمارات كثيرة في مرضه هذا تدل على أن مرضه هذا هو مرض موته، وما عرف بعضها إلا بعد وفاته.

منها: قوله لجماعة جاءوا عائدين له: قولوا لهم: دعوني وربي، ولم يأذن لهم، وليس هذا من عاداته.

ومنهـا: ذكره للسـيد زين العابدين لما جاءه عائدًا رؤياه للسـيد علي بن عبـد الله، وذكره له المعمرون من السادة، وقد تقدم ذكر ذلك.

١٦ شوال:

ومنهـا: أنـه طلبني ضحى يوم الثلاثاء ١٦ شـوال، فأتيت إليه، وهو بالمرواح الـشرقي، وليس عنده إلا الحبيب حسـن، ومغيربان يروح عليه. فلما صافحته، حياني بتحية شـفقة ورأفة وحنانة، وأمر ابنه الحبيـب حسـن أن يأتي بقميص له لبسـه مدة، ثم طواه وضمّه، وما علموا لمن يريـده له. فقال لابنه المذكور: قلـت لكـم: اطـووا الدراعة الفلانية الـتي هناك، نريدها للحـاج، لئلا يأخذها غيره، ويفـوت الذي عن العمـل، والإلبـاس الحسي والمعنـوي، ثم قال له: قم هات ذلك القميص، فلما أتى بـه، أخذه ونشره وضمه صدره، وأدخل رأسـه في جيبه كأنه يريد يلبسـه، ثم لفه وتفل فيه ونفث وذكر الله وصلى على النبي (ﷺ) ثم دفعـه إليّ وقال: هاك قد البسـناك الآن، وأذنا لك في الإلباس لمن شـئت من المتأهلـين له، وقد تقدم منه الإلبـاس مـرات، ونرجو لك الإلباس أيضًا بعْد ذلك، ونرجـو أن يرزقك الله الإلباس الحقيقي، ويؤهلك له، هذا كلامه بلفظه، وأرجو أن يحقق الله رجاءه، جزاه الله عنا أفضل الجزاء، وقد ألبسني قبل هذا نحو عشر إلباسًـا، لكن لم يكن معها إذن في ذلك ثم قال الحبيب حسـن: صافحه - يعني: مصافحة الخروج - فلما صافحته دعا لي، وقال: بارك الله فيك، وأصلحك، فكان هذا المجلس منه ما اشتمل عليه من المؤانسة والملاطفـة والدعاء آخـر مجلـس لي معه من مجالس المؤانسـة، وإلا فقد دخلت عليه بعد ذلـك مرارًا كثيرة وهو مسـتغرق بالمرض، ولم يصف الوقت كما صفا له في هذا المجلس المذكور، فخلفه الله علينا وعلى كافة المسلمين بخلف صالح، وجمعنا وإياه في دار القرار، كما جمعنا به في هذه الدار.

١٨ شوال:

وعشـية يوم ١٨ شـوال كثر العوّاد وتجمعوا، واشـتد طمعهم في الدخول عليه، فأرسـل إليهم، وقال: أما فلسـت متكلفًا لأجلكم الجلـوس، ولا أريدكم تدخلون عليّ وأنا مضطجع، فادعـوا لي وأنا أدعو لكم وأعذرهم فانصرفوا. ومرة قبلها قال لهم في مثل هذه الحال: اتركوني أنا وربي، ولا تكلفوني شططًا، وأنتم في الخاطر، وأنا داع لكم، فادعوا لي.



١٩ شوال:

ثم عشية الجمعة ١٩ شوال تجمعوا وأرادوا الدخول عليه، ورجوا أن يأذن لهم، ووافق أن جاء السيد زين عابدين وهم مجتمعون، فأذن له ولهم معه، فدخلوا وازدحموا، وصافحه من جملتهم رجل كان يرقي من العين، قال: الله الله في الهمة، وعمدة العمل على الهمة، وهمة أهل هذا الزمان في أسباب المعاش، ولهذا يغبطون من معه منها شيء، ويعظمون أمره، وهذه الأسباب لا تذكر.

فذكر له السيد زين أنه أصابته قبل هذا بيومين عين، وذلك أنه جلس عنده رجلان معروفان بالعيانة، ... وس منهما، فلما قاما، التوت رجلاه، حتى لم يطق القيام إلا بشدة بعد مدة، وبقي متألمًا من رجليه زمنًا طويلاً، فأوصاه سيدنا بالحذر والاحتراز من العين، وقال له: إن الناس ما عادهم إلا كالخلقان بالنسبة إلى الجديد الصحيح، لما لهم عليه من الاستكثار والحسد، فلا شيء أخس من العين، وقد كانوا في وقت الإمام الغزالي لما ... به ذلك العارض الذي عرض له، حتى بقي لا يقدر على الكلام، قالوا: إنما هذه عين أصابت الأمة.

وسأله السيد زين عن نومه إذ ذاك؟ فقال: هو أكثر من أيام الصحة، ثم أمر بإدارة ماء ورد، ثم قرأ الفاتحة، ودعا كعادته، ثم خرجوا من غير مصافحة، إلا السيد علي بن حامد، فقال له يباسطه: يا علي، ادع لي، والقهوة ... ثم إنه في الغد أرسل له بنصف قرش، ولكريمته مثل ذلك، ثم صافحته، فقال: أحمد! قلت: لبيك! وما ... أنه ناداني كذلك إلا هذه المرة، فقال: الله الله في الدعاء. قلت: قد دعوت لكم اليوم بالعافية عند ... نبيه المقدم. فقال: نعم، ادع عنده.

٢٠ شوال:

ويوم السبت حصل له ورم في البطن، وورمة مثل البيضة تحت السرة، اشتغلوا منه جدًّا.

١ ذو القعدة:

وبعد صلاة الصبح يوم الأربعاء، فاتحة ذي القعدة، وصل الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي زائرًا عائدًا له، في نحو عشرة من أصحابه، وليس عادته قط يجيء في هذا الوقت، إنما جاء لهذا السبب. فلما جاء مكث يومين لا يؤذن له في الدخول.

وليلة هذا الأربعاء المذكور رأت أحد من أهل البيت كأنها تخاطب أخرى، فإذا رجل قد صعد السطح، ... ت صاحبة الرؤيا: من هذا؟ قالت الأخرى: هذا سرور، وطلع إلى عند حبيبه. فأعلم بالرؤيا، فاستر بها.

ويوم هذا الأربعاء فش ورم البطن، ولكن حصل له بحة في الحلق، وانقطاع في الصوت، فشق عليه لذلك الكلام.

وقد حصل مثل ذلك للنبي (ﷺ) في مرض موته، وفي ذلك إشارة إلى أنه لما كان شديد المتابعة له (ﷺ) في ...ته وأوقات صحته في كل حالاته الاختيارية من عباداته وعاداته، أجري عليه عند وفاته مما ليس فيه اختيار، تتميمًا للمشابهة والاتحاد والانتساب (رضي الله عنه) ونفعنا به في الدارين.

ودخلت عليه (ﷺ) يوم الأربعاء أول يوم من ذي القعدة، فرأيته مُسجّى، وكان بدنه ووجهه لا حـ
بل مجرد جسم وجلد وعظام فقط، وكان يتمنى أن يكون كذلك عند موته، وقد أخبرني ابنه الحبيب حـ
أنه سمعه منذ مدة طويلة - أظن نحو العشرين سنة - يقول: أشتهي أن يوم أموت ولا في جسمي مزعة حـ
وكنا نسمع أهل بلدنا يقولون: رحم الله جثة لم تُخْثِلِم قبرها (أي تُقَذِّر)، ولكن من لك بمن يصير عنـ
طال بك المرض، فلو أن أحدًا وضّأك مرتين أو ثلاثًا ملّك وضاق منك.

وقال لي ابنه الحبيب حسن أيضًا: احتجم سيدي الوالد ليلة عشرين من شهر رمضان سنة ١٢
١٠ نجم الثريا في الليل وقت العشاء، وكان معه شبه الفرسة، ولم يخرج إذ ذاك لصلاة العصر ولا
ولا العشاء. وسمعته وهو يحتجم يقول: الإنسان في هذه الدنيا معرض للأعراض، والأمراض، والأغر
وسمعته يقول: إني أجد في نفسي هذه السنة زيادة لحم من غير سبب، وأنا أحب ألا أموت وعليّ كثير حـ
ولا أحب أن أموت بطول مرض، وقد اشتهى الشيخ أحمد الرفاعي ذلك فتم له، ولكن مرض حصـ
باطن، ولكن الشيخ أحمد وافق زمانًا أشبه من زماننا، وزماننا هذا كما ترى، لو طلبت في الخمسة الفر
واحدًا يوضيك ضجر منك. ثم قال: وما تسمع ما يقول الناس رحم الله جثة... إلخ.

أقول: فتم لسيدنا ما تمناه واشتهاه من ذلك.

ومن أول ما حصل عليه هذا العارض، وهو يذكر أنه إنما عين، وصرح بذلك مرارًا، وكذلك أيام صحـ
قال كما تقدم: أكثر ما كان خوفي من العين والسم، وأشار إلى ذلك مرارًا أخرى، كما ذكر من قصة
الغزالي، أنها عين أصابت المسلمين.

٢ ذو القعدة:

وبعد صلاة العصر يوم الخميس دعا سيدنا، الشيخ عمر المذكور، فدخل وصافحه وقبل يده، فقـ
سيدنا: مرحبًا بالعمودي، مرحبًا بالعمودي. ثلاثًا، ثم إنه أراد أن يتمسح بسيدنا، فقال له: تمسح، خـ
يتمسح، ففعل، ثم قرأ الفاتحة ورفع يديه بالدعاء، ثم قال: خلوا العمودي يتوطأ، وعاده يعود، فنزل من عنـ

٣ ذو القعدة:

ومنذ أصابته (ﷺ) البحة لا قوت له إلا نحو مجين أو ثلاثة رايب لا غير. وفي هذه الأيام الأربعـ
والخميس، والجمعة، ما تناول شيئًا قط، وزاد عليه الأمر ليلة الجمعة ويومها إلى الغاية، حتى بقي الناس في
غاية من التعب عليه، فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة، خف عنه بعض ما يجد من البحة، ولكن
أكل شيئًا إلا ضحى يوم السبت نحو ثلاثة أمجاج رايب، ولم يذق بعد ذلك شيئًا إلى أن توفي، بل مدة مرضـ
ذلك كله لا يأخذ شيئًا إلا إن كان قدر الملعقة من الزاد، وكذلك الشراب.



٥ذو القعدة:

وأخبرني سيدي الحبيبُ ابنه الحسن، وكان هو الذي لازمه وخدمه في مرضه ذلك، وحظي به من بين الأولاد، أنه ليلة هذا السبت خامس ذي القعدة أخذ ساعة يذكر فقيره ومحبه، ويقول: أين الحساوي؟ أجاء الحساوي؟ نبهوا الحساوي، قولوا للحساوي يجلس هو والرجّال في الضيقة، لا بعد يطلع، لأنّا الساعة ما بعد نحن بمفسوحين، خلوه يجلس أولاً، ونحو هذا الكلام. فقلت للحبيب حسن: من الرجل الذي يشير إليه؟ هل تخبر لك من هو؟ قال: الله أعلم، وما هناك رجل يشار إليه، إلا إن كان يعني الخضر أو أحدًا آخر.

وكلما عرضوا عليه - نفع الله به - شيئًا من القوت أو ذكروه له، ذكر قصة الفقيه المقدم عند موته.

وكان يأمر برش الماء عليه كثيرًا، قل ما تفتر عنه بل كل ساعة يشير إليه، وذلك من نحو نصف شوال، فلذلك ظنوا أن به حرارة، كما تقدم من قوله: ما أظن إلا بي حرارة، وطلبه للكرزام، ولكنه لم يقبل شرب الماء، فلما رأوه لم يقبله انبهم عليهم الأمر، فإن طلبه الرش يدل على الحرارة وعدم الشرب يدل على عدمها، وسيد الحبيب أحمد بن زين قال لي: ظهر لي أن ذلك - أي: الرش - لتقوية الأعضاء ونشاطها، وظهر لي - والله أعلم - أن ذلك لمعنى من معاني مرض النبي (ﷺ)؛ حيث كان يُصب عليه في مرض موته قِرَب من الماء، تتمة من الله (ﷻ) بإجرائه على سننه (ﷺ) حيًّا وميتًا.

وكان (رضي الله عنه) في مرضه ذلك كثيرًا ما يذكر خاتمة صحيح البخاري، فيقول: "**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**".

وكان في أيام صحته متعلقًا به، أي بصحيح البخاري، ولا يدع مدرسه يخلو من قراءته. وكان في آخر مرضه يقول: يا محمد، يا أحمد. وسمعته (رضي الله عنه) غير مرة يقول: إن شيخه محمد بن علوي آخر كلمة تكلم بها عند الموت أن قال: يا حبيبي يا محمد! ثم انطفأ بعدها في الحال، ولم يجر على لسانه بعدها كلام.

وفي هذه الستة الأيام من ذي القعدة التي ثقل فيها مستغرق، كثيرًا ما يرفع يديه، يقبضهما تحت صدره كهيئة المحرم للصلاة، ثم يضع كفه في ركبتيه، قابضًا أصابعه، رافعًا المسبحة كهيئة المتشهد.

مكان غسل الإمام من المحضرة

ليلة ٧ ذو القعدة:

فلما كانت ليلة الثلاثاء سابع ذي القعدة من سنة ١١٣٢هـ لنحو ربع الليل انتقلت روحه الزكية إ... عليين، من هذه الدار الفانية إلى الآخرة الباقية، وكان حاضرًا عنده ابنه الحبيب حسن.

فرحم الله مثواه، وبلّ بوابل الرحمة ضريحه وثراه، وكان عمره ٨٩ سنة إلا ثلاثة أشهر تنقص ثلاثة أيام... مرضه أربعون يومًا، ومدة إقامتي في خدمته والتمتع برؤيته، تحت ظل وريف رأفته ١٧ سنة وشهر و١٧ يو...

وكان انتقاله (رضي الله عنه) في المرواح الشرقي من بيته في الحاوي الميمون، ثم حمل إلى الغيلة القبلية.

٧ ذو القعدة:

ولم يُعْلِمُوا أحدًا بموته إلا بعد الفجر، أرسلوا إلى البلاد، إلى مساجد السلف، ليقرؤوا الفاتحة ... الصلاة، وهكذا عادة أهل الجهة، إذا مات أحد أعلموا أهل المساجد ليقرؤوا له الفاتحة، ليشتهر موته ... أراد الصلاة عليه. ولم يعلموا أهل البيت من النساء والصغار بذلك ولا أحدًا من جماعة الحاوي من الفق... والمجاورين إلا بعد أن صلوا الصبح، وقرأ مرتب الفواتح، فقال ابنه السيد علوي، وهو الذي صلى بنا: ... الفاتحة لحبيبك، فحينئذ انقلبوا في صيحة واحدة، ولا عاد قدر مرتب الفواتح بعد الأوليين أن يتم الث... ولا عاد قرأ الحزب ذلك اليوم.

فلما سمع أهل الدار من النساء ضجة أهل المسجد ضجوا بأجمعهم وصاحوا، ثم خرج الناعي من الحـ... إلى البلاد. وانقلبت الدنيا بمرة، وأظلمت الأرض لهول مصرعه، وحق لها أن تظلم، فالصابر المستمسـ... الذي يحمد ويسترجع وهو يبكي، ولا أظن أن عينًا لم تبك لفراقه، ولا قلبًا لم يحزن عليه، فكم يومئذ ... عين باكية، وكم من أصوات بالعويل والنشيج عالية، ومن العجيب كيف لم تنشق المرار، وتؤذن الأجسـ... بالدمار، ولكن لما ورد أنه: ما نزلت مصيبة إلا ومعها من اللطف بقدرها. وامتلأ الحاوي من الخلائق للتبر... والتمسح به، حتى لم يبق في المصلى، ولا الضيقة، ولا الحوش الشرقي، ولا الغيلة، ولا السطح، ولا الدرج، و... حوالي المكان، وفي الطريق من بحر، وبين النخيل من نجد، وقبلي المصلى متسع من الزحام، وهو (رضي الله عنه) مسجى على سريره الذي كان ينام عليه في الغيلة.

وابتدؤوا في غسله وقت الضحى إلى الظهر، وغسلوه على سريره المذكور، في المحل الذي هو فيه من جانب الغيلة النجدي، والذي غسله ابنه سيدي الحبيب حسن، وهو الذي كان مواظبًا عنده أيام مرضه، وأشر... معه في غسله صهره السيد عمر بن حامد، ومغيربان يصب الماء ويتردد إليهما بما يحتاج إليه، وما هناك أحد غيرهم، وماؤه يصب من الميزاب وتحته ناس كثيرون يتلقون الماء الذي ينصب من غسله بأقداح وأدن... يشربون منه ويتمسحون به ويتبركون. ثم بعد غسله درجوه في الأكفان، ثم وضعوه على السرير مسجى، بعد أن جففوه، ثم لما صلوا العصر حملوه في النعش، وحمل على الأعناق والرؤوس، والناس يتنافسون الحمل، أيهم

يحمل خطوة أو خطوتين، وقبل ما يتم الثالثة إلا وقبضها عليه آخر، والزحمة من الناس شيء لا يعلمه إلا الله. وما بلغوا الجبّانة إلا قرب اصفرار الشمس، وما فرغوا من الدفن إلا بعد الغروب، والازدحام في التربة حضور الدفن مد البصر من كل جانب، وما وضعوه على شفير القبر إلا وقد قطعت أذيال الشقة الممدودة على النعش، للتبرك. وألحده السيد عيدروس بن عمر مشطة، ومن عادته إلحاد المرموقين الموصوفين بالصلاح. والقوي الشديد من الناس من تمكن يحثو ثلاث حثيات على القبر. وحزروا بالتخمين من شهد الصلاة والدفن نحو عشرين ألفًا أو يزيد من كل بلدان حضرموت.

ومن العجيب أنهم لما فرغوا من دفنه جاء درويش عجمي مثل الذي وصفه في تلك الرؤيا كأنه سندي أو هندي، وأكب على القبر بصدره عليه، وجعل يصرخ، ويصيح، ويلثم من تراب القبر، فصاحوا عليه، فتنحى في قبلي قبة الشيخ عبد الله العيدروس، وجلس إلى أن تفرق الناس، ثم لم نره بعد ذلك ولا قبله.

فلما سافرت ووصلت إلى بنادر اليمن، كعدن، والمخا، والحديدة، واللحية، إذا كل أهل بلد يقولون: أول ما سمعنا بخبر موته من درويش جاءنا، والله أعلم هو ذاك أو غيره.

ثم نصبوا على قبره الشريف خيمته الشريفة التي كان ينْصبها في زيارته لنبي الله هود (ﷺ)، أيام كان يزوره وقت نشاطه، ثم بعد ذلك يأمر أولاده الأجلاء بالزيارة، ونصبوها لأجل يستظل تحتها الذين يقرؤون على قبره (رضي الله عنه) والقراءة عليه طول النهار، ونحو ربع الليل، ثم تسابيح ساعة طويلة، ثم يتفرق الأكثر من الناس، وأبقى في جماعة من الفقراء نبات عند القبر المنور، نقرأ نشاطنا ثم ننام، من حين دفنه إلى ثالث يوم، وهو يوم ختمه، وكذلك عادة أهل حضرموت يقرأون على القبر ثلاثة أيام.

١٠ ذو القعدة:

وكان ختمه يوم الجمعة ١٠ ذي القعدة، وفي هذه المدة قل ما تمضي ساعة من ليل أو نهار إلا ويفد ناس لم يشهدوا الصلاة عليه فيصلون على القبر، ويدعون لأنفسهم ولمن يحبون، ويترضون عنه، ويترحمون عليه، ويحملون من تراب ضريحه حتى أنه يوم الختم انقلبوا عليه يأخذون من ترابه حتى قرب أن يستوي مع الأرض، بعد ما كان مسنمًا مرتفعًا، وحضر عند الختم أكثر ممن حضر عند الدفن، وفعل أولاده الكرام ختمة مأدبة عظيمة ضافية أكل منها جميع من حضر الختم، إلا الآحاد من الناس، كرهوا كثرة الزحام، ودفن في طرف التربة الجديدة، التي أمر هو السيد زين العابدين بفعلها ففعلها، وبقي هو يحثه عليها سنين كثيرة، حتى قال له: أسرع بذلك، فإنه بايقبر فيها أحد، إما أنا وإما أنت. ولم يتفق للسيد زين عمارتها إلا سنة ١١٣٠هـ قبل وفاة سيدنا (رضي الله عنه) بسنة.

وذكر سيدنا نفع الله به جماعة صالحين مرضوا، منهم من مات قبله ومنهم من عاش، وقال في كل منهم: إن مات فلان أمرنا بدفنه في تلك التربة، يعني: المذكورة آنفًا، فكلما هم أن يأمر بدفن أحد من أولئك إذا

مات نسي أن يأمر به، فما دفن أحد منهم حينئذ. ثم يذكر بعد ذلك، فيقول: لو ذكرنا لخليناهم يقـ
فلانًا فيها، وتكرر منه ذلك في نحو ثلاثة ماتو قبله، واثنين بقيا بعده، فقال لكل منهما: إذا مت نقبرك
وأحدهما اشتد به المرض حتى أصبح لا يتكلم، فأرسلني سيدي الحبيب إلى السيد زين يحضّه، قال: قل
يسلم عليك، ويقول لك: هيا، اهتم في إصلاح هذه التربة، فإن فلانًا مرض مرضاً شديدًا حتى أصبح
يتكلم، ويخشى أن يموت قبل إصلاحها، فنريد أن يكون قبره فيها.

وما مراده (رضي الله عنه) إلا أن يحضه حتى يسرع بذلك. واتفق أن سيدنا نفع الله به أول من قبر بها، وذلك
أن تشاور أولاده المباركون أين يقبر؟ فاتفق رأيهم أن يقبر في موضعه هذا.

وتقدم قوله (رضي الله عنه): إن الإنسان أصله قد مزج بتراب قبره، وذكر لي السيد علي عيديد، وكان من المتر
على سيدنا كثيرًا، قال سمعت سيدنا الحبيب في بعض زياراته، لما خرج من قبة الشيخ عبد الله بن أبي بكر
العيدروس، توطأ[1] إلى موضع القبر، فوقف فيه، وقال: بسم الله، ربِّ أنزلني منزلًا مباركاً وأنت خير المنزلين
وذلك قبل وفاة سيدنا بسنين، فيدل على أن هذا يكون منزله بعد، موضع قبره، فأعظم بهذه المكاشفة
العظيمة. وأمور سيدنا وأحواله (رضي الله عنه) عجيبة جدًّا لمن ألهمه الله تعالى فهم معانيها.

بعد وفاته:

وعن بعض الثقات قال: حصل علي وجع في عيني شديد، بلغت في التعب منه إلى حد لا يوصف، حتى وددت
عيني خرجت ويسكن الألم، وكان أشد الألم يوم وفاة سيدي عبد الله بن علوي الحداد - نفع الله به - فبلغني خبر
وفاته، قلت: كيف يكون الحال، أخرج إلى المسجد للصلاة عليه، أو أجلس لشدة ما لقيت من الألم والتعب
إني عزمت على الخروج للصلاة عليه، ولو كان من الأمر ما كان. فخرجت وصليت على جنازته، وبي من الألم ما يخرج
عن الوصف، فلما انصرف الناس من دفنه، رجعت إلى بيتي وقد زال عني الألم، وسكن الوجع، وكأن لم يكن
فعرفت أن ذلك ببركته (رضي الله عنه).

وأخبر بعض السادة: أنه رأى الإمام في المنام وكأن بيده أوراقًا صغيرة مطوية يقسمها على كل من حضر جنازته
يعطي كل واحد واحدة. قال: فأعطاني أنا أيضًا ورقة، ففتحتها، فإذا هي بيضاء لا خط فيها، فأوّلت ذلك بمحو الذنوب
وستر العيوب.

وقال آخر: ورأيته بعد موته في جموع في تريم، قد ملؤوا شوارعها حتى سوقها، وكأنهم يصلون وإمامهم سيدنا
ومولانا وأحد أشياخنا عمر بن الحامد باعلوي. فلما انصرف السيد عمر من الصلاة، وقد علاه النور والسرور، تقدم
وصافح سيدي عبد الله فقال له: ما هي إلا طاعة طاعة، ثم صافحته أنا، فقال لي وهو ممسك يدي: تعود النظر
وجهه، الله يمدك بالنظر منه.

(١) أي: نزل إلى... وذلك أن قبه العيدروس الأكبر مرتفعة قليلا عما حولها.



قبر الإمام الحداد وقد دفن ولده السيد سالم بن عبد الله بالقرب من قدميه

وعن السيد عقيل قال: أخبرني علي بن إبراهيم هرمز، قال: لقيت درويشًا على ساحل بحر الحُدَيِّدة، على شبه تراك، فقال: أعظم الله أجرك في سيدي عبد الله الحداد، فبهتُّ من قوله، وقلت: أو قد مات؟ قال: نعم، وقد حضرت ...نه، وصليت عليه وقد له من يوم مات ثلاثة أيام. ثم انتشر الخبر من الحديدة إلى الحرمين وإلى اليمن، وشاع وذاع في ...ث البلدان، ثم جاء خبر بنقضه، واستمر على ذلك مدة، ثم جاء الخبر المحقق بوفاته، وأنه كما أخبر به الدرويش، وأنه ...ن أهل السر، أرباب الخطوة، لكونه بعد أن أخبر بهذا الخبر غاب، ولم يُعرف له خبر، ولم يدر أين سلك، بحرًا أم برًّا؟

ثم إن بعض الناس بعد وفاته (رضي الله عنه) جعلوا يتلهفون عليه ويتأسفون أن لم يكونوا من الملازمين له، ومن ...نتسبين إليه، وندموا كثيرًا حيث لا ينفعهم الندم.

وقال (رضي الله عنه) قبل انتقاله بنحو ثماني سنين: ما با يعرفون قدرنا إلا إذا فارقناهم، فما دام الرجل بينهم لا ...رفون قدره، فإذا صار الرجل قبرًا فحينئذ يعرفون قدره.

قال السيد الحسن بن عبد الله الحداد: إنه خطر على بالي من بعد وفاة الحبيب القطب الغوث الوالد أن ...نعمل عند قبره مولدًا وجمعية كبيرة، كما يفعلون ذلك في حضرموت لزيارة نبي الله هود - على نبينا وعليه ...ضل الصلاة والسلام. حتى إن السيد زين العابدين بن مصطفى العيدروس هو الذي وقف المقبرة التي قبر ...يها الوالد، وقفها على الوالد، وذريته، ومن يلوذ به. طولها أربعون ذراعًا، وعرضها مثل طولها أربعون ذراعًا، ...ذراع الحديد. فلما كان نهار ختم الوالد بعد موته، والأصناء في قبة سيدنا الأكبر عبد الله بن أبي بكر ...عيدروس، قال السيد زين: مرادي أبني قبة سيدنا الحبيب عبد الله الحداد. فقالوا له السيد أحمد والأصناء: ...سيح ذلك. وقلت له: مرادك تفعل قبة، ويكون تقطيع البناء من كبر وصغر في القبة على نظرنا، وإلا فخل



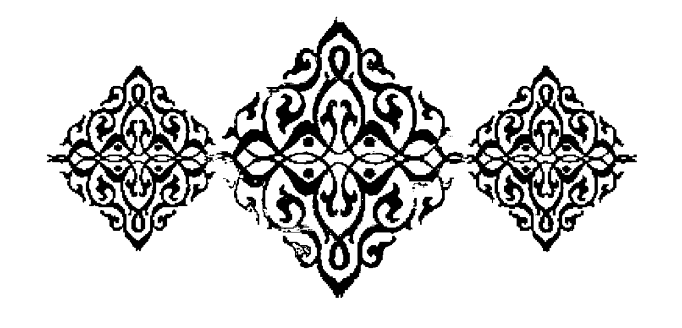
ذلـك، نبنيها على قياسـنا - إن شـاء الله. لأن مرادي أجعلها مثل قبة نبي الله هـود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأجل في خاطري مولد نفعله على قبره، ولا مرادنا القبة إلا على سواري، لأجل نظر إلى القـبر الشريـف، من قرب منه ومن بعد سـواء. فقال السـيد زين: نفعلها على اختياركـم ورأيكم ومرض السيد زين بعد وفاة الإمام، ولم تتم نيته لذلك، ولأسباب أخرى.

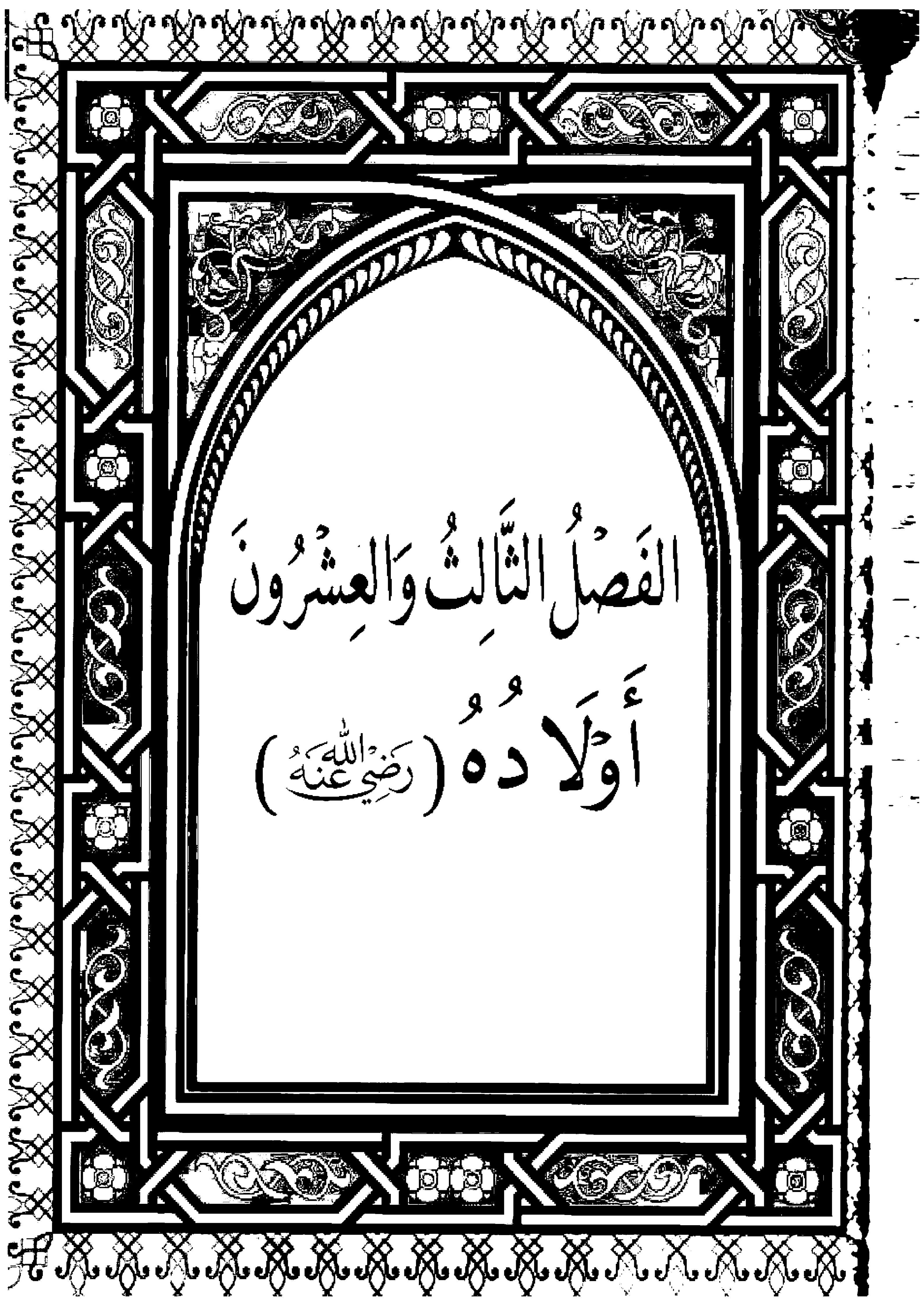
وبـدأت قـراءة المولد النبوي الشريف عند قبر الإمام بإشـارة من الحبيب الحسـن بـن عبد الله بن علوي بن عبد الله، وكان أول من قرأه من مريدي الإمام الشـيخ سـليمان بن عبد الله باحرمي، ولا يزال باحرمي إلى اليوم يقيمون حضرة الإمام الحداد بمسجده بالحاوي.

ووصى الحبيب الحسـن بخيمة من الهند فوصلت سـنة ١١٦٦هـ فصارت تنصب من الشروق للزوال من مدن وقرى الوادي لحضور ذكرى الإمام الحداد كل سنة.

وعن بعض أصحاب الإمام قال: رأيت سـنة ١١٤٥هـ، بعد موت سـيدي بنحو ثلاث عشرة سـنة، كأنه لابسًـا سراويل فقط، وذلك عند خزانة كتبه الشريفة، وكأن عيونًا تجري من تحتها وتنفذ، وتقصد كل إلى بلد أو جهة وكأنه هو الذى يتولى تفريقها وتوجهها إلى الجهات، وكأن تجرده ذلك عبارة عن شـدة تشمر في تقسيم ما هنالك. فعرفت الإشارة وأن كتبه وعلومه الشريفة قد طارت إلى جميع أقطار الأرض، وتفرقت في سـائر الخلق، وأنه ينتفع بها الناس حيًّا وميتًا، ولو لم يكن إلا كتبه ومؤلفاته الغزيرة وشـيوعها في الناس وشمول النفع بها عند الخاص والعام، لكفى.

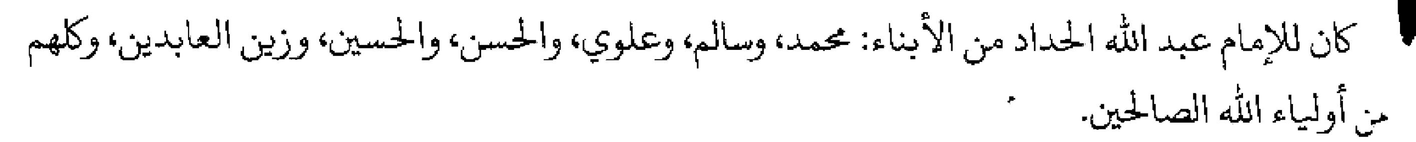
وقد روى السـيد علوي بن أحمد بن الحسـن بن عبد الله الحداد في «المواهب والمنن» كيف أنه تمنى رؤية جـده الإمـام الحداد بالحـرم المكي الشريف وقت كان يحـج، علمًا منه بأن رؤية الأكابـر في الظاهر بعد مدة طويلـة مـن وفاتهم جائزة وحاصلة، فحين تمنى ذلـك تمثل له جده واقفًا ينظر إليه ويدعو سرًا، فأخذ يؤمن على دعائه فترة من الزمن ثم غاب عنه فلم يجده.





الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ

أَوْلادُهُ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ)



كان للإمام عبد الله الحداد من الأبناء: محمد، وسالم، وعلوي، والحسن، والحسين، وزين العابدين، وكلهم من أولياء الله الصالحين.

وكان الإمام الحداد (رضي الله عنه) كثير الاعتناء بتربية أولاده التربية الصالحة، وكان يتعهدهم بالنصح والإرشاد منذ نعومة أظافرهم، ويعوّدهم على الالتزام بالسنة النبوية الشريفة في العبادات والعادات، حتى تصير منهجهم وديدنهم.

وقد وصف الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن الحداد في كتابه «المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن حسن» شيئًا من هذا الأسلوب في التربية، وذلك نقلاً عن جده الحسن بن عبد الله الحداد الذي كان يقول: ن والدهم الإمام كان يأمرهم أن يتعشوا في وجوده حتى يعلمهم الأدب، وإذا سمع أحدًا منهم يتهامس مع خيه ينهره، فتقول له أمهم: خلهم يتعشون، لا تنكد عليهم! فلا يجيبها، بل ينتبه لجميع أفعالهم، ويأمرهم .تسمية، والأكل كلاً مما يليه، وبثلاث أصابع من اليد اليمنى، وبالإيتار.

وكان يعوذهم كل ليلة، فيقول ويقولون مثله: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، بسم الله الذي يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد بيًّا، ياحافظ ياكافي يامحيط، صلى الله على نوح وعلى نوح السلام.

وكان يلقنهم قبل أن يذهبوا للمعلم لتعلم القرآن: الله الله، ثم لا إله إلا الله، ثم لا إله إلا الله محمد رسول له، ثم الفاتحة، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والإخلاص، والمعوذتين، وبعض السور.

السيد محمد بن عبد الله:

كان أول أولاد الإمام الذكور ولادة السيد محمد، ولد سنة ١٠٧٩هـ قبل أن يحج والده. قال: قصدنا أن لا نحج لا وقد عندنا أحد من الأولاد بتريم، خشينا أن تحصل لنا إشارة في المجاورة بالحرمين الشريفين.

كان السيد محمد كثير الأسفار، وكان والده يقول عنه: إن ابني محمدًا ولد على الفطرة الكاملة. عاش حوالي سنة، وتوفي بمدينة ذمار جنوب صنعاء اليمن.

السيد سالم بن عبد الله:

أما السيد سالم بن عبد الله الحداد: فكان كما قال صاحب (بهجة الزمان)، عبدًا صالحًا، زاهدًا في الدنيا، من مالها وجاهها، أخذ منها بالبلغة، لم يعرج على شيء من زينتها بل قنع بما سيق إليه من ناعمها وخشنها يبالي بإقبال الناس ولا إدبارهم، مع غاية التواضع وإيثار الخمول.

وكان مهلاً، سخيًّا بما في يديه، لا يهمه إلا قوت يومه، وكان ذا نسك وزهادة.

وقال صاحب المواهب والمنن: كان سالم على جانب كبير من الورع والتقوى، سليم الصدر سافر في حـ والده إلى أماكن كثيرة. وكان صاحب اطلاع على المغيبات وخوارق العادات.

أخبرني السيد العالم عمر بن أحمد السباح ساكن ظفار، والسيد الولي عبد الله بن أحمد مقيبل باعـ وكانا من عباد الله الصالحين، قالا: لما خرجنا من ظفار إلى زيارة أهل بلدة تريم، وقصدنا منزل سيدي ـ ابن عبد الله الحداد؛ لأنه تزوج في الشحر بنت بعض أقاربنا، فلما كنا قريبًا من البلد بمسيل وادي ثبي ـ أنا بسيدنا سالم، وقال: كنت منتظركم من زمان، ويرحل لنا مسيرنا كله كشفًا واطلاعًا منه علينا.

قال السيد عمر: وكنت أرقبه في الليل، فإذا هو يقوم أغلبه، ويزور تربة تريم أوله وآخره، مرتين كل ـ قال لنا: كنت من مدة على هذه الكيفية. كان سيدي سالم في غاية التواضع لا يكاد يرى لنفسه مقـ ولاحالاً، وبان أمره كله على مخالفة نفسه، كما علمنا ذلك عن الثقات.

قال السيد عبد الله بن شيخ الصافي باعلوي: لما وصل سيدي سالم إلى دوعن طلبت منه أن يرزقني ـ ولدًا ذكرًا فقال لي لما رأى رغبتي: يجيك الولد، وسمه شيخًا، فجاءني الولد وسميته شيخًا. ولما وصل سيـ سالم وادي عمد ببلد خربة باكرمان، وبها رجل مجذوم، فجاؤوا به إلى سيدي سالم، فحبس الجذ ـ زاد، وقال: إنه ما يعدي أحدًا. فكان هذا الرجل يجالس الناس ويؤاكلهم ولا يعدي أحدًا مع طول عمر ـ المجذوم، فسبحان اللطيف الخبير.

حج بيت الله الحرام وزار قبر نبيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ست مرات. وكان كثير الأ ـ والزيارات لعباد الله الصالحين. وكان من الذين إذا رُؤوا ذُكر الله.

سكن ريدة المشقاص في حياة والده، وأولد بها أولادًا، ثم رجع إلى تريم، وتوطن بها.

أخذ عن والده وتربى به، وحط عليه نظره، ويحفظ عن والده أشياء كثيرة، نفع الله به وسائر عباد ـ الصالحين.

توفي بتريم سنة ١١٦٥هـ ودفن بجوار والده ناحية قدميه.

أما الحسين وعلوي والحسن وزين العابدين وعائشة وسلمى، فأولاد الشريفة الصالحة فاطمة بنت الـ ـ محمد الباقر جمل الليل.

قال الإمام: لما ولدت الشريفة فاطمة طلبني والدها إلى بيته لأبرك عليها. فلما وضعت يدي على رأ ـ ألهمت. أو قال: عزمت على أن تكون أم أولادي.

وقد توفيت الشريفة فاطمة بعد الإمام بست سنين ودفنت قريبًا منه.



السيد الحسين بن عبد الله:

فأما الحسين، فقد كان والده يحبه حبًا جمًّا، ويقول: إن لنا في حسين أملاً نرجو من الله إنجازه.

وقال عنه أخوخ الحسن: والصنو حسين فهمه خارق، بل ما له نظير، ولو أعطى الجد والاجتهاد في العلم حقه، لما كان بحضرموت أحد أعلم منه، وقد قرأ على الوالد الإحياء، والتفسير للبغوي، وصحيح البخاري، جملة من الكتب.

وهو الذي استملى من والده كتاب الدعوة التامة والتذكرة العامة.

قال الحبيب حسن: لو تم من الأخ الحسين من الإقبال التام على العلوم النافعة، لما وقع له نظير في زمنه، لحسن فهمه ودقته وفطنته، وغوصه على المنطوق والمفهوم، ولكن اشتغل بعيلات كثيرة من الزوجات والأولاد والحرث والخيل، وإصلاح ذات البين، مع سخاوة النفس وبسط اليد، ولكن البركات كثيرة في جميع ما معه وعليه، مع كثرة البذل وأخذ الناس من ماله بعلمه وبغير علمه، حتى إني قلت للوالد: لو خليتم بعض الناس يكون ناظرًا مع الأخ الحسين على مال بيت جبير، فأبى الوالد - نفع الله به.

قال في المواهب والمنن: وكان ذا ورع حاجز، جعله والده ناظرًا على أوقاف السقايات، فحفظها، ونماها، واشترى لها مالاً من النماء. وكان صاحب خوف من الله، كثير الدمعة سريعها. إذا رأيته ظاهرًا في الملبس والمركوب والمخدوم، فكأنه ملك، وإذا تحققته باطنًا في كمال عقله ومفاد سريرته، ونور بصيرته تبين لك أنه من كمل العارفين.

ولما سافر السيد حسين للحج في حياة والده سنة ١١١٨هـ، سرقت سرقة في بلدة نصاب، وجاء الذين أخذ لهم إلى السيد حسين، فلما أطلعه الله على السارق كشفًا، أرسل إليه قائلاً: أعط المال أهله، وإلا أعلمنا بك، فرد السرقة.

وحج الثانية بعد وفاة والده وهو ضعيف من المرض ومعه ولده السيد محمد الباقر.

ودرس سنة حج في الحرم الشريف، وفتح عليه بالأموال الكثيرة، حتى إن واحدًا أعطاه ألف قرش، له خمسمائة ولوالده خمسمائة، فأنفقها كلها، الذي له والذي لوالده. فلما قيل للحبيب أحمد بن زين الحبشي أنه أنفق حتى الذي لوالده، قال: قد قال له والده: خذ كل ما تطلبه مما ترى عندي. وهذه الجملة من قصيدة لوالده قال فيها:

وكن نائبًا عني بإهداء تحية — معنبرة كالمسك في العرف والند

قال السيد محمد بن زين بن سميط: وكان قد ابتلي آخر عمره بأمراض لا تكاد تقوم لحملها الجبال، فاحتمل واحتسب وصبر وشكر. زرته في مرضه، فرأيت عليه نورًا يكاد يخطف الأبصار، وما ذاك - إن شاء الله - إلا نور الرضى عن الله تعالى، وحدثني في ذلك المجلس عن والده بأحاديث وأخبار وكرامات.

قال السيد الحسن: كان سيدي الوالد في مرضه يترحم على حسين ولده كثيرًا، ويقول: مسكين حسين

وقد قال السيد الحسين لأخيه: إن ما أكره الموت ولا الحياة على ما أنا عليه من المرض، ولا مثلي إلا في مداد وفسحة واجتماع إخوان على الوفاء، وإن راح فإنما يروح من المداد والفسحة إلى أهله وأكابر

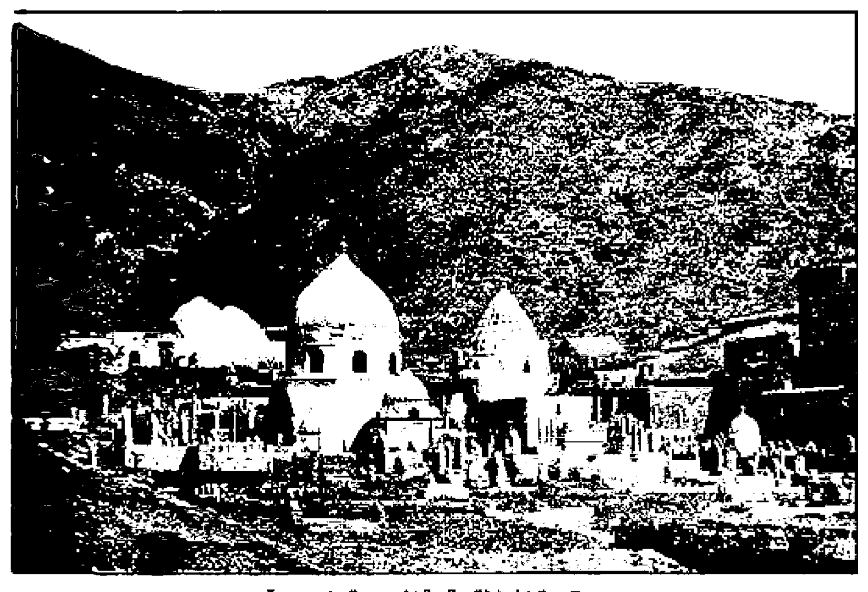
كان أول أولاد أبيه لحوقًا به ودفن قريبًا منه.

وولد السيد حسين: عبد الله، هو الذي أمر الوزير ريحان، وزير الشريف سرور بن مساعد شريف مكة، أن يبني زاوية الإمام الحداد بشعب جياد، فصارت عامرة بالحضرات والأذكار، وصارت مقصد للخاص والعام.

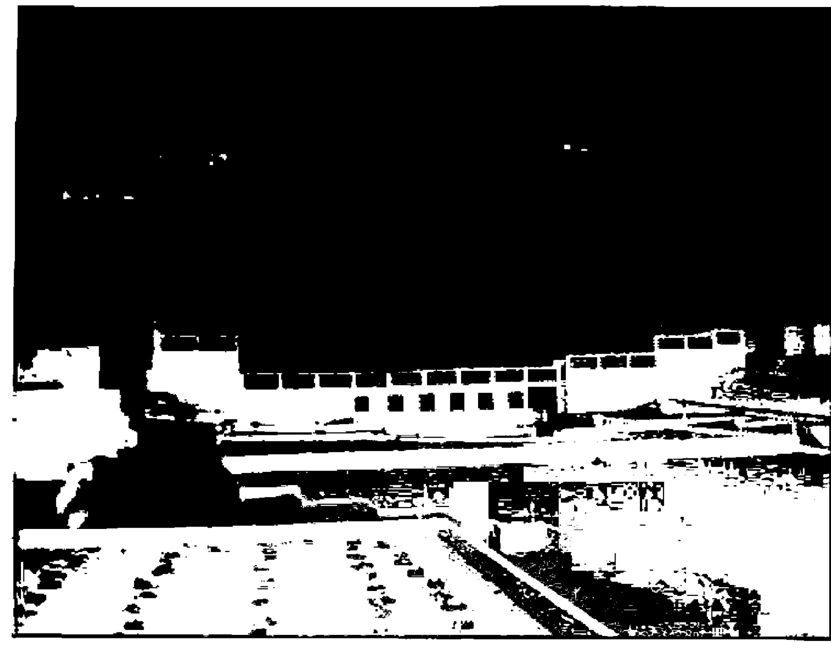
السيد علوي بن عبد الله:

وأما السيد علوي: فقد لازم أباه وقرأ عليه الكثير من كتب العلم والتصوف وخرج إلى مكان بالسبير من وادي دمون حيث عاش فترة في عزلة عن الناس. كان من التواضع بمكان، وكان في حياة كثير الملازمة له لا يكاد يفارقه ساعةً من ليل أو نهار.

قال السيد محمد بن زين بن سميط: وأما علوي ابن سيدنا عبد الله، فكان على قدم من السلوك والتبتل والزهادة والعبادة والعلم والعمل. كان صبورًا على المجاهدات وتحمل المشقات في العبادات، ولزوم الأذكار والأوراد آناء الليل وأطراف النهار، وتوزيع الأوقات بوظائف العبادات والخيرات، على حال يكاد يعجز عن حمل مثلها الأبطال من الرجال، ومستغرب وجوده في مثل هذا الزمان.


مقبرة المعلاة وقبة السيدة خديجة

وقال: ولما عجز سيدنا عبد الله (رضي الله عنه) بالكبر آخر عمره، وصلى الفريضة جالسًا، قدمه في إمامة الصلاة أو صلى خلفه مؤتمًا به. وكان يخصه بأشياء من أسراره على غيره. كان سيدًا إمامًا، جامعًا مفضالاً، ذا نفس أبيّة، وهمّة عليّة، وإيمان ويقين، وكشف وتمكين، ومجاهدة ومشاهدة، وصبر وشكر وزهد ورضى، وتوكل وخوف ورجاء موزعًا أوقاته بالعبادات، لا يكاد أحد يساويه في زمانه في توزيع الأوقات في أنواع الخيرات والمبرات والقربات.


قبر أم المؤمنين السيدة خديجة (ﷺ)

سمعت سيدي العارف بالله عمر بن حامد المنفر علوي يقول عن سيدي علوي: إنه أعبد أهل زمانه.

وكان صبورًا على نوائب الزمان متحملاً لمشاقه، متلقيًا صوادره وبوادره، حسن الصبر وجميل الحلم.

أقام في مقام والده؛ لإيناس القاصدين وإيواء الغرباء والمساكين، وإطعام الفقراء والجائعين، قائمًا بوظائف أبيه من إقامة الجماعات والرواتب والحضرات، وتدريس العلوم النافعة هو وأخوه العلّامة العارف القدوة الكامل الحسن، نفع الله بهما وجزاهم خيرًا.

وكان يقال في الحاوي عن السيد علوي: هذا صوفي فقيه، وعن أخيه الحسن: هذا فقيه صوفي.

وكان السيد علوي يميل إلى العزلة والإعراض عما الناس فيه، ولذلك قدّم أخاه الحسن مع كونه أصغر سنًا بعد وفاة والدهما، واكتفى من التدريس بالجلوس بعد العصر، يقرأ طلبة العلم عليه في كتب القوم.

وكان الإمام يقول: إذا حج علوي ولدنا، استودعوا منه وداع وفاة.

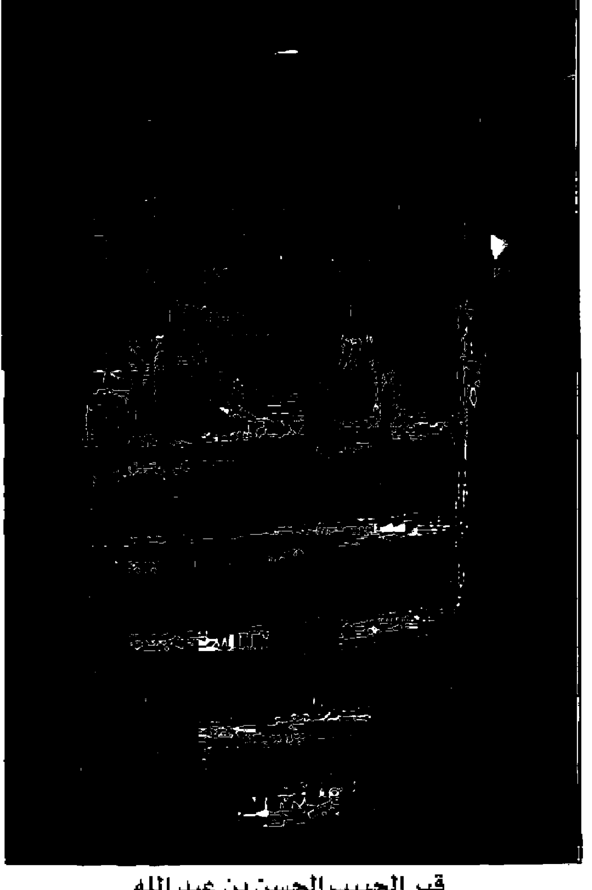
فحج (ﷺ) سنة ١١٥٣هـ وحصل عنده مرض شديد، وتوفي بمكة، وقبر بجانب الحبيب محمد بن علوي السقاف بالقرب من قبة السيدة خديجة (ﷺ).

السيد الحسن بن عبدالله:

وأما السيد الحسن: فقد ولد في منزل الإمام الملاصق لمسجد الحاوي أول ليلة من شهر رجب سنة ١٠٩٩هـ وذلك بعد أن صلى والده العشاء وبدأ في قراءة الراتب، فلما سمع صوت المولود، قال: ولد صاحب الحاوي، ثم أذّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، ثم حنّكه بالتمر وعقّ عنه لسابع ولادته، وأمر بحلق رأسه والتصدق بزنة الشعر ذهبًا وفضة، وسمّاه الحسن.

وكانت والدة الحبيب أحمد بن الحسن الشريفة سلمى ابنة العارف بالله حامد بن علوي المنفّر، وكانت سليمة القلب، إذا حضر عندها أكبر كبير واغتاب أحدًا من الناس ولو بكلمة، زجرته.

وكانت زاهدة في الدنيا، أنفقت كل ما ورثته في أوجه الخير، ثم أتبعت ذلك بحُلِيِّها فباعتها، ورضي منها زوجها أن تنفق من بيته كيفما شاءت لمّا علم منها ذلك.


قبر الحبيب الحسن بن عبد الله

وقد نشأ الحبيب الحسن في حجر أبيه وهو من صغره في الجد والاجتهاد في العبادة وطلب العلم ثم الدعوة إلى الحق.

قال (رضي الله عنه): إن والدي من صغري يلاحظني بحاله أكثر من مقاله، يتخيل لي دائمًا معي، وإذا حسيت مع الصغر بعض التسويف والضجر أنهضني بحاله، فلا يطرقني التسويف ببركته. حتى إني في الصغر، قبل أن نطلع المكتب ونتعلم القرآن العظيم، نتتبع ألفاظ الوالد وما يقول ونحفظ ذلك، ونعمل به، وكذلك نتعلم الأحاديث النبوية والمسائل الدينية من تلامذة سيدي الوالد، مثل الوجيه عبد الرحمن بن علي ابن حسين وغيره.

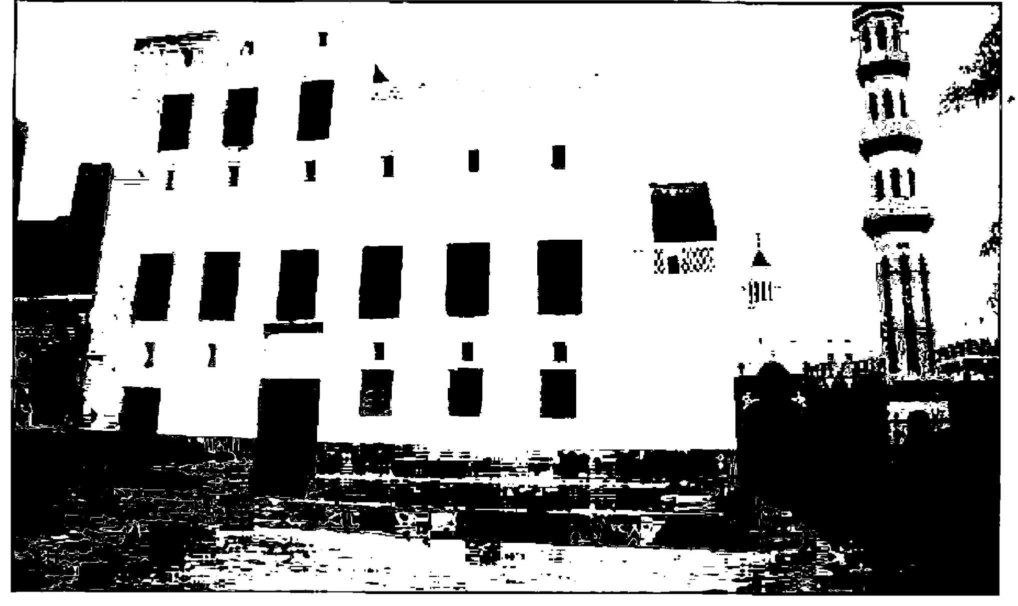
قال الحبيب الحسن: ولما حفظت أول مقرأ من سورة البقرة، كنت أبتدئ به في الحزب بعد المغرب، وجاء يزور الوالد بعد المغرب وحضر الصلاة السلطان عيسى بن بدر، حين كان واليًا على حضرموت، ومعه أربعون رأس خيل وجملة من حاشيته وأعوانه.

فلما تم الوالد الصلاة والتسبيح وبعدية المغرب لليلة الجمعة ابتدأت في قراءة الحزب، فلما قرأت المقر... أتلعثم، ولم يتغير صوتي ولا خاطري، ولا هبت الجمع الكثير هذا، فلما تمّ الوالد البعدية وصلاة الأوابين ودخ... الدار، دخلت معه، فقال لي: ما هبت السلطان والدولة، ما أنت إلا قوي القلب.

وقال الحبيب الحسن: وكانت لنا قريحة وقادة منذ الصغر، فنقصر من الأكل، ونصغر اللقم، ومعنا حـ... الإرادة من الصبا، فيقول الوالد: إنما يأخذون ذلك الأولياء بالتدريج، ليس كما تفعلون أنتم.

وقال: بدايتي من الصغر إلى وقت الكبر ما حضرت شيئًا من الملاهي، مثل الطبل وغيره، وإذا حضرت من غير داعية مني وقت الصغر أقوم وأترك المكان الذي فيه اللهو؛ لأنه يضيق منه صدري من حين كنت صغيرًا، فعلمت أن ذلك من الله ربي.

وكنت أحمل نفسي من الأعمال الصالحة ما لا تطيقها منذ كنت صبيًّا، ولا أحد يطلع على ذلك إلا ... ولي همة عظيمة جبلت عليها، ما أعول بالأخطار والأهوال. ومن حين الصغر وأنا أنام في أيام الصيف في سطح المسجد وفي الشتاء بزاويته، وإلا بالميسمة، والمنزل التي هي قريب المسجد، لأجل العبادة والمطالعة وصلاة الجماعة.


دار المقام التي ابتناها أولاد الإمام لاستقبال ضيوف الحاوي وإقامة المناسبات ويبدو المسجد في الخلفية

وذات ليلة من الليالي، ـأنا صغير، قال لي بعض ـلأخدام: إن مع ناس ـسماعًا قريب المكان، أتريدنا نحضره؟ وزين لي الحضور معهم، فتثبطت عنه، عناية من الله (ﷻ)، فلما أصبح ـرجل ودخل عند الوالد، وحين دخل وسلم عليه ـأراد أن يصافحه قام له الوالد بالنعال يضربه، وأعلمه بالكلام الذي قاله لي، من غير أن يعلمه أحد غير الله تعالى، وقال له: تريد ـغير عيالنا؟

قرأ "إحياء علوم الدين" أربعين مرة، وقُرِئ عليه مراتٍ عديدةً، منها عشر قراءات لولده أحمد، الذي ـقرأ عليه كذلك سائر كتب الإمام الغزالي والإمام الحداد، وكتب الحديث الستة، والجامع الكبير والصغير ـللسيوطي، وسائر كتب السيوطي، وتفسير الرازي، وتفسير البغوي قيل إنه قرأه ست أو سبع مراتٍ والكثير جدًا من كتب الفقه، والسيرة، والنحو، وخلافه.

قرأ الحبيب حسن (ﷺ) على والده كتبًا كثيرة، ومنها المطولات في الفقه، وكان يقرأ عليه بعد صلاة ـالظهر، وكان والده يخصه بهذا الدرس وحده، فلا يحضر معهما أحد، وظل كذلك نحوًا من عشرين سنة، وكان ـالإمام يبدي له من عجائب وغرائب الفقه ما لم يجده في الكتب التي كان يطالعها مع كثرتها واتساعها.

قرأ كذلك على الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وكان الحبيب يعجبه فهم الحبيب حسن كثيرًا، ويقول: لا ـأحد يماشيه في الفهم، فما فهمه فهو الصواب.

وانتفع كذلك بالحبيب أحمد بن عمر الهندوان انتفاعًا تامًا، كما تفقه على الفقيه عبدون بن قطنة تلميذ ـ...ـه، وعلى القاضي علي بن عبد الرحيم باكثير.

ثم أمره الإمام بالتدريس مكانه صباح السبت والأربعاء، وكذلك يوم الأحد في السبير وعمره ثماني عشرين سنة، وآخر ثلاثاء من كل شهر يطلع إلى مسجد الأوابين، ويزور بالناس عصر يوم الجمعة. وأخبره ـه سيأتيه ولد يكون ابن حجر زمانه، وهو ولده الحبيب أحمد بن الحسن، كما قال عنه أنه يكون عالم ـ...ـريم.

قال الحبيب الحسين بن عبد الله الحداد: لولا حسن أخونا، ومقامه بعد والدنا بالأثقال الكبيرة و... الغزيرة الكثيرة، لما استقام لنا مقام، ولكن جعل الله فيه البركة.

وكان الإمام الحسن يقول: أُنْسِي في عبادة خالقي، ومن الصغر أترك كل ما يُلهي ورائي.

وقد قال الإمام الحسن: إني من حال الصغر لما سمعت الوالد عبد الله الحداد يقول لي ولإخوتي ... رأيتموني أفعله من العبادات والعادات افعلوه، إلا كثرة التزويج، لا تفعلوه؛ لأني مأمور بذلك. قال: ... سمعتُ ذلك من والدي عزمت على ألا أملك في عقدي من النساء إلا واحدة، وكنت في كل ركعة مفروضة وسُنة أدعو الله أن يرزقني امرأةً صالحةً عابدة ميمونة قانتة، كاملة العقل والدين، ولودًا ودودًا، وتطول حياتها، فرزقني الله ذلك.

وقال عنها: من يوم أخذتها ما سمعت منها كلمة واحدة غيرَ مليحة إلا مرة واحدة.

وكان لسانها لا يفتر عن ذكر الله، تطيل الصلاة جدًا وخصوصًا السجود. قالت بعض بناتها: (إني أتعجب من والدتي إذا مرض مريض منا أو مات لم تنزعج لذلك مثل النساء.

وكان الإمام الحسن بن عبد الله مهيبًا لا يكاد أحد يطيق النظر إلى وجهه، حتى إن بعض أحفاده ... إني رُبيت في بيت سيدي الحسن، رباني والإخوان والجميع في حِجره وتحت نظره، فوالله إني لم أقدر أن ... النظر في وجهه من هيبته.

وقد لقّب الإمام الحداد ولده الحسن بالحكيم، وقال: إن طال عمر حسن، يقع له شأن عظيم.

وقال: إذ طال عمر الحسن، فهو حجة على علمه وإن قصر عمره، فعلمه حجة وقد طال عمر الحبيب حسن حتى ناهز التسعين. وكان الحبيب حسن مثل والده يحب قصائد أهل الذوق مثل الشيخ عمر بامخرمة وكان قد قرأ ديوانه على والده.

حج الحبيب الحسن عام ١١٤٨هـ، وكان والده قد قال: ينتقش في ولدنا حسن إذا حج شيء، من السر و... أزيد مما كان عليه من قبل.

وكان الحبيب الحسن يلبس الثياب الفاخرة وكانت تصله عمائم وشالات كشمير من "ياقوت خان"، أحد سلاطين الهند، في حياة والده وكان يخرج لكل فرض في المسجد بثوب غير الآخر، ويعرف برائحة المسك وأنواع العطور الفاخرة، فلما رجع من الحج، طلّق الدنيا وترك الثياب الفاخرة، وتجنّب كل ما فيه خلاف من أقوال العلماء، وإن كان ضعيفًا، عملاً بالأرجح والأشق على النفس.

ولما اقترب من الحجر الأسعد في صحبة من كان قد قابله خارج مكة من الأشراف والعلماء والسادة العلويين، اعترته حالة عظيمة.

قال الشيخ محمد بن أبي بكر بانافع: فلما التزمه كأنه - والله أعلم - عند مشاهدته، رأى ما لم يره أحد منا، كأنه كالرجل يخاطبه ويصافحه، واعتلى نحيبه وبكاؤه جدًّا حتى لم تحمله رجلاه، وحصل له حال عظيم، ومسكناه حتى أفاق من هذه الحالة العظيمة، لأني لم أسمع له صوتًا بالبكاء منذ صحبته إلا حينئذ ومرة ثانية، لقوة قلبه.

ولما زار المدينة استضافه الشيخ عبد الكريم السمّان مؤسس الطريقة السمانية، وقرأ عليه في البخاري، وطلب منه أن يكون من يضع لهم بيده حجر الأساس للزاوية التي كان يريد الشيخ إقامتها بالمدينة، ثم أخذ منه إجازة، وكذلك ولده محمد.

وكان محمد شابًّا في ذلك الحين، يحمل السلاح كعادة أهل لمدينة، ويصحب الحبيب حسن إلى أُحُد، وقُباء، والعُريض.

فلما عاد الحبيب حسن إلى حضرموت، أرسل إليه محمد بن عبد الكريم السمان طالبًا إجازة أخرى، فأجازه مكاتبة.

والتقى كذلك بالشيخ محمد حياة السندي، شارح حكم الإمام عبد الله الحداد، وبجميع العلماء والشيوخ من أهل المدينة.

قال الحبيب حسن: فجميعهم أكثروا الالتماس، وقاموا بغاية الإيناس، والأيام التي مرت لنا بالمدينة أحسن أيام لنا في سفرنا، بل في عمرنا، كلها أعياد، وحصل لنا الخير والمدد من جدنا صلوات الله عليه وعلى صاحبيه، وكافة الصحب والعترة.

ومن حين عودته من الحج لم يسافر الحبيب حسن حتى توفاه الله ليلة الخميس السابع والعشرين من رمضان سنة ١١٨٨ هجرية، ودفن بجوار والده بزنبل، بعد أن عاش على السُّنة المحمدية، والطريقة الحدّادية، التي سلك والده عليها، وكان ملازمًا لذلك أشد الملازمة، ويأمر بذلك جميع من أخذ عنه، ومنهم ولده السيد الإمام أحمد بن الحسن الذي خلَفه في كل ما كان يقوم به.

وقد ألّف في مناقبه حفيدُه الحبيب علوي بن أحمد كتابَ «المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن».

السيد زين العابدين بن عبد الله:

وأما السيد زين العابدين: فقد ولد بالحاوي سنة ١١٠٥هـ وأدرك حظًّا وافيًا من علوم الشريعة وتوابعها، وحفظ القرآن والمتون ودلائل الخيرات، وديوان شعر أبيه.

كان يميل إلى الوحدة والهدوء والابتعاد عن الناس، وكان عابدًا، ناسكًا، صالحًا.

لزم أخاه الحسن مدة بعد وفاة والدهما، متتلمذًا عليه، ثم سافر إلى الإحساء، ثم العراق، ثم عمان، حيث استقر ببلدة صير، ولاقى من أهلها احترامًا ومحبة وإقبالاً، على الرغم من انتشار العقائد المخالفة بالجهة.



كان السيد زين العابدين شاعرًا، وكان الإمام يستمع إلى أشعاره وأغانيه أحيانًا. أعجبته البصرة فامتدحها فقال:

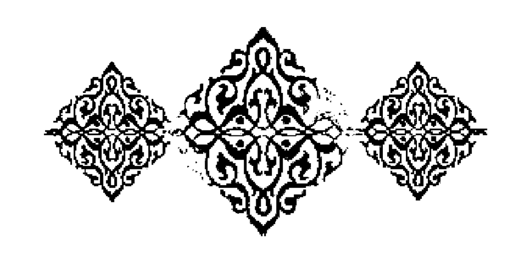
ما أحسن البصرة الفيحا وأزهارها ... كأنهـا جنـة قـد طـاب مجناهـا
نهـر الفـرات الذي طابـت موارده ... يطوف حومتـه الخـضرا وأرجاها
يـأتي إلى أهلها يـروي البقاع ولم ... يـترك زيارتهـا يومًـا وينسـاها
يا أهلها قيّدوا بالشـكر نعمتكم ... فالشـكر قيـد من المـولى لإبقاها
وجانبـوا الظلم إن الظـم ذو ظلم ... كمـا أتى في حديـث المصطفى طه
داوموا على الأمر بالمعروف دأبكم ... والنـهي للمنكـر إن أحببتـم الله

واشتاق إلى تريم في غربته فقال:

تعـوّد قلـبي الحـزن مـذ فـارق الغنا ... فصرت حليف الوجد في الحس والمعنى
مـتى مـر بي ذكـر الربـوع وأهلهـا ... تهيـج أشـواقي إلى ذلـك المغـنى
منـازل أحبـابي وأهـلي وسـادتي ... وقصدي ومقصودي ومطلبي الأسـنى
فمهمـا جـرى ذكـر الديـار تحركـت ... شـجوني وعفت العيش الرائـق الأهنا
أيـا صاحبي هل عهدنا السـالف الذي ... مـضى عائـد أوهـل لرجعتـه إدنـا
فقلـبي إلى هـذا مشـوق ومغـرم ... وجسـمي من طول البعـاد غدا مضنى
رعى الله أيامًـا تقضـت بسُـوحهم ... بعيـش هنيـئ مـا ألذ ومـا أهنـا

توفي السيد زين العابدين بصير سنة ١١٥٧هـ، والذي صلى عليه السيد علي بن الحسين بن عبد الله الحد... وهو الذي دفنه وبنى عليه القبة، ثم قام بجميع أثقاله وزوجاته، وبنته وعبيده وخدمه ومن يعوله، وعمّر ال... أحسن عمارة.

وقد ترجم للسيد زين العابدين العلامة السيد عبد الله بن جعفر مدهر.



الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونِ
آلُ الحَدَّادِ مِنْ وَفَاةِ الإِمَامِ إِلَى اليَومِ

ظـل العلم والولاية والصـلاح ظاهرين في بيت الحداد إلى يومنا هذا، وكان منهم كما قال الإمام عبد الله حداد «الظاهر المشهور، ومنهم الخامل المستور». كما أن منهم من ذُكرت سيرته باختصار، ومنهم من أُلِّفَتْ في مناقبه المجلداتُ، ومنهم من لم يتيسر الوقوع على ترجمة له على الإطلاق. ولما كان الغرض من هذا الفصل هـو إظهار سريان أسرار العلوم والولاية في هذه الذرية المباركة إلى يومنا هذا، فقد اقتصرنا على ذكر من تيسر الوقوف على شيء من ترجمته ومناقبه.

ولا بـد أن نذكـر كذلك الحبيب عمر بن علوي الحداد، وهو شـقيق الإمام عبد الله الحداد وتلميذه، تربى على يديـه وسـلك على يديه، وجـاء من ذريته الأئمـة والفحول من الرجال، ويعرف نسـله اليوم من السـادة آل حداد، بآل عمر، كما يُعرف نسل الإمام الحداد بآل عبد الله.



قبور أولاد وأحفاد الإمام عبد الله الحداد بمقبرة زنبل ببشار بتريم

آل عبد الله
من ذرية الإمام الحسن بن عبد الله الحداد:

الحبيب أحمد بن الحسن: ١١٢٧ - ١٢٠٤هـ

ولد في ٢٧ شـوال سـنة ١١٢٧ هجرية، ونشـأ على منوال أبيه وجده، فنبغ في العلوم كلها، وكان جده الإمام عبد الله قد بَشّر والدته أيام حملت به قائلاً: حملتِ بعالم تريم.

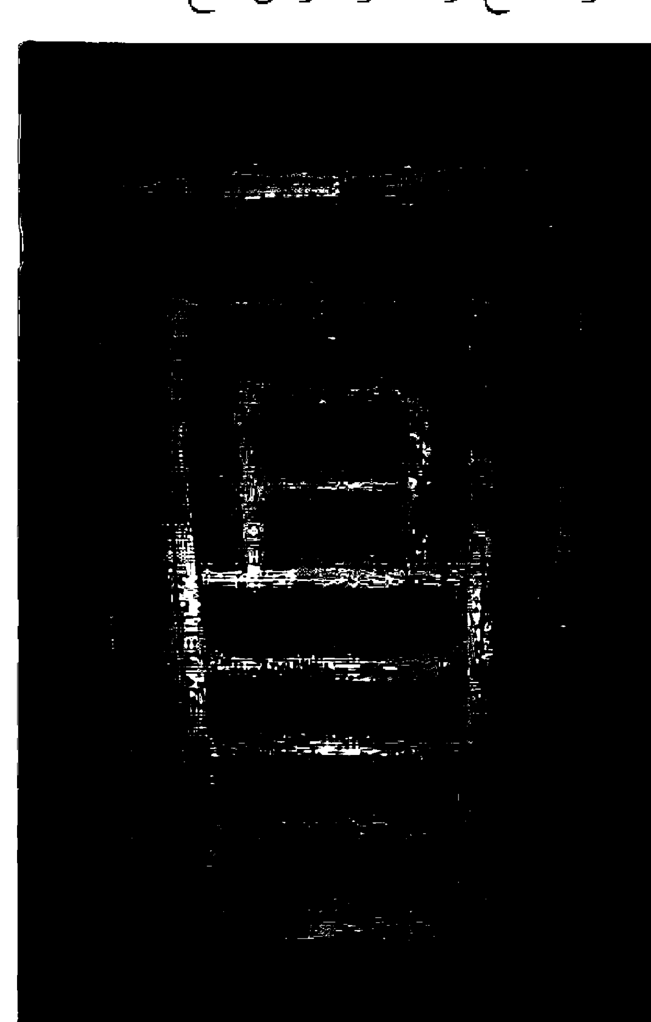
قال العلاّمة محمد بانافع: نحن وقت البلوغ أنا والحبيب الشيخ أحمد، نطالع في الكتب النافعة خصوص الفقه مع حدة الطلب، من بعد صلاة العشاء مع الجماعة وقراءة الراتب إلى طلوع الفجر.

وقال له ولده الحبيب علوي بن أحمد ذات مرة: إن سيدي الحسن يقول: من سن التمييز ما أعرف صليت إلا مع الجماعة في أول الوقت بلا عجلة، ولا نمت على جنابة، ولا تركت صلاة التسبيح كل ليلة في قيام الليل، ولا تركت الاستخارة في كل أمر.

فأجابه الحبيب أحمد: وأنا كذلك ما نمت أبدًا على جنابة، ولا صليت منفردًا.

وكان الحبيب أحمد مواظبًا على جميع ما رأى والده عليه، من ملازمة عبادات وأوراد وعادات جده عبد الله الحداد.

ولما حج سنة ١١٧٥ هجرية، ضرب المركب الذي كان به على جبل في البحر الأحمر، وغرق أكثر الركب وتعلق الحبيب أحمد ومن معه بأخشاب المركب، وظلوا هكذا خمسة أيام، وظهرت كرامات كثيرة، وبقي الحبيب ثابتًا في هذه الأهوال فلم يترك فرض صلاة، بل كان يتوضأ ويصلي بالإيماء، ولما خرج من مرسى القنفذة مركب لإنقاذ من بقي منهم.. أمرهم الحبيب أن يطلعوا الجميع، وكان هو آخر من طلع.



قبر الحبيب أحمد بن الحسن بن الإمام عبدالله الحداد

وللحبيب أحمد بن الحسن الكثير من المؤلفات منها: «سفينة الأرباح»، جمع فيها جملة من العلوم المفيدة في ثلاثة أجزاء.

و"القول الصواب"، وهو مجموع فتاوى فقهية.

و"سبيل الهداية والإرشاد"، وهو شرح على راتب الحداد.

و"بغية المحتاج إلى معرفة مناسك المعتمر والحاج".

وقد هذّب كتاب «تثبيت الفؤاد» الذي جمعه الشيخ أحمد الشجار من كلام الإمام الحداد، فجمع الحبيب أحمد كل كلام مع ما يوافقه.

وله عدة مؤلفات أخرى.

توفي (رضي الله عنه) بالحاوي في السابع والعشرين من رجب سنة ١٢٠٤ هجرية.

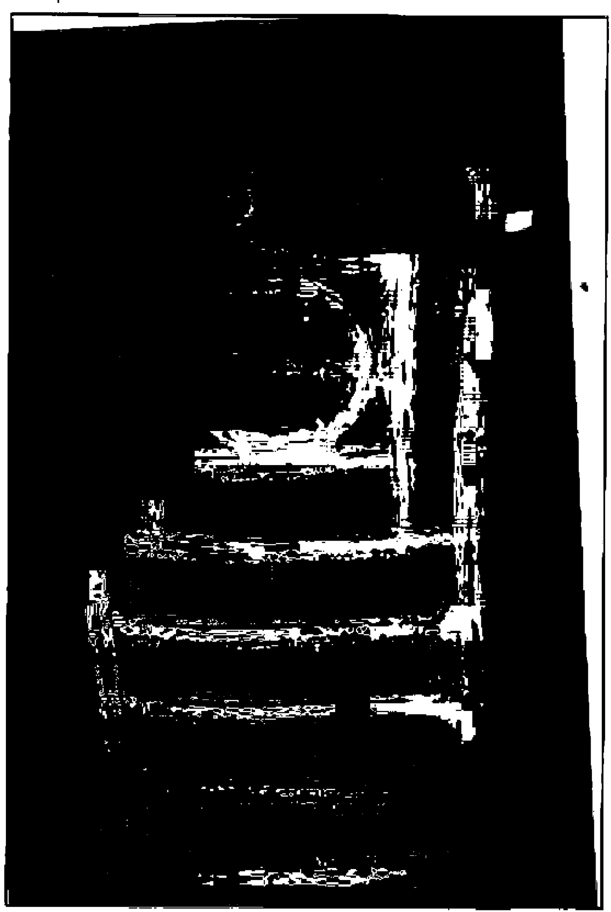
الحبيب عمر بن أحمد بن الحسن: ١١٥٩هـ/ تاريخ وفاته غير معلوم

أكبر أولاد الحبيب أحمد بن الحسن، ولد بحاوي تريم في شعبان ١١٥٩ هجرية، وتربى على جده ووالده، وكانا يحبانه حبًا كثيرًا.

وقد أجازه جدُّه للتدريس في حياته، وقد أخذ عن علماء وقته، ومنهم الحبيب العلاّمة عمر بن زين بن سميط والحبيب العلاّمة حامد بن عمر حامد وغيرهما.

وكان والده لا يدعه يفارقه لسفر ولا لغيره إلا لحجة الإسلام سنة ١١٩٦ هجرية.

وكان الحبيب عمر آية في السخاء والبذل للمال، ولم يترك عادة أو عبادة مما كان عليه أسلافه إلا وقام بها خير قيام.


قبر الحبيب عمر بن الحسن

وصار بعد وفاة والده هو المقدم على إخوانه والقائم في مقام الإمام عبد الله الحداد، وكان إخوانه معاونين له، فسلكوا نهج أسلافهم في التدريس، والإنفاق، وعمارة الأوقات، وإيواء القاصدين، والضيافات المعتادة، والوعظ، والإرشاد، ورعاية طلبة العلم.

وكان للحبيب عمر فصاحة في المنطق، وسخاوة في النفس، لا يبالي بالدنيا أقبلت أم أدبرت، يكره الشهرة والظهور، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وله (رحمه الله) رسائل ووصايا عديدة مفيدة.

وله أجوبة على مسائل فقهية، وله نظم حسن، وإلى الآن لم يُطْبع من هذه شيء، وقد ترجم له أخوه علوي في «المواهب والمنن»، وذلك أثناء حياته فلم يذكر تاريخ وفاته.

الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن: ١١٦٣ - ١٢٣٢هـ

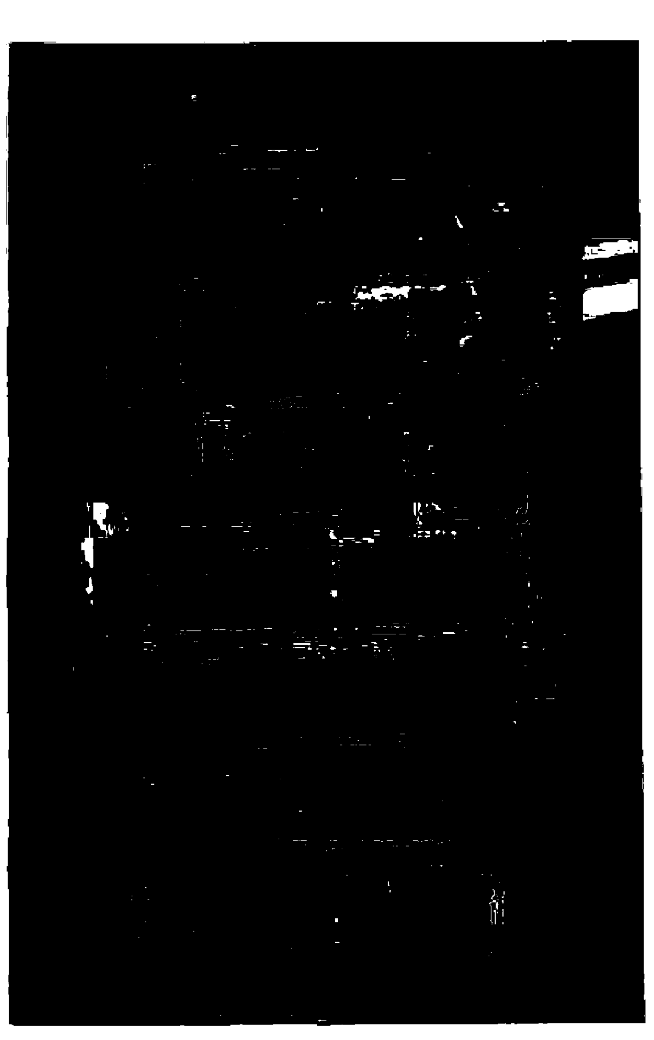
السيد الإمام، العارف بالله، بحر العلوم الجهبذ، ولد بتريم في الثاني عشر من رمضان سنة ١١٦٣ هجرية، وتربَّى على جده ووالده.

سماه جده علويًا، باسم أخيه الحبيب علوي بن الإمام عبد الله الحداد، فكانت تذكر عن الحبيب علوي بن عبد الله أشياءُ لاحظها الحبيب علوي بن أحمد في نفسه، فيما بعد، منها: أنه إذا توجه بصدق نيّة تيسرت الأمور بسرعة، وإذا استغرق في الدعاء ينسى ما حوله، ولا يحس بما يقع.

ختم الحبيب علوي القرآن، وقرأ في العلوم النافعة على الطريقة المعروفة عند السادة.

يقول الحبيب علوي في كتابه «المواهب والمنن»: تربينا في حجر الأكابر، السادة الأطهار، أُولي المعر... والاستبصار، حتى خوفونا من النار، ورَجَّوْنا بالجنة، وعرفونا حقوق القهّار، وسُنّة سيدنا النبي المختار ﷺ قبل أن نقرأ ونكتب ونتعلم.

وقد سافر إلى الحرمين الشريفين، واليمن، وعمان، وبلاد فارس. وأخذ عن جملة من علماء وقته في اليمـ... وحضرموت، والحجاز.



قبر الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن بن الإمام عبد الله الحد...

له من المؤلفات ما ينيف على المئة.

وهو أكثر السادة العلويين تأليفًا فيما بلغنا والعلم عند الله.

ومن مؤلفاته: «المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن».

و«أحسن القول والخطاب في بيان أفضلية الأصحاب».

و«الواضحات الأدلة في أحكام الأهلة».

و«السيف والسنان لمن حَكَّم الفلك والهندسة على مذهب ابن عدنان».

و«القول التام في دعوة العوام».

و«القول الواف في معرفة القاف».

و«الإفادة في عد من تصح منهم الجمعة بلا إعادة».

و«مصباح الأنام وجلاء الظلام».

تُوفي (رضي الله عنه) بالحاوي، في ربيع الأول سنة ١٢٣٢ هجرية.

الحبيب حسن بن حسين بن أحمد بن الحسن بن عبد الله الحداد:

منصب الحداد في وقته، كان عظيم الحال. وكان من أجلّ من أخذ عنه الحبيب صالح بن عبد ... العطاس، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، صاحب «عقد اليواقيت الجوهرية».

قال الحبيب علوي بن عبد الله بن حسين بن طاهر: لما مرض والدي واحتضر، قال لي: إطلع إلى سطح الدار وانظر إلى الطريق، هل الحبيب حسن بن حسين الحداد أقبل؟ فطلعت، ونظرت إلى الطريق، فلم ...

حدًا، فأخبرت والدي، فسكت ساعة، ثم قال لي: إطلع وانظر. فطلعت، ونظرت، فإذا أنا بالحبيب حسن قد قبل، راكبا على دابته، ومعه خادمه. فأخبرت والدي بذلك، فقال: تَلَقَّه حالاً، وادخل به إلى عندي. فلما خل الحبيب حسن الدار، قلت له: الوالد منتظرك. فطلع الحبيب حسن إلى عند الوالد، وقبّل يديه، فأخرج الد سواكًا، وقال: يا حسن، شُف هذه الأمانة التي طرحها جدك عبد الله حداد عندي. خذها، فإني أديت لأمانة. وأنا باقدم على مولاي الليلة، لا تسير مكان الليلة، إحضر جنازتي. وتوفي الوالد في تلك الليلة، وحضر لحبيب حسن جنازته. قال الحبيب علي الحبشي: كأن الحبيب عبد اله بن حسين بن طاهر أُدع شيئًا من مقام الحبيب عبد الله حداد، فأعطاه الحبيب حسن.

توفي بالحاوي في ربيع الأول سنة ١٢٨١ه، ودفن بجوار الإمام عبد الله الحداد.

الحبيب علي بن حسن بن حسين بن أحمد بن الحسن: ١٢٣٨ - ١٣٠٩هـ

وُلد بحاوي تريم، وأخذ عن والده أخذًا تامًا، وعن جملة من علماء وقته، ثم خلف أبيه في القيام بالمنصبة حدادية، فقام بها أتم قيام.

تتلمذ على يديه جملةٌ من الأفاضل، منهم ولده العلامة الحبيب عبد الله بن علي، والسيد العالم عبد القادر بن أحمد الحداد، والحبيب العلاّمة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب.

الحبيب عبد الله بن علي بن الحسن: ١٢٦١ - ١٣٣١هـ

العلاّمة العامل، الفاضل الزاهد، المتقشف، ذو العزلة والخلوة والرياضة.

ولد بحاوي تريم، ونشأ في كنف أبيه وجده، وعليهما كان جُلُّ أخذه وانتفاعه. سافر إلى الحرمين الشريفين، جاور فيهما مدةً، ثم إلى أندونيسيا حيث وافته المنيّة.

وكان ممن أخذ عنه الحبيب: العلاّمة محمد بن أحمد المحضار وعلي بن عبد الرحمن الحبشي والإمام الحبيب حمد بن محسن الهدّار.



من ذرية الحبيب علوي
ابن الإمام عبد الله الحداد :

الحبيب عمر ابن أبي بكر بن علي بن علوي الحداد : ١١٨٥ - ١٢٥٣هـ

ولد بحاوي تريم، وتُوفي والده بعد مولده بسنة، فتربى على جده الإمام علي بن علوي بن عبد الله حـ وعلى السيد الجليل الإمام أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد.

تزوّج في قيدون واستقر بها، وقام بوظيفة الإمامة في مسجد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي.

وسار على نهج أسلافه من تقسيم أوقاته بين العبادات، والتدريس، والدعوة إلى الله.

وكان على قدم من الزهد، فظل حتى وفاته بقيدون نازلاً في بيت استأجره، ولم يمتلك لنفسه دا... يضع لبنة على لبنة.

وقد ذكروا له من الأولاد، السيدين: أبي بكر وعلوي، وكانا من العلماء العاملين، وتوفيا بمكة ودفنـ... والسيد الإمام الكبير طاهر بن عمر.

الحبيب طاهر بن عمر الحداد : ١٢٤٩ - ١٣١٩هـ

ولد بقيدون، وتوفي والده وهو صغير، فتربى على أخيه العالم الإمام علوي بن عمر ووالدته الصالحة عـ... بنت الحبيب العارف بالله محمد بن أبي بكر بافقيه.

حفظ القرآن والمتون في صغره، وجالَس العلماء والعارفين، ومنهم الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، و... من تلاميذ والده.

طلبه أهل بلده للقيام بوظيفة الإمامة في مسجد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، فقبل وجلس في هـ... المسجد للتدريس والدعوة.

وكان لا يخلو نَفَسٌ من أنفاسه، ولا لحظة من لحظاته، من طاعة.

وكان يقول: بركة الأوقات في توزيعها، وكان ممن إذا قيل له: إنك ميت غدًا، لم يجد موضعًا للزيادة عـ... هو عليه من الإقبال على الآخرة والاشتغال بالأعمال الصالحة.

وكان ممن لا تذكر الدنيا ولا الغِيبة في مجلسه، وإن وقعت فلتة من أحد أسكته، وأمره بقراءة الإخلاص ثلاثًا، وهبةِ ثوابها لمن اغتابه.

وكان على درجة عظيمة من الحلم والعفو والصفح والسماحة والزهد والورع والتواضع.


قبة الحبيب طاهر بن عمر الحداد بقيدون

وكان يدعو إلى الله، ويعلم الجاهل، ويعين الفقير والسائل، ويرتب العطايا في المواسم والأوقات الشريفة - كرمضان وعرفة وعاشوراء وغيرها - للأرامل والأيتام من أهل بلده.

وكان يكرم الضيف إكرامًا كبيرًا، ويسعى في الإصلاح بين الناس.

وقد أخبر بعض السادة من آل الشيخ أبي بكر بن سالم الحبيب أحمد بن محمد المحضار أنه رأى النبي (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) في صورة الحبيب طاهر بن عمر فقال له: إن الحبيب (ﷺ) إذا أحب أحدًا من أولاده يُرَى على صورته.

وأضاف مؤلف «قرة الناظر»: صفة الحبيب طاهر كصفته صلى الله عليه وسلم، رَبْعُ القامةِ، أبيض اللون، كث اللحية. قال الحبيب علي بن محمد الحبشي: لما جئت سابقا إلى قيدون أيام زيارة الشيخ سعيد المشهورة سمع الأخ طاهر بن عمر الحداد هاتفا يقول: صاح شاؤوش الإشارة بالبشارة للناس أجمعين: قم يا طاهر بن عمر، عارض (أي استقبل) علي حبشي وأحمد بن حسن! فتلقانا إلى خارج البلد، ولما أقبل علينا قال لنا أخونا أحمد بن حسن إنه أقبل هو والشيخ سعيد، أما نحن فما رأينا شيئًا. ولكن الأخ أحمد بصيرته نافذة، قال: هذا الشيخ سعيد عن يمين الحبيب طاهر.

قال الحبيب علي الحبشي: وقد رأيت في إحدى زياراتي للشيخ سعيد نورًا ملأ الوجود، وفيه صورة نورانية مبرقعة، فقلت لأحد بجانبي: ما هذا؟ فقال لي: هذا جود الله! فقلت له: وما هذه الصورة النورانية؟ فقال: هذا الشيخ سعيد يتغمس في جود الله.

وسبحان الله، قد انطوى الحبيب طاهر في الشيخ سعيد، وانطوى الشيخ سعيد في الحبيب طاهر، حتى لقد حصل لنا الشيخ سعيد في تلك الزيارة ضيافة برزخية، وكان القائم عليها الحبيب طاهر.

ومعروف عن الحبيب طاهر أنه كان يزور الشيخ سعيد عقب كل صلاة في مسجده.

وقد تأثر الحبيب طاهر كثيرًا بوفاة ولده محمد سنة ١٣١٦ هجرية؛ إذ كان يحبه حبًا جمًّا ويحترمه ويعظمه، وتوفي بعده بثلاث سنوات، وكان آخر ما قاله: يا أرحم الراحمين يا حيّ يا قيوم، ثم أخذ يهلل حتى فاضت روحه الشريفة.

الحبيب محمد بن طاهر الحداد: ١٢٧٣ - ١٣١٦هـ

ولد بقيدون، ورأى والدُه ليلة ولد النبيَّ (ﷺ) يقول له: وُلِد لك الليلةَ وَلَد واسمه محمد الطاهر وشـ... الحمد)، فسماه محمدًا، بعد أن كانت نيته أن يسميه عمرَ على اسم أبيه، ووجدت في رأس المولود شعرة بيـ...

حفظ القرآن في ستة أشهر، وكان يحفظ كذلك في «الإرشاد»، و«ألفيّة ابن مالك»، من غير أن يطلع ... على ذلك، خوفًا من أن يمنعه من حفظهما حتى يتم القرآن.

جمع العلوم ومنها المنطق والبيان والمعاني، واشتهر بين الناس بالصلاح والأخلاق النبوية، وكان كريمًا جو...

وكانت جميع قضايا دوعن ومحاكماته ومشكلاته ترد إليه كأن لم يكن هناك واليًا ولا حاكمًا سو...

وكان يتباسط مع الناس، ويؤنسهم، ويعرض عما يصدر من الأجلاف من سوء أدب.


مقام الحبيب محمد بن طاهر الحداد بإندونيسيا


قبر الحبيب محمد بن طاهر الحداد

وكان يلاطف المبتدئين من طلبة العلم ويجود عليهم بالعطايا.

رحل إلى الحجاز سنة ١٣٠٥ هجرية، وعمره يومئذٍ اثنتان وثلاثون سنة، وقد صار من الأئمة الدعاة البارزين، الذين يتخرج عليهم العلماء والأولياء، ويقتدي بهم العوام والخواص، فلما وصل إلى مكة أخذ يبسط الموائد كل يوم يأكل عليها الستون أو السبعون نفرًا، وأطلق العطايا على أهل الأربطة والعلماء، ومشايخ الحرم، وطلبة العلم، وحضر مجلسه العلماء من جميع المذاهب، وكان يجلس للناس، حتى إذا ذهبوا أخذ يطالع ويقرأ حتى يسكن الخلق، فيخرج فيطوف وقد يجلس في مواجهة الكعبة آخر الليل.

ولما خرج بعد الحج إلى المدينة أمر أصحابه بإكراء جَمَلٍ لكل ضعيف يرونه من المشاة.

وكان يمد المائدة للركب، وينادي في القافلة يدعو الجميع إليها.

وفي المدينة المنورة استمر على نهجه المعهود في إطعام الطعام وبذل العطايا والهبات للعلماء والصحـ... وطلبة العلم والفقراء والمساكين، كلٌّ على قدره، وكان أكثر ذلك سرًّا، وكذلك كل نفقاته وصدقاته في الحرمـ... وغيرهما كانت سرًّا، لا يظهر منها إلا القليل.

وكان (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) كثير الأسفار والتنقلات، سافر إلى الهند مع شيخه الحبيب محسن بن عمر العطاس سنة ١٢٩٣ هجرية، وظل بها عدّة أشهر، وسافر إلى أندونيسيا عام ١٢٩٨ هجرية، ثم إلى الهند ثانية سنة ١٣١٢ هجرية، ثم سنة ١٣١٥ هجرية، ثم إلى أندونيسيا.

وكانت زيارته الثانية للحرمين سنة ١٣٠٨ هجرية، وبعدها عاد إلى أندونيسيا ليتوفى بها عن اثنتين وأربعين سنة، أعطاه الله فيها من الأعمال الصالحة، والهمة في الدعوة والإرشاد، والتوفيق في ذلك كله، ما لا يطمع كبار الصالحين في تحقيقه في أضعاف هذا العمر.

وخلفه ولده الصالح الإمام الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد.

الحبيب علوي بن محمد بن طاهر: ١٢٩٩ - ١٣٧٣هـ



الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد

ولد بقيدون، وبها طلب العلم وأخذ عن والده وجده وكثير من أئمة عصره، كالسادة: أحمد بن حسن العطاس، وعيدروس بن عمر الحبشي، وعلي بن محمد الحبشي، وعبد الرحمن بن محمد المشهور، وغيرهم.

وسار على نهج آبائه، من التخلق بالأخلاق النبوية، والتمسك بالسيرة السلفية.

سافر إلى أندونيسيا واستقر بها.

وكان مثالاً للعالم العامل، فجعل الله له فيها الصدارة والزعامة، وقصده طلبة العلم وأصحاب الحاجات، فلم يزالوا يجدونه كريمًا سخيًا، جوادًا سمحًا رحيمًا، حتى توفاه الله بمدينة بوقور بأندونيسيا في شهر المحرم من عام ١٣٧٣ هجرية.

من ذرية الحبيب حسين ابن الإمام عبد الله الحداد:

الحبيب عبد الله بن حسين بن عبد الله الحداد: ١١٥٥ ١٢١٧هـ.

وُلد بحاوي تريم، وأخذ عن عمه الإمام الحسن بن عبد الله وابن عمه الإمام أحمد بن حسن وعن الكثير من أهل طبقتهم، ثم تنقل في الأمصار داعيًا ومرشدًا، إلى أن استقر به المطاف بأرض الهند، وظل بها حتى وفاته.

ومن أبرز آثاره: قيامه ببناء زاوية جده الإمام الحداد، بشِعْب جياد من بلد الله الحرام، فأنفق على عمارتها الكثير من ماله الخاص، وذلك في عهد الشريف سرور بن مساعد والي مكة.

وممن عرفناهم وعاصرناهم من ذرية الحبيب الحسن بن عبد الله: **السيد العالم الفقيه علي بن عيسى بن عبد القادر الحداد** صاحب سنغافورة، رحمه الله تعالى.

وقد قام السيد علي بجهد كبير في طباعة ونشر مؤلفات جده الإمام الحداد.

كما أن له من المؤلفات كتاب «نور البصيرة»، وقد طبع في مصر.

و "إثارة الوجد شرح أحبتنا بنجد"، وهو شرح قصيدة الإمام الحداد التي مطلعها: أحبتنا بنجد والصحيح

توفي رحمه الله سنة ١٤١٠ هجرية.

وكذلك أكرمنا الله (عز وجل) بلقاء السيد الفاضل، العالم، الفقيه، **عبد الله بن محفوظ الحداد**، صاحب المؤلَّف القيّم: «السُّنّة والبدعة»، والمتوفى بالمكلا.

تخرج في كلية أصول الدين بالخرطوم، وأخذ عن الكثير من أكابر وقته، وتولى رئاسة القضاء بحضرموت إلى أن آثر الاستقالة؛ لعدم قبوله لتدخل الحكومة الشيوعية حينئذٍ في شؤون القضاء، ثم تولى التدريس بكلية التربية بالمكلا، والخطابة في جامع عمر.

توفي (رحمه الله) منذ سنوات ودفن بالمكلا.

آل عمر

السيد عمر بن علوي بن محمد الحداد - شقيق الإمام عبد الله الأصغر

ولد بتريم وتربى بأخيه الإمام. وله منه وصية أملاها الإمام سنة ١٠٧٥ هجرية بالتماس منه، قال له فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾.

الحمد لله الذي جعل طاعته وتقواه وسيلة العبد وطريقًا له إلى جميع الخيرات والكرامات، في آخرته ودنياه، وجعل معصيته ومخالفة أمره سببًا للعار والنار في الدنيا وفي دار القرار.

وصلى الله وسلم على النبي المختار، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه السادة الأخيار.

أما بعد، فإني أوصيك - بارك الله فيك وتولاك، ولحظك بعين عنايته ورعاك، وكان لك بما كان به لعباده الصالحين في سرك ونجواك - أوصيك بتقى الله الذي خلقك وخلق كل شيء، بالمحافظة على الصلوات الخمس، واحذر من إضاعتها، ومن إخراج شيء منها عن وقته، وأحسن ركوعها وسجودها، وتدبر القراءة فيها، وكن خاشعًا لا تلتفت ولا تحرك شيئًا من أطرافك حال صلاتك. واعلم أن من لم يحافظ على الصلوات مات قلبه، وتعسّر رزقه، وسخط عليه ربه.

وأكثر من قراءة القرآن في كل وقت، واحذر من العجلة ومن الكلام الأجنبي حال القراءة.

وأكثر من الذكر لله في جميع أحوالك، فإنه حصن حصين للإنسان من الشيطان ومن جميع الآفات.

واحترز من المعاصي جميعها، ولا تقرب شيئًا منها صغيرًا ولا كبيرًا، فإن فيها الشر كله، وفيها هوان الدنيا والآخرة، والمرتكب لها بعيد من الله ومن كل خير.

وعليك بالوقار والسكينة، والتثبت في جميع أمورك، ولا تدخل في شيء من الأمور حتى تشاور فيه من هم أعرف به منك.

واقبل نصيحة من نصحك، واحترز من كثرة الكلام وكثرة الضحك و المزاح، ومن الاستهزاء بأحد من المسلمين، وإن كان حقيرًا في الظاهر. ولا تخض فيما لا يعنيك، واجتنب مخاصمة الناس ومنازعتهم في الكلام رأسًا. واحفظ لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك وجميع جوارحك عن كل ما حرم الله عليك. واحذر من النظر والاستماع إلى شيء لا يحل لك نظره واستماعه، واجتهد كل الاجتهاد في حفظ الفرج. واعلم أن الله يراك على الدوام، فاجتهد أن لا يراك على شيء حرمه عليك، ولا يفقدك عند شيء أمرك به.

واحذر من صحبة الأنذال والأرذال ومن مخالطتهم، ولا تصحب ولا تجالس إلا أهل الخير. وإن بليت بالأشرار في بعض الأوقات، فاجتهد في سلامة دينك وعرضك منهم.

والحذر من الكذب قليله وكثيره، فإنه شين في الدين والدنيا، ومن غيبة المسلمين والكلام عليهم من ورائهم، ومن تتبع عوراتهم وتطلب الوقوف عليها، فإن ذلك يسخط الله ويغضبه على فاعله.

ولا تقتد إلا بسلفك، ولا تتشبه إلا بأهل الدين والصلاح في جميع أمورك وفي جميع أحوالك.

ولا تسرف في مطعم، ولا ملبس، ولا شيء من الأشياء، فإن الله لا يحب المسرفين.

واعلم أن الخير والشرف والعز والكرامة عند الله وعند خلقه في التزام الطاعات، في العمل بها، واجتناب المعاصي، والبعد عنها. فعليك بذلك، بارك الله فيك.

وعليك بقراءة سورة يس عند الصباح وعند المساء، وعند كل مهم، وعند كل خير تقصد حصوله، وعند كل سوء تخافه، فإنها في القرآن بمنزلة السلطان بين الرعية، ولا يقرأها صادق لجلب خير أو دفع شر إلا ويحصل على مطلوبه.

وعليك بقراءة {لإيلاف قريش}، فإن فيها سرًا عظيمًا لدفع المخاوف والفاقات.

واقرأ إذا أصبحت وإذا أمسيت وعند النوم الفاتحة، وآية الكرسي، وآمن الرسول إلى آخر السورة، وسورة الإخلاص والمعوذتين (ثلاثًا)، وقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثًا). بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض الخ (ثلاثًا). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (عشرًا). بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (عشرًا). اللَّهُمَّ صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
(عشرًا). حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبعًا). سبحان الله وبحمده عدد
خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته (ثلاثًا). يا الله، يا حفيظ، يا لطيف، يارحيم، يا هادي، يا
رزاق، أحفظني والطف بي، وارحمني واهدني وارزقني (ثلاثًا).

فاحفظ هذه الوصية، وتمسك بها، واعمل بمقتضاها، وكن مخلصًا لله، حامدًا لله، شاكرًا لله، متعلقًا بالله،
متوكلاً على الله، تائبًا إلى الله، مكتفيًا مستعينًا واثقًا بالله.

لا تتعلق بالخلق، ولا تعتمد عليهم؛ فإنهم لا يملكون مع الله ضرًا ولا نفعًا، ولا عطاءً ولا منعًا. ومن
أحسن إليك منهم، فاشكر الله، ثم اشكره، ومن أساء إليك منهم فكِل أمره إلى الله، ولا تكافئه بإساءته.

ولا تقل، ولا تسمع، ولا تنظر، إلا خيرًا. وكن سليم الصدر لجميع المسلمين. لا تضمر في نفسك حقدًا
ولا حسدًا، ولا غشًا، ولا بغضًا، لأحد منهم. المحسن منهم له إحسانه، والمسيء عليه إساءته. قال الله تعالى:
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾؛ وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾؛ وقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

هذه وصيتي لك، والله الخليفة عليك، وهو يتولى الصالحين.

كن صالحًا حتى يتولاك، وإذا تولاك فلا تحتاج لأحدٍ من الخلق.

أدام الله توفيقك، وزودك التقوى، ويسّر لك الخير أينما توجهت، وكان لك حيثما كنت، وإيانا وأحبابنا
وجميع المؤمنين والمسلمين، إنه أرحم الراحمين.

أملاها العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن علوي الحداد الحسيني، عفا الله عنه عن أسلافه، بالتماس
من أخيه السيد عمر بن علوي الحداد باعلوي، كان الله له، ووفق الجميع لمرضاته. وكان ذلك يوم الحادي
حادي عشر المحرم، أول شهور سنة ١٠٧٥هـ (انتهت الوصية)

توفي الحبيب عمر بتريم، وخلف ستة من الذكور.

الحبيب عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه، المشهور بالهدّار ١٢١٨ - ١٢٩٤هـ

قال صاحب «نور الأبصار»: إشتهر بالهدّار من زجله بالأذكار، وهديره عند ورود الأحوال بالأذكار.

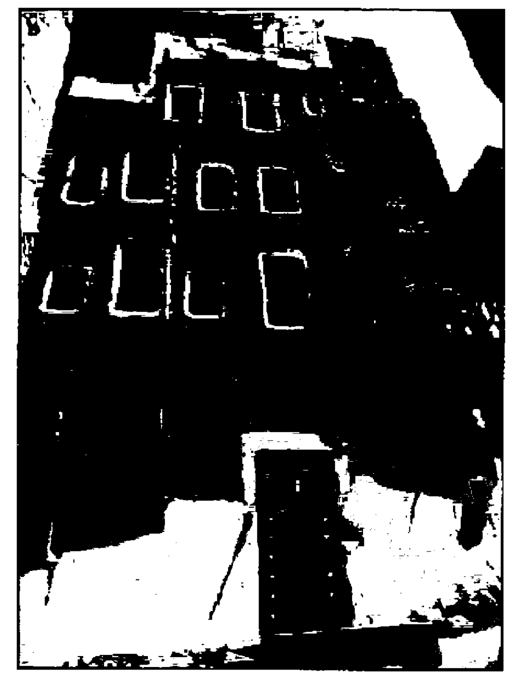
ولد بجاوي خلع راشد المعروف اليوم بحوطة أحمد بن زين عام ١٢١٨ هجرية، وتوفي بها سنة ١٢٩٤ هجرية
يوم الأحد أو الإثنين غرة ربيع الأول.

تربى تحت كنف أبيه، ونشأ على سمت الهدى والرشاد، وكمال الإقبال والاستعداد، تلوح على وجهه
السعادة، ويفوح من عبير شمائله أرج السيادة.

قرأ القرآن، وحفظه عن ظهر قلب، ومكث بشبام ثلاث سنين في سبيل إجادة حفظه، وضَبْطِ تجويده ولفظه، وكذلك قرأ بها المختصرات الفقهية والأدبية، كما هو دأب أمثاله من السادة العلويين، وكذلك كما هو دأبهم رحل لطلب العلوم النافعة، فسار إلى تريم وسيؤون والمسيلة وشبام ودوعن وزبيد والحجاز وغيرها، ثم جاءته العناية الربّانية، وتواترت عليه الواردات، وكان يكثر من شرب الماء، وقد قال العارفون: إن الله تجلى عليه بأسماء الجلال، ولذلك التجلي حرارة تدفعه إلى الإكثار من شرب الماء.

خلف سبعة من الأولاد الذكور وهم: محمد وحسن وعمر وعلي وطه وطاهر وصالح.

الحبيب صالح بن عبد الله بن طه الهدار الحداد


منزل الحبيب صالح بن عبد الله الحداد بقيدون

ولد الحبيب صالح بقيدون سنة ١٢٧٩هـ وتتلمذ لخاله الحبيب طاهر بن عمر الحداد والشيخ عبد الله الخطيب، ثم رحل إلى الحجاز، حيث أخذ عن السيد العارف بالله والعلامة الشهير أحمد زيني دحلان، والسيد حسين بن محمد الحبشي، وسائر علماء مكة الكرمة، قبل أن يعود إلى مسقط رأسه قيدون للدعوة إلى الله ونشر العلم، فعقد المجالس وسار في القُرى.

أخبر عنه الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس أنه كما تشابهت سمائهما فسوف تتشابه أحوالهما؛ وقد عاش الحبيب صالح بن عبد الله الحداد حتى اتفق على قطبانيته الصالحون.

ثم انتقل إلى نصاب، حيث أشعل وصوله شعلة العلم في المنطقة، وحظي باحترام قبائل تلك البلاد وسلطانها أحمد بن حسن الفضلي، مما يسّر عليه السعي في الصلح بين القبائل وفض الخلافات.


قبة الحبيب صالح بن عبد الله الحداد بنصاب

وقد توفي بنصاب سنة ١٣٥٢هـ، وأقيمت على قبره قبة عظيمة، وخلفه في الدعوة ولداه محمد وأحمد، إلا أن الأول ما لبث أن توفي سنة ١٣٥٨هـ فدفن بجوار والده. أما الثاني وهو الحبيب أحمد، فقد تربى على والده، ثم بعد انتقاله أخذ عن أكابر وقته، ثم استقر في نصاب معلمًا وداعيًا إلى الله إلى أن استشهد حين قتله الشيوعيون قتلة شنيعة سنة ١٣٩٢هـ.

الحبيب عبد الله بن طاهر الحداد: ١٢٩٦ - ١٣٦٧هـ

ولد بقيدون عام ١٢٩٦ هجرية، كان عالمًا فقيهًا داعيًا ناصحًا صوفيًا عارفًا. أقام هو وأخوه السيد عمر رباط العلم بقيدون.



الحبيب عبد الله بن طاهر

أخذ عن أكابر العلماء العارفين، ومنهم من بيت الحداد عمه الحبيب صالح بن عبد الله، كما أخذ عن الحبيب طاهر بن عمر، ثم الحبيب محمد بن طاهر الحداد، وسافر معه إلى الهند سنة ١٣١٢ هجرية ولازمه، وقرأ عليه كتبًا كثيرة، وسافر معه إلى الهند ثانية، ثم إلى أندونيسيا، ثم عاد إلى قيدون، ثم سافر إلى أندونيسيا سنة ١٣١٦ هجرية وبقي بها إلى سنة ١٣٢١ هجرية، حيث أخذ عن أكابر السادة والعلماء هنالك.

ثم عاد إلى قيدون ولازم مع أخيه علوي الحبيبَ أحمد بن حسن العطاس، حج سنة ١٣٢٤ هجرية، ثم سافر مع أخيه علوي إلى أندونيسيا سنة ١٣٢٨ هجرية، ثم رجعا وأقاما الرباط بقيدون.

وكان للحبيب عبد الله بن طاهر الفضل الأكبر في مشروع جلب الماء العذب إلى مدينة قيدون من عين تبعد عنها مسافة ليست بالقليلة.

حج أربع حجات.

وله مؤلفات عديدة منها «قرة الناظر في مناقب الحبيب محمد بن طاهر»، وديوان شعر.

توفي بقيدون سنة ١٣٦٧ هجرية.

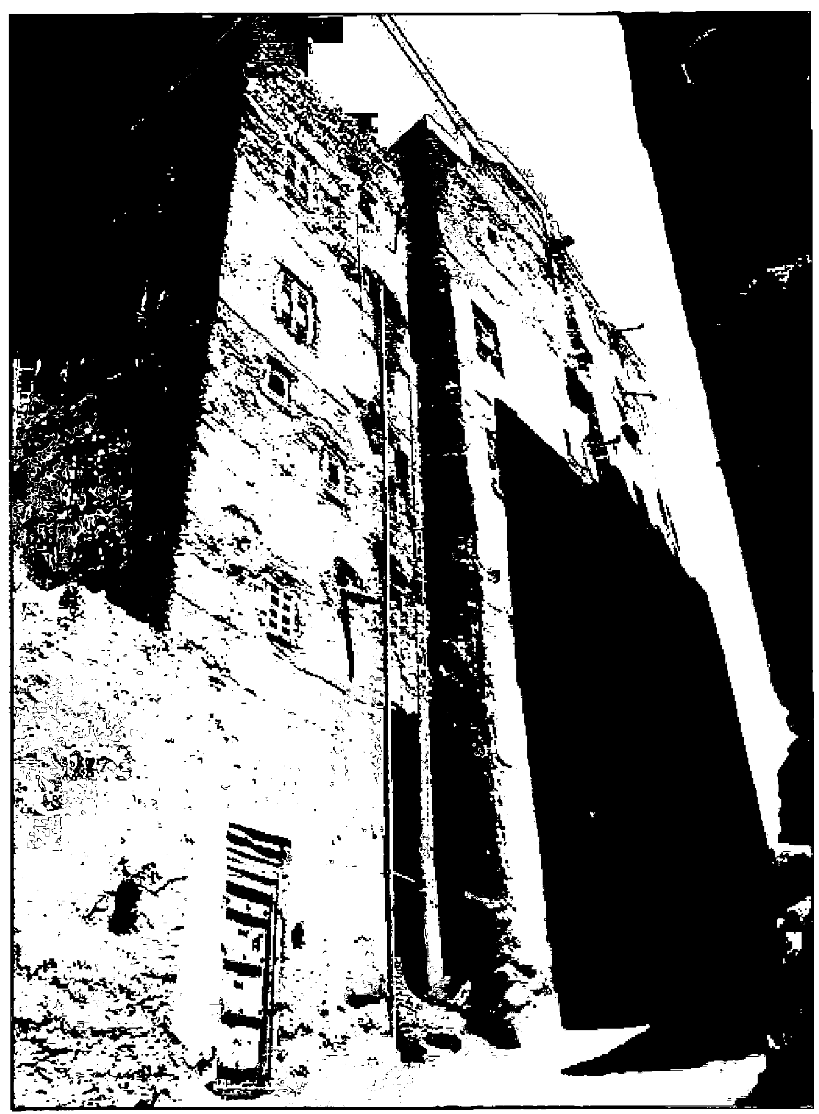
الحبيب علوي بن طاهر الحداد ١٣٠١ - ١٣٨٢هـ



الحبيب علوي بن طاهر الحداد

ولد عام ١٣٠١ هجرية بقيدون، وقد رُوي عنه أنه طالع «إحياء علوم الدين» كلَّه وهو لم يجاوز الثانية عشرة من عمره، وحفظ القرآن و«ألفيّة ابن مالك» معًا في ثلاثة أشهر!

ووهب الله له الذكاء اللامع، والفهم الثاقب، والحفظ السريع. أخذ عمن ذكرنا ومن لم نذكر من مشايخ أخيه الحبيب عبد الله بن طاهر. وبرع في التفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، والأدب، والتاريخ، وعلوم الفَلَك، والفلسفة.


منزل الحبيب عبدالله بن طاهر والحبيب علوي بن طاهر الحدا

تصدر للتدريس وللوعظ والإرشاد قبل أن يبلغ العشرين من العمر.

سافر إلى سواحل شرق أفريقيا والحبشة واليمن والحرمين الشريفين وأندونيسيا داعيًا إلى الله، ناشرًا للعلم.

سعى في بناء جامع أديس أبابا ومسجد آخر في دَرْدَوَه بالحبشة.

وكان من الداعين إلى إقامة مدرسة بازرعة بعدن.

كان من أعضاء جمعية الخير القائمة في بناء المدارس بأندونيسيا، وفي جمعية الرابطة العلوية.

ثم تولى وظيفة الإفتاء في سلطنة جُهور بارو (أي جوهرة البحر) بماليزيا، حيث يقتضي الدستور أن يكون مفتي البلاد من السادة العلويين، وظل بها حتى توفي سنة ١٣٨٢ هجرية.

ألّف أكثر من ستين كتابًا، أهمها:

- «القول الفصل فيما لبني هاشم والعرب من الفضل».
- و«الشامل في تاريخ حضرموت».
- و«الطبقات العلوية».
- و«عقود الألماس في مناقب الحبيب أحمد بن حسن العطاس».
- و«المدخل إلى تاريخ دخول الإسلام إلى جزائر الشرق الأقصى». وغيرها.

وقد ترجم له الكثير من العلماء.

الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد: ١٣٢٥ - ١٤١٦هـ

الإمام العلاّمة الداعي إلى الله والموصل إليه، بقية السلف وسيد الخلف.

ولد بقيدون حوالي سنة ١٣٢٥ هجرية وكان والده قد سافر إلى أندونيسيا قبل ميلاده.

والدته الشريفة صفية، ابنة الإمام العظيم الحبيب طاهر بن عمر الحداد.

كانت حافظة للقرآن، وموصوفة من أكابر عصرها بالصلاح والولاية.

ألحقته الحبابة صفية (ﷺ) برباط العلم بقيدون، حيث حفظ القرآن، ثم أخذ أخذًا تامًا عن الإمامين اللذين أنشآ الرباط: الحبيب عبد الله، والحبيب علوي، ابنَي طاهر بن عبد الله الهدّار الحداد، فدرس علوم العربية، وفقه الإمام الشافعي، والتفسير، والحديث، والتصوف، والأصول، والتاريخ، وغير ذلك.

استصحبه الحبيب علوي بن طاهر إلى أندونيسيا، وهو دون العشرين.

وهناك أخذ عن جملة من العلماء من السادة العلويين وغيرهم، منهم: العلاّمة العارف بالله الحبيب محمد ابن أحمد المحضار، والحبيب عبد الله بن محسن العطاس، والحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد، وبعد عودته إلى قيدون قام بالتدريس في الرّباط فترة، ثم رحل إلى شرق أفريقيا يدعو إلى الله، وأقام ببلدة ممباسا، وهي الميناء الرئيسي لكينيا، ومنها قام برحلات عديدة في البراري والأدغال التي يأبى سائر الدعاة التوغل فيها، حتى إنه وصل إلى بلاد الأقزام بأدغال الكونغو.



الحبيب أحمد مشهور الحداد بمنزله بممباسا بكينيا

أمضى أكثر من ثلاثة عشر عامًا بأوغندا، وأثمرت دعوته فيها، فاعتنق الإسلام نحو الستين ألفًا من الأفريقيين، بحسَب أحد التعدادات، وذلك فترة إقامته بها.

أما الآن: فقد تكاثروا وتناسلوا، وتضاعف العدد أضعافًا كثيرة.

وقد سعى الحبيب أحمد مشهور في بناء الكثير من المساجد، والمدارس، والمعاهد الدينية في هذه النواحي

ولم يزل منزله في ممباسا قبلة للقاصدين، ومركز إشعاع للدعوة المحمدية ولنشر السُّنة والحرب على البدعة

وللحبيب أحمد مشهور مؤلفات منها «مفتاح الجنة».

ومجموعة من الفتاوى.

وشرح لمنظومة الشيخ سعيد بن نبهان الدرة اليتيمة في النحو.

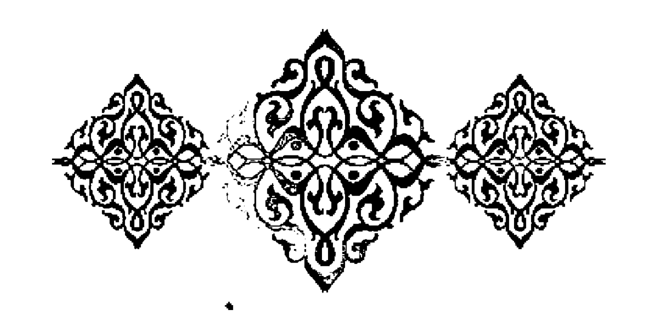
و«السبحة الثمينة نظم مسائل السفينة».

وديوان شِعر لا يزال مخطوطًا.

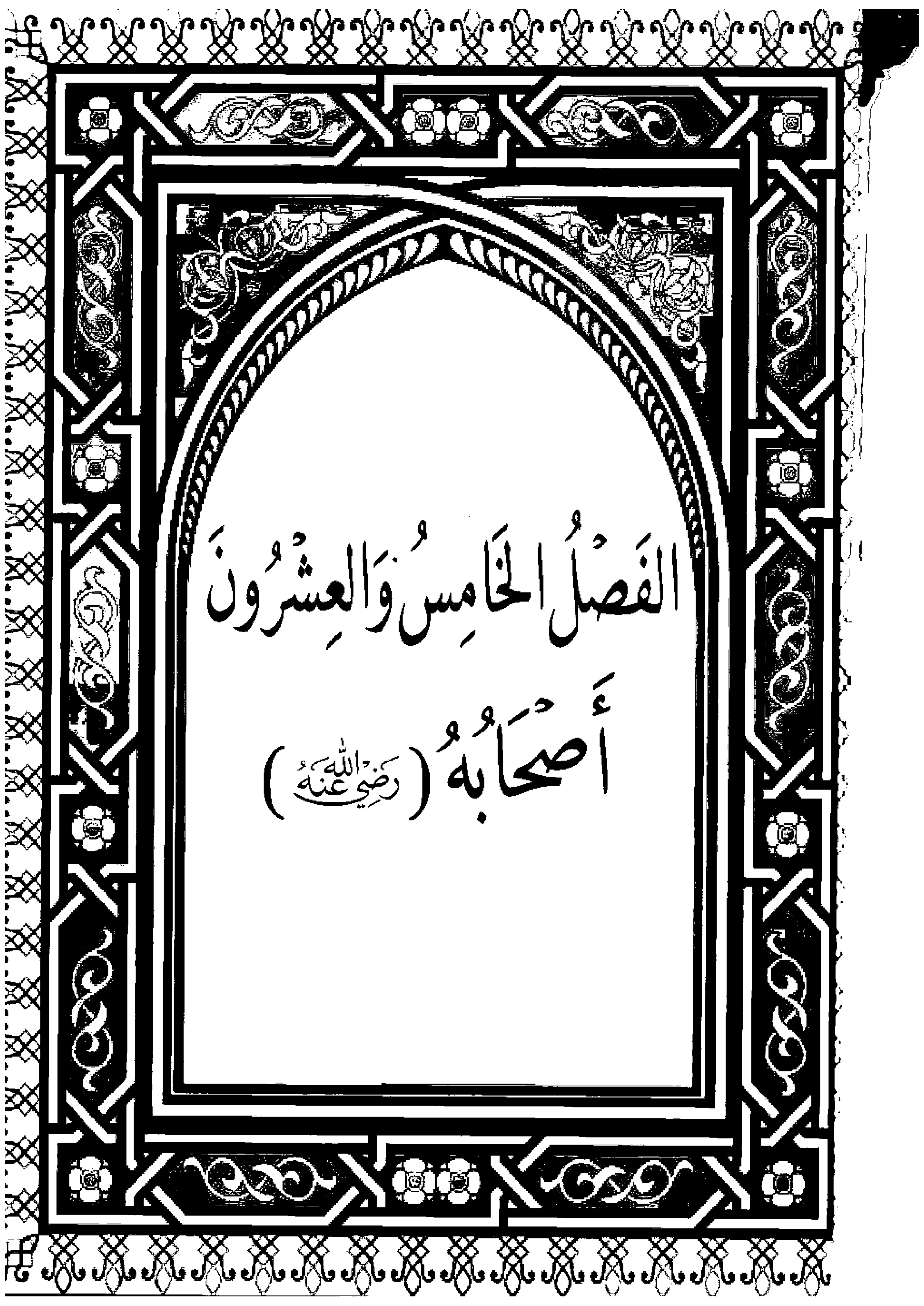
وخطب ومكاتبات.

وقد توفي (رضي الله عنه) بجدة في الرابع عشر من رجب سنة ١٤١٦، ودفن بحوطة السادة العلويين بالمعلاة بمكة بالقرب من أسلافه. جزاه الله عن هذه الأمة خيرًا كثيرًا أثيرًا كما يليق بقدسه سبحانه وجماله وجلاله.

وهذا آخر ما أحببنا إيراده من التراجم المختصرة للسادة الكرام من آل الحداد، وإن كنا لم نذكر الكثيرين من أكابرهم أمثال الحبيب عبد الله بن الحسن، والحبيب عمر بن حسن، والحبيب صالح بن عبد الله الحداد، فما ذلك إلا لعدم توافر المصادر الضرورية لدينا. و فيمن ذكرناهم ما يؤدي الغرض المقصود إن شاء الله.







الفَصْلُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ

أَصْحَابُهُ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)

قا
ول
لام
لإما
وم
صدق
وم
وق
بما
نفس
صدقً
وق
صح
وق
ال
هو
قـ
والتف
وكَ
لسي
وكَ
وكَ
أحمد
وكَ
العل

قال الإمام (رضي الله عنه): الذي صحبنا خلق كثير لا يحصون، منهم المتحقق، ومنهم من كان على حسب مراتبهم.

ولقد وصل إلى الله على يديّ الإمام الجم الغفير من السالكين، منهم من عُرف، واشتهر، وظهرت عليه علامات الولاية الكبرى، ومنهم من لم يظهر عليه شيء من ذلك، ومات وهو يظن أنه على الرغم من صحبته للإمام لا زال من العوام.

ومن النوع الأول من قال فيهم (رضي الله عنه): سوف تظهر زيادة على بعض أصحابنا بعد خروجنا من الدنيا، صدقهم في محبتنا.

ومن النوع الثاني من قال عنهم: أصحابنا لا تنكشف لهم أحوالهم إلا في الدار الآخرة.

وقال: إنا نطوي خصوصية أصحابنا في بشريتهم. فقال السيد أحمد بن زين الحبشي في شرح ذلك: إنه ربما يظهر عليهم في ظاهرهم ما يستر ما لهم من الخصوصية والمدد الحاصل لهم منه عن الناظر، بل وعن نفسهم أيضًا، فإنهم لا يكادون يشهدون لأنفسهم حالاً، ولا يدّعون مقامًا، ولا يتحققون من أنفسهم صدقًا مع الله في أكثر الأحوال، كما هو مُشاهد منهم.

وقد ذكر السيد الإمام محمد بن زين بن سميط في «بهجة الفؤاد» أكثر من مائة وخمسين من أصحاب الإمام ذوي الشأن، والكثير لم يذكروا، والكثير لم يعرفوا ليذكروا.

وقد رأينا إيراد تراجم يسيرة لبعض أصحاب الإمام كنماذج يرى منها القارئ كيف كان رجال ذلك العصر.

الحبيب أحمد بن زين الحبشي:

هو السيد أحمد بن السيد زين بن السيد علوي صاحب الشعب، ولد سنة ١٠٦٩هـ

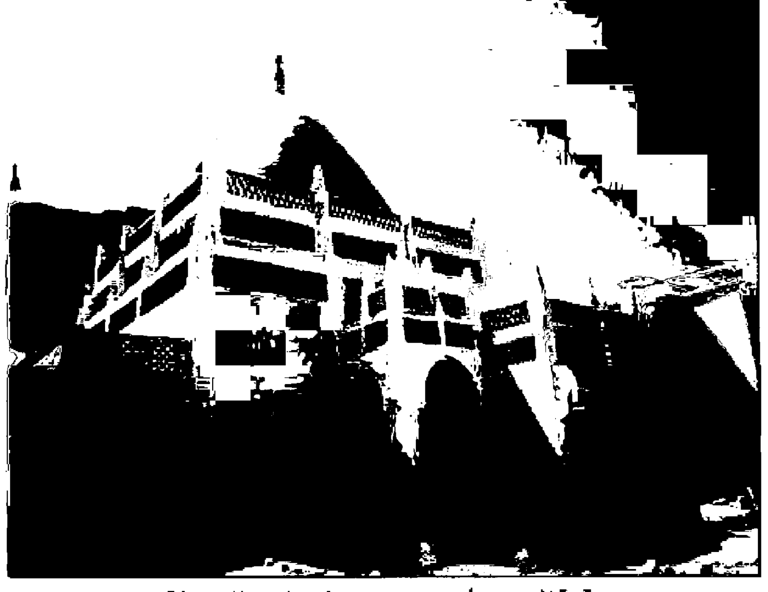
قرأ على بعض العلماء حتى التقى بالإمام الحداد ولزمه، وقرأ عليه كثيرًا من كتب الحديث والسير والتفسير وكتب القوم.

وكان الإمام يسميه: حضرة الشهاب الثاقب، الشيخ المراقب، الشريف اللطيف، الفقيه الصوفي، أحمد بن السيد زين الحبشي، ويسميه: حضرة السيد الصفي الوفي، العارف الفقيه الصوفي.

وكان الإمام يقول: قراءة السيد أحمد عندنا في الكتب إنما هي للتبرك فقط، وإلا، فليس هو محتاجًا إليها.

وكذلك قال: إن اليد والمدد للسيد أحمد منا ومن جده الشيخ أحمد الحبشي صاحب الشعب. فسئل السيد أحمد عن ذلك، فأجاب: نعم، ولنا من الله مدد، ويد من النبي (صلى الله عليه وسلم) من غير واسطة.

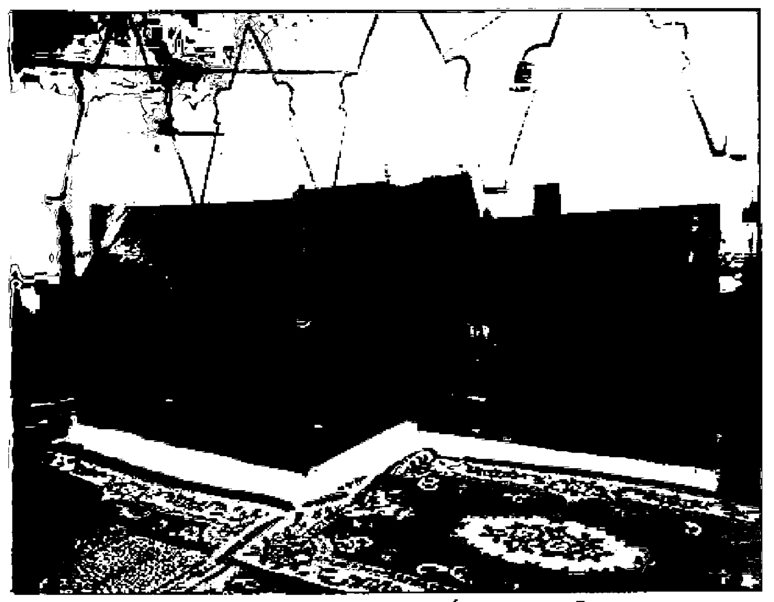
وكان السيد أحمد (رضي الله عنه) مستغرقًا الأوقات في العلوم النافعة، فلا يفتر عن ذلك، وكان إذا جاءه طالب علم يفرح به، ويستبشر به، ويقبل عليه بكليته، ويرغبه في الجلوس عنده سنين عديدة.


قبة الحبيب أحمد بن زين الحبشي بالحوطة

وكان يكره الشهرة، ويحب الخمول، ويدعو الله أن يبعد عنه أهل الجاه وأصحاب المناصب الدنيوية، فلا يتعلقوا به ولا يخطر ببالهم زيارته.

وكان يقول: عندنا بحمد الله من العلوم علوم مكنونة، وأسرار مخزونة، تظهر عند المذاكرة مع أهلها، ولا نقول - إن شاء الله شيئًا - ونتكلم به إلا ونحن نفعله، وكل ما قلناه على سبيل الوعظ، فإنما نقصد به أنفسنا وغيرنا.

وقد أشار الإمام الحداد في كلامه ومكاتباته إلى أن السيد أحمد لابد بالغ مرتبة الصديقية الكبرى. و... الإمام الحداد يومًا عن حال السيد أحمد فقال: هو من أهل المقام العاشر. وقد سبق الكلام عن هذا المقـ...


قبور الحبيب أحمد بن زين الحبشي وذريته

عمّر (رضي الله عنه) بضعة عشر مسجدًا في بلاد كثيرة من الوادي، وصنف كتبًا غزيرة، أكبرها «السفينة الجامعة»، في عشرين مجلدًا، جمع فيها كل العلوم، وأحصى فيها من كل الفنون. شرح عدة قصائد لشيخه الإمام الحداد منها العينية، والوصية البائية، وعليك بتقوى الله في السر والعلن، والحمد لله الشهيد الحاضر، ولجيران لنا بالأبطحية. توفي (رضي الله عنه) في شعبان سنة ١١٤٤هـ.

السيد عبد الله بن حسين بلفقيه:

ولد بتريم وكان من الرجال المجدين في العبادة، السالكين سبيل الزهادة، المتجردين المنقطعين.

قرأ أول أمره على السيد العلامة عبد الله بن أحمد بلفقيه، والد علامة الدنيا السيد عبد الرحمن بـ... عبد الله بلفقيه.

وكان هو وأخوه أهل يسار في الدنيا، فسمح بجميع ذلك لأخيه، وقنع بكسرة وخرقة. وكان لا يسأل عـ... شيء، ولا يعتني بشيء، مشغول بنفسه وعبادته. وكان إذا غلب عليه الحال يذهل عن نفسه وعن النا... ويغيب عن الوجود.

وكان أكثر صلاته مع شيخه عبد الله الحداد. كان إذا صلى الظهر في مسجد الخطيب المعروف بتريم، يخرج إلى الحاوي، يصلي العصر، ويحضر الدروس، ويصلي المغرب والعشاء، ويحضر الراتب مع الإمام كل ليلة، هكذا عادته.

قال بعض السادة، وكان جاره: كنت ليلة جالسًا أنا وجماعة نسمر تحت بيته، إذ أقبل من عند سيدي عبد الله، بعد أن صلى العشاء، وحضر الراتب، وقصد بيته، وكان ساكنًا في ذلك البيت وحده، فنسي المفتاح في مكان سيدنا عبد الله، فسمعناه يقول: نسيت المفتاح في الحاوي، ولكن نسأل الله بمولى الحاوي! وأدخل يده وفتح من غير المفتاح.

وكان إذا تعشى كل ليلة، خرج ونام في مسجد الشيخ عبد الرحمن السقاف، لأجل القيام.

وكان قوامًا بالليل، صوامًا بالنهار مواظبًا على الأوراد، مجاهدًا مكابدًا، لا يفتر عن الذكر والعبادة.

وتوفي بها قبل وفاة الإمام.

السيد عبد الرحمن بن علي بن عمر:

ولد السيد العارف بالله علي بن عمر بن حسين.

وكان ممن صحب الإمام الحداد من حين صغر، وكان سنه قريبًا من سنه، وكان قد أخذ أولاً عن السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس.

أما السيد عبد الرحمن فكان من أخص الآخذين عن الإمام.

ولد بتريم، وكان كثير الحب للإمام، والانقطاع إليه، وملازمة دروسه. وكان مُصدّرًا في مجالسه، له التقديم بالقوة البالغة على قراءة الكتب. وكان مكبًا على طلب العلم النافع، مستغرق الأوقات في مطالعتها ليلاً ونهارًا، لا يفتر عن ذلك، ومع ذلك كان كثير العبادة، سالكًا سبيل الزهادة والتبتل والانقطاع عن الدنيا وأهلها، فارًا من أبنائها.

وكان بيته قريبًا من مسجد الشيخ أبي بكر السكران، وكان يصلي فيه الوقت الذي يتعذر له فيه الذهاب إلى الإمام، وإلا فأكثر صلواته خلفه، ولا يأتي بيته للعشاء إلا ليلاً.

تزوّج بابنة الإمام مريم، وأولدها ابنه فقيه، وكان ولدًا مباركًا، يكثر من مجالسة جده الإمام والقراءة عليه، ثم رحل إلى العراق وتوفي بالبصرة.

قال السيد عقيل: لما حججنا نحن والسيد عبد الرحمن، كان يباسطنا ونباسطه في الطريق والبحر، ولما وصلنا إلى مكة، لم نسمع له كلامًا، ولم يلتفت إلى أحد، بل أقبل على الطواف والصلاة والذكر والدعاء مدة، كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه.

توفي قريبًا من تعز سنة ١١١٤هـ، قافلاً من الحج، وله من العمر فوق الثلاثين سنة ودون الأربعين.

وقال السيد عقيل أيضًا مخبرًا عن وفاة السيد عبد الرحمن: أخبرني من حضره قال: أصابه الإ... فمكث به عشرين يومًا، وهو مضطجع، فلما كانت ليلة وفاته، جلس وقال لنا: هاتوا السراج، وورقًا... وقلمًا. وقال لنا: أجلسوني! ففعلنا ذلك، فكتب وصيته جميعها بيده، ونحن نتعجب منه، حيث جلس و... وهو بهذه الحالة، ثم قال لنا: إني رأيت أني مت، فلما وضعت في اللحد، إذا أنا أرى فضاء من كل جانب... القبر، لا يرد طرفي شيء.

فلما توفي ووضعناه في اللحد، وكان قد لحده بعض السادة كان هناك، فلما انكب عليه ليقبّله... وسقط، فحملناه مغشيًا عليه، فلما أفاق بعد ثلاثة أيام سألناه، قال: إني لما انكببت عليه لأقبله... جوانب القبر فضاء من كل جانب، لا يرد طرفي شيء، فحصل لي ما حصل.

السيد زين العابدين بن مصطفى العيدروس:

كان هذا السيد من عباد الله الصالحين، الخاشعين المتواضعين، وكان كثير البكاء سريع الدمعة... الطبع، له إشراف على علم السير والتواريخ.

حج بيت الله الحرام وسافر إلى أرض الهند، وأقام بها مدة طويلة، وأخرج منها أموالاً جزيلة.

ولما خرج من أرض الهند، أكثر التردد إلى الإمام عبد الله الحداد، والتعلق به، والملازمه له وعظم... فيه، وقويت محبته له ومودته.

جالس الإمام وقرأ عليه هو وأخوه شيخ بن مصطفى العيدروس، وكان أخوه هذا من خيار السادة.

أما السيد زين العابدين: فإن الإمام كان يثني عليه ويأمر بالمجيء إليه، ويزوره في بيته كثيرًا ولما... الإمام في وفاة السيد العارف علي بن عبد الله العيدروس حين وفاته، قال له الإمام: الذي لنا في السيد... هو فيك.

توفي السيد زين العابدين بعد الإمام بنحو سنتين، ودفن هو وأخوه بقبة جده الشيخ عبد الله بن شيخ العيد...

السيد عقيل بن عيدروس باعقيل السقاف:

صحب الإمام من حين صباه. أخذ في ذلك نحوًا من ستين سنة، وهو في ملازمة درسه وحضراته، لا يكـ... يغيب عن مجلسه إذا كان بتريم. وكان كثير الحج. حج أكثر من عشرين حجة، وزار النبي (ﷺ) كذلك... يسافر إلا بإشارات الإمام ومشاوراته. وله مشاهد معه ومواقف.

سافر إلى الهند. قال: كنت مرة بأرض الهند، في جمع، منهم السيد الولي العارف بالله عمر بن عمر... عيديد، فخطر على قلبي: هل يتصور حضور الشيخ عيانًا مع المريد وهو بأرض الهند؟ فأنا في ذلك الخـ...

فإذا بصورة سيدي عبد الله الحداد عيانًا، أشهدها يقينًا، معاينة لا شك فيها أبدًا، فعند ذلك صحت، فغاب عني. فلما وصلت إلى تريم، وجلست معه، وذكرت في نفسي ما جرى لي في أرض الهند من ظهور سيدي لي في اليقظة، ولم أتكلم بلساني، كاشفني قائلاً: إن المريد قد يظن أن شيخه يظهر له حقيقة، وهو بغير مكانه، وما ذاك إلا ملك على صورة الشيخ.

والتمثيل محقق عند العارفين، أن يصور مَثَل ظاهر بحقيقة باطنة. ووقوع ذلك محقق متواتر عند الملائكة والأنبياء والأولياء، ولا أدل على الجواز من الوقوع.

ومن ذلك تمثل جبريل للنبي (ﷺ) في صورة دحية الكلبي، وتمثله لمريم عليها السلام بشرًا سويًّا، وليس هو بشرًا حقيقة، وإنما هو تمثيل. وحقيقة الملائكة تنافي الصورة البشرية.

وعن السيد عقيل أيضًا قال: كنت مرة من آخر الليل، جالسًا في المطاف حول الكعبة، مستغرقًا في الذكر، وإذا سيدي وشيخي عبد الله قد دخل على المطاف، وسلم عليّ، ونكّر صوته عليّ لئلا أعرفه، فلما رأيت ذلك منه بقيت مكاني، غير أني قلت له: يا سيدي خاطركم معي، الله الله في الدعاء. فتقدم وطاف، فكلما طاف أسبوعًا وحاذاني سألته الدعاء ولم يجبني.

وقال: وكنت مرة بالمدينة المشرفة، في المسجد النبوي، عند باب الرحمة، بعد صلاة العشاء وأهل الحرم يقرؤون راتب سيدي عبد الله، فبقيت عند ذلك أتذكر صورته وأتخيلها، فإذا به قدامي، أراه بعينه ملتحفًا بشقه. فبقيت أنظر إليه إلى أن ختموا راتبه، وأمروني أن أدعو معهم، فلما رفعت يديّ للدعاء غاب عني.

وكلتا الواقعتين في غير السنة التي حج فيها الإمام.

وكان السيد عقيل من أرباب العناية والولاية، وكانت له مكاشفات وصفاء قلب وسلامة صدر، زاهدًا في الدنيا قانعًا باليسير والقليل من كل شيء، مطعمًا وملبسًا ومسكنًا، بلغ في ذلك الغاية القصوى. وكان طويل القيام بالليل لا يأتي عليه الثلث الأخير من الليل إلا وهو مستيقظ، حضرًا وسفرًا، لا يراقب الخلق، ولا يلتفت إليهم معرضًا عن الجاه والمنزلة في قلوبهم، لا يبالي بهم رضوا أم سخطوا، كثير التعلق بشيخه، عظيم الانطواء فيه، لا يرى غيره من صالحي زمانه إلا بحكم التبعية.


باب الرحمة بالحرم المدني قديما حيث كان يُقرأ راتب الحداد

روى عن شيخه الكثير من الكرامات، قال: مرضت في بعض السنين مرضًا متلفًا، ظننت منه الهلاك من هول ما رأيت وقلت في نفسي: عسى الله أن يقيني إلى يوم الجمعة ليصلي علي ويحضر الصلاة سيدي عبد الله نفع الله به. فلما كان يوم الجمعة، وأنا بحالي، مضت والدتي إلى سيدي وشيخي عبد الله بن علوي الحداد - نفع الله به. من غير شعور مني، وطلبت منه ماء يقرأ ونفث فيه على نية الشفاء، فقرأ وونفث، فشربته وبرئت وعوفيت من وقتي وكأن نشطت من عقال، حتى إني خرجت ذلك اليوم إلى سيدي، وصليت الجمعة كعادتي، كأني لم أشتك ألمًا، ببركته.

وعنه أيضًا قال: عزمت على الحج سنة من السنين فاستشرت سيدي عبد الله، ثم استودعت منه، وليس لي قصد إلا الحج فقط وما قصدت زيارة المدينة بعد، فقرأ لي الفاتحة ودعا لي، ثم اتفق أن لقيته ثانيًا فاستودعت منه، فقال لي: ذاك استيداع الحج، وهذا استيداع زيارة المدينة، فعجبت منه، حيث لم يحضر لي قصد زيارة المدينة حينئذ. وسافرت فقصدت الحج فحججت، ثم جاءني بعد الحج رجل يقال له: عبد الرحمن الحجار العمري، وكان ذا عقيدة في سيدي عبد الله، فقال لي: هيا نزور النبي (ﷺ)، فاعتذرت، فألح علي واكترى لي[1] جمالًا، فوافقته، واسترحت وانشرح صدري، فعرفت اطلاع سيدي على أني أزور بقوله: هذا الاستيداع للزيارة. وبقي هذا الرجل كلما حججت كلفني على الزيارة.

توفي السيد عقيل بتريم سنة ١١٤٩هـ عن ٧٦ سنة، ودفن في مقبرة آل باعلوي.

السيد عمر بن الحامد المُنَفّر:

ولد بتريم وأخذ عن الإمام من صغره أخذًا تامًّا، وصحبه ولازمه صحبة أكيدة، إلى أن بلغ أربعين سنة لبس منه الخرقة الشريفة، وتلقن منه الذكر مرارًا عديدة، وأعطاه قُبعًا من يده، وكان لا يغيب عن شيء من مجالسه ولا عن دروسه، وكان جملة خطابه إذا كان حاضرًا إليه خصوصًا، لما يرى عنده من العدة والاستعداد وكمال التهيؤ والاستمداد، وفرط الذكاء والفطنة.

عاش نحو ستين سنة، وهو في هذه المدة في طلب العلوم، وملازمة الأعمال والأوراد ووظائف الخيرات وتدريس العلوم الشريفة الظاهرة والباطنة، من علوم الشريعة والطريقة، وإشارات الحقيقة، وكان زاهدًا في الدنيا، قانعًا باليسير منها، متقللاً من أمتعتها وأسبابها، فارًا من جاهها وحشمتها، متبعدًا من زينتها وبهجتها. لا يرى عليه أثر الميل إلى الدنيا ولا إلى أهلها. وكان له خلق ألطف من النسيم، هشاشًا بشوشًا لا تراه قط عابسًا ولا غاضبًا. كان متواضعًا متلاطفًا، مداريًا لأهل الجفا، معاملاً من رآه ممن يعرفه ومن لا يعرفه بالحلم والصفاء معظمًا شعائر الدين، غيورًا أن تنتهك حرمات الله والمسلمين. وكان يدرس بعد الظهر في مسجد آل أبي علوي، وبعد العصر في رمضان، ولم يسبقه في ذلك أحد من أسلافه.

(١) اكترى لي: استأجر لي.

سمع يقول: قد قرأت "إحياء علوم الدين" في مسجد آل أبي علوي مرارًا كثيرة، وكذا تفسير البغوي. وكان لسيد أحمد بن زين في ذلك الوقت يثني عليه جدًا، ويشير إلى أنه الخليفة بتريم، سمعت منه ذلك مرارًا كثيرة، ويقول: إنه إمام آل أبي علوي بتريم، وإنه امتاز على آل ابي علوي بالمشيخة، ونحو ذلك من الثناء. ولما صافح الإمام وهو مضطجع على السرير في مرض موته، قال له: أنت من الخلائف يا عمر، الله الله في أولادنا! لله الله في أولادنا! الله الله في أولادنا!

توفي بتريم سنة ١١٥٤هـ، ودفن قريبًا من قبر الشيخ الإمام عبد الرحمن السقاف.

السيد عبدالله بن عمر بن فقيه بن الشيخ علي بن أبي بكر:

كان من أولياء الله المخبتين، المنيبن لربهم، والراجعين إليه، الزاهدين في الدنيا، القانعين باليسير من متعتها. كان فانيًا عن الخلق، معرضًا عنهم، مشغولاً بأمر آخرته وبما يهمه منها، وهمّه اللازم هو الله تعالى، والهًا به، مستغرقًا وقته بالصلاة على النبي (ﷺ)، فكان يقرأ «دلائل الخيرات» كل يوم مرة أو مرتين، لا يترك ذلك حضرًا ولا سفرًا، حتى وهو راكب على الراحلة، وما فاته منها بالنهار قضاه بالليل، هذا دأبه نحو خمسين سنة. وكان النور باديًا عليه، مشرقًا في وجهه، لا يخفى نوره على أحد.

روى السيد عبد الله كيف تزوج مريم ابنة الإمام بعد أن مات عنها زوجها الأول، فقال: إنه كان كثير الدعاء لله أن يزوجه الزوجة الصالحة، ويرزقه منها الذرية الصالحة، وكان أكثر هذا الدعاء بالحرمين لشريفين. ثم يومًا وهو بين اليقظة والمنام، وهو إذ ذاك بالمدينة المنورة، رأى النبي (ﷺ) يحضه على ملازمة لإمام الحداد، والإنقطاع إليه، ويقول: إنه ليس مثله أحد في هذا الزمان، وتزوج ابنته، ونحن نكتب له من جلك. وأمر عليًا (كرم الله وجهه) وكان حاضرًا عنده، فكتب لسيدي، وأنا انظر. فلما خرجت، ووصلت بندر الشحر، أخبرتني بنت سيدي عبد الله، بعد أن تزوجت بها، قالت: إن أبي لما علم وصولك إلى الشحر، قال لي: إن عبد الله بن عمر وصل إلى الشحر، ما تقولين لو خطبك، أترضينه؟ فقلت: لا أرى لي معك شور ولا قول. فقال: إن جاءنا قبلناه. قال: فلما وصلت إلى تريم، فلا أدري على أي حال كان تزوجي، أبدأت سيدي أو ابتدأني؟ ورزقت منها أولادًا مباركين.

وكان السيد عبد الله منور القلب، صافي السريرة، سليم الصدر، حسن الظن بجميع الخلق، كثير الدعاء بالابتهال والبكاء، يتوسل إلى الله بكل من لقيه من عباد الله.

وقد أكرمه الله بكرامات كثيرة، روى إحداها يومًا فقال: كنت مرة بمكة المشرفة، فمرضت مرضًا شديدًا، وشق علي مفارقة البيت ومشاهده، فلما كان في بعض الليل، إذا أنا بالكعبة وكأنها قد أقبلت إليّ تزفها لملائكة، فلما رأيتها، سكنت واطمأن قلبي. فسئل: ذلك في اليقظة أم في المنام؟ فقال: لا، بل في اليقظة.

ولد بتريم وتوفي بها منة ١١٥٤هـ وقبره بين السقاف والمحضار.



السيد عمر بن عبد الرحمن البار:

الإمـام العظيـم والقطب الشـهير، من أجـلّ الآخذين عن الإمام الحـداد. ولد بالقرين بـوادي دوعـ
جمادى الأول سـنة ١٠٩٩هـ تربى في حجر والده وتردد بإشـارته على الشـيخ محمد بن أحمد بامشـموس
والده السـيد عبد الرحمن البار والشـيخ بامشـموس متحدين كأنهما شيء واحد، ولما ماتـا دفنا معًا وجـ
عليهما صندوقًا واحدًا.

وقد التقى الشيخ بامشموس بالإمام الحداد أثناء زيارته لدوعن وقال: إنه أسر إليه كلامًا لم يفهمه
مدة طويلة.

ارتحل السيد عمر إلى تريم للأخذ عن الإمام الحداد، وانقطع إليه بكليته، وقرأ عليه كتبًا كثيرة، و
الإمام عليه بالعنايه والرعاية، وكان يشير إليه بإشارات جليلة، ويأمر بملازمته والقراءة عليه.

قال باسودان: لما رأى ما عليه من غلبة الخوف بسبب قراءة ومطالعة الكتب الغزالية، أشار إليه بالا
والانتقال إلى مطالعة الكتب الشاذلية.

صحـب الإمام الحداد لمدة سـت عشرة سـنة، وتوفي الإمـام وهو يقرأ عليه في «عوارف المعارف» لـ
الشهروردي، فأكمل القراءة على ولده السيد علوي. تم تردد على الحبيب أحمد بن زين الحبشي وأخذ عـ

كان شديد التواضع، ليّن الجانب، مخفوض الجناح، لا يكاد يظهر عليه أثر من دعوى الاتصاف بصـ
الكمال، والاتسـام بسـيما الرجال، غاية في الزهد في الدنيا، من جاهها ومالها، ونهاية في التعلق بالله، و
به، وجميل حسن الظن. قل أن يفتر عن الذكر في ساعة من ليل أو نهار، لا تراه إلا والهًا بالله، مستغرقًا بحـ
الله، عاملاً بمرضاته، في دوام أوقاته.

نفع الله به خلائق لا يحصون وكان له درس بين الظهر والعصر، ودرس عام يومي الإثنين والخميس.

وقيـل إنـه أجمع علماء الظاهر والباطن بالحرمين الشريفين أنه لم يقـدم عليهم بعد الحبيب عبد الله
علوي الحداد مثل الحبيب عمر البار.

وكان من أجل الآخذين عنه بالحجاز السيد عبد الله ميرغني، والشيخ اسماعيل النقشبندي.

توفي (رضي الله عنه) سنة ١١٥٨هـ ودفن بالقرين.

السيد محمد بن زين بن سميط:

أحد أكابر تلامذة الإمام الآخذين عنه الأخذ التام، والذين صارت إليهم الرئاسة الدينية من بعده.

ولد بتريـم سـنة ١١٠٠هـ وكان والده الحبيـب زين بن علوي بن سـميط من الصالحـين، فقد كان له قيام

بمسجد الشيخ عبد الرحمن السقاف، وكان من الملازمين للإمام الحداد، كما كان له تعلق قوي وتردد على الحبيب أحمد بن عمر الهندوان، والحبيب أحمد بن زين الحبشي. توفي السيد زين بشبام سنة ١١٤٠هـ، وجاء الحبيب أحمد بن زين الحبشي فصلى عليه. ولما عزى أحد السادة من خاصة أصحاب السيد زين ولده السيد محمد بوفاته، قال: أشهد أن قبره روضة من رياض الجنة، وأن الدعاء مستجاب عند قبره.

و كان قد توفي قبله ولده السيد علي بن زين، وذلك في نفس العام. فلما سأل السيد محمد بن زين الحبيب أحمد بن زين الحيشي أن يدعو لهما، أجابه بقوله: والدك من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما أخوك فمن العلماء الذين يوزن مدادهم بدم الشهداء يوم القيامة، إن شاء الله تعالى.

وقد طلب السيد محمد بن زين العلم بجد واجتهاد، وبرع في كل علم وفن، وقرأ على شيخه الإمام الحداد ما لا يحصى من الكتب، ومن بعده على الحبيب أحمد بن زين الحبشي.



مدينة شبام

يقول السيد عبد الله محمد السقاف في «تاريخ الشعراء الحضرميين»: كان شيخه قطب الإرشاد الحداد ب متأخر حياته كثيرًا ما يرغبه في الانتقال إلى مدينة شبام مستوطنًا، نظرًا لحاجتها الملحة إلى مثله كعالم ـيني ومرشد اجتماعي، يرفع مستواها العلمي، والديني، والاجتماعي، ولكنه كانت تتمثل له المشقة فادحة لما ـطوي هذا الانتقال من البعد عن الحاوي وتريم، فكان منه التسويف، اغتنامًا للقرب من شيخه المذكور، ـتى إذا ما انقضت حياة شيخه من هذه الدنيا، أجمع أمره بعد موافقة أبيه وأخيه العلامة السيد عمر بن ـين على الانتقال معه إلى شبام مستوطنين، وكان ذلك في أجواء عام ١١٣٥هـ من الهجرة، وغني عن البيان

أن الله (ﷺ) قد أحيا بهم البلاد والعباد، وغدت مساجدها ودورها معمورة بالعلم والعبادة، ولها انتعشـ بالإصلاح الاجتماعي وانتشائها بالروح العلمي والصوفي.

وبعد وفاة الإمام الحداد، ظل الحبيب محمد بن زين يتردد على الحبيب أحمد بن زين الحبشي بحوطـ خلع راشد، خصوصًا يومي الاثنين والخميس، وذلك حتى وفاة الحبيب أحمد. وقد قال الحبيب محمد بـ زين في شيخه:

أحمد الرحمن إذ من علي   بالجميل المحض أسداه إليّ
نعمة ما مثلها من نعمة   نعمة عظمى لقد جلت لديّ
نسبتي للقوم سادات الورى   فهما ذخري عمادي عمدتيّ
وهما الحداد والحبشي اللذان   هما كنزي إذا كلت يديّ
أي شيء فات من أدركهما   والذي فاتاه أدرك أي شيء

وللحبيب محمد بن زين بن سميط تآليف كثيرة، منها: «غاية القصد والمراد في مناقب شيخ العباد و... القطب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد». و«بهجة الزمان وسلوة الأحزان في ذكر طائفة من الأعيـ والأصحاب والأقران». وديوان شعر.

توفي (رضي الله عنه) بمدينة شبام سنة ١١٧٢. ودفن بجرب هيصم، مقبرة شبام.

السيد عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه:

ولد بتريم سنة ١٠٨٩هـ وتربى على والده وجده وخاله، وقرأ على الإمام الحداد والحبيب أحمد بن عمـ الهندوان. يقول السيد عبد الرحمن: فقد فاضت علينا الأنوار، واستفاضت الأسرار، في الشريعة، والطريقـ مع المعارف واللطائف في الحقيقة، بواسطة شيوخنا العارفين، العالمين العاملين، المتحققين بحقيقة الديـ وصفات المتقين في كل علم، معرفة ويقين، كشيخنا ووالدنا السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه، فإني - بحمـ الله - قد لزمت مجالسته، ولزمته في جميع خلواته وجلواته، نحوًا من عشر سنين، وأخذت عنه من جميع علوم الدين ومقدماتها ما لم أحص بالعد، ولا أحصره بالتعيين.

ثم ذكر جده، وخاله، وقال: فهؤلاء الثلاثة هم أصل نجحي، ومفتاح فتحي، وفجر صبحي، نشأت في حجورهـ وأنديتهم، فحظيت بقربهم، وبلغت الآمال في جميع المطالب.

ويقول السيد عبد الرحمن: وأخذت كثيرًا من علوم الدين، مدة سنين، عن سيدنا الإمام، العارف، العميـ بالإرشاد في منهج الرشاد، السيد عبد الله بن علوي بن محمد الحداد. قرأت عليه قراءات كثيرة في كتـ

شهيرة، واستفدت منه فوائد كثيرة، ولي منه عناية خاصة، ومحبة خالصة. أما السيد أحمد بن عمر الهندوان، العالم الشهير، الحقيق بتحقيق علوم الدين في جميع الشأن، فقد قرأت عليه عدة كتب، ولازمته، واستفدت منه، وانتفعت به.

وكان الإمام الحداد يحيل إلى السيد عبد الرحمن بلفقيه العديد من الأسئلة التي ترد عليه، فقد تصدر السيد عبد الرحمن للتدريس والإفتاء قبل أن يتم العشرين من عمره، ولما اطّلع الإمام على أجوبة بعض المسائل التي كان قد أحالها عليه وصفه بأنه علامة الدنيا.

وأخذ السيد عبد الرحمن عن كثير من علماء اليمن والحرمين الشريفين، قال: أخذت عنهم في جميع العلوم، من فقه الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي، والأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، والتفسير، وعلوم الحديث بأنواعها التي تنيف على سبعين نوعًا، وغير ذلك من علوم الآلات، وطرق الصوفية.

وكان للسيد عبد الرحمن تدبير حسن في الأمور الاقصاديه، فامتلك مساحات واسعة من الأراضي الزراعية.

بنى سبعة عشر مسجدًا، مفرقة في مدن حضرموت وقراها، وأوقف بعض أرضه على هذه المساجد.

له مؤلفات كثيرة وقصائد عديدة، مما اشتهر منها: «رشفات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال».

توفي بتريم سنة ١١٦٢ هـ.

السيد عبد الرحمن بن محمد بارقبة:

كان عامة ليله ونهاره في عبادة مولاه، لا يفتر عنها، قوامًا بالليل، قانتًا لله، تلاء لكتاب الله، قد فتح الله عليه الفهم في القرآن، لا سيما في الصلاة، فإذا دخل فيها، غاب عن الوجود، واستغرق في الشهود للحق الموجود.

وسئل عن ذلك فقال: إني في الأكثر إذا دخلت في الصلاة لا أشعر بالمكان ولا بالزمان.

وكان يحصل عليه في المقام في الصلاة مع القراءة ثقل في الجسم، فينحط ويعجز عن القيام، فلما علم ذلك سيدي أحمد، أعظم له هذه الحالة، وقال: ذلك ثقل القول[1].

وكان يتمايل في صلاته تمايل السعفة في وقت الريح.

حج السيد عبد الرحمن مرات عديدة، ووقعت له فيها وقائع وكرامات، يروي السيد إحداها فيقول: ومن ذلك أني لقيت رجلاً تجاه الكعبة شاهدًا لها في زي الدراويش، فوقع لي أنه ولي لله، فأحببته وملت إليه، وهو كذلك مال إلي، وبقي يلاحظني ويقول: إني أحبك في الله. فقلت له: وأنا كذلك.

فسألته عن وجهته ونسبه.

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} المزمل: ٥.

فقال: من جهة الغرب، من ذرية أبناء الحسن بن علي (عليهما السلام).

فسألني عن بلدي فقلت: من بلدة تريم.

فقال: بلدة طيبة ورب غفور.

ثم قال: أتعرف سيدي عبد الله الحداد؟

فقلت: كيف لا أعرفه، وأنا وإياه في بلدة واحدة؟

فأقبل عليّ الرجل بكليته، فقلت: وأنت أيضًا تعرفه؟

فقال: نتعارف بالأرواح. وأشار إلى أنه قطب الدوائر، ومركزها، وأنه جمع العلم والولاية والشرف النبوي

وقال: إن أعز شيء أن تجتمع هذه الخصال الثلاث في شخص.

ثم قال لي: أود بنظرة فيه. وأنّى لي بها! أوصيك إذا وصلت إليه أن تقرئه عني السلام.

وحرض عليّ في ذلك.

ثم قال: لا بد أن نجتمع نحن وأنت في مدينة الرسول (ﷺ).

فقلت له: أرني وليًّا لله هنا أتبرك به. فأشار إلى رجل في الحرم، فقمت إليه وقبلت يده ورجله، وما كت وما كلمني. فسرنا إلى المدينة، فلما كان يوم خروجنا منها، إذا به خارج منها سائرًا إلى بلده، فودعته، وبكى وبكيت، ومضى ومضيت، نفع الله بجميع عباده الصالحين.

فلما رجعت إلى حضرموت نسيت تبليغ سلامه إلى سيدي، فبدأني سيدي قائلاً: ألم تسمع بذكرنا هنـ ألم يقل أحد فينا شيئًا؟

السيد محمد بن شيخ بن حسن بن علوي الجفري

كان السيد محمد بن شيخ من خواص تلامذة الإمام الحداد، وكان من أولياء الله الصالحين وعباده العارفين وكان آباؤه وأجداده من الصالحين، والأسرة كلها من تلامذة الإمام الحداد، بداية من الجد الأكبر، السيد علوي الجفري، الذي كان معروفًا بالصلاح، ولقي الإمام الحداد، إذ كان مسكنه مجاورًا للإمام في الحاوي وقد توفي بتريم، ودفن قريبًا من قبة الشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس.

وأما ولده، السيد حسن بن علوي الجفري، جد السيد محمد، فقد كان تلميذًا للإمام الحداد، وزوجه بنته الصالحة خديجة. كان السيد حسن سيدًا فاضلاً، ذا سيرة سديدة، وسلوك، ونسك، وقد لازم الإمام في دروسه وقرأ عليه، وكان يقول: "لو شئت أن أجمع في كل يوم من كرامات سيدي عبد الله عشرين كرامة لفعلت لكثرة ما أشاهد وأرى منه".

وقد مرض الإمام الحداد يومًا مرضًا شـديدًا، وكان يُمرَّض ببيت السـيد حسن بن علوي الجفري، فقد كان زوجًـا لابنتـه. في هذه الأيام، أخبرهم الإمام الحداد أنه قد جاءه أناس من البرزخ من أكابر السـادة العلويين يزورونه، ولكنه لم يبيّن إن كان ذلك حدث يقظة أو منامًا، وكان فيهم السيد علوي الجفري، وكان لما مات غير راضٍ عن ولده الحسـن، فاسـتعطفه الإمام واسترضاه على ولده حتى رضي عنه. فلما أخبر السيد الحسن بذلك كتبه في ورقة وجعله في قصبة، وأوصى أن تجعل في كفنه إذا ما مات، شاهدًا من الإمام أن والده رضي عنه.

وقد توفي السيد حسن وهو نائم، صائم، ودفن بالقرب من أبيه.

وأما والد السيد محمد، السيد شيخ بن حسن بن علوي الجفري، فكان من أولياء الله الصالحين السالكين الناسكين، ولد بتريم، ومات قافلاً من الحج. وكان كأبيه تلميذًا للإمام الحداد، لازمه ملازمة تامة منذ صغره إلى كـبره، وحضر درسـه، ولبـس منه، وقرأ عليه جملة من الكتب، وقد كان عظيم الاعتقاد في شـيخه، وكان يحفظ من كراماته الشيء الكثير، وكان يقول: "إني منذ عرفته ما رأيته صلى صلاة بغير جماعة، ولا بغير أول وقتها، ولا استعجل في صلاة قط".

ولد السـيد محمد بن شـيخ وتوفي بتريم، حيث لازم الإمام عبد الله الحداد ملازمة تامة من حين صباه، وقـد كان مجاورًا له بالحاوي في مسـكن آبائه، لم يفارقه قط، ولـم يفته مجلس، ولا درس، ولا صلاة، إلا في النادر. لبس منه الخرقة مرات كثيرة، وتلقن الذكر والمصافحة.

وكان زاهدًا في الدنيا، تاركًا لشهوته، يؤثر الدون منها، ويميل إلى التخشن، وسمعه السيد محمد بن سميط يقول: "إن القوت الطيب المليح يغيّر باطني ولا أستريح به، ويطابقني القوت الخشن. وكذلك الإدام والقهوة، لا أشتري ذلك بالقصد، إلا إن جاء في العرض أخذته من الله حيث ساقه إليّ من غير قصد لتناوله". ويعلق السـيد محمد بن سـميط على ذلك فيقول: "وهذه صفة رجال الله من الأبدال، لا يتطلبون الأمور الشـهوانية واللذات النفسـانية لقضاء الحظ وإشراف النفس، ولا يفرّون منها إذا جاءتهم من الله من غير اسـتشراف نفس وطلب الحظ. وأفهم هنا قولهم: (أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال)، إشـارة إلى اسـتشراف النفس، (ولا سـألت فيه أحدًا من النسـاء والرجال)، وهو معنى تناوله بالحظ والشـهوة". ثم ذكر حديث عمر (رضي الله عنه) مع رسول الله (ﷺ) حيث عرض عليه شيئًا، فأعرض عنه استغناء، فقال (ﷺ): "خذه، فتموله، وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سـائل فخذه، وإلا فلا تتبعه نفسـك"[1]. قال السـيد محمد بن سميط: "وما سمعت عمن سمعت من السلف الصالح من هجر الشهوات واللذات رأسًا، وإن كان من أرباب الكمال، فمثل قول سـيدنا علي (كرم الله وجهه): إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره[2]. قال ذلك لما عوتب في خشونة لباسه (رضي الله عنه)، وإن كان من أرباب البداية، فيحمل على رياضة النفس وجهادها وتهذيبها".

---

(١) صحيح البخاري، ٧١٦٣–٧١٦٤؛ صحيح مسلم، ١٠٤٥.

(٢) إحياء علوم الدين (٤ / ٢٣٤).

كان السيد محمد يقوم الليل ويصوم الأيام الفاضلة، ملازمًا للأذكار والأوراد، لا يكاد يفتر عن ... إلا عند سماع العلم والنوم. وكان شديد التواضع، لا يرى لنفسه قدرًا، عظيم الاعتقاد في الصالحين، كثير الاحترام لهم، وكان يزور صالحي زمانه دائمًا بإذن شيخه.

ولما كان مجاورًا للإمام بالحاوي، كان أكثر القاصدين للزيارة وطلب العلم يقصدونه، وينزلون عنده ويقيمون عنده الأيام المتطاولة، وهو يخدمهم بنفسه، وأهله، وولده، وإن كان من أفقر الناس، لا ... تواضعًا لله، وخدمة لشيخه، وقد يجتمع عنده في البيت مئة وأكثر، فيتسع خاطره لهم.

قرأ على الإمام كتبًا كثيرة، منها الشفاء للقاضي عياض، ولطائف المنن لابن عطاء الله، وغيرها. و... هو السيد زين الحبشي يقرآن معًا في كتاب واحد، يومًا هذا ويومًا هذا، وكانا مصطحبين كالشيء الو... وتزوج السيد زين أختي صاحبه على التعاقب.

وكان يقول: "إن أكثر فتوحي في الصلاة، أكثر من غيرها من سائر العبادات". فكان إذا صلى تجري دموعه فيمسها، وكان يتمايل فيها تمايل النشوان لما يجد من الحضور ولذة المناجاة والفهم في القرآن.

مات السيد محمد الجفري بعد شيخه الحداد بمدة، وفي هذه المدة حج وزار النبي (ﷺ)، وكان يتردد ... الحبيب أحمد بن زين الحبشي، ويمكث عنده الأيام.

يقول السيد محمد بن سميط: "ولما مات السيد محمد رأيته في المنام في صورة عظيمة، عليه مهابة ... على ما يعرف من حاله في اليقظة، فأخبرت بذلك الأخ عبد الرحمن بارقبة، فرآه السيد عبد الرحمن ... في المنام، فأخبره، فقال: نعم، إني من الطلقاء. وقد قال بعض العلماء: إن أناسًا يقال لهم الطلقاء يذهبون ويجيئون حيث يشاؤون من قبورهم. وفي ذلك وقائع مذكورة مشهورة في مناقبهم وسيرهم المدونة".

وكان أخوه، السيد علوي بن شيخ بن حسن بن علوي الجفري، قد ولد بتريم، وتربى على الإمام عبد ... الحداد مثله، وكان شديد التعلق به، كامل الانطواء فيه، لا يكاد يذكره إلا وتجود عيناه بالدموع؛ لا يكاد يغيب عن مجالسه إذا كان بتريم، إذ كان كثير السفر إلى الحرمين الشريفين، كما سافر إلى الهند، وأقام بها ... طويلة، وقد توفي بمدينة تعز باليمن.

الشيخ عبد الله بن محمد شراحيل:

كان من المترددين إلى الإمام، الآخذين عنه، ومن أصحابه الملازمين عتبته، والمنقطعين إليه، الو... عند إشارته.

وكان كثير الزيارة له، ويحفظ من كراماته الشيء الكثير، حتى إنه جمع نبذة من كراماته، فلما عرضه على الإمام، قال: اغسله بعد أن تعرضه على السيد أحمد بن زين، والسيد عبد الرحمن بن علي ابن الشيخ

علي، فظفر به بعض أصحاب الإمام قبل أن يغسله، ثم ظفر به السيد محمد بن زين بن سميط، فأخذ منه ما أدخله في مناقب الإمام. وكان إذا قحط الناس بشبام، يكتب للإمام، ويستحثه في الدعاء لنزول الغيث. فيأمر أن يأمر الناس بقراءة سورة يس في جامع شبام بعد صلاة العصر لمدة أربعين يومًا، وبإنشاد قصيدته:

يا رسول الله يا أهل الوفا　　　يا عظيم الخلق يا بحر الصفا

وقل أن تمضي أربعون يومًا إلا ويسقون.

وكتب له مرارًا استحثاثًا واستغاثة، فأجابه بما معناه: إنا لم نزل ندعو للمسلمين بالرحمة، وجل دعائنا في ذلك، ولكن القاعدة الفقهية: أن المانع مقدم على المقتضى إذا تعارضا. فالمانع هو الذنوب، والمقتضى هو الدعاء، فنحن نبني بالدعاء، والناس يهدمون وراءنا بالمعاصي. وقد قيل:

ولو ألف بان خلفهم هادم كفى　　　فكيف ببان خلفه ألف هادم

توفي ودفن بشبام.

الشيخ عبد الرحمن بن عبد العظيم شراحيل:

ولد بشبام، وتوفي بها. لزم الإمام، وخدمه، وحج معه، وجمع نبذة من كراماته نقل عنها الكثير السيد محمد بن زين بن سميط.



مدينة شبام

السيد أبو الوفا محمد عيسى الوفائي المصري:

كان السيد الوفائي قد خرج من مصر إلى الإمام الحداد ولم يعد إليها، وكان لا يغيب عن مجالس الإمام. وله فيه اعتقاد عظيم. أخذ عليه الإمام عهد الصحبة وألبسه خرقة الصوفية سنة ١١٠٧هـ.

ويروي الشيخ الشجار أن الوفائي جلس إلى الإمام مرة وشكا له حاله، وما به من الابتلاء والفقر. فقـ
الإمام (رضي الله عنه): من ساعة إلى ساعة فرج، فتزود فيها من الطاعة، ومن التقلل من الدنيا.

قال: وأي دنيا عندي؟ وما تمنيتها ولا طلبتها!

فقال: أحسن! وما القلّ من الدنيا إلا قربى. أو ما عليك ذنوب تستغفر منها؟

قال: بلى.

قال: لكن إذا أعطيت من غير سؤال، فخُذ.

قال: فان قيل لي أتريد كذا وكذا؟

فقال: لا، إنما هذا مشاورة.

ثم التفت إليّ نفع الله به فقال: وكم من عطية بلية، وكم من بلية عطية! إحفظ هذه يا حساوي.

وكتب له الإمام وصية طويلة مفصلة أسماها: رسالة الوفا في الوصية لأبي الوفا وغيره من إخوان الصـ
وهذه هي:

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

الحمد لله رب العالمين، الذي أمر بالتعاون على البر والتقوى عباده المؤمنين، ووصف بالتواصي بالحق و
عباده الصالحين، في كتابه المبين، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾، وقـ
تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾.

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد، الرسول الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحـ
الهادين المهتدين.

أما بعد، فقد التمس منا السيد المنور أبو الوفا محمد بن عيسى الوفائي المصري أن نأخذ عليه عهـ
الصحبة، وأن نلبسه الخرقة الصوفية المباركة، فأجبناه إلى ذلك لما رأينا منه من الإلحالح في الطلب لما هنـ
ومخايل صدق الرغبة فيما التمس من تلك الشئون وأَمَّهُ من تلك المسالك. ومحب القوم منهم، ومن تشـ
بقوم أو كثَّر سوادهم فهو كذلك، بفضل الله الجواد المالك.

فقد أخذنا عليه عهد الصحبة، وألبسناه الخرقة الصوفية العلوية النبوية، على وفق ما نقل عن أئـ
هذا الشأن، من أهل اليقين والعرفان؛ نفعنا الله بهم، وبارك لنا فيهم، ورزقنا حسن الإقتداء والتأسي بهـ
وجعلنا ممن سلك على شريف طرائقهم، وتحقق بعلومهم وحقائقهم، وجمع بيننا وبينهم في دار كرامته. مـ
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. ذلك الفضل مـ

الله وكفى بالله عليمًا.

وكان ذلك الأخذ والإلباسُ في يوم عاشوراء المعظم، العاشر من شهر الله المحرم، أول سنة ١١٠٧، جعل الله ذلك به وله، وفي سبيل محبته وقربه ورضاه وطاعته ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

ثم إني أوصي نفسي وإياه وكافة الإخوان في دين الله وفي سبيل الله بتقوى الله في السر والعلانية، والغيب والشهادة، وفي كل حال وفي كل موطن، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وبالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبالبعث، والحشر إلى الله، وبالحساب والميزان والصراط والحوض، والشفاعة، والجنة والنار، وبرؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

وبالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات، وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، وبأن تصلى في الجماعة في أول مواقيتها، وبحضور القلب مع الله فيها والخشوع، وبأن لا يحدّث المصلي نفسه في صلاته بغير ما هو فيه من تدبر قراءة، وتفهم معاني أذكار، وأسرار أفعال، من قيام وركوع وسجود وقعود، فإن فيها حكمًا، وضمنها أسرارًا شريفة لطيفة.

وأوصيه بالمداومة على رواتب الصلوات المشروعة قبلها وبعدها، وبصلاة الوتر، إحدى عشر، وهو الكمال، إلى ثلاث، وهو أقل ما ينبغي الإقتصار عليه؛ وبصلاة الضحى، وأفضلها ثمان، وأقلها ركعتان، وأوسطها أربع أو ست؛ والصلاة بين العشائين، وهي صلاة الأوّابين، وأكملها عشرون ركعة، وأدناها ست ركعات. ومن الحسن لمن أراد أن يصليها عشرين أن يقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة بثلاث من سورة الإخلاص، فإن ذلك يعدل ختمة من القرآن، والوقت لا يضيق عن مثل ذلك.

وأما صلاة الليل ففضلها عظيمة، وقدرها جسيم، فينبغي المداومة عليها، والاستكثار منها، وإطالة القيام والسجود فيها، مع الخشوع والحضور والتدبر.

وأوصيه بالتصدق بالمتيسر وإن قل، فإن القليل عند الله كثير، وليس يقل شيء أريد به وجه الله العظيم. والصدقة لها مكان عند الله ليس لغيرها، سيما إذا أصابت موضعًا، من فقير تقي ومسكين متعفف. وفي كل كبد رطبة أجر.

وأوصيه بالإكثار من الصيام، فإنه باب الرياضة للنفس، وركن المجاهدة، وبه تتأدب النفس، وتنكسر الشهوة. وإذا صام فليحفظ لسانه وجميع جوارحه عن الآثام وعن الفضول، ويتحرى الإفطار على حلال من الطعام. وليحرص على صيام الأيام الفاضلة مثل يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وتاسوعاء، والست من شوال. فإن استطاع المريد أن يصوم يومًا بيوم، وهو أفضل الصيام، فليفعل، وإلا فالإثنين والخميس والجمعة، وإلا ثلاثة أيام من كل شهر. وليتحر لها الأيام البيض، ولا أقل من ذلك، فإنه صوم خفيف على النفس، عظيم

الفضل. وفي الحديث: إنه يعدل صيام الدهر.

وأوصي نفسي وإياه بالإكثار من تلاوة القرآن العظيم، ولكن مع التدبر والحضور والخشوع والترتيل واجتناب العجلة والغفلة؛ وبالإكثار من ذكر الله، فإنه الذي عليه المدار والتعويل في طريق الله، وبلا إلا الله منه خصوصًا، فإنها حصن الله. وإذا ذكر الله تعالى فليذكره بقلبه ولسانه، بحضور واجتماع، و خشوع، فبذلك تحصل له ثمرة الذكر وفوائده الباطنة والظاهرة.

وأوصي نفسي وإياه بالإخلاص لله تعالى في الأحوال والأعمال والأقوال، وبالتوكل على الله، وبالتفويض إلى الله، وبالاعتماد على الله، وبالرجوع إلى الله، وبالزهد في الدنيا، والاجتزاء منها باليسير، مطعمًا وملبسًا ومسكنًا وغير ذلك. وليكن حاله فيها حال المسافر المجد، يقتصر منها على الزاد والبُلغة، ولا يتعلق بأكثر من ذلك، ولا يطلبه ولا يسعى له. وليكن طلبه وسعيه لآخرته، التي هي الوطن والمستقر، ودار البقاء والإقامة إلى غير نهاية ولا غاية.

وأوصي نفسي وإياه بالتواضع لله ولعباده المؤمنين، وسلامة الصدر، ونظافته من الحسد، والحقد، والبغض لأحد من المسلمين؛ وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه؛ وأن يحسن أخلاقه معهم ويصبر على أذاهم، بل يعفو عنهم إن آذوه أو ظلموه، ويدعو لهم. فبذلك صارت الرجال رجالاً وبلغوا مراتب الكمال. ويتجنب الغضب رأسًا فإنه لا خير فيه، وهو الشر كله، إلا أن يكون الغضب في الله عندما تنتهك محارمه وتضيع فرائضه، فذلك مما ينبغي ويحسن من أهله وفي محله.

خاتمة الوصية في أذكار وأوراد، مما نرتبه ونوصي به الأصحاب.

وقد سأل منا الصاحب الذي هو السبب في كتابة هذه الوصية وإملائها أن نثبت له شيئًا من ذلك ليتمسك به وليواظب عليه، فمن ذلك - وقد كتبناه في بعض الوصايا:

- أن يقول بعد كل مكتوبة من الخمس: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (خمسًا وعشرين مرة).

- سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (خمسًا وعشرين مرة).

- سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (خمسًا وعشرين مرة).

- اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم (خمسًا وعشرين مرة).

- ومن ذلك بعد كل مكتوبة أيضًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدد خلقه، ورضا نفسه، ومداد كلماته (ثلاث مرات). .

- سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وأسألك أن تصلي وتسلم على

عبدك ورسـولك سـيدنا محمد وعلى آله، أفضل وأدوم ما صليت وسـلمت على أحد من ملائكتك وأنبيائك وعبادك الصالحين (ثلاثًا).

– ومـن ذلـك دعاء اللطف: يا الله يا رب يا قدير يا قوي يـا متين... إلخ يقال بعد صلاة الصبح مرة وبعد صلاة العصر كذلك.

– ومن ذلك الراتب الذي بعد العشاء، وهو مشهور، يفتتح بالفاتحة الكريمة، ويختم بالإخلاص والمعوذتين.

– ومن ذلك: أسـتغفر الله للمؤمنين والمؤمنات، بعد كل مكتوبة سـبعًا وعشرين مرة، وهو مما أهداه إلينا بعض الأشياخ، وفيه أثر، وله مدد وبركة.

– ومـن ذلك: أسـتغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيـم الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه، رب اغفر لي (خمسًا وعشرين مرة)، بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر مثل ذلك، وهو مشهور، وفيه أثر.

– ومـن ذلـك: المسـبّعات التي تقال قبل طلوع الشـمس وقبـل غروبها، وهي هدية الخضر عليه السـلام لإبراهيـم التيمي، رحمه الله: الفاتحة سـبعا، وقل أعوذ برب الناس سـبعًا، وقل أعـوذ برب الفلق، وقل هو الله أحد، وقل يأيها الكافرون، وآية الكرسي سبعًا، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (سبعًا). اللّٰهُمَّ صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم سبعًا. أستغفر الله لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات إلى آخره سبعًا. اللّٰهُمَّ افعل بي وبهم، عاجلاً وآجلاً، في الدين والدنيا والآخرة، ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور حليم، جواد كريم، رؤوف رحيم، سبعًا.

– ومن ذلك: الأذكار العشرة التي ذكرها الإمام الغزالي (ﷺ)، في «بداية الهداية» تقال صباحًا ومساءً، وهي:

* لا إله إلا الله وحـده لا شريـك له، له الملـك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير (عشرًا).

* لا إله إلا الله الملك الحق المبين (عشراً).

* لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما، العزيز الغفار (عشرًا).

* سبحان الله والحمد لله... إلى العظيم (عشرًا).

* سبوح قدوس رب الملائكة والروح (عشرًا).

* سبحان الله العظيم وبحمده (عشرًا).

* أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه وأسأله التوبة والمغفرة (عشرًا).

* اللّٰهُمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (عشرًا).

* اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم (عشرًا).

* بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (عشرًا).

- ومن ذلك: بعد صلاة الوتر: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (أربعين مرة). وبعد سنة الفجر يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت (أربعين مرة)، وفيه أثر. وبعد صلاة الضحى: رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم (أربعين مرة). وبعد صلاة الظهر: لا إله إلا الله الملك الحق المبين (مائة مرة)، وهو من المأثور.

- ومن ذلك: جزى الله عنا محمدًا (ﷺ) ما هو أهله (عشرًا صباحًا ومساءً).

- ومن ذلك: النبذة التي جمعناها لأصحابنا من أذكار الصباح والمساء، وهي جامعة مختصرة، تتيسر المداومة عليها والملازمة له، وهي مشهورة.

وهذا آخر ما تيسر إيراده في هذه النبذة الموسومة برسالة الوفا في الوصية لأبي الوفا وغيره من إخوان الصفا

تمت من إملاء الفقير إلى الله عبد الله بن علوي الحداد باعلوي الحسيني، نفع الله به وبأسلافه، آمين بتاريخ يوم الأحد ٤ من جمادى الأولى سنة ١١٠٧ من الهجرة النبوية، على مشرفها وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أفضل الصلاة والسلام من يومنا هذا إلى يوم الدين، برحمتك يا أرحم الراحمين، آمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

يا لهف نفسي على سرٍ تُلمُّ به ... مني العلوم ولم تبلغه أذواقي

إن دام هذا ولم أحظَ بمشهده ... متُّ بغمي وأحزاني وأشواقي

سار الرجال ونالوا كل ما طلبوا ... وقيدتني أعمالي وأخلاقي

(انتهت الوصية)...

وقد جاور الوفائي بشعب النبي هود (ﷺ) مدة على التجريد والانفراد، بلا مؤنة ولا زاد، ثم انتقل إلى يبور بعد وفاة الإمام وتوفي هنالك.

الشيخ عبد الله بن صالح باكثير

كان متعلقًا ومنتسبًا إلى الشيخ الصالح المكاشف عبد القادر بن العارف بالله محمد بن أحمد باشراحيل صاحب الغريب. فلما قربت وفاة الشيخ عبد القادر أشار له أن يلقي نفسه إلى الإمام، والظاهر أنه انتابته مخاوف وشكوك عن مدى أهليته لذلك، فكتب على الغماك بذلك، فأجابه:

من عبد الله بن علوي الحداد علوي الحسيني إلى المحب الذكي، الفطن الزكي، عفيف الدين، عبد الله بن صالح باكثير، كشف الله عن سما قلبه سحائب الشكوك والأوهام، والظنون المانعة من معرفة الحق والعمل

به، وأخرجه من ظلمات ليل الجهل والحيرة إلى ضياء نهار الهدى والبصيرة، إنه على كل شيء قدير.

أما بعد، فاعلم أيها المحبّ المبارك أنه قد وصل كتابك الأمثل، وفهمنا ما اشتمل عليه. وحاصل ذلك أنه قد أشكل عليك أمر نفسك، حتى حسبت أنك من الممقوتين. ونعم هذه الخشية، فإنك إن كنت كما ظننت، فقد عرفت قدرك، ولم تتعد طورك. وقد قال علي (كرم الله وجهه): رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره. وإن كنت خيرا مما تظن فقد تواضعت لربك، والله تعالى يحب المتواضعين له من عباده، ولا يكون العبد عنده ذا قدر حتى لا يكون لنفسه عنده قدر.

وذكرت أن بعض من يوثق به أشار عليك أن تعتمد عليه بإلقاء نفسك على طبيب من أطباء القلوب، وما أعز وجوده في هذا الزمان المبارك! ثم إنه لم يمنعك من ذلك فَقْد كما زعمت، ولكن لم تر نفسك أهلاً لمجالسة أهل الله.

فاعلم أنك لو كنت لا تصلح لمجالستهم لكنت لا تؤمر بالانقياد لهم، لأن الإنسان لا يصلح مطلقًا لمجالسة أحد إلا وهو مثله، وليس لك سبيل إلى الصلاحية إلا بالانقياد لهم حتى تصلح بتأديبهم وتعليمهم بلسان أفعالهم وأقوالهم لمجالستهم. وإذا صلحت لها فقد صلحْت لمجالسة ربك والخلوة به.

فلا يقطعتك الشيطان عن امتثال مشورة ذلك الرجل الصالح، بهذه التخيلات الفاسدة والوساوس الردية، وأراها قد تحكمت عليك وغلبت، حتى أحاطت بك الهموم والغموم، وصرت في حرج عظيم من أجلها، وهذا بعينه هو مراد الشيطان منك، لأن مراده – بعد إخراجك من الدائرة إذا لم يستطعه – أن يحزنك ويخوفك بإلقاء أمثال هذه التوهمات. فاعرف مكائده واستعذ بالله من شره...(إلى آخر الرسالة)

قال عنه الحبيب محمد بن سميط: إنه كان من أجلّ الآخذين عن الإمام، الملازمين له، المعتكفين ببابه، وأنه لبس منه الخرقة وتلقن الذكر، وكان في خدمته، وعند إشارته، ولا يصدر إلا عن رأيه ومشورته. وكان يُشَوِّق الناس، سيما أهل شبام، إلى التعلق والاعتقاد فيه، وهو من أسباب معرفة أهل شبام بالإمام. ولذلك كتب له الإمام يومًا: «وكن واسع الصدر، مخفوض الجناح، قريب الجناب، سهل الأخلاق، لكافة من يميل ويرغب في الانتماء والانتساب إلينا، فإنه النسبة إلى الله ورسوله ﷺ». وكتب له في رسالة أخرى: «إنه ينبغي لمن جعله الله في مثل ما جعلنا عليه أن يكون بحيث يحسب كل جليس له وخليط أنه أكرم، أو من أكرم، الناس عنده، تلطفًا في الدعاء الى الله، وحسن سياسة للقلوب الضعيفة الرغبة في سلوك طريق الله».

وكان مشتغلاً بالذكر و الأوراد، وله إشراف على كتب القوم. وسماه الإمام الشيخ السالك، الناسك، المجذوب.

توفي الشيخ عبد الله باكثير بشبام، ودفن بمقبرتها، قرب هيصم.

عبد الله بن عثمان العمودي

الشيخ الصالح، الفقيه الجامع الورع. كان عبدًا صالحًا، مخبتًا منيبًا، قانتًا خاشعًا، جامعًا لعلوم الشريعة،

وعلوم المعاملة، وكذلك علوم العربية والفلك، وغير ذلك. كتب الإحياء بيده، وله نظم.

وقد طلب من الإمام الحداد أن يجيزه بطريقة تلقين الذكر، فكتب إليه يوم الخميس ١٤ صفر ١١٣١هـ بالآتي

إذا اجتمع جماعة لقصد التلقين، فينبغي أن يبدأ بقراءة الفاتحة المعظمة للتبرك، ولأنها لما قرئت له، ثم يقول الملقن للحاضرين من الراغبين:

قولوا: نشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدًا رسول الله.

قولوا: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

ثم الملقن المتقدم يقول: اللَّهُمَّ صلّ على محمد النبي الأمي الصادق الأمين. اللَّهُمَّ اسلك بنا طرائقها، وحققنا بحقائقها، واجعلنا من صالحي أهلها، وأحينا وأمتنا وابعثنا على ذلك من الآمنين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ إنا نسالك اليقين والعافية والوفاة على الإسلام.

اللَّهُمَّ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين، واغفر لنا، ولوالدينا، ولمشايخنا في الدين، وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع الدعاء. والحمد لله رب العالمين.

الشيخ محمد الكردي

صحب الإمام آخر سنتين من حياته.

يقول الشيخ الكردي: حصل لي لوعة الإرادة وأنا ببلادي، ولم أجد من يدلني على الله، فخرجت من بلادي أسيح في الأرض، أتطلب الدالين على الله والداعين إلى سبيله، فكما سمعت بمشهور في بلد، قصدته، فلم أجد بغيتي، ودخلت مصر، ثم رحلت إلى الحرمين، وسمعت بذكر سيدي عبد الله وأنا بمدينة الرسول (ﷺ)، ثم جئت إلى مكة المشرفة وسألت عمن يعرفه فيعرفني به، فدللت على السيد الولي عبد الرحمن بن علي باعمر من تلامذة سيدي، فقيل: إنه بمنى، فخرجت فدخلت عليه الخيمة، فلما جلست عنده، سألت عن سيدي وعن حاله، فمد يده إلى كتاب كان عنده وناولني إياه، وقال: انظر، هذا من تصانيفه. أظنه قال: إنه مراسلات سيدي ومكاتباته. فلما نظرت فيه، حصل عندي الانزعاج والشوق إلى لقائه. فلما كان بعد الحج، سافرت إلى اليمن وإلى حضرموت، فلما وقع نظري عليه، عرفته قطعًا ويقينًا أنه من أرباب المشاهدة، وحصل لي مرادي وعقدت على نفي ألا أفارقه إلى الممات.

ثم إنه سافر بعد مقابلة الإمام، ورجع ثانيًا وزاره، ورجع وحصل منه الإقبال التام، وألبسه وقرأ عليه

وأعطـاه الإحيـاء يقرأ فيه، وبـنى له زاوية الحاوي جلس بهـا بقية عمر الإمام وهو في العـادة من قيام الليل وتلاوة القرآن في أكثر الأوقات.

وكان حسن القراءة جدًا، وكان إذا تلا يقف المار في الطريق من حسن صوته، وجودة قراءته، وذوقه وخشوعه.

قال السيد علوي ولد الإمام: إن والدي في مرضه انتبه من الليل يقول لي: قم انظر إلى الرجل الصالح، هل قام يصلي؟ (يعني: الكردي المذكور).

وكان يصوم الدهر، فلما جاء إلى الإمام، رده إلى صوم يوم وإفطار يوم، مثل صوم سيدنا داود، مشيرًا إلى أنه أفضل، وأبلغ في رياضة النفس، فرجع إليه وأدام على ذلك، حتى توفي الإمام.

وفي اليوم الثالث من وفاته قال: أصبحت صائمًا وكان ذلك يوم فطري، على مقتضى إشارة الشيخ عبد الله لي في حياتـه، وكان يـوم الختم على سـيدي عند قبره، نمت ولم أحضر، حيث كنـت صائمًا، فجاءني في منامي، وقال: قم، وافطر، واحضر الختم! أتحسـب أني مت؟ فقمت من سـاعتي، وأفطرت، وحضرت، وعرفت أنه نفع الله به من أهل الكمال المطلقين التصرف في الحياة وبعد الممات.

ويقول السيد محمد بن زين بن سميط: وكان بيننا صحبة ومودة، ومجالسة ومؤانسة.

قال لي يومًا: إني أحبك في الله. فقلت: أحبك الله الذي أحببتني لأجله. كما ورد ذلك في الحديث.

الشيخ أحمد عبد الكريم الشجار الأحسائي

مكث عند الإمام سـبع عشرة سـنة وهـو في ملازمته دوامًا، لا يكاد يفارقـه في مجلس عام ولا خاص، وكان عليه وظيفة الأذان، وحمل السجادة والحبوة، حتى وفاة الإمام سنة ١١٣٢هـ وكان مقبلاً عليه، واقفًا عند إشارته، ملتزمًا لخدمته، يكتب كل ما يتكلم به في حضوره.

وكان ذا حفظ للعلم، وطلب وإتقان، وحصل جميع مؤلفات الإمام بقلمه وغيرها من الكتب. وكان الإمام لا يناديه إلا يا حاج! وفي القليل النادر بلقبه «الحسـاوي»، إلا قبل وفاته بأيام قليلة، دخل عليه فقال له: يا أحمد! وقد جمع كل ما سـمعه من كلام الإمام وما رآه من أحواله في مؤلف سـماه: «تثبيت الفؤاد بذكر كلام القطب الحداد»، نقل منه كل من ترجم للإمام فيما بعد.

وروى الشيخ الشجار في تثبيت الفؤاد، الكثير مما شهده من وقائع حين ملازمته للإمام، ومنها ما حدث له قبل وصوله إلى حضرموت، وذلك في شـعبان سـنة ١١١٥هـ، قال: أصابنا في البحر في غبة قمر طوفان عظيم، ونحن في سنبوق صغير، كل الذين فيه سبعة أشخاص، وصار الماء يدخل من جوانبه، وجعلوا يبكون، فقرأت أبياتًا من قصيدة لسـيدنا – نفع الله به – **نادي المهاجر صفي الله**، إلى قوله: **بجدكم وبكم تنجاب سـحب البليات والضر.**

فعنـد ذلـك أخذني النوم، فنمت، فرأيـت كأني واثنين معي نمشي في المعلاة، مقـبرة بمكة المشرفة، ونحـ نسـتعجل في المـشيء يقال لنا: إن هناك السـيد عبـد الله الحداد جالس، وإنه في آخـر المجلس يريد القيـ فنعجّل المشي لنلحق عليه، فمررنا بقبر خديجة الكبرى (ﷺ)، فزرت زيارة طويلة، ثم سرت ولحقت سيدي في مجلسه، فقبلت يده، وحصل لي سرور عظيم وبكاء كثير، فانتبهت، وإذا أهل السنبوق في ضحك وأنس وقد ذهب عنهم الطوفان، وإذا أحدهم يقول: يا شـيخ، ادع الله أن يرزقنا حلاً. قلت: ما هو إلا من البحـ فصيدوا لحمًا بمجرار.

قالـوا: ما يمكننا ذلك، وإذا سـمكة كبيرة عليها لـون الخضرة قد طفرت في المركب، فوضعوا عليها ثلاث قواصر حتى ماتت، فبقينا كل يوم نطبخ منها سـبعة قدور، إلى أن وصلنا سـيحوت[1]، ثم إني أخبرت سـيدي بهذه الوقائع كلها، فتعجب، وقال: سـبحان الله! وذكر كلمة الشيخ عمر المحضار: نرد موسومتنا ولو بالصين (أي: نعتني بمن ثبت تعلقه بنا ولو كان في أقاصي الأرض).

وقـال الشـيخ الشـجار في تقديمه لكتاب، تثبيت الفـؤاد: فإني قد جمعت نبذًا مما قيدته من كلام سيد وقدوتنا، ومن عليه بعد الله ورسوله معتمدنا، السيد الإمام، القدوة للخاص والعام، قطب الأقطاب، ونخبة الأولياء الأحباب، سـيدي الحبيب عبد الله بن علوي الحداد علوي (رضي الله عنه) ونفعنا ببركاته وأسراره في الدنيا والآخرة. مما تكلم به في مجالسـه، أو شرحه وفصله في بيان مسـألة، أو على حديث، أو أي معنى مما سـمعته منه، فإنه لسـان حال الوقت، وقطب العصر، وإمام الدهر، وقدوة هذا الأوان، ومقدم هذا الزمان، كما أجمع على ذلـك أهـل الظاهر وأهل الباطن وأهـل الشريعة وأهل الحقيقة، فإنه المجـدد للدين في وقتنا، وحامل سر الحـق فيه، وحامل اللواءين لواء الشريعة ولواء الحقيقة، المشـتمل عليهما مقـام القطبية، وإنه لا يحمله عنه بعـده مـن كل الوجـوه إلا المهدي، كما قـال (رضي الله عنه) مرارًا: عندنـا أمانة لا يحملها إلا المهدي. وسـتقف على تحقيـق ذلك في هذا النقل عن كبـار المحققين، من أهل الظاهر وأهل الباطن، وأهل النقل وأهل العقل، من المكاشفات المحققة لذلك، والمرائي الصادقة والعلامات الدالة القاطعة به.

وقد اسـتأذن الشـيخ الشـجار في نقل كلام الإمام عدة مرات وأذن له في كل مرة. قال الشـيخ: وقلت له مرة: إنا نسـمع كلامكـم، ونحرص عليه ونكتبه، ولا ندري هل فهمناه على الوجه الذي أردتم أم لا، ولكن نتحـرى لفظكـم إن أمكن، وإلا كتبناه بالمعنى على ما فهمناه، وربما حصـل زيادة أو نقصان فقال: اكتبه وعادك تعرفه.

حتى إني رأيته (رضي الله عنه) ليلة في المنام، وهي ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الأول سنة ١١٢٧هـ، وهو في جمع يتكلم عليهم، وذلك بمسـجده بالسـبير فبينما هـو يتكلم عليهم إذ التفت إلي، وقال: فـلان مهيم القلب، والقلب

(١) ميناء صغير على ساحل اليمن الجنوبي شرقي الشحر والمكلا.

المهيم لا يتأهل للواردات الإلهية ولا يحصل الهيام إلا لقلب فارغ، فأخبرته بذلك يقظة، وقلت: أكتبه في جملة ما أكتب مما أسمعه وأحفظه من كلامك؟ فقال: اكتبه!

ثم إنه (رضي الله عنه) شرحه فقال: الهيام والغرام من أسماء المحبة، والهيام هي الواردات الإلهية بنفسها، فلا يتأهل (أي لا يحتمل) القلب المهيم من الواردات الإلهية أكثر مما هو فيه، ولا ترد إلا على القلب الفارغ.

وكذلك رأيت أيضًا كأن في حلقة فيها خلق كثير، وسيدنا في وسطهم يتكلم عليهم، إذ التفت إلي، وجعل يملي علي كلامًا كثيرًا، ويقول: احفظ كلامنا هذا! فقلت: يا سيدي ما يمكنني حفظه لكثرته، فقال: هات دواة مع قلم وقرطاس، فأتيته بذلك، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل القلوب محل أسرار الغيوب، فانتبهت بعد ما كتبت هذا، فأخبرته بهذه الرؤيا بعد ستة أشهر في طريق السبير، فقال: اكتبها، فقلت له: الكلام الذي ننقله عنكم بلفظه نحس له أثر ونرى له رونقًا أكثر مما ننقله بالمعنى، فقال (رضي الله عنه): ولو قد غبت ظهر له حال غير الحال الأول لأن المخالطة والاجتماع مانع وحجاب عظيم. وتكلم (رضي الله عنه) يومًا على الناس كثيرًا، ثم قال في آخر كلامه ذلك: إذا تكلمنا في مجلس، فلا يظن أحد أنا قصدناه بالكلام خصوصًا، بل هو عام لكل من سمعه، ثم تمثل بهذا البيت:

وإذا الفتى طرح الكلام معرضًا ... في مجلس آخذا كلام الذي عنى

ثم قال: وإذا تكلمنا في مجلس، فإذ عرفه الحاضرون وأخذوا به، كان حجة لهم، وإلا، فله من يسمعه غيرهم ولا يرونهم، وكلامنا بأمر إلهي.

وروى الشيخ الشجار وقائع أخرى كثيرة نقل بعضها؛ لأن فيها إشارات ثمينة إلى سيرة الإمام وحكمته. قال: ومن العجيب الذي يدل على عظيم تصرفه وشدة كراهته للشهرة، أني رأيت أيضًا أوان وصولي إلى حضرته كأني وقفت على حانة نهر عذب الماء ودخلته وسبحت فيه، فأخبرت بذلك سيدي في طريق السبير، وطلبت منه تأويلها، فقال: أتحسن السباحة؟ قلت: نعم. قال: والماء عذب؟ قلت: نعم. ثم سكت ولم يؤولها، فقلت: أولها لي، فلم يرد جوابًا وسكت، وسكت. فلما جئنا من السبير فتحت الخزانة، وأخذت كتاب «حياة الحيوان» لانظر فيه كلمة، وليست رؤياي لي على بال، فحين فتحت الكتاب، قابلني فيه تعبير مكتوب بالأحمر، كما هي عادته، فتأملت في عبارته في ذلك الموضع، وإذا به يقول: من رأى أنه دخل نهرًا عذبًا وهو يحسن السباحة فإنه يخالط رجلاً من الأكابر، فعجبت من ذلك الاتفاق، وبقيت هذه الرؤيا تتكرر لي بعد كل مدة، حتى تكررت لي مرارًا كثيرة، وكان سكوت سيدنا (رضي الله عنه) عن التأويل المذكور؟ لأنه اطلع قطعًا على ذلك التأويل وعلى أن القدرة ستسوقني إلى الوقوف على ذلك التأويل الذي لم يستحسن هو أن يذكره لي؛ لما رأى فيه له من الإطراء، مع رغبته في وقوفي عليه للحاجة الداعية إليه، فأراد أن أقف عليه من غيره فاكتفى بوقوفي عليه في ذلك الكتاب من غير أن يذكره هو، وكل هذه والله عجائب آيات، وكرامات باهرات، ومناقب عاليات.

وقـال أيضًـا: ومما يدل أيضًا على عظيم تصرفه وشـدة كراهته للشـهرة لنفسـه ولمن يحبـه ويتصل به: الأخ الأكرم عبد الرحمن بن أحمد باكثير الشـحري علمني عزيمة مجربة للحمى، فاسـتعملتها لأناس كثير وأفادت، واشـتهر أمرها في حضرموت، حتى إن أناسًـا من دوعن وغيرها يرسـلون إليّ يطلبون أن أفعلها لهم وسـمع سـيدي بها، فقال: كيف العزيمة التي تفعلها للحمى؟ فأخبرته بها، ولم يتكلم لي من جانبها بشيء بأمر ولا بنهي، بل سـمعها وسـكت. فسـلبت منفعتها، حتى إنها ما أفادت بعد ذلك ولا نفعت، فتركتها مدة حياتـه - نفـع الله به - وبعد ذلـك صرت أفعلها لبعض الناس في بعض الأوقات، رجاء أن يرد الله خاصيتها لنفع المسلمين، فمرارًا تفيد، ومرارًا لا تفيد، فانظر هذا التصريف العظيم والتربية التامة.

وقـال: وطلبـت من سـيدنا - نفع الله بـه - الدعاء، وذلك ليلة الأحد ١٩ من شـهر رمضان سـنة ١١٢٩هـ وبعدمـا فـرغ من ختم مصلى الحـاوي لما دخل الضيقة يريد الدخول إلى الدار، فقلت: يا سـيدي الله الله في بالدعاء، ادع لي في هذه الليلة المباركة! فقال - نفع الله به: ادع أنت لنا ولنفسك؛ لأن لك حق الغربة، وحق الطلـب فإنـك غريب وطالب، ولا تدع لنفسـك إلا بـأن الله يتولاك مع اللطف والعافيـة وإلا فإن الولاية الخاصة فيها ابتلايات كثيرة، قلت: دعاكم لي بصلاح القلب بالخصوص، وغيره بالعموم! فقال: الله يتولانا بولايته، الله يتولى الجميع.

وقال: وقد حضرت يومًا مجلس السيد الكامل الفاضل أحمد بن عمر الهندوان. رحمه الله تعالى فقال لي: يا الحساوي! ما الفقر الذي استعاذ منه النبي (ﷺ)؟ فقلت كما حفظته من كلام سيدنا: هو المقرون بالتضجر والتبـرم، والتسـخط بقضاء الله تعالى. فقال: ليس هو هذا، فاسـأل حبيبك. فقلـت: هكذا أحفظه عن قول حبيـبي. قال: لا، إسـأله عن ذلـك. وكان ذلك يوم الخميس، وكنت مرتبًا زيارته وحضور مجلسـه يوم الخميس والجمعـة، فبعـد ذلك بثـلاث أيام، وهو يوم الأحد، وأنا أماشي سـيدنا - نفع الله به - في طريق السـبير، وهو مشـغول بقراءة ورده، إذ التفت إلي وقال: يا حاج. قلت: لبيك. وما كان يسـميني إلا كذلك. قال مكاشـفة: ما قط سـألك السـيد أحمد عن مسألة؟ فقلت: بلى، سـألني عن كذا، وأجبته عن قولكم بكذا. فقال: أنت ما تعرف السـيد، ما سـألك ليسـتفيد منك، إنما سـألك ليرى ما عندك من العلم، فإذا سألك بعد هذه فلا تجبه بـشيء، وقل: أنا مسـتفيد، خلّه يحكي لك ممـا عنده، والذي عندك هو محفوظ. فلمـا كان يوم الخميس الآخر أتيته على عادتي، فلما استتم المجلس، سألني عن المسألة بعينها، فقلت: الله يحفظك، أنا مستفيد. فقال: الفقر الذي استعاذ منه النبي (ﷺ) هو خوف الفقر. فأخبرت سيدنا في طريق السبير يوم الأحد الآخر، فقال: هكذا

ولمـا تـوفي الإمام، حصل للشيخ الشـجّار حـال عظيم من الحزن، وظـل فترة في تريم، ثـم ذهب إلى عند الحبيـب أحمـد بن زين الحبشي، فجلس عنده سـبعة عشر يومًا، يوم بكل سـنة لازم فيها الإمام، ثم ذهب إلى الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار بوادي دوعن، وكان بينهما ود ومحبة كبيرة، فأخذ عنده مدة، ثم سـافر إلى الحرمين.

وقد كان الإمام قبل وفاته قد أوصاه بعدم المجاورة بعد الحج والمسير إلى بلاده. يقول الشجّار: قال لي في شعبان: إذا حججت فلا تجاور، ومر إلى بلادك برًا. فكتبت ذلك في وريقة كالإصبع خوف النسيان، ومن حين كتبتها لم أدر أين وضعتها، وضاعت عليّ، فلما كنت عشية يوم بالمدينة المنورة، والحاج العقيلي يريد المسير بعد صلاة الصبح، وفي عزمي الإقامة بالمدينة أربعين يومًا، وكنت ناسيًا أمره لي بالسفر برًا، فبيما أنا إذ ذاك أقلب أوراقًا لي، والشمس قد اصفرت، وإذا بتلك الوريقة واقعة في يدي، من غير قصد مني لها، فلما رأيت فيها ذلك، ولا يمكن السفر إلا مع الحاج العقيلي المذكور، عزمت على المسير معه.

ولما رجع الشيخ الشجّار إلى بلاده، صادفته ظروف قاسية تذكر عندها مكاشفة الإمام له بها قبل وقوعها بسنين. قال: وكذلك قال - نفع الله به: قال لنا حسين بافضل: إن بدت لكم حاجة الحذر ما تذكرونها لي. فقلنا: إن بدت حاجة تطلب من الخلق فما أولى منك، وقدنا ببيتك، وإن قضى الله الحوائج، فما بقي كلام. ثم قال لي: فاعلم ذلك واعمل عليه. فمن حين وضعت رجلي في الحسا سنة ١١٣٤هـ قيض الله لي بعض المحبين الصادقين، قال لي: إن بدت لكم حاجة فلا تستقضونها إلا من عندي، ولا تستقضون حاجة من عند غيري. فقلت له: إن شاء الله، إن بدا لنا غرض، فأنت أحق بذلك وأولى به. فكان لنا معه في أمور المعاش أحوال غرية جدًا لا توجد في أهل هذا الوقت.

من جملة ذلك: أنا بقينا نتسلف منه إلى أن بلغ ذلك ١٧٥، غير ما يعطي بغير سلف، وهو أكثر من ذلك بكثير، فقال عند ذلك: أنت بريء من كل ذلك.

ومرة: كان للأهل عند رجل ثلاثمائة فذكرنا ذلك له، فأعطاناها، وقال: أنا أجوز معه. وغير ذلك، حتى صرنا نقضي أمورنا من بعيد، ومهما علم بشيء قضاه من غير ما نعلم، إلى أن جانا هذا الوقت وهو سنة ١١٦٣هـ الذي أقعد الأقوياء وأفقر الأغنياء، صرنا نخفي عنه الحوائج، شفقة عليه، وهو يطالبنا بذكرها، ونخفيها عنه وعن غيره ما استطعنا، ولا يمكن اليوم إلا القناعة، لتغير الزمان وأهله، وميلهم عن شاكلة الصواب، لغلبة البخل والشح عليهم، نعوذ بالله من أحوال ما تدعو إليه النفوس في هذا الزمان.

علاقة الإمام الحداد بالمتأخرين من المريدين:

وللإمام الحداد رعاية واتصال بمن جاء بعد عصره من المتعلقين به المتبعين لطريقته، وقد أخبرني المرحوم السيد سقاف بن علي الكاف أكثر من مرة كيف أنه كان متحيرًا في فهم مسألة الكلام النفسي، فجاءه الإمام الحداد في المنام، وضمه إلى صدره، وكلمه كلامًا كثيرًا فهمه بوضوح مع أنه لم يكن ثم صوت ولا كلمات ولا حروف، فبين له بهذه الطريقة معنى الكلام النفسي.

وورد في «تذكير الناس» أنه جاء الحبيب أحمد بن حسن العطاس أحد المتعلقين به يومًا فقال له: إني كثيرًا ما أتخيل الحبيب عبد الله الحداد، فتارة يظهر لي نورًا مجردًا، وتارة شبحًا خياليًا. وإني قلت له مرة: أريد أن تبرزو لي صورة ظاهرة في الخارج، فظهر لي. وشاورته في أمور خاصة وعامة، فقال: لا تشاورنا في شيء، فإذا أشكل

عليك حال فاعرضه على الكتاب والسنة، فما وافقهما فهو الصواب. واذهب إلى حريضة، إلى أحمد بن حسن العطاس، فإن الأشياء تحولت إليه في هذا الوقت. فقلت له: عندي أحد محموم في البيت. فقال: والحمّى تذهب فلما رجعت إلى البيت وجدت الحمى قد زالت، فعزمت إليكم. قال الحبيب أحمد: هذه الحضرة يقولون حضرة المثال وحضرة الفهوانية، بين الحس و المعنى وبين النوم واليقظة، تتمثل فيها جميع الأشياء. وهي أوسع ما كان في العالم، لأن لها وجها إلى الملكوت ووجها إلى عالم الملك. وأهل البيت ملطوف بهم. أما الكشف الحي المطلق ما يقع لهم إلا في مواطن أخرى. تقع لهم كشوفات خيالية ومنامية. وعلى هذا أدركنا سلفنا، مثل الحبيب صالح بن عبد الله وغيره. يقول (يعني الحبيب صالح): رأيت كذا ورأيت كذا، يوري بذلك.

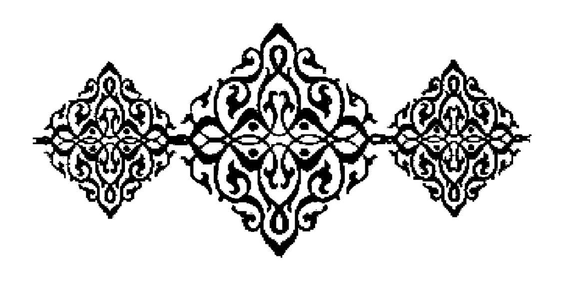
فقال له ذلك المريد أيضًا: إني تذكرت الحبيب (أي عبد الله الحداد) وتخيلت جلالته، ثم تنزله لكل أحد من الناس على قدر حاله، فقلت في نفسي: كأنه بشري ملكي. فبدا لي مثال الحبيب عبد الله وقال لي: لا تقل هكذا، وقل هو الإنسان الكامل. وأمرني بتجريد القصد والوجهة إلى سيدي (أي الحبيب أحمد بن حسن) وعدم الالتفات إلى الغير، حتى إليه نفسه. ومرادي صحة الانتساب إليكم والارتباط. قال الحبيب أحمد بن حسن: نحن والحبيب عبد الله شيء واحد، لأن مددنا منه، والسلف العلويون كلهم مددهم واحد ومشربهم من مورد واحد[1].

* * * * *

هذا ما تيسر إيراده من سيرة الإمام عبد الله بن علوي الحداد (رضي الله عنه) وأحواله وعلومه ومنهجه وسيرة مشائخه ومن أخذ عنه وانتفع به وذريته.

جعله الله مقبولاً لديه وخالصًا لوجهه الكريم.

والحمد لله أولاً وآخرًا على ما أنعم وأفاض، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد قاسم الإمداد، وآله الأفراد، وصحبه الأمجاد، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يحشر العباد.



(١) تذكير الناس، ص ٢١٧، ٢١٨.



فهرس الكتاب

